الروض الفائق

فى المواعظ والرقائق

تأليف

الشيخ شعيب الحريفيش

وبالهامش

١ — كتاب يتضمن أحاديث وآثار أو مواعظ تتعلق بالموت وما بعده

لزين الدين المليبارى

٢ — كتاب قرة العيون ، ومفرح القلب المحزون

لأبى الليث السمرقندى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

الروض الفائق

في المواعظ والرقائق

تأليف

الشيخ : شعيب الحريفيش

وبهامشه كتابان جليلان :

١ — كتاب يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده

للشيخ : زين الدين بن عبد العزيز المليبارى

٢ — كتاب قرة العيون ، ومفرح القلب المحزون :

للإمام أبي الليث السمرقندى

رحمهم الله آمين

S160

الطبعة الأخيرة

١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

893.7991
H93
18 9166

«أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولاعدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا كتاب [الروض الفائق ، فى المواعظ والرقائق] يشتمل على خطب وتنزيهات وأحاديث مرويات ، وقصائد وحكايات ، ورقائق ووعظيات ، ومناقب الصالحين ، وذكر المشايخ العارفين ، وتذكير أهل الذنوب والآثام ، وإيقاظهم من الغفلة والمنام ، ووشيته بذكر سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورصعته بقصائد من نظم الأولياء ، وإشارات من كلام الفضلاء ، تروق السامع ، وتلتذ بها المسامع ، وتنشئ الخشوع ، وترسل الدموع ، وقصدت بذلك رحمة أرحم الراحمين ، والنفع لكافة المسلمين : للعبد الظالم لنفسه المعترف بذنبه : الراجى رحمة ربه [شعيب الحريفيش] غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا لهم بالرحمة والمغفرة آمين .

المجلس الأول

فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وفضل بسم الله الرحمن الرحيم

اعلموا ياإخوانى : أن هذه بضاعتى ، وها أنا أعرضها عليكم فمن رأى خيرا فليحمد الله تعالى وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن رأى غير ذلك فليقل : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإنها جبر لنقص المقصرين ، ولقلوب المنكسرين ، وقد ورد فى صحيح السنة ، أنها كنز من كنوز الجنة .

واعلموا ياإخوانى : أنه ماسلم من النقص والخلل ، والخطايا والزلل : إلا النبى صلى الله عليه وسلم المفضل ، والرسول المبجل ، صاحب الوصف الأكمل ، والقدّ الأعدل ، وما صح الفضل والكمال ، إلا لمن جمعت فيه أشرف الخصال ، الذى أوتى جوامع الكلم وخص بالفضل والعلم والعقل والأنفال :

وهو الذى قد حاز كل الكمال ... وخص بالفضل وحسن المقال ... وهو الذى قد جاءنا رحمة
مفرقا بين الهدى والضلال ... محمد المبعوث من هاشم ... أفضل من حاز جميع الخصال
صلى عليه الله طول المدى ... ماعطر الكون نسيم الشمال

[عباد الله] : ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » .

١

أحاديث وآثار ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحانك اللهم وبحمدك ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد رسولك وعبدك وعلى آله وأصحابه الموفين بعهدك .

[وبعد] فهذا مختصر ضمنت فيه بعض أحاديث ذكر الموت وما بعده فى فصول متوسطات ، بدأت أحاديث كل فصل بما يناسبها من آيات ، وأردفتها بآثار ومواعظ زاجرات ، عسى الله أن ينفعنى به وأحبابى والمسلمين والمسلمات .

[فصل] قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء

[إخوانى] : أحضروا قلوبكم ، وتفكروا وميزوا بعقولكم وانظروا من هو الذى يصلى عليكم ويكافئكم ويجازيكم بالصلاة الواحدة عشرة ، فأى ربح أعظم من هذا الربح ، وأى تجارة أربح من هذه التجارة ؛ فيامعشر التجار الراغبين فى كسب الدرهم والدينار ، لوقيل لأحدكم البلد الفلانى فيه بضاعة تكسب الدرهم درهمين ، والدينار دينارين لسارعتم إليها وتزاحمتم عليها ، وبذلتم فيها المجهود بالمزايدة لما فيها من الربح والفائدة ؛ فكيف لكم بهذه البضاعة الرابحة ، والتجارة الناجحة التى أخبركم بها الصادق الأمين عن رب العالمين أنكم كلما صليتم على نبيكم صلاة واحدة صلى الله عليكم بها عشرة ، فانظروا هذا الربح واجنوا هذه الثمرة ، وينشد فى المعنى :

من عامل الله لم تخسر تجارته ... وكل قلب خراب بالتقى عمره
وما تصلى على المختار واحدة ... إلا عليك يصلى ربه عشره
فاغنم صلاتك ياهذا عليه تفز ... بالربح عند إله فاز من شكره

فيامعشر الفقراء الصادقين الكبراء ، منكم استفدنا ، وعنكم روينا ، وبكم رحمنا ، والله ماعرّضت بذكركم لكونى آمركم وأنهاكم ، وإنما تمثلت بقول القائل : أحياء القلوب ارحموا أموات القلوب ، ويكفيكم شرفا وفخرا أن الله تعالى قد مدحكم فى كتابه وشرفكم بخطابه فقال تعالى « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض » ويهنيكم أن ذكركم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يامعشر الفقراء اصبروا حتى تلقونى على الحوض فانكم أول زمرة ترد علىّ » فسبحان من أعطاكم وكمل لكم السرور وحباكم وبلغكم القصد والسول بقول هذا السيد الرسول صلى الله عليه وسلم « فقراء أمتى تدخل الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام يأكلون ويشربون ويتنعمون والناس فى كرب الحساب » فسبحان من رفع لهم قدرا ، ونشر لهم ذكرا ، وأعطاهم صبرا ، وضاعف لهم ثوابا وأجرا ، وما أحسن ماقال فيهم غلامهم الحريفيش :

هم الفقراء أهل الله حقا ... وقد حازوا بضيق الفقر فخرا ... هم الفقراء قد صبروا وأوذوا
فعوضهم بذاك الصبر أجرا ... هم الفقراء والسادات حقا ... ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
هم الفقراء عنهم فارو ذكرا ... وحدث عنهمو سرا وجهرا ... فكم صبروا على ضيم الليالى
فعوضهم بذاك الكسر جبرا ... وقد زاروا الحبيب وشاهدوه ... وقد سجدوا له حمدا وشكرا

فيا أيها الفقراء : بالذى أنعم عليكم وزاد فى الإحسان إليكم إنا لنشتهى أن تجبرونا وتوافقونا وترفعوا أصواتكم معنا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فان من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا . فهذه تسعة زائدة فأىّ ربح أعظم من هذا ، وأىّ فائدة ؟ . قال صلى الله عليه وسلم « من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى علىّ مائة صلى الله عليه ألفا ، ومن صلى علىّ ألفا زاحمت كتفه كتفى على باب الجنة » .

[اخوانى] فماذا عسى أن يصف الواصف أو يقول ، وقد قال المصطفى الرسول الذى بين الكتاب والسنة « من صلى علىّ ألفا زاحمت كتفه كتفى على باب الجنة » :

صلوا على الهادى البشير محمد ... تحظوا من الرحمن بالغفران
فالله قد أثنى عليه مصرحا ... فى محكم الآيات والقرآن

وقيل إنه من صلى عليه وهو قائم غفر له قبل أن يجلس ، ومن صلى عليه وهو قاعد غفر له قبل

أجلها والله خبير بما تعملون) وفى كتاب الترمذى . قال النبى صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت » وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرئ مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » ، وفى رواية مسلم : يبيت ثلاث ليال . قال ابن عمر رضى الله عنهما : مامرت علىّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندى وصيتى . وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل وعدّ نفسك من أصحاب القبور » أى لا تركنن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله .

أن يقوم ، ومن صلى عليه وهو نائم غفر له قبل أن يستيقظ من منامه ، وذلك أن العبد إذا عاش ما شاء الله وكان على غير التوحيد، فإذا أراد الله به خيرا ألهمه كلمة الشهادة فيأتى بعض المسلمين إليه فيلقنه الشهادة ويكررها عليه ثم يقول بعد ذلك صلّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فعل ذلك وحسن إسلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فان كان قائما غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم :

صلوا على خير الأنام محمد ... إن الصلاة عليه نور يعقد ... من كان صلى قاعدا يغفر له
قبل القيام وللمتاب يجدد ... وكذاك إن صلى عليه قائما ... يغفر له قبل القعود ويرشد

وقيل إنه من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه غفر له قبل أن يستيقظ كما جرى لأم أبى بكر الصديق رضى الله عنهما . أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أمه وكان فى أول الليل فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وطاب لهم الحديث فدخل الليل ونامت أم أبى بكر ، فلما أراد الانصراف قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر كيف حالك ؟ فقال بخير يارسول الله غير أن هذه أمى وليس لى عنها غنى فادع الله لها ياسيد الأنام أن يلهمها الإسلام ، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يديه وهمهم بشفتيه ودعا لها ، فقال بعض من كان حاضرا والله لقد سمعناها تنطق بالشهادة وكلمة الإخلاص وهى نائمة ، فلما استيقظت رفعت صوتها وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فهذه يعنى أم أبى بكر غفر لها قبل أن تستيقظ تصديقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا جرى كثيرا لمن كان على غير الإسلام فيرى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فيسلم على يديه ويصلى عليه فينتبه وقد غفر له :

هنيئا لعين قد رأت نور أحمد ... وفازت جهارا منه بالحسن والرؤيا
وقد أسعد الرحمن عبدا دعا له ... فأضحى سعيدا فى الممات وفى المحيا
وبدل دين الشرك بالنور والهدى ... وبلغ مايهوى من الدين والدنيا
وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى ... نبي حباه الله بالرتبة العليا
عليه صلاة الله ماطاف طائف ... بمكة بيت الله قصدا أتى سعيا
صلاة شذاها عطر الكون جهرة ... فمن قاسها بالمسك يوما فما استحيا

[وقال بعض الصوفية] كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف من سكره يومه من أمسه ، وكنت أعظه فلا يقبل ، وآمره بالتوبة فلا يفعل ؛ فلما مات رأيته فى المنام فى أرفع مقام ، وعليه من حلل الجنة لباس الإعزاز والإكرام فقلت له : بم نلت هذه المنزلة والمقام ؟ ، فقال حضرت يوما مجلس الذكر فسمعت المحدث يقول « من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته وجبت له الجنة » ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت أنا صوتى معه ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا فى ذلك اليوم فكان نصيبى من المغفرة أن جاد علىّ مولاى بهذه النعمة :

يافوز من صلى عليه فانه ... يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى
إن شئت من بعد الضلالة تهتدى ... صلى على الهادى النبيّ محمد
ياقومنا صلوا عليه لتظفروا ... بالبشر والعيش الهنىّ الأرغد
ويخصكم ربّ الأنام بفضله ... والفوز بالجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جلّ جلاله ... مالاح فى الآفاق نجم الفرقد

ومن فضائل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم أن امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه ، وكانت

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » وقال حاتم الأصم : لكل شىء زينة وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل . وقيل للحسن : ألا تغسل قميصك ؟ فقال الأمر أعجل من ذلك .

واعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين إكثار ذكر الموت ، وينبغى أن يستعد له بالتوبة إلى الله تعالى وردّ المظالم وللمريض آكد لأنه يرق قلبه ويخاف فيرجع عن المظالم ويقبل على الطاعات .

واعلم أن بنى آدم طائفتان طائفة نظروا إلى شاهد خيال الدنيا وتمسكوا بتأميل

تأمره بالخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر والقضاء غالب عليه فمات وهو مصرّ على ما كان عليه فحزنت عليه أمه حزنا شديدا حيث مات على غير توبة فتمنت أن تراه فى المنام فرأته وهو يعذب فازدادت عليه حزنا . فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة فى فرح وسرور فسألته عن حاله وقالت ياولدى : إنى رأيتك تعذب فبم نلت هذه المنزلة ؟ فقال يا أماه اجتاز رجل مسرف على نفسه بالتربة التى أنا فيها فنظر إلى القبور وتفكر فى البعث والنشور واعتبر بالموتى فبكى على زلته ، وندم على خطيئته ، وتاب إلى الله عزّ وجل ، وعقد التوبة معه أن لايعود ففرحت بتوبته ملائكة السماء فيالله ماأحسن الصلح مع الحبيب ثم إنه لما تاب وعلم الله صدق توبته وتاب عليه قرأ شيئا من القرآن وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشرين مرة وأهدى ثوابها لأهل التربة التى أنا فيها فقسم ثوابه علينا فنالنى من ذلك خير فغفر الله لى به وحصل لى من الخير ماترين .

فاعلمى يا أماه أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نور فى القلوب ، وتكفير للذنوب ، ورحمة للأحياء والأموات :

لأحمد فضل لايحدّ ولا يحصى ... ومن شأنه بين الورى أبدا يقصى
هو القرشىّ الهاشمى الذى سرى ... من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبىّ دنا من قاب قوسين مذ دنا ... فسبحان من وصى إليه بما وصى
عليه صلاة لاانتهاء لوصفها ... من الله ربى لاتحدّ ولا تحصى

فسبحان من شرف سيد المرسلين على جميع المخلوقين ، وجعله بالمؤمنين رءوفا رحيما ، وآتاه فضلا عظيما وخلقا كريما ، وداوى به من أمراض الجهالة والضلالة قلوبا وجسوما ، وبلغه المراد ، وهدى به العباد صراطا مستقيما . وقال فى حقه تعظيما لنا وتبجيلا له وتعظيما « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » :

الله زاد محمدا تكريما ... وحباه فضلا من لدنه عظيما واختاره فى المرسلين كريما
ذا رأفة بالمؤمنين رحيما ... صلوا عليه وسلموا تسليما
يا أمة الهادى خصصتم بالوفا ... بين الورى والصدق أيضا والصفا صلوا على الهادى النبى المصطفى
فالله قد صلى عليه قديما ... صلوا عليه وسلموا تسليما
فمتى أرى الحادى يبشر باللقا ... ويضمنا باب المحصب والنقا وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا
مولى رحيما لايزال حليما ... صلوا عليه وسلموا تسليما
ثم الرضا عن آله الكرماء ... وكذاك عن أصحابه الخلفاء فهمو همو دينى وعقد ولائى
قوما تراهم فى المعاد نجوما ... صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم إن أول مافاه به اللسان ، واستفتح به الإنسان اسم الملك المنان الذى أخبرنا به سيد الأكوان بقوله « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم » أى مقطوع البركة فى كل آن ، إذ اسم الله تعالى يعبق به كل مكان ، وهو نور البهجة فى السر والعيان ، وحرز مانع وأمان . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع ، وقيل أجذم » ومعناه ناقص قليل البركة . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خير الناس وخير من يمشى على وجه الأرض المعلمون ، فانهم كلما خلق الدين جدّدوه أعطوهم ولاتستأجروهم فانه إذا قال المعلم للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبى وبراءة لأبويه من النار وبراءة للمعلم » . وقال جابر

العمر الطويل ولم يتفكروا فى النفس الأخير ، وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذى ينزل معهم من الدنيا فى قبورهم ، وما الذى يتركونه لأعدائهم ويبقى عليهم وباله ونكاله . وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق ، وهى على الملوك وأهل الدنيا أوجب ، لأنهم كثيرا ماأزعجوا قلوب الخلق وأدخلوا فى قلوبهم الرعب ، فإن لحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يعرف بملك الموت لامهرب لأحد من مطالبته وتشبثه ، وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما ، وهذا الوكيل لايأخذ سوى الروح جعلا ، وسائر موكلى السلاطين تنفع عندهم الشفاعة ، وهذا الموكل لاتنفع عنده شفاعة شافع ، وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة ، وهذا

ابن عبد الله «لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب ، وماج البحر وأصغت البهائم بأذنيها ورجمت الشياطين وحلف الله بعزته لايسمى اسمه على شيء إلا بارك عليه ، ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة» :

اسم إذا قرع القلوب تمايلت طربا وتمت بالتقى أسرارها
وإذا حدا الحادى بطيب حديثه طابت وفاحت بالرضا أزهارها
ترتاح إن ذكر اسمه ويهزها طربا إذا حفت به أوكارها
وإذا ابتدأت بذكره فى حضرة حضر السرور بها وطاب مزارها

وروى مسلم فى صحيحه والنسائى والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال «إذا دخل الرجل بيته فذكر بسم الله عند دخوله ، قال الشيطان لامبيت لكم ولاعشاء ، وإذا دخل ولم يذكر بسم الله عند دخوله ، قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء» فاسم الله تعالى يطرد الشيطان ، ويدرّ البركة فى المكان ، وبسم الله الرحمن الرحيم لها فضائل كثيرة وبركات غزيرة ؛ فلو أن أهل السموات والأرض يكتبون فضائل بسم الله الرحمن الرحيم لم يدركوا عشر عشر فضلها :

كرر على الذكر من أسمائه واجل القلوب بنوره وضيائه

اسم به الكون استفاد ضياءه فى أرضه وفضائه وسمائه لايحصر الوصاف بعض صفاته
كلا ولا يدرون كنه سنائه حارت عقول القوم عند صفائه ضاءت قلوب الخلق من لألائه
يارب باسمك أرتجى منك الرضا والعفو عن عبد رزى بخطائه أعد اسمه للعارفين تلاوة
تلقى به المعروف من آلائه يارب أسألك الإعانة فى غد بعظيم إسمك فهو عين دوائه

يارب عبدك قد براه سقامه قد حارت الأفكار فى أدوائه
يارب باسمك أرتجى منك الشفا أنت المرجى دائما لشفائه
يارب بالهادى البشير المصطفى الصادق المصدوق فى أنبائه
ارحم غريقا فى بحار ذنوبه وأجره حقا من قيود عنائه
يارب صل على النبى محمد مالاح برق فى دجى ظلمائه

المجلس الثانى

يشتمل على قوله تعالى : الرحمن علم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العطوف الرءوف المنان . الكريم العظيم القديم الإحسان . العلى الغنى القوى السلطان . الأول ولاأزمان . الآخر ولا أكوان . الباقى ولا إنس ولاجان . الذى كتب بأقلام الأحكام . فى ألواح أرواح الأنام . آيات التوحيد والإيمان . أوقد مصابيح التوفيق ، لقلوب أهل التصديق ، فرأوا جمالا لايمثل للعيان ، ولايخيل للجنان ، أخرج ذرية آدم بأرض نعمان ، وقسمهم إلى ذى حظ وحرمان ، فكم حقير رفع ، وكم عزيز هان ؟ صفى أسرار قوم ، وكدر أسرار آخرين وشان . فأهل الكدر يتعادون وأهل الصفاء يتهادون ويتداعون كالإخوان ، ويتلاقون بالقلوب وإن تباعدت الأوطان ، ويتعارفون بالغيوب فتحنّ إليهم القلوب ، وتتعاطف وإن لم ينطق اللسان ، ويتلاقون بالإخلاص للضمائر وإن نأى بهم المكان . ويحذر بعضهم بعضا مواطن الإثم

الموكل لايمهل نفسا واحدا. ويروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ماجمعه فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والأمراء والأكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والأجلاد والحرسة والأجناد والبوابين كما أراد ، وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن افرغى لذلك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل ، فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته فى عنقه معلقة على هيئة سائل

والخسران ، ويتواسون بالبر والإيثار والفضل والإحسان . كما أمرهم بذلك خالق الخلق ومكون الأكوان . فقال تعالى فى محكم القرآن «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان» فسبحان من أظهر أسرار البيان . فى تعليم تعظيم الرحمن علم القرآن . كتب مسطور الإلهام ، بقلم الإفهام ، فى تعليم خلق الإنسان علمه البيان . دبر الأدوار بمقدار الأقدار ، فى تكوير النهار على الليل والليل على النهار ، والشمس والقمر بحسبان . يسبحه الحجر والمدر ، والشمس والقمر والنجم والشجر يسجدان ، أظهر آثار صنعه لأبصار أهل معرفته ، فكبا جواد العقل فى بيداء قدرته ، التى أبدعها لما علم أن السماء رفعها ووضع الميزان ، فالخائفون واقفون على أقدام الألطاف ، متصفون بأحسن الأوصاف ، يناديهم منادى العدل والإنصاف « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والعارفون محافظون على ملازمة الخدمة تحقيق تصديق وعد «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» فهم فى محارب عبادتهم يتمايلون وقت السحر ميل الشجر بالأغصان ، هز الشوق أفنان قلوبهم فتناثرت الأفنان ، فاللسان يضرع والقلب يخشع ، والعين تدمع ، والوقت بستان . خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان ، سرورهم أساورهم والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم بدر ومرجان ، باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أنوشروان ، طالت عليهم أيام الحياة ، والمحب إلى الحبيب ظمآن ، فإذا وردوا القيامة تلقاهم بشير لولاه ماطابت الجنان « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان » فتلمح بعين البصيرة أيها الإنسان ، واجل مرآة السريرة تر البرهان ، أين أنت منهم مانائم كيقظان ، كم بينك وبينهم ، أين الشجاع من الجبان ، مالمواعظ فيك موضع والقلب بالهوى ملآن ، قف على باب الحبيب وقوف ولهان ، ونكس رأس الحياة تنكيس ندمان ، واركب سفينة الصدق فهذا الموت طوفان ، وأفق من خمار الهوى ، فإلى متى أنت بخمار الهوى سكران . أتبيع مايبقى بما يفنى ! هذا والله عين الخسران ، تالله لو أشرفت على وادى الرجاء لرأيت الأبطال والفرسان ، ولو مررت على ركائب الأحباب لسمعت حداة الأظعان ، ولو وقفت على طريق الأحباب لشاهدت الركبان :

ياغافلا يتمادى فى اللهو كم هذا الزلل	غدا عليك ينادى يانا كثا خوان
لاتغترر بالدنيا فليس هى دار البقا	الدار دار الآخرة فجد فى البنيان
أبناء عشر تواصوا بالخير فيما بينكم	فالخير لاشك عادة من الصغر قد بان
أبناء عشرين جدوا واستغنموا شبابكم	مادام غصن الشبيبة لكم رطب ريان
يا ابن الثلاثين بادر إلى الممات فربما	تأتى المنايا بغتة وتحرم الإمكان
وأنت ماذا عذرك ذا الوقت يا ابن الأربعين	وقد بلغت أشدك فاسبق إلى الإحسان
أبناء خمسين هذا وقت الرجوع عن الزلل	فليس بعد الزيادة شىء سوى النقصان
أبناء ستين كونوا من المنون على حذر	فما أحد قد يعطى من المنون أمان
أبناء سبعين وافى جيش المشيب ومابقى	للزرع غير حصاده وينشر الديوان
يا ابن الثمانين قل لى فى الدهر ماذا تنتظر	قد حان وقت رحيلك وشالت الركبان
أبناء تسعين فوزوا فقد كتب توقيعكم	من ربكم بالإنابة والعفو والغفران
وأنت يا ابن المائة قد حان وقتك مابقى	غير التوجه إلى الله فى السر والإعلان
قد حان وقت رحيلك فقم تجهز للسفر	وحصل الزاد كى لاتجى غدا ندمان

قال أبو إسحق إبراهيم الخواص رحمة الله تعالى عليه : كنت فى طريق مكة أسير على الوحدة فتهت يسأل الطعام فجاءه وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا ياضيف ماهذا الحرص وسوء الأدب ؟ اصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل ، فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج إلىّ فلى إليه شغل مهمّ وأمر ملمّ ، فقالوا له تنحّ أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك ؟ فقال أنتم عرّفوه ماذكرت لكم ، فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم ، فقال الملك : قولوا له ليأخذ بدلا منى

عن الطريق فكنت أمشى يومين وليلتين حتى أدركنى المساء فاغتممت بسبب الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا يقول: إلىّ ياأبا إسحق فدنوت منه، فإذا هو شاب حسن الشباب نظيف الأثواب، وعند رأسه ريحان مختلف الألوان، فتعجبت من ذلك فى تلك البرية كيف عنده الرياحين وهو مطروح على الرمل وليس له حركة، فقال لى: ياأبا إسحق قد دنت وفاتى وإنى سألت الله تعالى أن يحضر وفاتى ولىّ من أوليائه فنوديت أن سيحضر وفاتك أبو إسحق الخواص وإنى لأرجو أن تكون أنت وأنا منتظرك، فقلت يا أخى ما الذى حبسك؟ فقال كنت بين أهلى فى عز ورقة عيش فخطر لى السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت فى هذه البقعة منذ شهر، وقد حضرت الوفاة، فقلت له ألك والدان؟ قال نعم وأخت صالحة، فقلت هل اشتقت إليهم قط أوخطروا ببالك؟ قال لا إلا اليوم فانى أحببت أن أشم منهم رائحة وأجدد بهم عهدا فاجتمعت عندى وحوش كثيرة وأتونى بهذه الرياحين وبكوا معى، فبقيت متحيرا فى أمره مفتكرا فى حاله، ووقع الشاب فى قلبى وانجذب إليه سرى. فبينما أنا كذلك إذ أقبلت حية عظيمة، ومعها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى رائحة فوضعتها عند رأسه، وقالت بلسان فصيح: ياإبراهيم اعدل عن ولى الله، فإن الحق سبحانه وتعالى غيور، قال فلحقنى حال مما رأيت وصحت صيحة وغشى على فما أفقت إلا والشاب قد فارق الدنيا، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه محنة عظيمة كيف أصنع فى غسله وتجهيزه فأرسل الله علىّ النعاس حتى تملكنى فنمت فما أفقت إلا طلوع الشمس، وأنا على الحالة التى أعرفها ولم أجد للشاب أثرا فبقيت محزونا عليه، فلما قضيت الحج أتيت شمشاط فاستقبلنى نساء عليهن مرقعات وفى أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب شعر وبيدها ركوة، وهى لاتفتر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فما رأيت واحدة فى النساء أشبه للشاب منها فنادتنى ياأبا إسحق أنا فى انتظارك منذ أيام حدثنى عن أخى قرة عينى وثمرة فؤادى، ثم بكت وارتفع بكاؤها وبكيت لبكائها فوصفت لها الشاب وما شاهدت منه ومن الرياحين، فلما بلغت إلى قوله: أحببت أن أشم منهم رائحة، قالت. هاه هاه بلغ الشم بلغ الشم ثم الشم ثم سقطت إلى الأرض ميتة فاحتوشها أترابها وأصحابها، وقالوا يا أبا إسحق جزاك الله خيرا، فلما دفنت أقمت على قبرها إلى الليل فرأيتها فى المنام وهى فى روضة خضراء والشاب عندها وهما يقرآن «لمثل هذا فليعمل العاملون».

قوم إذا عبث الزمان بأهله ... كان المفر من الزمان إليهم
وإذا أتيتهم لدفع ملمة ... جادوا عليك بما يكون لديهم

[وحكى] عن الشبلى رحمة الله تعالى عليه أنه رأى فى بعض الأيام مجنونا والصبيان يرمونه بالحجارة، وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه، فجعل الشبلى يزجرهم عنه قالوا: دعنا نقتله فانه كافر يزعم أنه يرى ربه ويخاطبه، فقال: كفوا عنه ثم تقدم إليه الشبلى فوجده يتحدث ووجهه يضحك ويقول. أجميل منك تسلط علىّ هؤلاء الصبيان! ثم قال ماالذى يقولون عنى؟ قلت: يقولون تزعم أنك ترى ربك ويخاطبك فصرخ صرخة عظيمة، ثم قال ياشبلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لواحتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين، قال الشبلى: فعلمت أنه من الخواص أرباب الإخلاص، فقلت له حبيبى ماحقيقة المحبة؟ فقال ياشبلى لو قطرت قطرة من المحبة فى البحار أووضعت ذرة منها على الجبال لصارت هباء منثورا، فكيف بقلب كساه الغرام قلقا وزفيرا، وزاده الهيام حرقا وتحسيرا:

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا ... وسقاه كأسا فاغتدا مخمورا

وعوضا عنى، فقال ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التى جمعتها والأموال التى حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء، وقال لعن الله هذا المال الذى غرنى وأبعدنى ومنعنى من عبادة ربى وكنت أظن أنه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لأعدائى فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأىّ سبب تلعننى؟ العن نفسك فإن الله تعالى خلقنى وإياك من تراب وجعلنى فى يدك لتزوّد بى إلى آخرتك وتتصدق بى على الفقراء وتزكى بى على الضعفاء ولتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عونا لك فى اليوم الآخر، وأنت جمعتنى وخزنتنى، وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حتى بل كفرتنى فالآن تركتنى لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأىّ ذنب لى فتسبنى وتلعننى؟،

واعتاده حر اللهيب ولم يرد إلا الحبيب فنال منه حبورا
يافوز من كان الحبيب نديمه وغدا إليه فى الجميع مشيرا
وإذا رأيت محبه فى سكره خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه حاشا المحب يكون عنه صبورا

[إخوانى] المحبة حبة بذرت فى أرض القلوب ، وسقيت بماء التوبة من الذنوب ، فأنبتت سنابل المحبة فى كل سنبلة مائة حبة ، فلو وضعت حبة منها لأطيار القلوب لهامت فى هوى المحبوب فلله درّ رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال :

عج بالمعالم والربوع واسأل بهن عن الرجوع أين الذين عهدتهم
يادار فى العز المنيع والنهى والأمر المطا ع بذروة القصر الرفيع
إن لم تجبك ديارهم ياصاح بالأمر الفظيع فلسان حالهم يقول
ماتنظرن إلى الجموع قد أصبحت مهجورة من بعد منظرها البديع
هيهات أن ينجو غدا يوم الحساب سوى المطيع

فلله درّهم من أقوام مالوا إلى الله وتركوا المال وأعرضوا عن الدنيا شغلا بالمآل ، واعتبروا بمن مضى وتغير الأحوال ، وساعدهم على اليقظة أكل الحلال

[قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه] مررت يوما ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة أنفس ، وليس معها أحد ، فقلت والله لأكونن خامسهم لأنال الأجر والثواب ، فلما أتوا الجبانة قلت ياقوم أين ولىّ هذا الميت فيصلى عليه ، فقالوا ياشيخ كلنا فى الأمر سواء ليس منا أحد يعرفه فتقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وحثونا عليه التراب ، فلما هموا بالانصراف قلت لهم ماشأن هذا الميت ؟ فقالوا لانعرف خبره غير أن امرأة اكترتنا لنحمله إلى هذا المكان ، وهى لاحقة بنا الآن . فبينما نحن فى الحديث إذ جاءت امرأة عليها سيما الخير والصلاح وهى باكية العين حزينة القلب ، فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ، ونشرت شعرها ، ورفعت يدها إلى السماء وهى تتضرع وتقول كلاما وتدعو ساعة ، ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها ، ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك . فقلت لها أخبرينى عن خبرك وخبر هذا الميت وكيف الضحك بعد ذلك البكاء الشديد ؟ . فقالت من أنت ؟ فقلت ذو النون : فقالت والله لولاك من أعيان الصالحين لما أخبرتك : هذا ولدى وقرّة عينى كان تائها بشبابه ، لابسا ثياب إعجابه ، لم يدع سيئة إلا ارتكبها ، ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها ، وقد بارز مولاه العلام بالمعاصى والآثام ، فحصل له يوما من الأيام ألم من الآلام منذ ثلاثة أيام ، فلما عاين الموت قال ياأماه : سألتك بالله إلا ماقبلت وصيتى : إذا أنا مت فلا تعلمى بموتى أحدا من أصحابى وإخوانى ولا من أهلى وجيرانى فإنهم لايترحمون على لسوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى . ثم بكى وقال :

لى ذنوب شغلتنى عن صيامى وصلاتى تركت جسمى عليلا مات من قبل وفاتى
ليتنى تبت لربى من جميع السيئات أنا عبد ياإلهى هائم فى الفلوات
بحت جهرا بعيوبى وذنوبى قاتلاتى قد توالت سيئاتى وتلاشت حسناتى

ثم بكى وقال يا أماه آه على ما فرطت فى جنب الله آه على قلة ما أقساه ، بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعى خدى على الأرض والتراب وضعى قدمك على الخد الآخر ، وقولى : هذا جزاء عبد عصى مولاه ، وخالفه وترك أمره واتبع هواه ، فإذا دفنتينى فارفعى يدك إلى الله عز وجل وقولى : اللهم

ثم إن ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام : تجهز الى الأجداث ويحك والرمس
جهازا من التقوى لأطول ماحبس
فانك لاتدرى إذا كنت مصبحا
بأحسن ماترجو لعلك لاتمسى
سأتعب نفسى كى أصادف راحة
فان هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد فى الدنيا فان مقيمها
كظاعنها ماأشبه اليوم بالأمس

[فصل] قال الله تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون) الى آخر السورة . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه :

إنى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت به جميع ما أوصانى به ، فلما رفعت رأسى إلى السماء ، سمعت صوتا بلسان فصيح : انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم غير غضبان علىّ ، فلما سمعت ذلك ضحكت .

[قال منصور بن عمار رحمة الله عليه] إذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة أقسام : المال للوارث ، والروح لملك الموت ، واللحم للدود ، والعظم للتراب ، والحسنات للخصوم . ثم قال إن ذهب الوارث بالمال يجوز ، وإن ذهب ملك الموت بالروح يجوز ؟ فياليت الشيطان لايذهب بالإيمان عند الموت ، فيكون فراقا من الرب سبحانه وتعالى ، نعوذ بالله من ذلك فان كل فراق إلى اجتماع ، وفراق الرب سبحانه وتعالى صعب لايدركه أحد .

[وعن محمد بن نعيم رضى الله عنه قال :] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجاءنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام إلا وهو يرتعد خوفا من الجبار ولما ظهر على إبليس ماظهر من المخالفة والطرد بعد القرب والحظوة والعبادة طفق جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يبكيان ، فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان هذا البكاء ، وإنى لا أظلم أحدا : قالا يار بنا إنا لانأمن مكرك : يعنى قضاءك وحكمك بالبعد بعد القرب ، وبالشقاء بعد السعادة ، فقال الله تعالى لهما : هكذا كونا لاتأمنا مكرى » .

[وعن عمر رضى الله عنه] أنه خرج إلى صلاة الجمعة فلقيه إبليس فى صورة شيخ عابد . فقال إلى أين ياعمر ؟ فقال إلى الصلاة . فقال : فقد قضيت الصلاة وفاتتك الجمعة فعرفه فأمسك بتلابيبه وخنقه . وقال له ويلك : ألم تكن رأس العابدين ، وقدوة الزاهدين ، فأمرت بسجدة واحدة فأبيت واستكبرت وكنت من الكافرين وأبعدت إلى يوم الدين ؟ فقال تأدب ياعمر ، هل كانت الطاعة بيدى أم الشقاوة بمشيئتى ؟ أنا كنت أبسط سجادتى تحت قوائم العرش ، ولم أترك من السماء بقعة إلا ولى فيها سجدة وركعة ، ومع هذا القرب قيل لى : (اخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) فان كنت ياعمر قد أمنت مكر الله (فانه لايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) فقال له عمر : اذهب فلاطاقة لى بكلامك .

[إخوانى] أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ، ويتجبرون على الخلق ويتكبرون ، ضربت لهم كؤوس المنون فهم لها يتجرعون ، وتركوا الأموال التى كانوا لها يجمعون ، وفارقوا العيش الذى كانوا به يتمتعون ، فلو رأيتهم ياهذا فى حلل الندامة يرفلون ، ويساقون إلى الموت وهم ينظرون (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) :

اليك من مكرك ياسيدى ... كل البرايا دائما يحذرون ... فكم ذنوب وعيوب مضت
ونحن عنها سيدى غافلون ... نضيع العمر بكسب الخطا ... فنحن فى أوقاتها لاعبون
نشاهد الموت ولانرعوى ... ولاتنبهنا لريب المنون ... بل غفلة تطمس أبصارنا
وشقوة خابت لديها الظنون ... فنحن يارب الورى كلنا ... إليك من زلاتنا هاربون

لكننا نسأل رب الورى ... عفوا وصفحا كى تقر العيون
بالمصطفى الهادى شفيع الورى ... هوّنه يارب علينا يهون

[وعن عبد الله بن أحمد المؤذن رحمه الله] قال : كنت أطوف حول الكعبة وإذا برجل متعلق بأستارها وهو يقول : اللهم أخرجنى من الدنيا مسلما لايزيد على ذلك شيئا . فقلت له : ألا تزيد على هذا الدعاء شيئا . فقال : لوعلمت قصتى ! . فقلت له وماقصتك ؟ . قال : كان لى

«أن النبى صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر إلى جنبه وآخر أبعد منه ، فقال أتدرون ماهذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا الإنسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل» .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» ، وكتب الإمام أبو حامد الغزالى إلى الشيخ أبى الفتح بن سلامة قرع سمعى أنك تلتمس منى كلاما وجيزا فى معرض النصح والوعظ وإنى لست أرى نفسى أهلا له فان الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لانصاب له ، كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد النور كيف يستنير به غيره .

و : متى يستقيم الظل والعود أعوج .

أخوان ، وكان الأكبر منهما مؤذنا أذن أربعين سنة احتسابا ، فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا أنه يتبرك به ويقرأ منه شيئا فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه برئ مما فيه ، ثم تحوّل الى دين النصرانية فمات نصرانيا . فلما دفن أذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الأخ الأكبر فمات على دين النصرانية أيضا ، نعوذ بالله من مكر الله ، وإني أخاف على نفسي أن أصير مثلهما . فأنا أدعو الله تعالى أن يحفظ عليّ ديني . قال فقلت : ما كان ذنبهما قال كانا يتبعان عورات النساء وينظران الى الشباب . يامطلقا نظره فى الشهوات ، يامستبيحا للمحرمات ، يامغرورا باللذات الفانيات ، هلا اعتبرت بأقوام أخرجوا من ديارهم وقد تمسكوا بحبل اغترارهم ، ولم يقبل منهم قول فى اعتذارهم عند مانادى منادى إنذارهم ، (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .

واخجلة العبد من إحسان سيده ... واحيرة القلب من ألطاف معناه
واحسرة الطرف كم يرنو لخائنة ... من المآثم لايرضى بها الله
فكم أسأت فبالاحسان عاملنى ... واخجلتى واحيائى حين ألقاه
وكم له من أياد غير واحدة ... وافت إليّ تريني أنه الله
بلطفه وبفضل منه عرفنى ... فى حبه كيف أرجوه وأخشاه
يانفس كم يخفى اللطف عاملنى ... وقد رآنى على ماليس يرضاه
يانفس توبى من العصيان وانزجرى ... فقد كفى ماجرى لى حسبى الله

[وعن أبى يزيد البسطامى رحمة الله عليه] أنه كان إذا توضأ وقعت الزلزلة على أعضائه إلى أن يقوم الى الصلاة يكبر فيسكت عنه ذلك ، فقيل له فى ذلك . فقال إنى أخاف أن تدركنى الشقاوة فأنحطى إلى كنائس اليهود والنصارى أو بيعهم ، فنعوذ بالله من مكر الله .

[وعن سفيان الثورى رضى الله عنه] أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكى من أول الليل إلى آخره فى المحمل . فقال له شيبان الراعى : ياسفيان لم بكاؤك ؟ إن كان لأجل المعصية فلا تعصه . فقال سفيان : أما الذنوب فما خطرت ببالى قط صغيرها ولا كبيرها ، وليس بكائى ياشيبان من أجل المعصية . ولكن من خوف الخاتمة ؛ لأنى رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة ، وجاور بيت الله الحرام سنين ، وكان تلتمس بركته ويستسقى به الغيث . فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات الى الشرق كافرا فما أخاف إلا من سوء الخاتمة . فقال له : إن ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب ، فلا تعص ربك طرفة عين :

يانفس توبى فان الموت قدحانا ... واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا
فى كل يوم لنا ميت نشيعه ... ننسى بمصرعه آثار موتانا
يانفس مالى وللأموال أكنزها ... خلفى وأخرج من دنياى عريانا
مابالنا نتعامى عن مصارعنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
كم قد رأينا أناسا صالحين قضوا ... موتا وقد سلبوا دينا وإيمانا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا ... بسوء خاتمة للموت أعيانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا ... قدآن تقصيرها قدآن قدآنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخوله الأذقان إذ عانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا منازل كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا

وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليهما السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن . والصامت هو الموت » وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره ، ولقد وعظت نفسى بهما فقبلت وصدقت قولا وعملا وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا ، فقلت لنفسى : أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ فقالت بلى ، فقلت لها قد قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد وعد الله

يارا كضا فى ميادين الهوى مرحا ورافلا فى ثياب الغى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر فى لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

[وعن حمزة بن عبد الله] قال شهدت : أبا بكر الشاشى عند موته فقلت له كيف حالك ؟ قال كسفينة تدور على الغرق فلا أدرى أنجو بالسلامة وتأتى الملائكة بالبشارة (أن لا تخافوا ولا تحزنوا) أم تغرق السفينة ، وتأتى الملائكة تقول (لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) أى بعدا بعدا فلا تصلح لنا . ياخبيث ياعاصى ابك على ظلام قلبك فانه يضئ إذا بكى السحاب على الربا تبسمت ، ويحك تقول أنا تائب وتتوقف ، انهض وبادر فتلاف خيرا فات إذا صدق التائب فى توبته أنسى الله كاتبيه ما كتبا ، وأوحى الله تعالى إلى الأرض أن اكتمى على عبدى :

يارب قد تبت فاغفر زلتى كرما وارحم بعفوك من أخطا ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمرى فخذ بيدى ياخير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا واغفر ذنوب مسئ طالما اجترما

[إخوانى] الشيطان راصد يرصد فى جميع المقاصد (ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) لا تسمعوا قوله فانه كذاب أشر ، ولا تقبلوا نصحه فانه غشاش (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) واعجبا لمن كان فى ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة يا ابن آدم : إنما طردنا إبليس لأنه لم يسجد لأبيك ، فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا :

لا عذر لى قد أتى المشيب فليت شعرى متى أتوب

إبليس قد غرنى ونفسى ومنى منهما اللغوب إذا انقضى للشقاء ذنب
تجددت بعده ذنوب ومن ورائى حلول قبر ساكنه مفرد غريب
ولست أدرى إذا أتانى رسول ربى بما أجيب هل أنا عند الجواب منى
أخطئ فى القول أم أصيب أم أنا يوم الحساب ناج أم لى فى ناره نصيب
يارب جد لى على رجائى بمنة منك لا أخيب

[وحكى] أن مؤذنا أذن فى منارة أربعين سنة ، فصعد يوما وأذن حتى بلغ قوله : حى على الفلاح ، فوقع بصره على امرأة نصرانية فذهب عقله وقلبه ، فترك الأذان وذهب إليها فخطبها . فقالت مهرى ثقيل عليك ؟ فقال وماهو . قالت تدخل فى دينى وتترك دين الإسلام فكفر بالله ودخل فى دينها . فقالت له إن أبى فى أسفل الدار انزل إليه واخطبنى منه فنزل فزلت رجله فسقط ومات كافرا ولم يقض شهوته منها نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

[وكذلك يروى] أن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه ، وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس فى محرابه فتمثل له يوما . وقال ياأسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك وإتعاب بدنك . وقد بقى من عمرك مثل مامضى فأطلق نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد إلى العبادة فان الله غفور رحيم . فقال العابد أنزل إلى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الهوى واللذات عشرين سنة ، ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل ، وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعصية وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعد إلى أخى وأوافقه فى العبادة مابقى من عمرى فلعل الله يغفر لى فطلع على نية التوبة ، ونزل أخوه على نية المعصية ، فزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعا فى السلم فحشر العابد على نية المعصية ، وحشر المسرف على نية التوبة .

بالنار على إرادة الدنيا وكل مالا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا ، فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها أفكان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى ؟ فان كان كذلك فما أكفرك ، أم كان المرض أشد عليك من النار ؟ فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت ، بل أصررت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت ، فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت إذ قال الله تعالى (قل إن الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقلت لها هى أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا

[إخوانى] فرغوا قلوبكم للاعتبار ، فما يجرى فى الليل والنهار ، كم من بعيد قرب ، وكم من قريب أبعد وجفاه الأهل والجار ، وكان حظ الأول الجنة وحظ الثانى النار . فاعتبروا ياأولى الأبصار . ندم العابد على تغيير نيته بلاشك ولاخفا ، وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل وهفا يودّ لو أن صافى ودّه يرد ويرجع إلى الوفا وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار فاعتبروا ياأولى الأبصار :

أناس أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى أساءوا ظنهم فينا فهلا أحسنوا الظنا
فان عادوا لنا عدنا وإن خانوا فما خنا وإن كانوا قد استغنوا فانا عنهمو أغنى

[وقال الإمام أبو محمد رحمة الله تعالى عليه] خرج ثلاثة من الزهاد يريدون الحج إلى بيت الله الحرام فى وسط السنة متوكلين بغير زاد فنزلوا قرية فيها نصارى فوقع نظر رجل منهم على محاسن امرأة نصرانية فتعلق قلبه بها . فلما عزموا على السفر احتال منهم بحيلة وقعد وسار صاحباه وتركاه فى القرية فأفشى سره لأبى المرأة فقال له مهرها ثقيل عليك لاتقدر عليه فقال وما هو ؟ قال تترك دين الإسلام وتدخل دين النصرانية فتنصر وتزوجها وولد له منها ولدان ومات على دين النصرانية فرجع صاحباه من سياحتهما وسألا عنه ، فقيل له إنه توفى على دين النصرانية ودفنوه فى مقابرهم فذهبا إلى المقبرة فوجدا امرأته وولديه يبكون على القبر فجعل صاحباه يبكيان من بعيد قالت لهما المرأة مم تبكيان ؟ فقصا عليها القصة وعبادته وزهده وصلاته . فلما سمعت ذلك رق قلبها إلى الإسلام فأسلمت هى وولداها ، فقال الشيخ أبو محمد : سبحان الله مات من كان مسلما على الكفر وأسلم من كان كافرا فكذلك ينبغى أن يخاف المسلم عاقبة أمره ، ويسأل الله تعالى حسن الخاتمة :

سبحان من خلق الأشيا وقدرها ومن يجود على العاصى ويستره
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة ويغمر العبد إحسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصى ويقبله إذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به فى دفع نائبة يعطيه من فضله عزا وينصره
* ولايضيع مثقالا لمجتهد بل فى المآل يربيه ويدخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنسا فبالمدامع والتقوى يطهره
وليس للعبد تصريف وإن له مولاه إن شاء يغنيه ويفقره
فلا الحذار ينجى العبد من قدر يريده الله أو أمر يدبره
فنسأل الله حقا حسن خاتمة عند الممات وصفوا لا يكدره

[وقال منصور بن عمار رحمة الله تعالى عليه] كان لى أخ فى الله يعتقدنى ويزورنى فى شدة ورخاء وكنت أراه كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياما فقيل لى هو ضعيف فسألت عن داره فأتيت الباب فطرقته فخرجت إلىّ ابنته فقالت من تريد ؟ فقلت فلانا فدخلت واستأذنت لى ثم عادت وقالت ادخل فدخلت فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه يا أخى أكثر من قول لاإله إلاالله ففتح عينيه ونظر إلى شزرا وغشى عليه فقلت له ثانيا يا أخى أكثر من قول لاإله إلاالله ففتح عينيه ونظر إلى شذرا وغشى عليه فقلت له ثالثا ياأخى أكثر من قول لاإله إلاالله ولئن لم تقلها لاغسلتك ولا كفنتك ولاصليت عليك ففتح عينيه وقال يا أخى يامنصور هذه كلمة حيل بينى وبينها فقلت لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم قلت له يا أخى أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام ! فقال : يا أخى كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال عنى وأذكر به وكنت أفعل ذلك رياء الناس فإذا خلوت بنفسى أعلقت منك كل ما أنت راغبة فيه وإن كل ماهو آت قريب ، وإن البعيد ماليس بآت ، وقد قال الله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عنى جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكأن منها قولا لايحصل وراءه عمل ولم تجتهد قط فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ، ولم تجتهد فى رضا الله تعالى كاجتهادها فى طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستح من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لأجل الشتاء وفى الشتاء لأجل الصيف فانها لاتطمئن فى أوائل الشتاء مالم تتفرغ عن جميع ماتحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لايدركها والآخرة عندها يقين فلايتصور أن تختطف منها . فقلت لها : ألست

الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربى بالمعاصى ودمت على ذلك مدة فأصابنى مرض أسرفت فيه على الهلاك ، فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف ففعلت فأخذته فجعلت أقرأ فيه حرفا حرفا حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت : اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ماشفيتنى وأنا لاأعود إلى ذنب أبدا ففرج الله عنى ، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو ، وأنسانى الشيطان العهد الذى كان بينى وبين ربى وبقيت على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضا أشرفت فيه على الموت فأمرت أهلى أن يخرجونى إلى وسط الدار على عادتى ، ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعته وقلت : اللهم بحرمة ما فى هذا المصحف الكريم ، من كلامك القديم ، إلا مافرجت عنى . فاستجاب الله منى وفرج عنى . ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغى فوقعت فى هذا المرض فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار كما ترانى ؛ ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرف واحد فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب علىّ فرفعت رأسى إلى السماء وقلت : اللهم بحرمة هذا المصحف إلا مافرجت عنى ياجبار الأرض والسماء . فسمعت هاتفا يقول ولم أر شخصه :

تتوب من الذنوب إذا مرضتا ... وترجع للذنوب إذا برئتا ... إذا ما الضر مسك أنت باك
وأخبث ما يكون إذا قويتا ... فكم من كربة نجاك منها ... وكم كشف البلاء إذا بليتا
وكم غطاك فى ذنب وعنه ... مدى الأيام جهرا قد نهيتا ... أما تخشى بأن تأتى المنايا
وأنت على الخطايا قد دهيتا ... وتنسى فضل رب جاد فضلا ... عليك ولا ارعويت ولا خشيتا

وكم عاهدت ثم نقضت عهدا ... وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك ... إلى قبر إليه قد نعيتا

[قال منصور بن عمار] والله ماخرجت من عنده إلا وعينى تسكب العبرات فما وصلت إلى الباب إلا وقيل لى قد مات فلان فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الخاتمة فكم من نفس مكربها بعد أن كانت صائمة قائمة .

[وحكى عن عبد الله الموصلى] قال : كان عندنا رجل موله يدعى بقضيب البان وكان لايقدر أحد أن يكلمه من عظم حرمته وهيبته وكان كثير البكاء ، فجمعتنى به المقادير فى خلوة له فقلت ياسيدى بالذى شغلك به عمن سواه ما كان سبب تولهك وانفرادك عن الناس ؟ فنظر إلى وبكى بكاء شديدا ثم اصفر لونه واضطرب وغشى عليه فظننت أنه قد مات ، فلما أفاق وآنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب ، وسألته عن حاله وأقسمت عليه حدثنى وهو يبكى وقال : كنت أخدم شيخى وكان من الأبدال فخدمته أربعين سنة وهو مجتهد فى العبادة ؛ فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعانى وقال : ياولدى ياعبد الله لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقى عليك أن تصغى لما أقول وتحفظ وصيتى ، فقلت له حبا وكرامة ، فقال بقى من عمرى ثلاثة أيام وأموت على غير فطرة الإسلام ، فإذا أنا مت فضعنى فى تابوت بثيابى ، واحمل تابوتى فى الليل إلى أرض كذا فى ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس . فإذا رأيت جماعة قد جاءوا ومعهم تابوت فوضعوه إلى جانب تابوتى وأخذوا تابوتى ومضوا فخذ التابوت الذى جاءوا به وعد إلى الزاوية ففتحه وأخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك أن تفعله معى والسلام ، فبكيت وقلت ياسيدى كيف يكون هذا الأمر ؟ فقال ياولدى هذا جرى فى اللوح المحفوظ ولله الأمر من قبل ومن بعد (لايسئل عما يفعل) فلما كان بعد ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه ودار إلى ناحية الشرق وانكب على وجهه ومات فبكيت بكاء شديدا ولحقنى عليه من الحزن مالم يعلمه إلا الله عز وجل ثم ذكرت وصيته فوضعته فى تابوت . فلما كان الليل خرجت به إلى الأرض التى سماها فوضعته ومكثت حتى طلعت

الشمس

تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر ؟ قالت نعم . قلت : فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت : هذا هو الواجب الذى لايرخص فى تركه إلا الحمق ثم استمرت على سجيتها ووجدتنى كما قال بعض الحكماء : فى الناس من ينزجر نصفه ثم لاينزجر نصفه الآخر ، وما أرانى إلا منهم ، ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها . فإن ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشى عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسى وإياك بالحذر منه فهو الداء العظيم ، وهو السبب الداعى إلى الغرور والإهمال وهو اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق

الشمس ، فإذا بجماعة قد أقبلوا ولهم عويل ومعهم تابوت فوضعوه إلى الأرض جانب ذلك التابوت وتقدم رجل منهم فحمل التابوت الذى كان معى ومضى فتعلقت به ، وقلت لاسبيل لك إلى أخذ هذا التابوت حتى تخبرنى بخبرك ؟ فقال : أنا خادم هذا البطرق منذ أربعين سنة . فلما كان قبل موته بثلاثة أيام أحضرنى وقال ياولدى لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقى عليك إذا أنا مت بعد ثلاثة أيام فضعنى فى التابوت واحملنى إلى المكان الفلانى وذكر هذا المكان فإذا وجدت تابوتا موضوعا فخذه وضع التابوت الذى أنا فيه مكانه واحمله إلى الكنيسة وما كان يجب عليك أن تفعله فى حقى فافعله مع صاحب ذلك التابوت والسلام ! فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلل وجهه بالفرح ونطق بالشهادة ومات مسلما ففعلت ما أمرنى به وقد جئت به . قال عبد الله فحملت التابوت الذى جاء به ومضيت به إلى الزاوية ففتحته فإذا فيه شيخ وعلى وجهه أنوار وشيبة بيضاء عليها وقار فأخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته أنا والفقراء وصلينا عليه ودفناه فى الزاوية وكان يوما مشهودا فخرجت هائما على وجهى من خوف الخاتمة وسوء المنقلب فهذا كان سبب تولهى . فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ بالله من مكره تعالى فانه لايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون :

ياويح من ضلّ سبيل الهدى ... وفاته منك بلوغ المرام ... ومن إلى حصنك آويته
فركنه فى عزة لايضام ... كم صالح قد صفّ أقدامه ... فى الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى أنه ... أشقاه مولاه بطول القيام ... وكم قريب خاب سعيا وما
نال سوى التعذيب والانتقام ... وكم بعيد نال مايرتجى ... ونال فى عقباه أعلى مقام
يا أيها اللوّام كفوا فمن ... دليله من جبره لايلام ... من لم يكن أهلا لوصل فما
يفيده القرب ولا الاعتصام ... فسطوة الأقدار لاتعتدى ... فانتبهوا من نومكم ياينام
يا أيها المذنب قم واعتذر ... وتب من الذنب وكسب الأثام ... إلى متى أنت ترى غاديا
ورائحا فى اللهو طوع الغرام ... أنب إلى الله وتب واستقم ... من قبل أن تشرب كأس الحمام
وإن تخف قبح ذنوب مضت ... فلذ بمولى الحق خير الأنام ... محمد المختار من هاشم
أفضل من حج وصلى وصام ... صلى عليه الله ما أشرقت ... طلائع الصبح وولى الظلام

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد نبيك العظيم ورسولك الكريم . والداعى إلى الصراط المستقيم . اللهمّ إنا قد توسلنا بجاهه إليك ، واعتمدنا بشفاعته لديك ، أن تؤمن خوفنا . وتستر عيوبنا . وتغفر ذنوبنا . إلهى إن كنت لاتقبل إلا المجتهدين ؟ فمن للمقصرين ؟ وإن كنت لاترحم إلا الطائعين ؟ فمن للعاصين والمذنبين ؟ . إلهى قد علمنا السوء من أنفسنا فتب علينا . إلهى هب لنا من فضلك ماتغنينا به عمن سواك . ومن عفوك ماتؤوينا به إلى ركنك وحماك . إلهى ارزقنا توفيق الطاعة وبغض المعصية ، وإخلاص النية ، وحسن الطوية ، والرجوع إليك بالكلية ، وارحمنا رحمة تجبر بها كسرنا ، وتغنى بها فقرنا ، وتكفر بها وزرنا ، وترفع بها قدرنا ، وانفعنا بما سمعناه من كلامك القديم ، وحديث رسولك الكريم ، وشفعه فى تقصيرنا يوم لاينفعنا مال ولابنون إلامن أتى الله بقلب سليم برحمتك ياأرحم الراحمين آمين.

المجلس الثالث

فى ذكر الموت وزيارة القبور والترحم على أهلها

الحمد لله المستحق لغاية التحميد ، المتوحد فى كبريائه من غير تكييف ولاتحديد ، العلىّ القوىّ الولىّ الحميد ، الغنىّ المغنى المبدئ المعيد ، المعطى الذى لايفنى عطاؤه ولايبيد ، المانع فلامعطى لما

فى بياض نهاره أنه يموت من ليله أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ماهو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى ، فانكشف لى تحقيقا أن من أصبح وهو يأمل أنه يمسى أوأمسى وهو يأمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر إلا على سير ضعيف فأوصيه ونفسى بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « صلّ صلاة مودع » ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولاينتفع بوعظ إلابه ، ومن غلب على ظنه فى كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ، ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلايزال فى غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع إلى أن

منع ولارادّ لما يريد . خلق الخلائق وسلكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد ، وصورهم فأحسن صورهم وبشرهم فى الجنة بالنعيم والتخليد ، وبصرهم بعين الاعتبار وحذرهم من عذاب النار والوعيد . وألزمهم شكره وضمن لهم كنز فضله المزيد ، وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولامحيد ، فكم أبكى خليلا بفراق خليله ، وكم أيتم وليدا وشغله ببكائه وعويله ، فهو لايبدئ بفرط حزنه ولايعيد . هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار الأحرار منهم والعبيد ، أوحش المنازل من أقمارها ، ونفر طيور الأرواح من أوكارها ، وعوضهم من لذة العيش بالتنغيص والتنكيد . فالملك والمملوك والغنى والصعلوك تساوت قبورهم فى القفر والبيد . فسبحان من أذلّ بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد ، وكسر به من الأكاسرة كل بطل صنديد ، أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور وقطع حبل أمدهم المديد ، أخذ به الآباء والجدود والأطفال من المهود ، فأسكنهم اللحود ، وعفر وجوههم فى الصعيد وساوى فى الموت بين الصغير والكبير والغنىّ والفقير والمأمور والأمير والوالد والوليد . أفنى به الذكور والإناث فهم فى سجن الأجداث إلى يوم الوعيد . أفلايعتبر الغافل بمصرعهم . وقد أفناهم الموت بأجمعهم وفرّق شملهم بالتبديد . فكيف يغتر الإنسان وهو عالم بأن الله تعالى يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ولم يكن له عنه محيد . أما كانت نفوسهم بذلك عالمة ؟ وهى من الموت غير سالمة (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) أين أهل المدن والحصون أين أرباب المعانى والفنون ؟ أين المحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد ؟ أين الأمم الماضية ؟ أين أرباب القصور العالية ؟ حق عليهم الوعيد ، فلو عاينتهم فى قبورهم لعجبت من أمورهم ؛ قد غير البلى أحوالهم ومزق أوصالهم ، ولم يعرف منهم الأحرار من العبيد . أما أصبح منهم ذو الشدة والباس بعد القرب والإيناس فى ظلمة اللحود وحيد ، أما وعظهم الموت بمن أخذ من شقى وسعيد وقريب وبعيد . أما أنذرهم قولُ الملك الحميد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) :

ويحك نبه نفسك ... واعمل لما تلقى غدا الموت يأتى بغتة ... وليس منه محيد
إن كنت ياصاح نائم ... لابد فى القبر تنبه وأنت فيه محير ... عما تريد بعيد
من لك إذا مت ملك ... من كان يهوى صحبتك وحزت لحدك وحدك ... مفلس غريب وحيد
أهل القبور يتمنوا ... ما أنت فيه مجتهد ولست تدرى من هو ... منهم شقى وسعيد
فدع دموعك تجرى ... قبل أن يقال لمن عصى ألم تكن قبل تدرى ... إن الحساب شديد
كل القلوب قد لانت ... لكن قلبك قد قسا كأن قلبك أضحى ... بين القلوب حديد
ويحك فهيئ زادك ... واحذر تفند يافتى قبل أن تسافر بغتة ... ماينفع التفنيد

[وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه] قال «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار يارسول الله من أكيس الناس ؟ قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة » .

[وعن عائشة رضى الله تعالى عنها] قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقلت يارسول الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت . فقال : ليس ذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبّ لقاء الله فأحب الله لقاءه ، والكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه » ذكره مسلم . وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، قال فإن كان لابد متمنيا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة

يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها ، وأوصيه أن لايرضى من نفسه إلابها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لايقف عليه إلا الأكياس وقليل ماهم ، والوصايا وإن كانت كثيرة والمذكرات وإن كانت كبيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عز وجلّ وعلا فى محكم القرآن (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادّخرها لنفسه ليجدها يوم مردّها ومنقلبها . وقال يزيد الرقاشى : كان فى بنى إسرائيل جبار من الجبابرة وكان فى بعض الأيام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار إذا صورة منكرة وهيئة هائلة

خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى » فاجتهد أيها العبد فى العمل الصالح واشفق من كأس لابد أنك ذائقه وارحل عن عيش لابد أنك مفارقه ، ياناسيا للرحيل وقد حث نجيب الرحيل سائقه اعتبر بمن سبقك فانما يعطى المنى سابقه .

ألا أيها القلب الكثير علائقه ... ألم تر أن الدهر تجرى بوائقه
رويدك لاتنس المقابر والبلى ... وطعمة كأس الموت إنك ذائقه
ألا أيها الباكى على الميت بعده ... رويدك لاتعجل فانك لاحقه
إذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى ... بخالقه أنجاه منهن خالقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله ... على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت ياصاح إنه ... سيأتيك منه عن قريب طوارقه

[ويروى] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماالميت فى قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ماغرك بى إذ كنت تمر بى فان كان صالحا أجاب عنه مجيب القبر ، فيقول : أرأيت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إذا أتحوّل عليه روضة خضراء ويعود جسمه نوراوتصعد روحه إلى الله عز وجل » .

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شى

[وروى] اسمعيل بن محمد عن كعب الأحبار رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لايمرّ أحد فى المقابر إلا وتناديه أهل القبور ياغافل لوعلمت مانحن فيه لذاب لحمك وجسمك كما يذوب الثلج على النار » . وقال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يزور قبرا فليزره ، ولايقول إلاخيرا فان الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى » .

[ويروى] عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مامن رجل يمرّ على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلاعرفه ورد عليه السلام .

تناجيك أموات وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت ... أيا جامع الدنيا لغير بلاغه
لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ... وإنكم إذ ما علينا تسلموا ... نرد عليكم واللسان صموت

وقال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم ياأبا حازم : مالنا نكره الموت ؟ قال لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : ياأمير المؤمنين . أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحا ، وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفا محزونا .

[وقال أبو سلمان الدارانى رحمة الله عليه] قلت لأم هرون العابدة أتحبين أن تموتى ؟ قالت لا . قلت ولم ؟ قالت : والله لوعصيت مخلوقا لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جلّ جلاله ؟ .

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لابد سائله ... فيأخذ منه ظلمه لعباده
ويجزيه بالخير الذى هو فاعله ... وكيف يلذ العيش من كان صائرا ... إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه ... قريبا ويبلى جسمه ومفاصله

[وقال أبو بكر الكتانى رحمة الله عليه] كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياه فحسب فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدومه فوثب فى وجهه ، وقال له من أنت أيها الرجل ومن أذن لك فى الدخول الى دارى ؟ فقال أذن لى صاحب الدار ، وأنا الذى لايحجبنى حاجب ولاأحتاج فى دخولى على الملوك الى إذن ، ولا أرهب سياسة السلطان ولايفزعنى جبار ولا لأحد من قبضتى فرار ، فلما سمع هذا الكلام خرّ على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده . وقال أنت ملك الموت ؟ قال نعم . قال أقسم عليك بالله إلا أمهلتنى يوما واحدا لأتوب من ذنبى وأطلب العذر من ربى وأردّ الأموال التى أودعتها خزائنى الى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابها . فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاته مثبتة مكتوبة ، فقال أمهلنى ساعة ؟ فقال إن الساعات فى الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت

يوما سنينه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحدا وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق قال : ياويلتاه وأنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب يقول هذا لو كان فى كل يوم ذنب واحد ، فكيف بذنوب لاتحصى . ثم قال آه على عمرت دنياى وخربت آخرتى وعصيت مولاى الوهاب . ثم لا أشتهى القلة من العمران إلى الخراب ، وكيف أقدم فى يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولاثواب ؟.

منازل دنياى عمـرتها وخربت دارى فى الآخره
فأصبحت أنكر دارى الخرا ب وأرغب فى دارى العامره

ثم شهق شهقة عظيمة وقع على الأرض فحركوه فاذا هو ميت ، رحمة الله عليه .

[وقال أبو عمر الضرير] حدثنى سهل أخو حازم ، قال : رأيت مالك بن دينار فى المنام بعد موته فقلت له : يا أبايحيى بماذا قدمت على الله عز وجل ؟ قال قدمت عليه بذنوب كثيرة محاها حسن ظنى بالله عز وجل .

يظن الناس بى خيرا وانى أشر الناس إن لم تعف عنى
ومالى حيلة إلا رجائى وجودك إن عفوت وحسن ظنى

[وسئل] بعض الزهاد كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يريد سفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ، ويقدم على مالك قادر بغير حجة :

تعطف بفضل منك يامالك الورى فأنت ملاذى سيدى ومعينى
لئن أبعدتنى عن حماك خطيئتى فأنت رجائى شافعى ويقينى
ولست أرى لى حجة أبتغى بها رضاك وإن العفو منك يقينى

[ويروى] عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : أنه وقف على قبر فبكى ، فقيل له إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فان ينج منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » ووجد على قبر مكتوبا :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا فى المجالس ولم يشربوا من بارد الماء نهلة
ولم يطعموا من كل رطب ويابس ولم يك منهم فى الحياة منافس طويل المنى فيها كثير الوساوس
ألا ليت شعرى أين قبر ذليلكم وقبر العزيز الشامخ المتشاوس لقد سكنوا فى موحش الترب والثرى
فهاهم بها مابين راج وآيس ولو عقل المرء المنافس فى الذى تركتم من الدنيا له لم ينافس

وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه : ويحك يايزيد من ذا يصلى عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يتوضأ عنك بعد الموت ؟ . ثم يقول : أيها الناس لم لا تبكون على نفوسكم باقى حياتكم ، فمن يكن الموت موعده والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع ذلك ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله وكيف يكون مآله . ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه :

ماذا يكون مآل المرء بعد هنا عيش وآخره موت سيعقبه
والدهر يفجعه فيمن يسرّبه والموت عن كل مايهواه يحجبه
وحادثات ليالـيه تروعه جهرا فيمزج بالتنغيص مشربه
يلهو ويحسب أياما يغرّ بها والمنية قرب ليس يحسبه

أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد . فقال من يكون عندى إذا نقلتنى إلى لحدى ؟ فقال لا يكون عندك سوى عملك . فقال مالى عمل ، فقال لاجرم يكون مقيلك فى النار ، ومصيرك إلى غضب الجبار ، وقبض روحه فخرّ عن سريره وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا مايصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر .

[فصل فى طول الأمل]

قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) وعن أبىّ بن كعب رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلث الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » وعن ابن عباس

[ويروى] أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة فى قلبها فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فشكرت عائشة رضى الله عنها .

ومرض أبو الدرداء رضى الله عنه ، فقالوا له أى شىء تشتهيه ؟ قال الجنة قالوا : أندعوك طبيبا قال الطبيب أمرضنى . فقال له رجل من أصحابه : يا أبا الدرداء أتشتهى أن أساهرك الليلة ؟ فقال له أبو الدرداء : أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لاتدعك أن تسهر والبلاء لايدعنى أن أنام . ثم قال : أسأل الله الذى لاإله إلاهو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر .

وإذا ابتليت بشدة فاصبر لها صبر الكرام فما يدوم مقامها فالله يبلى كى يثيب فلاتضق
ذرعا بنازلة جرت أحكامها ولرب يوم نازلتك خطوبها ثم انجلى قبل الظلام ظلامها
ولئن جزعت فليس ذاك بنافع إن الأمور قضى بها علامها

[وفى بعض الخطب المروية] أيها الناس : إن الآمال تطوى ، والأعمار تفنى ، والأبدان تحت التراب تبلى ، وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البريد . يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفى كل ذلك عباد الله ماألهى عن الشهوات . وسلى عن اللذات ورغب فى الأعمال الباقيات الصالحات .

خليلىّ إن العمر وافى بلجة له دائما نحو المنية اعجال
وأرواحنا الأرزاق والموت ساحل ومن دونه من عاصف الخطب اهوال
حقيقة ذى الدنيا محال وباطل ويتبعنا فيها حقوق وآجال
وفى الباقيات الصالحات كفاية لمن قصرت منه على الدهر آمال

[وروى] فى الخبر « إن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكرباته . وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك » وقيل لحسان بن أبى سنان كيف تجدك ؟ قال بخير إن نجوت من النار . قيل له ماتشتهى ؟ قال ليلة طويلة أصليها كلها . وقال عبد الله بن عتبة عدت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت له كيف تجدك ؟ فأنشدنى :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقلّ الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى إليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صحبتى غداة أتى يومى عليه وساعتى

[وقيل] دخل المزنى على الشافعى رضى الله تعالى عنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال أصبحت عن الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى ربى سبحانه وتعالى واردا ولا أدرى روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم أنشد :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى جعلت الرجا منك لعفوك سلما تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرّما
فلولاك لم يغوى بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فيالیت شعرى هل أصير لجنة فأهنى وإما فى السعير فأندما

[ويروى] أن رجلا جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى فى منامه صاحب القبر فقال له ياهذا إنكم تعملون ولاتعلمون ونحن نعلم ولانعمل والله لأن تكون ركعتان فى صحيفتى أحب إلىّ من الدنيا ومافيها .

[ويروى] أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فأنشد يقول :

رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يارسول الله إن الماء منك قريب ؟ فيقول : مايدريني لعلى لاأبلغه . وعن أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على العمر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ابن آدم إلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم » وروى أن الحسن قيل له إن فلانا مات بغتة . فقال مايعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات . قال الغزالى رحمة الله عليه : وعليك أن تجتنب طول أملك فانه إذا طال هاج أربعة أشياء : الأول ترك الطاعة والكسل فيها يقول سوف أفعل والأيام بين يدى . الثانى ترك التوبة وتسويفها يقول : سوف أتوب وفى الأيام سعة وأنا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدى وأنا قادر عليها

متى رمتها ، وربما اغتاله الحمام على الإصرار واختطف الأجل قبل صلاح العمل . والثالث الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر فى الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولابد لى من شىء فاضل أدخره لمرض أوهرم أوفقر هذا ونحوه يحرك إلى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول ايش آكل وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف ومالى شىء ولعل العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولابد لى من قوت وغنية عن الناس ، وهذه وأمثالها تحرك إلى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها . والرابع القسوة فى القلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أملت العيش الطويل لاتذكر الموت والقبر . وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أخوف

مالى مررت على القبور مسلما قبر الحبيب فلم يردّ جوابى أحبيب مالك لاتجيب مناديا
أملت بعدى خلة الأصحاب لوكان ينطق بالجواب لقال لى أكل التراب محاسنى وشبابى

قال فهتف بى هاتف من جانب القبر يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب أكل التراب محاسنى فنسيتكم
وحجبت عن أهلى وعن أصحابى فعليكم منى السلام تقطعت عنى وعنكم خلة الأصحاب
وتمزقت تلك الجلود صفائحا ياطالما لبست رفيع ثياب وتفصلت تلك الأنامل من يدى
ما كان أحسنها لخط كتابى وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا ما كان أحسنها لردّ جوابى
وتساقطت فوق الخدود نواظرى ياطالما نظرت بها أحبابى

[وقال ثابت البنانى رضى الله عنه] دخلت المقابر لأزور القبور وأعتبر بالموتى وأتفكر فى البعث والنشور وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغىّ والفجور ، فوجدت أهل القبور صموتا لايتكلمون وفرادى لايتزاورون فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم ، فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول : ياثابت لايغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها .

[وقيل] مرّ داود الطائى بامرأة تبكى على قبر وهى تنشد هذه الأبيات :

عدمت الحياة فلانلتها إذ أنت فى القبر قد أوسدوكا
وكيف ألذّ بطعم الكرى وها أنت فى القبر قد أفردوكا

ثم قالت : يا أبتاه بأىّ خديك بدأ الدود ؟ قال : فخر داود مغشيا عليه .

[وقيل] لما حضرت حسن بن هانئ الوفاة وأيقن بالموت وتحقق لقاه أنشد :

دب فىّ السقام سفلا وعلوا وأرانى أموت عضوا فعضوا ليس من ساعة مضت بى إلا
نقصتنى بمرها بى حزوا لهف قلبى على ليال تقضت وسنين مضين لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الإساءة جهرا ومن الله نطلب الآن عفوا

[إخوانى] انتبهوا من رقدة الهجوع وافزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والخشوع . فكأنكم بالموت وقد فرق الجموع ، وأخلى القصور والربوع ، وأمطر عليهم سحائب الدموع ، وناداهم المشوق بطرف باك وقلب موجوع :

معارف فى الثرى هجوع فالقلب من بعدهم صدوع تكدرت بعدهم حياتى
فأوحشت منهم الربوع كانوا سرورى ونورعينى فما لها بعدهم هجوع
ماتوا فأودى لذيذ عيشى وبالأسى ذابت الضلوع يانفس كم من جموع وصل
فرقها البين والولوع يانفس للموت فاستعدى فالموت إتيانه سريع
فلا مليك ولا شريف فى الدهر يبقى ولا وضيع ولا سعيد ولا شقى
ولا عصى ولا مطيع يانفس إن الأصول ماتت فما عسى تلبث الفروع

[قال مالك بن دينار رحمة الله عليه] أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار ، والتفكر فى الموت والاعتبار ، فتمنيت من يخبرنى عنهم بخبر ، أويقص لى من آثارهم بعض أثر ، فقلت بلسان أحزانى ماقدحت زناد أشجانى من الفكر :

أتيت القبور فناديتها فأين العظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين العزيز إذا ماافتخر

قال : فنوديت من بين القبور ، وأنا بالوجد مغمور :

تفانوا جميعا فلا مخبر وماتوا جميعا وصاروا عبر وعادوا إلى ملك عادل
عزيز مطاع إذا ما أمر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحى محاسن تلك الصور
فياسائلي عن أناس مضوا أمالك فيمن مضى معتبر

قال مالك بن دينار : فرجعت أبكي بالدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أي اعتبار .

[وقال بعض الصالحين] زرت مرة القبور حين عج بقلبي لهيب النار : فأقمت عندها برهة من الزمان أنظر إليها بعين الاعتبار ، وأناجي صرعاها بالعشى والإبكار ، وأجلس إليها في الأصائل والأسحار ، فجال فكري في مجال التفكر والاعتبار بخطاب نظمته من محاسن الأشعار :

أأحبابنا فارقتمونا فأوحشت قلوب لنا من بعدكم وديار
فكم قد تذاكرنا محاسن من مضى فجاءت دموع للفراق غزار
قضوا وقضيتم ثم تقضى فلا بقا لحي وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نزور مقابرا ومتم فزرناكم وسوف نزار
سقت ديمة الرضوان رياثرا كمو وسحت لها في ساحتيه بحار

فأجاب لسان الحال في الحال عما أبديت من المقال :

يقول لسان الحال إذ أخرس الردى لسانا لهم منه الفصيح يغار
شربنا بكأس أسكرتنا مريرة ألا رب سكر ماحواه عقار
فلا يغترر بالله من عاش بعدنا بعيش فأيام الحياة قصار
وإنا وجدنا خير أزوادنا التقى هو الربح حقا ماعداه خسار
وما العيش إلا زورة الطيف في الكرى وما هذه الدنيا الدنية دار

يامن ركن إلى الدنيا بإقامة وثبات احذر أسد الموت فان له وثبات كيف تركن إلى اللذات وقد جاء في طلبك الممات واعتبر ياهذا بمصارع الهالكين فقيهم لذى التفكر عظات :

لقد زرت أقواما كراما أحبهم وهم تحت أطباق الثرى فيه أموات
وواصلتهم من بعد بين وفرقة فكان لنا فيهم عظات وإنصات
وأعجب شيء في الوجود اجتماعنا ونحن على ذاك التواصل أشتات

[وروى] أنه وجد على قبر مكتوب :

اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرحا وحزنا مرة لاالحزن دام ولاالسرور

[وقال الأصمعي رحمة الله عليه] كنت كثير التفكر في عجائب الأمور . وأجيل الفكر في البعث والنشور . وأتسلى بقراءة الكتابة على القبور . فمن ذلك رأيت ثلاثة قبور على صف وعليها لوح مكتوب عليه :

ألا قل لماش على قبرنا غفول لأشياء حلت بنا
سيندم يوما لتفريطه كما قد ندمنا لتفريطنا

وقال أيضا وجدت على حجر مكتوبا في المقبرة :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهمو كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهمو مكاني

ماأخاف عليكم اثنان : طول الأمل واتباع الهوى ألا إن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدك عن الحق فإذن يصير فكرك في حديث الدنيا وأسباب العيش وفي صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب . فبسبب طول الأمل تقل الطاعة وتتأخر التوبة وتكثر المعصية ويشتد الحرص ويقسو القلب وتعظم الغفلة فتذهب والعياذ بالله إن لم يرحم الله الآخرة فأي حال أسوأ من هذه وأي آفة أعظم من هذه وإنما رقة القلب وصفوته بذكر الموت ومفاجأته والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة ويروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لايملكون شيئا من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على باب دورهم وهم في كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها ومالهم طعام إلا الحشيش ونبات الأرض فبعث

قال : ومشيت قليلا ودمعى مسكوب ، وقلبى من فراق الأحباب مسلوب ، فوجدت على قبر لوحا وعليه مكتوب هذه الأبيات :

يا أيها الناس كان لى أمل ... قصر بى عن بلوغه الأجل ... فليتق الله ربه رجل
أمكنه فى حياته العمل ... ما أنا وحدى جعلت حيث ترى ... كل إلى ما نقات ينتقل

وقال وجدت على قبر مكتوبا :

قف واعتبر فقريبا ... تحلّ هذا المحلا ... هذا مكان يساوى ... فيه الأعز الأذلا

وقال وجدت امرأة تبكى على قبر ولدها وتنشد :

بالله يا قبر هل زالت محاسنه ... وهل تغير ذاك المنظر النضر
ياقبر ما أنت لاروض ولا فلك ... فكيف يجمع فيك الشمس والقمر

وقال أيضا: مررت يوما بقبور كنت أعرف أهلها أهل سرور ولذات ورفاهية وشهوات . فرأيت فى لوح منها مكتوبا هذه الأبيات :

أيها الماشى بين هذى القبور ... غافلا عن معقبات الأمور
ادن منى أنبيك عنى ولا ... ينبيك عنى ياصاح مثل خبير
أنا ميت كما ترانى طريح ... بين أطباق جندل وصخور
أنا فى بيت غربة وانفراد ... مع قربى من جيرتى وعشيرى
ليس لى فيه مؤنس غير سعى ... من صلاح سعيته أو فجور
فكذا أنت فاعتبر بى والا ... صرت مثلى رهين يوم النشور

[وروى عن الفضيل بن عياض ، وقيل ابن الموفق رحمة الله عليه] قال: كنت آتى قبر أبى المرة والمرتين وأكثر زيارته فشيعت يوما جنازة إلى المقبرة التى أبى فيها وكان ورائى شغل فتعجلت الرواح فلم أزره . فلما كان الليل رأيته فى المنام . فقال يابنى إنك أتيت بالأمس ولم تأتنى . فقلت: ياأبت وإنك لتعلم بى إذا أتيتك . فقال: إى والله يابنى إنك لتأتينى فلا أزال أنظر إليك حين تجوز القنطرة إلى أن تصل إلىّ وتقعد عندى ثم تقوم فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

[ويروى] أن فارسا مرّ بغلام فسأله ياغلام أين العمران ؟ فقال له اصعد الشرف فصعد فأشرف على المقبرة فقال: إن هذا الغلام إما جاهل أو حكيم فرجع إليه فقال له : سألتك عن العمران فدللتنى على المقابر ؟ فقال الغلام: إنى رأيت أهل تلك ينقلبون إلى هذه ولم أر أحدا ينقلب من هذه إلى تلك وإنما ينقلب من الخراب إلى العمران ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك ثم أنشد :

نفس زورى القبور واعتبريها ... حيث فيها لمن يزور عظات
وانظرى كيف حال من حلّ فيها ... بعد عز وهم بها أموات
حرصوا أملوا كحرصك يانفس ... ووافاهم الحمام فماتوا
فالسراة العظام منهم عظام ... فى بطون الثرى حطام رفات
فكأن قد حللت فى مصرع القو ... م وحلت بجسمك المثلات

[وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا وملك الموت يهتف فى المقابر فينادى يا أهل القبور من تحسدون اليوم ؟ فيجيبونه فيقولون : نحسد أهل المساجد فى مساجدهم يصلون ولا نقدر أن نصلى . ويصومون ولا نقدر أن نصوم . ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق . ويذكرون ولا نقدر أن نذكر فيندمون على مامضى من زمانهم »:

رب يارباه هذا جسدى ... تحت أطباق الثرى مرتهنا ... ما أرى لى عملا لكن أرى

إليهم ذو القرنين رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه وقال مالى إليه حاجة فجاء ذو القرنين إليه وقال : كيف حالكم؟ فانى لا أرى لكم شيئا من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئا من نعم الدنيا ؟ فقال نعم لأن نعم الدنيا لا يشبع منها أحد قط . فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم ؟ فقال لتكون نصب أعيننا فننظر إليها فيتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا ، فقال كيف تأكلون الحشيش فقالوا: لأنا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مد يده إلى طاقة فأخرج منها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين تعلم من كان هذا ؟ فقال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع

يا إلهى فيك ظنى حسنا وعلى عفوك ياذا الفضل قد كنت فى دنياى أحسنت الثنا
فأقل عثرة عبد مذنب وتجاوز واعف عنه محسنا

[وعن الأوزاعى رحمة الله عليه] قال : مرّ ميسرة بن الحسين بالمقابر يوما وكان يسكن المصيصة وقائده يقوده وكان مكفوف النظر حتى إذا صار إلى المقبرة قال له قائده هذه المقبرة يامميسرة فقال السلام عليكم ياأهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم خلف ، فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم وبارك لنا ولكم فى القدوم عليه إذا صرنا إلى ماصرتم إليه ، قال فرد الله تعالى الروح إلى رجل منهم فأجابه بلسان فصيح ، فقال : طوبى لكم ياأهل الدنيا تحجون فى الشهر أربع مرات . قال ميسرة وكيف نحج فى الشهر أربع مرات يرحمك الله ؟ قال المشى إلى الجمعة ، أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة ؟ قال . فأخبرنى بما قدمتم عليه ونفعكم يرحمكم الله ؟ . قال الاستغفار لأهل الدنيا أنفع الأشياء فى الآخرة . قال فما منعكم أن تردوا السلام علينا ؟ . قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلا حسنة تزيد ولاسيئة تنقص ، وقد رضينا منكم بقولكم رحم الله فلانا المتوفى ، فاغتنموا رحمكم الله الأعمال الصالحة واجتنبوا الأعمال الخبيثة واصرفوا هممكم عن عمارة ما يفنى إلى عمارة الأجداث فكأنكم بساقى المنية ، وقد أدار كأسه على الذكور والإناث .

يا آمن الأقدار بادر صرفها واعلم بأن الطالبين حثاث خذ من تراثك ماستطعت فانما
شركاؤك الأيام والورّاث المال مال المرء مابلغت به الشهوات واندفعت به الأحداث
ماكان منه فاضلا عن قوته فليوقنن بأنه ميراث
مالى إلى الدنيا الغرورة حاجة مات الذكور بهاومات إناث

[وقالت عائشة الأندلسية رحمة الله عليها وكانت من الصالحات] : مات ولد لى فكنت أزوره فى كل أسبوع مرة ، فكنت إذا قربت من قبره سمعت جيرانه من الموتى يقولون : يافلان هذه أمك قد جاءت اليك ، فكنت أنظر إلى قبره كأنه يضحك لى فأسرّ بذلك .

لوكلم الميت من يشيعه لقال لاتغتر فأنت أنا
قد كنت ألهو وغرنى أملى عاجلنى الموت مابلغت منى

[وقال الحرث بن نبهان رحمه الله] : كنت أخرج إلى الجبانات فأترحم على أهل القبور وأتفكر فيهم وأعتبر بأحوالهم ، فأنظر إليهم سكوتا لايتكلمون وجيرانا لايتزاورون قد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى : ياأهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم وسكنتم فى دار البلى فتورمت أقدامكم . قال ثم أبكى بكاء شديدا ثم أميل إلى قبة فيها قبر فأنام فى ظلها . قال فبينما أنا نائم الى جانب القبر وإذا بصاحب القبر وفى عنقه سلسلة ، وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول : ياويلتى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا لما ركبوا معاصى الله عزوجل أبدا طولبت والله بالذات فأوثقتنى ، وبالخطايا فأغرقتنى ، فهل من سامع أومخبر أهلى بأمرى ؟ قال الحارث : فاستيقظت وأنا مرعوب وكاد أن يخرج قلبى من هول مارأيت ، فمضيت الى دارى وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت ، فلما أصبحت قلت دعونى أعود الى الموضع الذى كنت به بالأمس لعلى أجد به أحدا من زوّار القبور فأعلمه بالذى رأيت . فلما مضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس لم أجد به أحدا فنمت وإذا بصاحب القبر يسحب على وجهه وهو يقول : ياويلتاه ماذا حل بى ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أجلى ، قد غضب علىّ رب الأرباب ، فالويل لى إن لم يرحمنى وينقذنى من العذاب . قال الحارث فاستيقظت وقد توله عقلى مما رأيت وسمعت فرجعت الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه ، وقال له أتعرف هذا ؟ فقال لا . فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم إنه وضع يده على رأس ذى القرنين ، وقال ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذوالقرنين بكاء شديدا وضمه إلى صدره وقال له إن أنت رغبت فى صحبتى فانى أسلم إليك وزارتى وأقاسمك مملكتى . فقال هيهات مالى فى ذلك رغبة ، فقال لم ؟ قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة ، وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة ولله در القائل :

دليلك أن الفقر خير من الغنى
وأن قليل المال خير من المثرى
لقاؤك عبدا قد عصى الله بالغنى
ولم تلق عبدا قد عصى الله بالفقر

إلى دارى وبت ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحدا من زوار القبور فأعلمه الذى رأيت ، فلم أجد أحدا من زوار القبور ، فأخذنى النوم فرأيت صاحب القبر ، وقد قرن بين قدميه وهو يقول : ماأغفل أهل الدنيا عنى ضوعف علىّ العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب وغضب علىّ رب الأرباب ، وغلق فى وجهى كل باب فالويل لى إن لم يرحمنى العزيز الغفار الوهاب . قال الحارث فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف وإذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقمار فتباعدت عنهن وتواريت عن التربة لكى أسمع كلامهن ، فتقدمت الصغرى حتى وقفت وقالت : السلام عليك ياأبتاه كيف أصبحت وكيف هدوّك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ؟ ذهبت عنا بودّك وانقطع عنا خير سؤلك ، فما أشدّ حزننا عليك وشوقنا اليك ، ثم بكت بكاء شديدا ، ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ، ثم قالتا : هذا قبر أبينا الذى كان شفيقا علينا والرحيم بنا آنسك الله برحمته وصرف عنك شرّ عذابه ونقمته ، ياأبتاه جرت بعدك أمور وهموم لوعاينتها لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا ، وقد كنت أنت تسترها . قال الحارث : فبكيت لما سمعت كلامهن ، ثم قمت مسرعا إليهن فسلمت عليهن وقلت لهن أيتها الجوارى : إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكما المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ماأحزننى واطلعت من حاله على ماأبكانى وأهمنى . قال الحارث : فلما سمعن كلامى كشفن عن وجوههن وقلن ياأيها العبد الصالح وما الذى رأيت ؟ قلت لى ثلاثة أيام أتردد الى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه . قال فلما سمعن ذلك قلن لى : هذه بشارة ماأضرها ومصيبة ماأحرها نحن نقضى الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار ، فوالله لاقرلنا قرار ولاأخذنا نوم ولا اصطبار حتى نتضرع الى الكريم الغفار فلعله يعتق أبانا من النار ثم مضين يعثرن فى أذيالهن . قال الحارث فمضيت إلى دارى وبت ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده وأنا متفكر فى حاله ، فغلبنى النوم فنمت فإذا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجليه نعل من ذهب ومعه خدم وغلمان . قال الحارث فسلمت عليه وقلت له يرحمك الله من أنت ؟ قال : انا الرجل الذى عاينت من أمرى ماأحزنك واطلعت من حالى على ماأرجفك فجزاك الله عنى خيرا ، فما أبرك طلعتك علىّ فقلت له وكيف كان حالك ؟ . فقال لما اطلعت علىّ وأخبرت بناتى بالأمس بحالى ، ورجعن إلى منازلهن أهملن عيونهن وأرسلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب واستوهبنى من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والأوزار وأنقذنى من النار وأسكننى دار القرار بجوار النبى المختار فاذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وماكان من قصتى ليزول عنهن روعهن ويفارقهن حزنهن ، أعلمهن أنى صرت الى جنان وقصور وولدان وحور ومسك وكافور وفرحة وسرور ، وقد عفا عنى العزيز الغفور . قال الحارث : فاستيقظت فرحا مسرورا لما رأيت وسمعت ، فمضيت الى دارى وبت ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبور فوجدتهن حافيات الأقدام عليهن آثار الحزن والاغتمام ، فسلمت عليهن وقلت لهن أبشرن ، فقد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك مقيم ، وقد أخبرنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن ، وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن . فقالت الصغرى اللهم ياموئنس القلوب وياساتر العيوب ويا كاشفا عنا الكروب وياغافر الذنوب وياعالم الغيوب ، قد علمت ماكان من مسألتى ومسكنتى واعتذارى فى خلوتى وإقالتى من زلتى وتنصلى من خطيئتى وأنت اللهم تعلم همتى والمطاع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى مطلبى ورجائى عند شدتى ومؤنسى فى وحدتى وراحمى فى غربتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى ، فان كنت قصرت فى طاعتى وارتكبت ماعنه نهيتنى فبجاهك حميتنى وبسترك سترتنى : فيا أكرم

[فصل] اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير متيسر إذ الإناء إذا كان مملوءا بشىء لايكون لشىء آخر محل فيه ، ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وكالشرق والمغرب بقدر ماتقرب من أحدهما تبعد من الآخر . قال الله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) وقال تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أوّل فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال

الأكرمين ، ويامنتهى غاية الطالبين ، ومالك يوم الدين ، أنت تعلم ماأخفى فى الضمير وتدبر أمر الصغير والكبير ، فان كنت قضيت حاجتى بفضلك وشفعتنى فى عبدك أبى الفقير الذليل الحقير ، فاقبض إليك روحى وأنت على كل شىء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها . ثم تقدمت الثانية فنادت بأعلى صوتها : اللهم يارب الأرباب ويامعتق الرقاب من النار والعذاب فرج كربتى وخلص من الشك قلبى ، يامن أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأغاثنى فى شدتى إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وعمرت بذكرك قلبى فألحقنى بأختى ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها . قال : ثم تقدمت الثالثة فنادت بأعلى صوتها : ياأيها الجبار الأعظم والملك الأكرم والعالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم ؛ العزيز من أعززته ، والذليل من أذللته ، والشريف من شرّفته ، والسعيد من أسعدته ، والشقى من أشقيته ، والقريب من أدنيته ، والبعيد من أبعدته ، والمحروم من حرمته ، والرابح من وهبته ، والخاسر من عذبته : أسألك باسمك العظيم ، ووجهك الكريم ، وعلمك المكنون ، الذى بعد عن إدراكه الأفهام ، وخفى عن مناولته الأوهام ، وأسألك باسمك الذى جعلته على الليل فدجا ، وعلى النهار فأضاء ، وعلى الجبال فتدكدكت ، وعلى الرياح فعصفت ، وعلى السموات فارتفعت ، وعلى الأرض فسطحت ، وعلى الملائكة فسجدت ، اللهم إن كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى وأجبت دعوتى فألحقنى باختى ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليهن . قال الحارث : فتعجبت من أحوالهن وتقارب آجالهن . فلله درّ أقوام أمروا فامتثلوا وعملوا فقبلوا وعلى مرادهم حصلوا ، طلبوا وصاله فبجبل حبه وصلهم ، ودعوا مولاهم فاستجاب لهم ؛ أخلصوا فى خدمته قولا وفعلا وقضوا فى طاعته فرضا ونفلا ، وطلبوا لقاءه فأحب لقاءهم ومنحهم قربا ووصلا وماتوا على دين حبه لما كانوا لذلك أهلا .

تجلى لهم سرّا فأفنى وجودهم ... ولم يبق من أجسادهم مفصلا أصلا
وأضحوا نشاوى من مدامة حبه ... وأرواحهم تسمو إلى الملأ الأعلى
تفانوا على دين الغرام فأصبحوا ... بسيف الهوى فى حب محبوبهم قتلى
سقاهم كؤوس الحب صرفا وحبذا ... كؤوس بصافى الود من حبه تملا
وناداهم والليل قد مدّ ستره ... وأوردهم من فضله المورد الأحلى
وأشهدهم أنوار حسن جماله ... وبوأهم من قربه الفضل والوصلا
فهاموا به لما رأوه صبابة ... وقد عدموا فى حبه الذهن والعقلا
وقال ابشروا ثم انظروا وتمتعوا ... فهذا جمالى قد بدا لكم يجلى
فيامعشر الأحباب يهنيكم اللقا ... فسعدكم وافى وحزنكم ولى
فيارب بالهادى البشير محمد ... نبى زكا فرعا كما قد زكا أصلا
ومن قد رقى نحو السماء مشرّفا ... وفضلته حقا وألهمته عدلا
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا ... فنحن أتينا منك نستمطر الفضلا
عليه سلام الله ماسرت الصبا ... وما لاح نور من محاسنه يجلى

المجلس الرابع

فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى اختار من عباده من صلح للعبادة وانتقى ، وجعلهم خداما وقسمهم أقساما وفرقا ،

والتشرف لدينه » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . فقال رجل يارسول الله أو يأتى الخير بالشر ، فسكت حتى ظننا أنه ينزل عليه ، قال فمسح عنه الرحضاء ، وقال أين السائل وكأنه حمده ؟ وقال إنه لايأتى الخير بالشر وإن مما ينبت الربيع مايقتل حبطا أويلمّ إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » يعنى مثال كثرة المال كمثال ماينبت فى فصل الربيع فان بعض النباتات حلو فى فم الدابة وهى حريصة

على أكله ، ولكن ربما تأكل كثيرا فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب ، فان لم تأكل الدابة إلا بقدر مايطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ماأكلت وحتى تبول وتروث روثا وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرها الأكل ، فكذلك من يحصل له مال كثير فان حرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتجمل فيقسو قلبه وتتكبر نفسه ، ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولا يخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار فمن كانت هذه صفته لاشك أن المال شر له ويبعده من الجنة ويقربه من النار ، ومن أدى حقوق المال ولا يحتقر الناس ولا يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال

خصهم بعنايته ونظر إليهم ورعاهم برعايته ، وأخذ عليهم عهدا وموثقا ، صافاهم فاصطفاهم وناداهم فأدناهم ؛ وحياهم بالوصل واللقا . رفعهم من حضيض نفوسهم إلى حضرة أنيسهم وسقاهم بكأس تسبيحهم وتقديسهم شرابا قديما مروقا ، فطاب كل منهم لنشوة شرابه وسكر عند سماع خطابه ، وسما إلى حضرة أحبابه وارتقى ، وتجلى لهم على طور السحر فتملى المحب وفاز بالنظر وخر كليم الوجد منهم صعقا ، أفناهم عن الوجود فجادوا بالموجود ولم يتركوا رمقا ؛ أودعهم سرائر محبته فخافوا من غيرته فجعلوا عليهم بابا مغلقا ، ففاح أرجها إلى مشام القلوب ، فاستنشقت من جانب المحبوب نشرا عبقا ، وسرى سرها الخفى وأرجها الزكى إلى سر سرى السقطى ، فسار على الآثار مستبقا ، وإلى الشبلى فبات لعرائس المحبة يستجلى ، وإلى أبى يزيد فطلب المزيد وازداد حرقا ، والى الجنيد فأضحى فى قيد المحبة موثقا ، وإلى الفضيل فشمر فى خدمته الذيل وسار مذ وافى الليل على خيل التوفيق بعد قطع الطريق موفقا ، وإلى الخواص فغاص فى بحار الإخلاص وأضحى من جواهر الخواص منتقى ، وإلى ذى النون فظهر عليه من المحبة والوجد فنون ، فهام فى الجبال كالمجنون ونادى بلسان أشواقه ودموع آماقه تتدفق تدفقا :

أطمعتمونى فى الوصال وفى اللقا ... وهجرتمونى فالتهبت تحرقا
يامالكى رقى وغاية مطلبى ... رفقا فقد ذاب الفؤاد تشوقا
حاشا كمو أن تطردونى سادتى ... وبحبكم قلبى غدا متعلقا
ياسادتى لم يهن لى من بعدكم ... عيش ولا عاينت شيئا موثقا
إن مت من وجدى وفرط صبابتى ... شوقا إلى رؤياكم لكم البقا
يانفس قد زال العنا فتمتعى ... بوصال من تهوى فقد زال الشقا
وجلا الحبيب جماله فلأجل ذا ... أصبحت من وجدى به متمزقا
هاكم فؤادى فتشوه فان تروا ... فيه لغيركمو هوى وتشوقا
فتحكموا فيه بما يرضيكمو ... يامنيتى إن خان يوما موثقا
وإذا فنيت بحبكم فيحق لى ... إن الفناء بحبكم عين البقا

[وقال عبد الرحمن بن المهذب رحمة الله عليه] مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادى على عبد ويقول أبيعه على عيبه . فقلت للدلال : ما العيب الذى فيه ؟ فقال سله يامولاى فدنوت من الغلام وقلت له : ماالعيب الذى فيك ؟ فقال ياسيدى عيوبى كثيرة فلا أدرى بأيها أشهرونى ، فقلت للدلال أخبرنى ماالعيب الذى فى هذا الغلام ؟ فقال به داء الجنون ، فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع ، أفى كل سنة أم فى كل جمعة أم فى كل شهر ؟. فقال : يامولاى إذا استولى داء المحبة على القلب سرى فى الأعضاء كلها ، وإذا استولى على الجوارح انتشر خمار المحبة فى سائر الجسد فطاش العقل بذكر الحبيب وأحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا . قال عبد الله ، فعلمت أن الغلام من أولياء الملك العلام ، فقلت للدلال : كم ثمن هذا الغلام ؟ فقال مائتا درهم . قلت : ولك عشرون ، فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار وأمرته بالدخول ، فأبى وقال : ياسيدى ألك أهل ؟ ، قلت نعم ، قال ومن يستطيع أن ينظر إلى غير محرمه ؟ فقلت له قد أبحت لك ذلك ، فقال معاذ الله : لكن مهما كان لك من حاجة قضيتها وأنا دون الباب فسكت عنه وتركته ، ثم أخرجت له طعاما فقال إنى صائم ، فلما كان الليل أخرجت له عشاء فقال إنى طاو وقام عندى فى دهليز الدار ، فخرجت إليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى

ولم يشعر بى ، فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا ، فسمعت من مناجاته : إلهى أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح للسائلين . إلهى غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحى القيوم ، الذى لاتأخذه سنة ولانوم . إلهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المجتهدين ياأنيس المستوحشين . إلهى إن طردتنى عن بابك فإلى باب من ألتجى ، وإن قطعتنى عن خدمتك فخدمة من أرتجى . إلهى إن عذبتنى فانى مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عنى فأنت أهل الجود والكرم ، ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال : ياسيدى لك أخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون وبرحمتك أناب المقصرون : ياجميل العفو أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك وإن لم أكن أهلا لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، فدخلت الدار ولم أشوّش عليه . فلما أصبح الصباح خرجت إليه فقلت له كيف نمت البارحة ؟ فقال : ياسيدى أو ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والأوزار ؟ ثم بكى طويلا فقلت اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ، فبكى وقال : ياسيدى كان لى أجران أجر العبودية وأجر الخدمة ، وقد ذهب عنى أحدهما أعتقك الله من نار جهنم ، قال ثم دفعت إليه نفقة فأبى قبولها ، ثم قال إن المتكفل بالأرزاق حى لايموت ثم خرج هائما على وجهه لا أدرى أين ذهب ، فواشوقاه إلى أرباب القلوب وواحزناه على فوات المطلوب . ياحبوسا فى سجن الغفلة لو أشرفت على وادى الرجاء لرأيت خيم القوم مضروبة على شاطىء بحر (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) وسمعت أطيار أشجانهم على أغصان أحزانهم تترنم بأصوات (وبالأسحار هم يستغفرون) لذّ لهم السهر ، وصفا وقتهم من الكدر ، وراق لهم وقت السحر ، وخلوا بالمحبوب ، ففازوا بالمشاهدة والنظر :

هذا المحب مع المحبوب قد حضرا ... وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته ... صرفا يكاد سناها يخطف البصرا
ياسعد كرر لنا تذكاره فلقد ... بلبلت أسماعنا يامطلب الفقرا
وما لركب الحى مالت معاطفه ... لاشك أن حبيب القوم قدحضرا
غدا غدا تنظر الأعلام قد رفعت ... أمامهم علم للوصل قد نشرا
ومجلس الأنس بالمحبوب يجمعهم ... والكاس دائرة مابينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لاشبيه له ... حاشاه يشبه شمسا لا ولا قمرا
منزه عن شريك فى جلالته ... موحد فى علاه ليس فيه مرا
فمن أتاه فقيرا لامراد له ... سواه يكتبه من جملة الأمرا
هذا السماع الذى تشفى الصدور به ... هذا الحبيب الذى قد هيم الفكرا
صوفية عند ماضاقت صدورهم ... أزال عنهم جميع الشك والكدرا

[وقال محمد بن الفضيل] رأيت شابا راقدا على الأرض ، وقد افترش التراب وهو يئنّ أنينا شديدا ، فقلت لصاحبى اعدل بنا إليه فإنه عليل ، فقال ماهذا عليل ، هذا فى الباطن من المحبين ، وفى الظاهر من المجانين فقلبه بحب مولاه مفتون وهو يدعى بعبيد المجنون ، فتقربت إليه فإذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة صوف بالية وهو يقول : عجبا لمن ذاق حلاوة محبتك كيف ينقطع عن خدمتك ، ثم لم يزل يردد ذلك القول حتى غشى عليه ، فقلت لصاحبى والله ماالمجنون إلا الذى لم يصل إلى هذا المقام ، فلما أفاق من غشيته قال ما بالكم تنظرون إلىّ ؟ قلنا لعل دواء يشفى من الداء الذى تجده قال إن الذى ابتلى بالداء عنده الدواء ، ولكن الذى يريد أن يتداوى يحتمى . قلت بماذا ؟ قال

بحيث يفوت عنه طاعة ويحسن إلى الناس فماله خير له كما قال عليه الصلاة والسلام « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . فاذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشر لايحصل للرجل من عين المال ، بل نفس الرجل هى التى تصرف المال فيما فيه خير له أو شر له ، قاله المظهرى . وقال صلى الله عليه وسلم « لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول : ابن آدم تفرّغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسدّ فقرك » .

[وحكى أن رابعة العدوية رضى الله عنها] كانت تقول لكل يوم وليلة هذه ليلتى التى أموت فيها فلاتنام حتى تصبح وتقول للنهار كذلك فلا تنام حتى تمسى . وقال أبو بكر بن عياش : ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة . وصام

بترك الحرام وتجنب الآثام ، ومراقبة الملك العلام ، والتهجد بالليل والناس نيام ، ثم بكى بكاء شديدا طويلا وبكينا معه وقلنا له نحن أضيافك ، فادع لنا . فقال : ما أنا من خيل هذا الميدان فأقسمنا عليه . فقال تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال ، وجعل قراكم المغفرة ، وجعل مثواكم الجنة ، وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال ، ثم انصرفنا عنه ، وقد عجبنا من حسن لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه . ياهذا هذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف حالك أيها العاقل اللبيب ؟ يدعوك مولاك فلا تجيب ويأمرك بالإنابة فلا تنيب ويستحضرك إلى حضرات قربه وأنت فى المغيب ، إلى متى تضيع عمرك ومانلت من نصيب ؟ إلى متى أنت بعلة زلتك ولاترفع قصة غصتك إلى طبيب ؟ ويحك بادر بالتوبة إلى بابه ، وعفر الخد على أعتابه فهو منك قريب ، واسأله الهداية والتوفيق ، واقصده فى تفريج الهم والضيق ، فقاصده لايخيب ، وتقرب إليه بما يرضيه واحذر من معاصيه ، فإنه حاضر لايغيب ، وادعه حين تناجيه ، فإنه لداعيه مجيب ، وتب فى هذه الساعة إليه وتضرع بين يديه بالبكاء والنحيب ، فعسى أن يجتبيك لطاعته ويهديك بهدايته (فإن الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) . [كان وكان]

تعصى وتغلق بابك ... كيلا يرونك تفضح ... نسيت أنى حاضر ... ولى عليك رقيب
تزعم بأنك عاقل ... وأنت من أهل الذكا ... وبعت حضره بنظره ... ماذاك فعل لبيب
عمرك مضى وتقضى ... بقى القليل وترتحل ... فجدّ ان كان رأيك ... فى الحزم رأى مصيب
فانهض وهيئ زادك ... تنل مرادك والمنى ... وراع غصن شبابك ... مادام غصن رطيب
وقف بباب المولى ... وادعوه فى وقت السحر ... فالوقت رائق لائق ... والرب منك قريب
مولى تجافيه يحنو ... وإن نسيته يذكرك ... وإن دعاك تولى ... وإن دعوت يجيب
فاضرع إليه ونادى ... بذلة ياسيدى ... يامن عليه اتكالى ... ومن إليه أنيب
أنا المقر بذنبى ... وأنا المسىء لشقوتى ... حاشا رجائى وظنى ... يارب فيك يخيب
وليس لى من شفيع ... إلا النبى المصطفى ... ومن لدنك اصطفيته ... دون الأنام حبيب
صلى عليه وسلم ... رب السموات العلى ... ماسار سائر إليه ... بناقة ونجيب

[قال الجنيد رحمة الله عليه] جلست يوما بين أصحابى نتذاكر عباد الله الصالحين ، فقال السرى كنت يوما جالسا فى بيت المقدس عند الصخرة ، وكانت أيام العشر وأنا متحسر على التخلف عن الحج فى تلك السنة . فقلت فى نفسى : إن الناس قد توجهوا إلى مكة ولم يبق إلا أيام قلائل وأناههنا مقيم فبكيت على فوات نصيبى وتخلفى ، فسمعت هاتفا يقول : ياسرى لاتبك فان الله تعالى يقيض لك من يوصلك إلى الحج . فقلت : وكيف يكون ذلك وقد بقى أيام يسيرة وأنا ببيت المقدس ؟ . فقال : لاتحزن إن الملك القدير يهون عليك العسير ، فسجدت شكرا لله تعالى وجلست أنتظر صدق الهاتف ، وإذا بأربعة شباب قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تطلع من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم خلفه وعليهم لباس الشعر ، وفى أرجلهم نعال الخوص ، فدنوا من الصخرة ودعوا الله تعالى ، فامتلأ المسجد من أنوارهم فقمت معهم وقلت يارب : لعل هؤلاء الذين رحمتنى بهم ورزقتنى صحبتهم ، فدخلوا القبة والشاب أمامهم وهم خلفه ، فصلى كل واحد منهم ركعتين والشاب قائم يناجى ربه ، فدنوت منه لأسمع مناجاته فبكى ، ثم كبر وصلى صلاة سلبت فؤادى ولبى ، فلما فرغ جاس وجاس الثلاثة بين يديه فدنوت منهم . وقلت : السلام عليكم . فقال الشاب : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ،

ابن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها ، ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة . وصلى عبدالقادر الجيلانى رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولزم الغزالى إلى الانقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لايمضى لحظة منها إلا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث خصوصا البخارى وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى . ولم يضع النووى رحمه الله جنبه على الأرض نحو سنتين ، وكان لايضيع له وقت فى ليل ولانهار إلا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى فى ذهابه فى الطريق ومجيئه يشتغل فى تكرار ومطالعة وحكاياتهم فى المبادرة إلى الخيرات كثيرة يكفى من وفقه الله ماذكرنا ، وكل ذلك من نتيجة قصر الأمل .

اعلم أن مما يعينك على

ياسرى ياصاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك بأن لايفوتك الحج فى هذه السنة ، فكدت أن أصعق وامتلأ قلبي فرحا وسرورا . فقلت : نعم ياسيدى هتف بى هاتف قبل ورودكم بساعة . فقال نعم ياسرى كنا قبل أن يهتف بك الهاتف بساعة فى بلاد خراسان قاصدين بغداد ، فقضينا حوائجنا وعزمنا على القصد إلى بيت الله الحرام . فأحببنا زيارة قبور الأنبياء بالشام ثم نقصد مكة شرفها الله تعالى وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتينا إلى ههنا نزور البيت المقدس ، فقلت له ياسيدى وما كنتم تصنعون بخراسان ؟ فقال : لأجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم ومعروف الكرخى إخواننا فى الله عز وجل فجئنا إلى بغداد نقصد البيت الحرام ، فجئت أنا إلى بيت المقدس لأجل الزيارة وذهبا هما من طريق البادية . فقلت : يرحمك الله من خراسان إلى بيت المقدس مسيرة سنة فقال : ولو كانت الطريق ألف سنة ، العبيد عبيده ، والأرض أرضه ، والسماء سماؤه ، والزيارة لبيته والقصد إليه ، والإبلاغ عليه ، والقوة والقدرة له . أماترى الشمس كيف تسير من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد ؟ أهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وإرادته . فإذا كانت الشمس وهى جماد لاحساب عليها ولاعقاب تقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد ، فليس بعجيب أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان إلى بيت المقدس فى ساعة واحدة ، فان الله تعالى له القوة والقدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار . ياسرىّ عليك بعز الدنيا والآخرة ، وإياك أن تصل إلى ذل الدنيا والآخرة ، فقلت يرحمك الله أرشدنى إلى عز الدنيا والآخرة ؟ فقال : من أراد غنى بلا مال ، وعلما بلا تعلم ، وعزا بلا عشيرة ، فليخرج حب الدنيا من قلبه ولايركن إليها ولايطمئن بها ، فان صفوها ممزوج بكدرها ، وحلوها منغص بمرها . فقلت له ياسيدى بالذى خصك بأنواره ، وأطلعك على أسراره أين تقصد ؟ قال الحج إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام . فقلت والله لاأفارقك فان فراقك أشد من فراق الروح للجسد . فقال بسم الله ، فخرجت معهم من البيت المقدس إلى البادية ولم نزل نسير حتى قال : ياسرى هذا وقت الظهر أما نصلى ؟ فقلت بلى ، فعزمت على التيمم بالتراب . فقال إن ههنا عين ماء ، فعدل عن الطريق وإذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت . فقلت والله لقد سلكت هذا الطريق مرارا ولم يكن ههنا عين ماء . فقال : الحمد لله على لطفه بعباده فصلينا الظهر ، ثم سرنا إلى وقت العصر فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا حيطانها . فقلت : هذه أرض الحجاز . فقال لى قد وصلت إلى مكة فأخذنى البكاء والنحيب ، ثم قال ياسرى تدخل معنا ؟ قلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب . فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا : الحمد لله على السلامة . فقلت يرحمك الله من هؤلاء ؟ قال : أما الكهل فإبراهيم بن أدهم ، وأما الشاب فمعروف الكرخى ، فصلينا صلاة المغرب والعشاء ثم قام كل منهم إلى الصلاة . فقمت أنا ووافقتهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم فى السجود . فلما انتبهت لم أر أحدا منهم فبقيت كالمجنون الهائم ، وطفت عليهم فى المسجد وفى مكة وفى منى فلم أجدهم ، فرجعت باكيا حزينا لتخلفى عنهم ، وفوت نصيبى منهم :

سريتم ولم لاتصحبونى فى الركب ... فياجفن لاتبخل عن الصب بالصب
وأعلم حقا أن بعدى عنكم ... لذنب جرى لكننى تبت من ذنبى
وحرمة ركب أحرموا وتوجهوا ... لمحبوبهم أكرم بذلك من ركب
يحنون نحو الشعب شوقا وما لهم ... مراد ولاقصد سوى ساكن الشعب
ومازال حادى الشوق يحدو قلوبهم ... ويسرى بهم إذ أوصلوا الحب بالحب

ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك ، كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون فى الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم ، وقصمت أصلابهم ، وجفت فيهم أحبابهم ، فأفردوا فى قبور موحشة ، وصاروا جيفا مدهشة ، والأحداق سالت والألوان حالت ، والفصاحة زالت ، والرءوس تغيرت ومالت ، مع فتان يقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون ، فيرون أرضا مبدلة ، وسماء مشققة ، وشمسا مكوّرة ، ونجوما منكدرة ، وملائكة منزلة وأهوالا مذعرة ، وصحفا منشرة ، ونارا زافرة ، وجنة مزخرفة ؛ فعدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدى كالبهائم ترتع ولاتدرى (ذرهم يأكلوا

وقد ذلوا تلك الوجـــوه لعزه ... وقد عفروا تلك الوجوه على الترب
ورب الصفا والطائفين ببيتـه ... يلوذون بالأستار منه وبالحجب
لقد أوحشوا الصب المشوق ببعدهم ... ولـكنهم بالذكر قد آنســوا قلبي

[إخوانى] اسمعوا صفات هؤلاء الأقوام كتموا الغرام ، ولزموا الهيام ، وأفشوا السلام ، وبذلوا الطعام ، وأداموا الصيام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، وجانبوا الآثام ، وانفردوا عن الأنام ، وخلوا لمناجاة الملك العـلام . أطاعوه فى الخلوات ، فمحا عنهم السيئات ، ورفع لهـم الدرجات . ركبوا بحر الندامة ، وأقلعوا بريح الملامة ، فوصلوا إلى بر السلامة . طهر قلوبهم وستر عيوبهم وغفر ذنوبهم ، وبلغهم مطلوبهم . عرفوه فألفوه ، ورأوه أهلا للعبادة فعبدوه ، ووجدوا الربح فى معاملته فعاملوه ، وعلى الصدق والوفاء بايعوه ، فهم فى حكم قبضة التدبير حيارى مابين قتيل وأسير ، قد أسبلوا العبرات على الوجنات وواصلوا الزفرات بالحسرات ونادوا : يامن لاتحيط به الجهات ولاتختلف عليه الأصوات أنقذنا من ظلم الآفات إلى نور إدراك الصفات . يامن يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات :

قوم بمحبوبهم فى دهرهم شـغلوا ... وفى محبتـه أرواحهـم بذلوا
وخرّبوا كل مايفنى وقد عمـروا ... ما كان يبـقى فياحسن الذى عملوا
لازينـة الأرض تلهيهم وتعجبهم ... ولا جناها ولا حـلى ولا حلل
تاهوا عن الكون من وجد ومن طرب ... وما استقل بهـم ربع ولا طلل
داعى التشـوق ناداهم فأقلقهم ... فكيف يهدوا ونار الشـوق تشتعل
وشقة البيد تطوى فى السرى لهمو ... وكل قاص دنا حتى به اتصـلوا
وافت لهم خلع التشريف يحملها ... عرف النسيم الذى من نشره ثملوا
هم الأحبـة أدناهم لأنهـم ... عن خدمة الصمد القيوم ماغفلوا

[جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم] أنه قال « الشاب التائب حبيب الله » فهذه المحبة من الله تعالى للعبد إذا كان شابا تائبا فإن الشاب مثل الغصن الرطب ، فإذا تاب وقت شيبوبته وتنعمه بالشهوات واللذات والرغبة فيه من كل الجهات وهو وقت إقبال الدنيا عليه وترك جميع ذلك طلبا لرضا الله تعالى استحق المحبة ، وكان من الأولياء المقبولين عنده . وقيل إن الشاب إذا تاب ورجع إلى الله تعالى أوقد له بين السماء والأرض سبعون قنديلا ، واصطفت الملائكة يضجون بالتسبيح والتقديس فإذا سمع إبليس اللعين بذلك قال : ما الخبر ؟ فينادى مناد من السماء : إن العبد قد اصطلح مع مولاه فيذوب اللعين كما يذوب الملح فى الماء :

هذا أوان الصلح ما أقعدك ... عن باب من بالخير قد عوّدك
فان محوت اليوم ماسطرت ... أيدى خطاياك فما أسعدك

[وقيل] إذا طلعت صحيفة العبد مملوءة بالسيئات يقول الله عز وجل للملائكة : ما فى صحيفة عبدى وهو أعلم ، فيقولون : إلهنا إنها لاتصلح للعرض عليك ، فيقول الله تبارك وتعالى : إذا كانت لاتصلح للعرض علىّ فرحمتى تصلح له ، أشهدكم ياملائكتى أنى قد غفرت له وتبت عليه وأنا التواب الرحيم :

ملزلت أعرف بالإساءة دائما ... ويكون منك العفو والغفران
لم تقتصنى إن أسأت وزدتنى ... حتى كأنّ إساءتى إحسان
تولى الجميل على القبيح تكرما ... أنت الإله المنـعم المتان

ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسـوف يعلمون — إذ الأغـلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون) :

يابانى القصر الكبير ... بين الدساكر والقصور
ومجرد الجيش الذى ... ملأ البسيطة والصـدور
ومدوّخ الأرض التى ... أعيت عـلى مرّ الدهور
أما فرغت فلا تدع ... بنيان قبرك فى القبور
وانظر إليـه تراه كيـ ... ـف إليك معترضا يشـير
واذكر رقادك وسطه ... تحت الجنادل والصخور
قد بدّدت تلك الجيو ... ش وغيرت تلك الأمور
واعتضت من لين الحري ... ر خشونة الحجر الكبير
وتركت مرتهنا به ... لامال ويك ولاعشير
حيران تعلن بالأسى ... لهفان تدعو بالثبور
ودعيت باسمك بعدما ... قد كنت تدعى بالأمير

[فصل : فى سكرات الموت]

قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون

مالى إليك وسيلة ياسيدى إلا الذى شرفت به عدنان
المصطفى المختار أكرم شافع فى الخلق حين تسعر النيران
لم لا وآدم عمه لما استجا ر بجاهه من ربه الإحسان

وكذاك إدريس النبي بجاهه هى له فوق السماء مكان وكذاك نوح فى السفين دعابه
فنجا وعمم قومه الطوفان وغدت لإبراهيم روضا مزهرا لما حللت بصلبه النيران
وإلى الذبيح تقلت ياخير الورى ففداه من كأس الردى الرحمن وأبوك عبد الله من ذبح نجا
وأزيل عنه بجاهك الأحزان ياسيد الكونين ياعلم الهدى يامن به تتشرف الأكوان

صلى عليك الله جل جلاله ما اهتز فى روض الحمى الاغصان

المجلس الخامس

فى فضل شهر رمضان وصيامه

الحمد لله المتوحد بجلال البهاء ، المنفرد بدوام البقاء ، المتعالى عن الزوال والفناء ، المقدس عن الآباء والأبناء ، المتردى برداء العظمة والكبرياء ، العليم بجميع الأشياء ، الذى جل عن الابتداء والانتهاء ، السميع الذى لاتشتبه عليه الأصوات المختلفة فى الدعاء ، البصير الذى يبصر دبيب النمل على الرمل فى الليلة الظلماء ، العليم الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، الحليم الذى يسبل على من عصاه جميل الستر والغطاء ، المنعم على من اتقاه بجزيل النعم والعطاء ، الحكيم الذى رفع السماء بغير عمد فى جو الهواء ، وبسط بساط الأرض بحكمته على تيار الماء ، الذى تعالى عن الأضداد والأنداد والقرناء ، وجل عن الصاحبة والأولاد والشركاء ، المطلع الذى لايستتر عنه سر الضمير فى جميع الأوقات والآناء ، ولايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء :

جل ربّ أحاط بالأشياء واجد ماجد بغير خفاء جل عن مشبه له ونظير
وتعالى حقا عن القرناء عالم السر كاشف الضر يعفو عن قبيح الأفعال يوم الجزاء
ماعلى بابه حجاب ولكن هو من خلقه سميع الدعاء لذ به أيها الغفول وبادر
تحظ من فضله بنيل العطاء

فسبحان من قدّر الأزمان ، وفصل الفصول ، وأغرق فى بحر معرفته الأفكار والعقول ، وحير فى كنه ذاته الأفهام ، فما لها إلى معرفة صمديته وصول ، وخص شهر رمضان بالعفو والغفران والبشر والرضوان والسرور والقبول ، ووعد من صامه ببلوغ المقصود والمأمول ، فطوبى لمن تلقاه بالعمل الصالح ، وطهر فيه الجوارح من الشك والغلول ، فانتبه أيها الغافل من سنة الغفلة ، وبادر وفى الوقت مهلة قبل مسير القفول :

قد مضى العمر فبادر ياغفول واذكر الرب الذى ليس يزول وضع الخد على باب الرجا
وابك فى الليل بدمع كالسيول واجتهد فى صوم ذا الشهر عسى تلتقى فيه من الله القبول
واتبع خير سبيل واقتدى بالنبى المصطفى الهادى الرسول
فعليه الله صلى كلما سارت النوق إليه بالحمول

فسبحان من اختص أقواما بخدمته وشغلهم بمحبته ، فما لهم بغيره اشتغال ، صاموا عن الشهوات فمحا عنهم السيئات ، وبلغهم المقاصد والآمال ، أعانهم على الصيام فصاموا وأقامهم فى الظلام فقاموا إلى خدمته فى الليال الطوال ، سمعوا فى صحيح السنة أن الصوم جنة فحموا نفوسهم من قبيح الفعل والمقال.

أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) روى البخارى فى صحيحه أن عائشة رضى الله عنها قالت «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات ثم نصب يده فجعل يقول الرفيق الأعلى حتى قبض » وفى صحيحه «لما ثقل صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فجعلت فاطمة رضى الله عنها تقول: وا كرب أبتاه، فقال صلى الله عليه وسلم: لا كرب على أبيك بعد اليوم» ويروى « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض ، فقال إنى لأعلم مايلقى مافيه عرق إلا وهو يألم بالموت على حدته » ويروى عن

فياسعادة من قبلت منه فى شهره الأعمال ، وياشقاوة من فرّط فى صيامه بالإهمال ، ولم يحظ فى شهره بفطره على شىء من الحلال ، ولم يزل منكبا عن الطريق مكبا على مالايليق من قبيح الخلال ، اسمع يامن هذه صفاته وقد قربت وفاته وهو لاعب بطال [كان وكان] :

أيا من عمره طال ... إلى كم أنت بطال ... جميع الدهر تقال ... على ظهرك أثقال
تبارز بالمعاصى ... وعنا أنت قاصى ... وتدعو بالخلاص ... وما عندك إقبال
إلى الغيبة ترتاح ... وما عندك إصلاح ... وما يرضيك ياصاح ... سوى قيل وقال
تمد الطرف فى الصوم ... ولا تخشى من اللوم ... ليكتب منك فى اليوم ... وفى الليلة أفعال
فتب ذا الشهر كى تحظى ... وكمل صومه فرضا ... لعل الله أن يرضى ... ويصلح منك أحوال

فسبحان من افترض صوم شهر رمضان على أمة الإسلام وحباهم بالفضل والإحسان ، وخصهم فيه بالعتق من النيران فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) فجعله صحة للأبدان ، ومطهرة للقلب واللسان ، من الذنوب والعصيان ، وأنزل فيه على سيد البشر ترخيصا فى الصوم لمن أصابه مرض أوضرر (فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر) .

فسبحان اللطيف المنان ، الذى منّ على هذه الأمة بتمام إحسانه ، وجاد عليها بفضله الوافر وامتنانه ، وجعل شهرها مخصوصا بعفوه وغفرانه (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) :

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان ... والعتق والفوز بسكنى الجنان ... شهر شريف فيه نيل المنى
وهو طراز فوق كم الزمان ... طوبى لمن صامه واتقى ... مولاه فى الفعل ونطق اللسان
وياهنا من قام فى ليله ... ودمعه فى الخد يحكى الجمان
ذاك الذى قد خصه ربه ... بجنة الخلد وحور الحسان

أحمده على صنوف الإنعام والإحسان ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له شهادة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان . قال الله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) سمى الشهر شهرا لشهرته يقال شهر فلان سيفه : إذا أخرجه من غمده وأظهره ، وسمى رمضان لأنه يرمض الذنوب : أى يمحوها . وقوله تعالى (الذى أنزل فيه القرآن) يعنى أنزل فى فرض صومه القرآن ، وقيل أنزل فيه القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزة فى ليلة القدر من شهر رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما بحسب الوقائع قاله ابن عباس وابن شهاب رضى الله عنهما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » رواه البخارى ومسلم . وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، ونادى مناد : ياباغى الخير أقبل وياباغى الشر أقصر ، ولله تعالى عتقاء من النار فى كل ليلة من رمضان » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم جل جلاله

مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لوأن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى» وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يا كعب حدّثنا عن الموت فقال : نعم ياأمير المؤمنين هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وكان علىّ رضى الله تعالى عنه يحضّ على القتال فى سبيل الله ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ، وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم .

يقول كل حسنة يعملها ابن آدم تضاعف له من عشرة الى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلى ، والصوم جنة من النار ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ، فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أنا صائم» رواه الترمذى ، وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وقد جاء فى الصحيحين «إن الغيبة تفطر الصائم» وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» رواه البخارى ومسلم :

وقد صمت عن اللذات دهرى كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

[إخوانى] هذا شهر رمضان شهر الصفاء والمعاملة والوفاء ؛ فطوبى لأقوام صاموا عن الشهوات ، وقاموا فى الخلوات يتلون من آيات ذكره صحفا ، ضاعف لهم بصيامهم أجورا ووعدهم فى الجنة قصورا وغرفا ، وقبل اليسير من أعمالهم وتجاوز عن قبيح أفعالهم وعفا ، ياخيبة الغافلين قد حرموا الوصال وخصوا بالقطيعة والجفا :

يانا قضين العهد كم هذا الجفا ... توبوا فقد وافاكموشهر الصفا شهر الرضا والعفو عن زلاتكم
والله فيه عن الجرائم قد عفا ... شهر على الأيام فضل قدره وعلا على كل الشهور مشرفا
فاحيوا لياليه المنيرة كلها ... واجروا لفرقته الدموع تأسفا
فعسى الإله يجود فيه بفضله ... فهو الذى يهب الذنوب تلطفا

[وعن ابن عباس رضى الله عنهما] قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة» أخرجه البخارى ، وعن أبى هريرة قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر الصحابة ويقول قد جاءكم شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه وسن لكم قيامه ، إذا جاء شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، وتقل فيه الشياطين ، وفيه ليلة خير من ألف شهر » .

[إخوانى] هذه بشارة للمؤمنين فى الجنات على الصبر عن الشهوات بالصيام والصبر على الطاعات ، فمن صبر نال أجرا ومن شكر وجد بعد العسر يسرا ، ومن تصدق نال فضلا وبرا ومن أحسن إلى العباد أعد للمعاد ذخرا ، ومن أخلص لله فى صيامه وقيامه كفر عنه ذنبا ووزرا ، ومن ذكره فى نفسه جدد له بين ملائكة قدسه ذكرا ؛ ومن لزم التقوى نال الفوز والبشرى ، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) :

أيامعشر الصوّام وافتكم البشرى ... وقد نشر البارى بمدحكمو ذكرا
خصصتم بشهر فيه عتق ورحمة ... وقد أجزل الرحمن للصائم الأجرا
مساجده مأنوسة بتلاوة ... وذكر وكانت قبله تشتكى الهجرا ولله فى العشر الأواخر ليلة
لقد عظمت قدرا كما ملئت خيرا ... فطوبى لقوم أدركوها وشاهدوا تنزل أملاك السما آية كبرى
وفازوا بغفران الإله فأصبحوا ... يشم عليه من شذا عرفها عطرا

ياهذا اغتنم زمان الأرباح فأيام المواسم معدودة ، استدرك مابقى من ليالى الصوم فساعاته مشهودة ، جد فى طلب الغنائم فأعمال الصائم منقودة ، وقد قيل « إن الصائم نومه عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » وكيف لا يكون ذلك كذلك ، وقد منع نفسه الشهوات وترك اللذات ، فآثر نصيب مولاه على نصيبه من الملاذ والشهوات ، وأطاع أمر معبوده وتلذذ بركوعه

ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له : كيف وجدت الموت؟ قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوّنا عليك . وعن موسى صلوات الله عليه أنه لما صار روحه إلى الله عز وجل قال له : ياموسى كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسى كشاة حية بيد القصاب تسلخ . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن جابر رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فانهم كانت فيهم أعاجيب ، ثم أنشأ يحدث قال : خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال ففعلوا ؛ فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه أثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم إلىّ ؟ فوالله لقد متّ منذ مائة

وسجوده كما قيل: « إن العبد إذا نام فى سجوده يباهى الله عز وجل به الملائكة فيقول سبحانه: يامﻻئكتى انظروا الى عبدى روحه عندى وجسده بين يدىّ أشهدكم أنى قد غفرت له » . ما أحسن سجود الساجدين ، وما أعز أنفاس الصائمين ، وما أنفع مناجاة القائمين ، وما أربح بضائع العابدين ، وما أطيب منادمة المحبين ، وما أنفع جوع أكباد الصائمين ، كما قيل « إن العبد إذا كان نائما وهو جيعان هرب منه الشيطان » فكيف إذا كان مستيقظا ؟ فإذا كان مستيقظا وهو شبعان جرى منه الشيطان مجرى الدم ، فكيف إذا كان نائما ، فانظر ياهذا بركة الجوع ونفعه على الإنسان كيف يفرّ منه الشيطان .

[حكى] أن بعض الصالحين كان يمشى إلى المسجد فرأى رجلا يصلى فى المسجد ورجلا نائما على باب المسجد والشيطان قائم يتحير ويلتهب ، فقال له الرجل الصالح: مالى أراك حائرا ؟ فقال : فى هذا المسجد رجل قائم يصلى كلما هممت أن أدخل إليه أغويه وأشغله عن صلاته تمنعنى أنفاس هذا النائم الذى على باب المسجد . فلله درّ أنفاس الصائمين كيف تحرس القلوب والأجساد من كيد الشيطان فلا يصل إليها ولا يقدم عليها ، فسبحان من وفق الأحباب للهداية والصواب :

أنت وفقت من إليك أنابا ... أنت أصلحت من أصاب الصوابا ... أنت حببت ماتحب إليهم
ثم أعطيتهم عليه ثوابا ... أنت عرفتهم كنوز المعالى ... فغدوا يبحثون عنها طلابا

[وقيل] إن الله عز وجل خص شهر رمضان بخصائص كثيرة: منها أن جعله شهرا عظيما مباركا وفيه ليلة خير من ألف شهر . جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن. من فطر فيه صائما كان كمن أعتق رقبة ، ومن أشبع فيه صائما وسقاه شربة ماء سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم شربة لايظمأ بعدها أبدا ويعطى الله عز وجل هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتان لاغنى لكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه فى جميع الأحيان ، أما الخصلتان اللتان لاغنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتتعوذون به من النار .

[إخوانى] آه على من كانت النار مثواه . آه على من عصى مولاه . آه على من باع آخرته بدنياه . آه على من كان التعذيب عقباه . آه على من استهواه غيه فاستعبده هواه . آه على المطرود فى هذا الشهر ثم أوّاه :

آه على المذنبين أوّاه ... آه على من جفاه مولاه ... آه على من عصا بغفلته
جهرا وماتاب من خطاياه ... آه على المذنب الحزين إذا ... لم يخف الله ثم يخشاه
آه على من يفوته أسفا ... فى مثل هذا الشهر عفو مولاه
* آه من يبيع مغتبنا ... بدار دنياه دار أخراه

[كان وكان] :

سبحان من تصدّق عليكم بصيامكم ... وخصكم بالعطايا ياأمة المختار
تأتون يوم القيامة وصومكم من فوقكم ... حيث اتجهتم توجه وحيث سرتم سار
محمول فوق الغمائم على يد الملائكه ... شعاعه يتلألأ من كثرة الأنوار

سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت » وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول: لوددت لو أنى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت ، فلما أنزل به الموت قيل له ياأبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت يخبرنى عن الموت ، وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه ؟ فقال : أجد كأنّ السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأنّ نفسى تخرج على ثقب إبرة . ويروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ قال أتطيق ذلك ؟ قال بلى ، فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على إبراهيم

وتقدمون الموقف تجلوا على كل الأمم مثل الشموس وفيكم من يشبه الأقمار
وقد صفا الوقت لما نادا كمو مولاكم قوموا تعالوا تملوا بالوصل يازوار
هذا جمالى تبدى والحجب عنكم رفعت ونورنا قد تجلى وزالت الأكدار

[إخوانى] أين من صام عن الحرام وأفطر على الحلال ؟ أين من منع لسانه من الغيبة والنميمة وكفه عن القيل والقال ؟ أين من غض بصره عن الشهوات واتبع حسن الحلال ؟ أين من أخلص صيامه وقيامه لمولاه ذى الجلال ؟ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول: إذا دخل أول ليلة من شهر رمضان: مرحبا بشهر كله صيام نهاره وقيام ليله ، النفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله تعالى. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون بريح صيامهم يخرج من أفواههم أطيب من ريح المسك تنقل إليهم الموائد والأباريق مختومة أفواهها بالمسك فيقال لهم: كلوا فقد جعتم حين شبع الناس ، واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس ، واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس . قال فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس مشغولون فى الحساب فى عناء وظمأ .

[إخوانى] هذه بشارة للصوام فى شهر رمضان ، إذا حموا نفوسهم من الزلل والعصيان ، وأخلصوا صيامهم للواحد المنان ، فكيف حال المفرّط الذى يصوم ويأكل لحوم الإخوان ، ويصلى وجسمه فى مكان وقلبه فى مكان ، ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان وفلان ؟ فيامن أصبح إلى مايضره متقدما ، وأمسى بناء أمله بكف أجله متهدما ، ستعلم من يأتى غدا متندما ، ويبكى على تفريطه فى شهره بدل الدموع دما . أتراك أيها الصائم أعددت عدة حازم لقبرك ؟ أم حصلت عملا ينجيك فى حشرك ؟ أم حفظت حدود صومك فى شهرك ؟ أم هتكت حرمة الحمى ؟ كم من صوم فسد فلم يسقط به الفرض ؟ وكم من صائم يفضحه الحساب يوم العرض ؟ وكم من عاص فى هذا الشهر تستغيث منه الأرض؟ وتشكو من أعماله السماء . فياليت شعرى من المقبول ومن المطرود ؟ ومن المقرّب ومن المبعد المذود ؟ ومن الشقى ومن المسعود، لقد عاد الأمر مبهما ، تالله لقد سعد فى هذا الشهر بحراسة أيامه ، من كف جوارحه عن كسب آثامه ، ولقد خاب من لم ينله من صيامه إلا الجوع والظمأ :

شهر الصيام لقد علوت مكرّما وغدوت من بين الشهور معظما
ياصائمى رمضان هذا شهركم فيه أباحكم المهيمن مغنما
يافوز من فيه أطاع إلهه متقرّبا متجنبا ماحرما
فالويل كل الويل للعاصى الذى فى شهره أكل الحرام وأجرما

فلله درّ أقوام وفقهم مولاهم للصيام فصاموا ، وأعانهم على القيام فقاموا ليلا ، طويلا أظمئوا لأجله الأكباد ، فأراحهم من جميع الأنكاد ، وكان لهم ببلوغ المراد كفيلا ، شغلهم به عمن سواه ، والسعيد من بات بخدمته مشغولا ، ولذذهم بطيب المناجاة فنالوا فضلا جزيلا . يامن يحزنون لمفارقة شهر الصيام . ويتأسفون على انقضاء ليالى التهجد والقيام ؛ لأنه موسم يلقون فيه رحمة وقبولا :

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا وشفيت من كل القلوب عليلا شهر الأمانة والصيانة والتقى
والفوز فيه لمن أراد قبولا فيه الجنان تفتحت لقدومه والحور فيه تزينت تحفيلا
طوبى لعبد صح فيه صيامه ودعا المهيمن بكرة وأصيلا وبليله قد قام يختم ورده
☆ متبتلا لإلهه تبتيلا شهر يفوق على الشهور بليلة من ألف شهر فضلت تفضيلا
فاجهد عساك تنالها فيما بقى بالجد واحذر أن تكون غفولا

ثم أفاق ، وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى . فقال: ياملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكان ذلك حسبه . وروى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه عمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكراته وشدته درجته فى الجنة ، وإن الكافر إذا كان عمله معروفا فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار . وروى البخارى أن عمر رضى الله عنه قال: لو أن لى تلاع الأرض ذهبا لافتديت به من قبل أن أراه! وقيل: لم يلق ابن آدم أشد من الموت ومابعده أشد منه . وفى الوسيط للواحدى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم

[إخوانى] كيف لايرغب فى صيام شهر رمضان وقيامه ؟ كيف لايتأسف على شهر تكفر فيه جميع ذنوب العبد وآثامه ؟ كيف لايبكى على شهر يفوت فيه ربح العامل وفرصة اغتنامه ؟ فقد قيل « إن لله تعالى موضعا حول العرش يسمى حظيرة القدس ؛ وهو من النور وفيه ملائكة لايعلم عددهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل عبادة لايفترون ساعة فإذا كان ليالى رمضان استأذنوا ربهم عز وجل أن ينزلوا إلى الأرض ويحضروا مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح فكل من مسهم أومسوه سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا» فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: نحن أحق بهذا الفضل والأجر فجمع الناس على صلاة التراويح فى شهر رمضان :

فطوبى لمن أرضى الإله مسارعا ... إلى سبل تهديه للرحلة الأخرى
وقام وصلى فى الدياجى ودمعه ... على خده يجرى بمقلته العبرا
وأخلص لله العظيم قيامه ... وعاهده سرا وراقبه جهرا
وصافحه حقا ملائكة السما ... فنال بهذا فى الورى العز والفخرا
وأحيا ليالى شهره بقيامه ... إلى ربه فى الليل وامتثل الأمرا
فذاك بحمد الله فى طيب عيشة ... يفوز بها صوما ويحظى بها فطرا

وقال محمد بن أبى الفرج: احتجت فى شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام فوجدت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهى مصفرة اللون نحيفة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها لى المنزل ، فقلت لها خذى أوعية وامضى معى إلى السوق لنشترى حوائج رمضان ، فقالت ياسيدى أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت أنها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان . فلما كانت آخر ليلة قلت لها امضى بنا إلى السوق لنشترى حوائج العيد؟ فقالت يامولاى: أى حوائج العيد ؟ حوائج العوام أم حوائج الخواص؟ فقلت لها: صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص ! فقالت ياسيدى: حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد ، وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعات للملك المجيد والتزام ذل العبيد . فقلت لها : إنما أريد حوائج الطعام . فقالت ياسيدى: أى الطعام تعنى؟ طعام الأجساد أم طعام القلوب ؟ فقلت صفيهما لى فقالت: أماطعام الأجساد فهو القوت المعتاد ، وأماطعام القلوب فترك الذنوب وإصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المقصود والمطلوب ، وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع إلى المولى والتوكل عليه فى السرّ والنجوى . ثم إنها قامت تصلى فقرأت فى الركعة الأولى سورة البقرة إلى آخرها ثم شرعت فى سورة آل عمران ، ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله تعالى (يتجرعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) ثم لم تزل تردد هذه الآية وهى تبكى إلى أن أغمى عليها ووقعت إلى الأرض فحركتها فإذا هى ميتة رحمة الله عليها . فلله درّهم من أقوام غسلوا وجوههم بدموع الأحزان ، وأسهروا عيونهم فى الليل بالذكر وتلاوة القرآن ، ونصبوا أقدامهم فى خدمة الملك الديان ، واجتهدوا فى العمل وبادروا الزمان فكل زمانهم رمضان :

طوبى لهم فازوا بذكر حبيبهم ... وتمتعوا بدنوّه ووصاله فهواهمو لاينقضى وغرامهم
وكذا محبة كل صب واله ... ذلوا لعز حبيبهم واستهونوا ما كابدوا فى الحب من أهواله
وبه قد اشتغلوا ويابشرى لمن ... قد أصبح المحبوب من أشغاله

خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد ؟ أنا الخبر ليس بعدى خبر ، وأنا الرسول ليس بعدى رسول، أجب ربك طائعا أومكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال : على من تصرخون ؟ وعلى من تبكون ؟ فوالله ماظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكى على نفسه فإن لى فيكم عودات وعودات حتى لاأبقى منكم أحدا .

وعن أنس بن مالك قال: لقى جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال: ياملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ههنا عشرة آلاف وههنا كذا وكذا ؟ فقال له ملك الموت: تزوى لى الأرض حتى كأنهم بين فخذى فألتقطهم بيدى .

اعلم أنا لو انتظرنا ضربة شرطى لتكدر عيشنا ، وفى كل نفس يمكن مجىء الموت بشدائده وهو أمر من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ، ويود

[إخوانى] ما أحسن من خلع عليه مولاه خلع القبول . وما أنعم بال من بلغه غاية المقصود والمسئول ، وما أشقى من رد عليه صيامه وأحصى عليه قبيحه وآثامه . ومضت فى البطالة شهوره وأعوامه وآثر شهوة نفسه على خدمة ربه إلى أن ذهبت ساعاته وأيامه . قيل : مكث بشر الحافى خمسين سنة يشتهى هريسة ففتح عليه فى بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشتريها به فسمع الهراس ينادى : ماذا خبىء للصوام فرجع باكيا ولم يشتر شيئا ، فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى السوق ثانيا ليشتريها وإذا بالهراس ينادى بقى القليل . فبكى ورجع وعاهد الله تعالى أن لايذوقها:

لله در السادة الزهاد ... فى كل بر مقفر أو نادى ... هجروا المراقد فى الظلام لربهم
واستبدلوا سهرا بطيب رقاد ... كتموا الضنى حفظا لهم وتحملوا ... فأتت عليهم حرقة الأكباد
ألوانهم - تنبيك عن أحوالهم ... ودموعهم منهلة كغواد ... لايفترون إذا الدجى وافاهمو
من كثرة الأذكار والأوراد ... نظروا إلى الدنيا تقرب أهلها ... لوصالها وتكرّ بالإبعاد
فترحلوا عنها وجدّوا فى التقى ... وتزودوا من صالح الأزواد ... ومشوا على سنن النبى المصطفى
خير الأنام الهاشمى الهادى ... بالله كرر ذكره وحديثه ... وأجده بالتلحين لى ياحادى
ردّد بعيشك لى حديث محمد ... فلذاذة الإسماع فى الترداد ... لولاه ماهجر الأنام ديارهم
كلا ولاصبروا عن الأولاد ... فمتى أزور جنابه وضريحه ... وأبث ماعندى له وأنادى
ياسيد الكونين يامن حبه ... حقا أقام بمهجتى وفؤادى ... ياربنا فبحقه وبجاهه
وبآله الأنجاد والأمجاد ... اغفر لنا كل الذنوب تفضلا ... ياخير مدعوّ وخير جواد

يارب صلّ على النبى محمد ... ماسار مشتاق بليل هادى

إلهى وقف السائلون ببابك ، ولاذ الفقراء بجنابك ، ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمتك . إلهى إن كنت لاتكرم فى هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك فى صيامه ، فمن للمذنب المقصر إذا غرق فى بحر ذنوبه وآثامه . إلهى إن كنت لاترحم إلا الطائعين فمن للعاصين ، وإن كنت لاتقبل إلا العاملين فمن للمقصرين . إلهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون ، فارحمنا برحمتك وجد علينا بفضلك ومنتك واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السادس

فى وداع شهر رمضان جعلنا الله وإياكم ممن تقبل فيه عمله وغفر له خطاياه وزلله

الحمد لله الذى عزت معرفته فلايدرك بالمعقول خافيها ، وجلت صفته فلا يتكدر بالمنقول صفو صافيها ، وتمت كلمته فلايردّ حكم قاضيها ، وعلت سلطنته فجل تعاليها ، ودامت أزليته فمن ذا يضاهيها ؛ توحده الكائنات ونواحيها ، والسموات ودراريها . قدر الأعوام والشهور والأيام ولياليها ، وجعل واسطة عقد الأيام أياما اختارها باريها ، وفضل شهر رمضان وجعله معظما فيها ، وأنزل فيه السور ومثانيها ، وفتح فيه باب العزة وأنزل منه آيات جلت عن كلام يحاكيها . فقال تعالى فى محكم الآيات ومبانيها (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) تفضيلا لهذه الأمة إذ لاأمة تباهيها . هل كان لغيرها من الأمم فخر «الصوم لى وأنا أجزى به» والجزاء تمتع الأبصار بنور باريها . هل قيل لغيرها بالإعلان «للصائم فرحتان» وأسمع ذلك قاصيها ودانيها . هل بشر سواها بليلة القدر التى تنزل الملائكة والروح فيها ؟ هل أعطى غيرها فضل هذه الأيام من شهر رمضان ولياليها ؟ ففى أول ليلة منه تفتح أبواب

لوقدر على صياح وأنين ، ويجذب روحه من كل عضو وعرق فتبرد قدماه ثم فخذاه ، وهكذا حتى يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره إلى دنياه ويغلق عنه باب توبته . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقبل توبة عبده مالم يغرغر» :

أيا فرقة الأحباب لابد لى منك
ويادار دنيا إننى راحل عنك
ويانصر الأيام مالى وللهنى
ويا سكرات الموت مالى وللضحك
فمالى لا أبكى لنفسى بعبرة
إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى
ألا أىّ حى ليس بالموت موقنا
وأى يقين أشبه اليوم بالشك

﴿ فصل : فى عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين ﴾ قال الله سبحانه وتعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وفى كتاب الترمذى : كان

الجنان وتقبل الحور والولدان من سائر نواحيها ، ويقولون لرضوان : يا أمين الرحمن مابال الجنان قد أشرفت مغانيها ؟ فيقول لهم : هذه أول ليلة من شهر رمضان الذى تبلغ النفس فيه أمانيها . ثم تغلق أبواب النيران وتصفد مردة الجان وتمنع من تصرفها وتدانيها . وتكتب أسماء العتقى وتأتى الملائكة بالبشارة لهذه الأمة وتهنيها . وفى كل ليلة منه يسلم رب العزة على نفوس الصوام ويحييها . فإذا كانت ليلة القدر ينزل جبريل عليه السلام ويقول للملائكة : بشروا الصائمين فقد أنالهم مولاهم خيرات لاتستطيع الأنفس تحصيها ، وتفتح فى تلك الليلة أبواب السموات وتنزل الملائكة من أول الليلة وتقوم تلك الليلة فى الأرض وتحييها ، وتصافح الصوّام الذين عكفوا على القيام تحت دياجيها وتعلن تسبيحا وتنزيها لباريها :

هذى ليالى تجلى سره فيها ... على نفوس رأت أنوار ساقيها
شهر الصيام صفت للقوم حضرته ... دارت كؤوس التدانى والرضا فيها
ياحبذا شهر فضل عرف خلوته ... يفوح مسكا فلا طيب يضاهيها
وفيه أوقات قرب نوّر جلوتها ... قد نوّر العرش والدنيا وما فيها
ياغافلا ولياليالى الصوم قد ذهبت ... زادت خطاياك قف بالباب وابكيها
واغنم بقية هذا الشهر تحظ فما ... غرسته من ثمار الخير تجنيها
وتب لعلك تحظى بالقبول عسى ... أن تبلغ النفس بالتقوى أمانيها
وقل إلهى أنا العبد الذليل وقد ... أتيت أرجو أجورا فاز راجيها
فلا تكلنى إلى علمى ولا عملى ... واغفر ذنوبى فانى غارق فيها

[وروى أبو أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » .

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ... ويوم لقاكم كان فطر صيامى

[وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » فيامن يبارز بالعصيان ولم يستحى من رقيبه . وقد دنا فراق شهر رمضان وما فاز بمصالحة حبيبه . وقد هب نسيم القبول ومانشق عرف طيبه . أما سمعت قول الملك المنان فى فضل شهر رمضان وترغيبه « الصوم لى وأنا أجزى به » :

من كان يشكو عظم داء ذنوبه ... فليأت فى رمضان باب طبيبه ويفوز من عرف الصيام بطيبه
أوليس قال الله فى ترغيبه ... الصوم لى وأنا الذى أجزى به
ياصائمى رمضان فوزوا بالمنى ... وتحققوا نيل السعادة والغنى وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا
أو ليس هذا القول قول إلهنا ... الصوم لى وأنا الذى أجزى به
من صام نال الفوز من رب العلا ... وبوجهه أضحى عليه مقبلا يامن يروم توسلا وتوصلا
صم رغبة فى قول رب قد علا ... الصوم لى وأنا الذى أجزى به
يافوز من للصوم قام بحقه ... وأتى بحسن القول فيه وصدقه ومن الجحيم نجا وفاز بعتقه
فالله قال عن الصيام لخلقه ... الصوم لى وأنا الذى أجزى به

[وقيل] إن العبد إذا مات ونزل به عذاب القبر جاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، وإذا احتوشته الشياطين جاءه ذكر الله تعالى فخلصه من أيديهم ؛ وإذا احتوشته ملائكة الغضب جاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ؛ وإذا تلهب عطشا فى القيامة جاءه صوم شهر رمضان فسقاه .

عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له تذكر الجنة والنار ولاتبكى وتبكى من هذا ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مارأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه » وفى كتاب أبى داود والنسائى عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان له مادينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا

[إخوانى] انظروا إلى بركات شهر رمضان ونفعه لكم فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فيحميكم من الشهوات الموجبة للنار والعذاب . وأما فى الآخرة فتفوزون بالعفو والرضا من الملك الوهاب :

ما أحسن العفو من القادر والصفح عن مندمة الغادر
بالله يامن تاب ثم اثنى لاتفسد الأول بالآخر

[وروى عن أبى سليمان الدارانى رحمة الله عليه] أنه صام يوما فى الحر ثم نام فرأى قائلا يقول له : أتبيع ثواب صومك فى هذا اليوم بمائة ألف دينار ؟ فقال لا وعزة ربى . قيل فبأىّ شىء تبيعه ؟ فقال : لاأبيع الثواب بالدنيا ومافيها ولكن أبيعه بالنظر إلى المولى ، فقيل له : صم فسوف تراه إن شاء الله تعالى :

إذا اجتمع الأحباب فى خلوة الرضا بمقعد صدق والنسائم عاطره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم إلى ذلك الوجه المقدس ناظره
فيانفس هذا مشرب القوم فاشربى عسى أن تكونى عند ذلك حاضره

يقول الله تعالى فى كتبه المنزلة : ياعبدى تأهب للقائى فعن قريب ألقاك ، وأقبل على خدمتى فانى أنا مولاك ، بأىّ عين يرانى من بارزنى وعصانى ؟ بأىّ وجه يلقانى من نسى عظمة شانى ؟ لقد خاب من حجبته عنى إذا قربت الصادقين منى ، وشقى من طردته عن جنابى إذا كشفت حجابى فتجليت للمتقين من أحبابى . ياعبدى قف على بابى فأنا الكريم ، ولذ بجنابى فصراطى مستقيم :

بادر إلى الأعمال ما دمت بذى الدنيا مقيم يامن يحدّث نفسه بدخول جنات النعيم
إن كنت متقيا فأنت على صراط مستقيم لاترجونّ سلامة من غير ماقلب سليم
فاسلك طريق المتقين وظن خيرا بالكريم واذكر وقوفك خائفا والناس فى أمر عظيم
إما إلى دار الشقاوة أو إلى العز المقيم فاغنم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم

[إخوانى] هذا شهر رمضان قد عزم على الانصراف والانصرام ، ونوى النقلة عنكم والرحيل بعد المقام ، وهو شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، طالما عمرت به القلوب ودرست به معالم الذنوب والآثام . وقد كان لكم نعم الضيف . فهل أضعتم حقه أوقمتم بمايجب له من الإكرام ؟ فلعل المسوّف فيه بالتوبة لايدركه بعد هذا العام والمغتر بالإهمال لاتهمله المنون إلى استكمال التمام ، فيندم حين لاينفعه الندم ويتأسف على التفريط إذا زلت به فى القيامة القدم :

فاستدركوا فائت ماقد مضى فانما الدنيا كمثل المنام
وحصلوا التوبة فى شهركم فقد دنا ترحال شهر الصيام

فالسعيد من بادر هذه البقية بالاغتنام ، والشقى من جعل هذه البقية بغفلته كالإعدام . وكيف لايدرك الخير من قام فى ليلة القدر التى هى سلام ؟ فكانت أمامه ومافاتت صلات الصلاة من جعل التقوى إمام . أما هذه ليالى القبول فلم يغتر المفرط فيها بالأحلام ؟ أماهذه ليالى القدر وليالى القبول فإلى متى أنت مشغول فيها بطيب المنام ؟ . [كان وكان] :

انهض وداوى سقامك هذى ليالى المغفره وامح قبيح آثامك فى سالف الأعوام
لو كنت تعرف قدرك وأنت من أهل الوفا مانمت ليلة قدرك وفاتك الإنعام
ثم الصلاة جهارا على النبى المصطفى الهاشمى التهامى الصائم القوّام

قال بعض الصالحين رحمة الله عليهم : حضرت مجلس منصور بن عمار الواعظ رحمة الله عليه فى آخر جمعة من شهر رمضان فذكر فضل صيامه وأجر قيامه وما أعدّ الله فيه لمن أخلص الأعمال بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيه مدّ بصره . وأما الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول هاه هاه لاأدرى . فيقولان مادينك ؟ فيقول هاه هاه لاأدرى . فيقولان ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لاأدرى . فينادى مناد من السماء : أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار قال : وافتحوا له بابا إلى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها . قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير

وتجنب الإهمال فكأنه يقدح زند وعظه على صم الأحجار لا والله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) فما تحرك فى مجلسه باك ولاشكا عظم ذنبه شاك . فلما رأى جمود مجلسه قال : ياقوم ألاباك على ماظهر من عيوبه ؟ ألاراغب إلى الله تعالى فى غفران ذنوبه ! أما هذا شهر التوبة والغفران ! أما هذا معدن العفو والرضوان ! أما فيه تفتح أبواب الجنان ! أما فيه تغلق أبواب النيران ! أما فيه يصفد كل مارد وشيطان ! أمافيه تفرق خلع الإحسان ! أما فيه يتجلى الملك الديان ! أمافيه يعتق كل ليلة عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار ؟ فمالكم عن ثوابه ضالون وفى ثياب المخالفة رافلون ! (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون) فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون :

إذا وجد الإنسان للخير فرصة ... ولم يغتنمها فهو لاشك عاجز
وهل مثل هذا الشهر للعفو موسم ... ولكن فأين العامل المتناهز

قال فهاج المجلس بالبكاء والنحيب . وقام إليه شاب وهو باك على ذنوبه حزين كئيب وقال : ياسيدى أتراه يقبل صيامى أو يكتب مع القائمين قيامى بعد أن جرى منى ما كان من الذنوب والعصيان فقد انقضى عمرى فى كسب المعاصى وغفلت بشقوتى عن يوم الأخذ بالنواصى ؟ فقال له الشيخ : ياولدى تب إليه فقد قال فى محكم الكتاب (وإنى لغفار لمن تاب) ثم أمر الشيخ القارئ فقرأ (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) فصرخ الشاب وقال : واطرباه واشوقاه إلى من لم يزل إحسانه واصلا إلىّ وذيل حلمه مسبلا علىّ وأنا مع ذلك أزيد فى العصيان ولاأرجع عن طريق الغىّ والخذلان ! وهل يكون مثل هذا الوقت وقد صفا ؟ والحبيب قد تجاوز وعفا ! ثم صرخ ووقع ميتا رحمة الله عليه :

روح دعاها للوصال حبيبها ... فسعت إليه تطيعه وتجيبه
يامدعى صدق المحبة هكذا ... فعل الحبيب إذا دعاه حبيبه

[كان وكان]

يامن تقضى عمره دع ... عنك نومك والكسل ... واعلم بأن أعمالك ... تعرض على الديان
كم ذا تبهرج بفعلك ... وليس يخفى بهرجك ... غدا تبان الفضائح ... وينصب الميزان
إن كنت تطلب توبة ... انهض فهذا وقتها ... فبعد خمس ليال ... يقال فرغ رمضان
يرحل وما أودعته ... إلا زخاريف العمل ... واحسرتاه حين يشهد ... عليك بالخسران
تصم نهارك ولما ... تفطر تحصل فايتك ... تشبع وتنسى الجائع ... هذا هو الخذلان
تحضر صلاة التراويح ... بالجسم حاضر إنما ... القلب غائب يسعى ... فى كان فلان وفلان
تقطع صيامك غيبة ... والصوم قبوله من عجب ... تأكل لحوم العالم ... وترتجى الإحسان
من ليس يحفظ لسانه ... ولا الجوارح عن زلل ... ماله من الصوم إلا ... يقضى النهار جيعان
نصحت جهدى ولكن ... النصح يصعب على الشقى ... بنصح حالك والله ... عمرى مضى مجان
بالله عليك قم وودع ... شهر الصيام قبل السفر ... ولا تخله يرحل ... وهو عليك غضبان
بيض سواد الصحيفه ... فالموت أدنى من نفس ... وخف إلهك تحظى ... منه غدا بأمان

[إخوانى] كيف لايبكى على فراق شهر رمضان ؟ كيف لايتأسف على شهر العفو والغفران ؟ كيف لايحزن على شهر العتق من النيران ؟ :

وقد قيل : إن الجنة لتتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فيصفق ورق الجنة وحلق المصارع فيسمع لذلك طنين

رابا، ثم يعاد فيه الروح» وفى كتاب الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة فرأى ناسا كأنهم يكثرون ، قال : أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود . فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا . أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىّ فإذ وليتك وصرت إلىّ فسترى صنعى بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة . واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا ، أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىّ . فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنعى بك . قال فيلتئم عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه » .

لم يسمع السامعون أحسن منه وتتزين منه الحور العين ويقمن بين شرافات الجنة فينادين: هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه الله عز وجل ثم يقلن: يارضوان ماهذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية. ثم يقول ياخيرات حسان: هذه أول ليلة من شهر رمضان ويقول الله عز وجل: يارضوان افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ياجبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال ثم اقذف بهم فى لجج البحار حتى لايفسدوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم صومهم. ويقول الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ هل من داع فأستجيب له. ولله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فإذا كان فى اليوم الأخير من شهر رمضان أعتق الله فى ذلك اليوم بعدد ماأعتق من أول الشهر إلى آخره.

إخوانى: ارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب، وودعوا شهر رمضان فقد عزم على الذهاب، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الباب. فهذا شهر رمضان قد أزف رحيله، وحان تحويله، ولم يبق إلا كضيف طارق، أوحبيب عما قليل مفارق. فأكثروا فيه من العمل الصالح وزودوه وشيعوه بالبكاء والأسف وودعوه. فلله در أقوام صاموا عن الشهوات وقاموا فى كل الخلوات. يرتاون القرآن ترتيلا، فلو رأيتهم وقت السحر هذا يبكى ويعدد، وهذا يقرأ ويردد، وهذا يترنم بالقرآن فيطرب أسماعا ويسبى عقولا، وهذا قد تردى بأكفانه، وهذا قد التحف بأحزانه، وهذا يبكى فيمطر من أجفانه سيولا:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا ... ونويت من بعد المقام رحيلا ... وأقمت فينا ناصحا ومؤدبا
وشفيت منا بالفؤاد غليلا ... نبكيك ياشهر الصيام بأدمع ... تجرى فتحكى فى الخدود سيولا
أسفا على الأنس الذى عودتنا ... وصنيع فعل لايزال جميلا ... شهر الأمانة والصيانة والتقى
والفوز فيه لمن أراد قبولا ... تبكى المساجد حسرة وتأسفا ... إذ عطلت من أنسه تعطيلا
فيه الجنان تفتحت لقدومه ... وتزينت ولدانها تحفيلا ... وتفيأت أشجارها بظلالها
وقطوفها قد ذللت تذليلا ... والحور للصوام يشتقن اللقا ... والوصل والتقريب والتعجيلا
والنار يغلق بابها من أجله ... إذ زاده رب العلا تبجيلا ... والمارد الشيطان فيه قد غدا
عن صائميه مصفدا مغلولا ... طوبى لمن قد صح فيه صيامه ... ودعا المهيمن بكرة وأصيلا
وبليله قد قام يختم ورده ... متبتلا لإلهه تبتيلا ... يرتاح فيه إلى الخطاب وقد غدا
يتلو الكتاب مرتلا ترتيلا ... يبكى لفرقة شهره أسفا على ... تقصيره إذ لم ينل تحصيلا
شهر يفوق على الشهور بليلة ... عن ألف شهر فضلت تفضيلا ... هى ليلة مستغنم أوقاتها
وتنزلت أملاكها تنزيلا ... يافوز عبد قد رآها مرة ... فى عمره إذ أدرك المأمولا
من قامها يغفر له ماقد مضى ... من ذنبه وينال فيها السولا ... فاجهد عساك تنالها فيما بقى
بالجد واحذر أن تكون غفولا ... واسأل إلهك بره ونواله ... يعطيك فضلا من لدنه جزيلا
ثم اقتدى بالهاشمى المصطفى ... أزكى الورى فى العالمين أصولا ... المجتبى المختار أفضل من غدا
فى المذنبين مشفعا مقبولا ... صلى عليه الله جل جلاله ... مادام نجم فى السماء أفولا

[إخوانى] مضى شهر رمضان وكأنه ما كان، وشهد على المسىء بالإساءة وعلى المحسن بالإحسان. وحصل كل على ماقسم له من ربح وخسران. فياحسرة المفرط لقد أضاع الزمان. وياخيبة المسوّف كأنه أخذ من الموت الأمان. أعلم أن القضاء يمهله إلى رمضان ثان. هذا شهركم قد انتصب لكم مودعا

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض. قال: ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ماأنبتت شيئا مابقيت الدنيا فينهشه ويخدشه حتى يفضى به إلى الحساب» قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «القبر روضة من رياض الجنة، أوحفرة من حفر النار» ويروى أن رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته فقال له عمر: يا ابن أخى ومايعجبك منى ؟ فكيف لو رأيتنى بعد دخول قبرى بثلاث، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن فعلا على الصدر، وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئا أعجب مما رأيته الآن.

وسار مسرعا فأين البكاء لرحيله ؟ وأين الاستدراك لقليله ؟ وأين الاقتداء بفاعل الخير ودليله ؟ فلله ما كان أطيب زمانه فى صوم وسهر . وما كان أصفى أوقاته من آفات الكدر . وما كان ألذ الاشتغال فيه بالآيات والسور . فياليت شعرى من قام بواجباته وسننه . ومن اجتهد فى عمارة زمنه . ومن الذى أخلص فى سره وعلنه . ومن الذى تخلص من آفات الصوم وفتنه .

[إخوانى] راحة الغريب عن الديار فى البكاء والضراعة . إخوانى : كيف من نسى أهله وإخوانه وأتباعه ؟ إخوانى : سودت وجوهنا الزلات ، فمتى تبيض بالطاعات ؟ إخوانى : أكثروا من التضرع إلى الله عز وجل فى هذه الساعة . وقولوا برفيع الأصوات : إلهنا لاتحرمنا من نبيك الشفاعة . واجعل التقوى لنا أربح بضاعة . ولاتجعلنا فى شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة . وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة . برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس السابع

فى فضائل ليلة القدر أعاد الله علينا وعليكم من بركاتها

الحمد لله الذى أحكم الأمور وقدرها وقدر الأشياء ودبرها . ودبر الموجودات وصورها . وصور الخليقة وأظهرها . وأظهر الأسرار وطهرها . وطهر القلوب ونورها ونور الكواكب وسيرها وسير الأفلاك وسخرها وسخر الرياح ونشرها ونشر السحب وأمطرها وأمطر الرياض وأزهرها وأزهر الأشجار وأثمرها وطيب أنفاس الأسحار بطيب الأذكار وعطرها وفضل مواسم الطاعات على سائر الأوقات وللخيرات والبركات يسرها وشرف شهر رمضان على جميع الشهور وخص لياليه بالفضل المشهور وبتوفير الأجور شهرها وميزها بليلة القدر التى هى خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر فطوبى لمن عظمها ووقرها ، يالها من ليلة ما أبركها وأنورها ! وما أكثر خيراتها وأغزرها ! تفتح فيها أبواب السموات ! وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام ! ومنع جفونه من المنام وأسهرها ! فيافوز من تلذذ فيها بالمناجاة وتملى ! وتهنى فيها بطاعات مولاه وتحلى ! وشاهد أنواره لما تجلى ! وسجدت له جميع المخلوقات وقد أذهلها فى أنواره وحيرها ! فيالها من ليلة مارفعت إليه فيها قصة محتاج إلا نظرها ! ولاوصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها ! ولاصعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ! ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الحرج وأتاها بالفرج وبشرها ! ولاتضرعت بين يديه معتذرة إلا قبلها وعذرها ! ولاتوجعت من أجله قلوب منكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبرها ! فسبحان من اطلع فى هذه الليلة الشريفة على الذنوب فغفرها ! وعلى العيوب فسترها ! وعلى القلوب فسكنها وعمرها ! وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها :

شهدت بالقهر له الأفلا ... ك مع الأملاك فسخرها ... وأتت بالباب ذوو الحاجا
ت تروم الفضل فيسرها ... كم قد رفعت قصصا وشكت ... غصصا للشوق فبشرها
هامت فى الليل به الأحبا ... ب فحط الحجب وسامرها ... ولقد نظرت لما حضرت
فى حضرته إذ أحضرها ... كأسا يملى وسنا يجلى ... لقلوب القوم فأسكرها
تاهت وبه باهت ولقد ... سهرت فى الحب فساهرها ... وجلا أقداح كؤوس الذكـ
ـر لها فلهذا أستأثرها ... فله نظرت لما اشتهرت ... بمحبته اذ أسهرها
ما أسعدها ما أزهدها ... ما أرشدها ما أذكرها ... ما أجملها ما أكملها
ما أحلها ما أصبرها ... فليالى القدر لها كشفت ... ولها البارى قد أظهرها

فتعالى

وكان بكر العابد يقول لأمه : يا أماه ليتك كنت بى عقيما إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ، وإن له من بعد ذلك رحيلا .

[وقال] حاتم الأصم : من مر بفناء القبور ولم يتفكر فى نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . قال القشيرى : سمعت أبا على الدقاق يقول : دخلت على الإمام أبى بكر بن فورك عائدا فلما رآنى دمعت عيناه ، فقلت له : إن الله يعافيك ويشفيك ، فقال لى أترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت . وسمعت بعض الفقراء يقول : إن سبب زهد داود بن نصر الطائى أنه سمع نائحة تنوح ، بأى خديك يبدأ البلا ، وأى عينيك إذا سالا ؟ واعجبا لو وصف طبيب لك داءك ودواءك لاستمعت إليه ولأطعته ، وهذا دواء دائك العظيم الدفين ، الذى يصلى صاحبه نار جهنم فلا تسمع إليه حق الاستماع . وربما إن طال المجلس

فتعالى ربا مقتدرا خلق الأشياء ودبرها
وقضى الآجال مع الأعما ل لكل الخلق وقدرها

أحمده على نعمه التى نشرها وأغزرها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لمن عنده ادخرها . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله له الشريعة ونصرها . وهدى الأمة إلى طريق الصواب وبصرها . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التى برأها الله تعالى من الرجس وطهرها . قال الله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) إلى آخرها . قال ابن عباس رضى الله عنهما : أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ليلة القدر من شهر رمضان. قال المفسرون : بيت العزة فى سماء الدنيا . وفى تسميتها بليلة القدر خمسة وجوه : أحدها أن القدر هو العظمة وهى ليلة عظيمة . الثانى أنه الضيق فهى ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون من السماء . الثالث أن القدر هو الحكم فان الأشياء تقدر فيها . الرابع أن من لم يكن له قدر يصير بمراعاتها ذا قدر . الخامس أنه نزل فيها كتاب ذو قدر وملائكة ذوو قدر . واختلفوا هل ليلة القدر باقية إلى زماننا هذا ؟ أم كانت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ؟ على قولين : أصحهما أنها باقية إلى زماننا هذا وأنها فى شهر رمضان . واختلفوا أى الليالى أخص بها على ستة أقوال : أحدها أن الأخص بها أول ليلة من شهر رمضان . الثانى هى ليلة الحادى والعشرين . الثالث هى ليلة الثالث والعشرين . الرابع هى ليلة الخامس والعشرين . الخامس هى ليلة السابع والعشرين . السادس هى ليلة التاسع والعشرين. وقيل إنها تنتقل فى أفراد العشر الأواخر من شهر رمضان. قوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر فى سبيل الله فتعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عجبا شديدا وتمنوا أن يكون لهم مثل ذلك فدعا ربه أى رب أنت جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر ، فقال يا محمد ليلة القدر خير من ألف شهر وأعطيتك وأمتك هذه الليلة فى كل سنة خيرا لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة فى كل شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر ، وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر قال تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) جبريل عليه السلام (بإذن ربهم من كل أمر) قال المفسرون : ينزلون بكل أمر قضاه الله تعالى فى تلك السنة وقدره إلى قابل (سلام هى) أى سلامة لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان (حتى مطلع الفجر) أى إلى طلوع الفجر .

هى ليلة القدر التى شرفت على كل الشهور وسائر الأعوام من قامها يمحو الإله بفضله
عنه الذنوب وسائر الآثام فيها تجلى الحق جل جلاله وقضى القضاء وسائر الأحكام
فادعوه واطلب فضله تعط المنى وتجاب بالإنعام والإكرام
فالله يرزقنا القبول بفضله ويجود بالغفران للصوام
ويذيقنا فيها حلاوة عفوه ويميتنا حقا على الإسلام

(روى أبو هريرة رضى الله عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر من رمضان فمن كان

نعست أو تكلمت مع أنه
ورد لعن المتكلم ولو كنت
فى لهو أو أمر دنيا لم تنعس
بل ارتحت له ، وما ذاك
إلا لخبث سريرتك وضعف
إيمانك أين آباؤك وأبناؤك
وأين إخوانك وأحبابك؟
سكنوا بطون الأرض ،
وصاروا أكلا للهوام ،
ولا يقدرون على دفع
مايلقون من العذاب :
هو الدهر فاصبر ما على
الدهر معتب
وليس لنا من خطة الموت
مهرب
ولابد من كأس الحمام
ضرورة
ومن ذا الذى من كأسه
ليس يشرب
وما يعمر الدنيا الدنية
حازم
إذا كان فيها عامر العمر
يخرب
وإن عليا ذمها فى كلامه
وطلقها والجاهل الغر
يخطب
ولما أتى بالكوز والناس
حضر
فقال لهم يا للرجال تعجبوا

متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » رواه البخارى ومسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا الليل كله وأيقظ أهله » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله ، وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى كنت رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر من رمضان فى الوتر من ليالها ، وهى ليلة طلقة بلجة لاحارة ولا باردة كأن فيها قمرا لايخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » وقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو ؟ قال قولى « اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى » :

(وعن محمد بن كعب رضى الله عنه) قال : بينما عمر رضى الله عنه جالس فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين إذ ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضى الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها وعبد الله ساكت . فقال له عمر رضى الله عنه : مالك لاتتكلم يا ابن عباس ؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة ، فقال : إن الله تعالى وتر يحب الوتر ، وإنه جعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وجعل فوقنا سبع سموات ، وجعل تحتنا سبع أرضين ، وجعل البحار سبعا ، وجعل مايقع فى السجود من أعضائنا سبعا ، وحرم من نكاح الأقربين سبعا ، وقسم المواريث بينهم على سبع ، وأعطى نبيه صلى الله عليه وسلم المثانى سبعا ، ورمى الجمار بسبع . فأظنها والله أعلم فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فتعجب عمر رضى الله عنه وقال : ياقوم من كان يروى هذا كرواية ابن عباس رضى الله عنهما؟ . ويقال : إن عدد كلمات هذه السورة ثلاثون كلمة ، وقوله (حتى مطلع الفجر) آخرها و« هى » الكلمة السابعة والعشرون فدل أنها ليلة السابع والعشرين . ويقال : خصت تلك الليلة وفضلت بنور ينزل من السماء مثل العلم من نور الله عز وجل ، ويقال ذلك النور مثل خيمة عظيمة . فقال بعضهم هو من نور شجرة طوبى ، وقال بعضهم هو من نور الرحمة ، وقال بعضهم من نور لواء الحمد ، وقال بعضهم من نور أجنحة الملائكة ، وقال بعضهم من نور الطاعات ، وقال بعضهم من نور أسرار العارفين ، وقال بعضهم من نور الهيبة . ثم إن ليلة القدر ليلة مرغوبة وهى أفضل الليالى :

لليلة القدر عند الله تفضيل ... وفى فضائلها قد جاء تنزيل ... فجد فيها على خير تنال به
أجرا فللخير عند الله تفضيل ... واحرص على فعل أعمال تسر بها ... يوم المعاد ولايغررك تأميل
فكم رأينا صحيح الجسم ذا أمل ... فى ليلة القدر لم يبلغه تنويل ... فتب إلى الله واحذر من عقوبته
عن كل مافيه توبيخ وتنكيل ... ولاتغرنك الدنيا وزخرفها ... فكل شىء سوى التقوى أباطيل

وقال بعضهم فى قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) يعنى الرحمة فى هذه الليلة وحدها خير وأكثر من الرحمة فى ألف شهر ، معناه أن رحمتى على العصاة والمذنبين فى هذه الليلة وحدها مثل رحمتى عليهم فى ألف شهر ، وإنما سميت ليلة القدر لوجهين : أحدهما أنها ليلة لها قدر وجاه ومنزلة وشرف عند الله تعالى فسميت ليلة القدر ، وقال أبو الفضل : يعنى ليلة القدر يقدر فيها الأرزاق والآجال والأمراض والمصائب والبلايا والعافية والفرح والسرور والربح والخسران وما يكون فى مثل هذه الليلة إلى مثلها من عام قابل ، وعن أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام معهم ومعهم أربعة ألوية فينصب لواء منها على قبرى ولواء منها على طور سيناء ولواء منها على ظهر المسجد الحرام ولواء منها على ظهر بيت المقدس ولايدع بيتا فيه مؤمن ولامؤمنة إلا دخله وسلم عليه ، يقول يامؤمن

ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ
لمتعظ من ظلمة القبر يرهب
فكم فيه من ثغر وعين كحيلة
وخد أسيل كان يهوى ويطلب
وكم من عظيم القدر صارت عظامه
إناء ومنه الماء ياقوم يشرب
وينقل من أرض لأخرى هدية
فواعجبا بعد البلى يتغرب

اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

﴿ فصل فى أحوال بعض الموتى ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما « مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين . فقال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لايستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة

يامؤمن ويامؤمنة : السلام يقرئك السلام فإذا طلع الفجر فأول من يصعد جبريل عليه السلام حتى يكون على الوجه الأعلى بين السماء والأرض فيبسط جناحه فتصبح الشمس لاشعاع لها حتى يدعو ملكا ملكا فيصعدون فيجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام فتصبح الشمس بيضاء لاشعاع لها فيقوم جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة بين السماء والأرض يومهم ذلك فى دعاء واستغفار للمؤمنين والمؤمنات . فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا : مرحبا بأشرافنا وساداتنا من أين أقبلتم ؟ فيقولون أقبلنا من عند أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون : ماصنع الرب سبحانه وتعالى فى حوائجهم ؟ فيقولون غفر لصالح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع صالحهم فى طالحهم فيصيحون إلى الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتقديس شكرا لما أعطاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يسألونهم عن رجل رجل وامرأة امرأة فيقولون : مافعل فلان مافعلت فلانة ، فيقولون : وجدنا فلانا عام الأول متعبدا ووجدناه هذا العام مبتدعا فيكفون عن الاستغفار له ، ووجدنا فلانا عام الأول مبتدعا ووجدناه هذا العام متعبدا فيستغفرون له ويدعون له ، ووجدنا فلانا يذكر الله تعالى ، ووجدنا فلانا راكعا ووجدنا فلانا ساجدا ، ووجدنا فلانا تاليا لكتاب الله تعالى ، ووجدنا فلانا باكيا فيدعون لهم ويستغفرون لهم ، ثم يصعدون إلى السماء الثانية فهم فى كل سماء يوما وليلة فى دعاء واستغفار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى ينتهوا إلى مكانهم من سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : أين غبتم هذه الأيام ؟ فيقولون : كنا عند نزول رحمة الله تعالى على أهل الأرض فى ليلة القدر ، فتقول لهم : ماصنع الرب بهم ؟ فيقولون : غفر لمحسنهم وشفعه فى مسيئهم . قال فتهتز سدرة المنتهى وتثنى على الله تعالى بالتسبيح والتقديس والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فتسمعها جنة المأوى وهى مطلة عليها فتقول ياسدرة المنتهى لم اهتززت ؟ فتقول : أخبرنى سكانى عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم فى مسيئهم فتصيح جنة المأوى بالتسبيح والتقديس والثناء والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فتسمعها جنة النعيم وهى مطلة عليها فتقول : ياجنة المأوى لم صحت ؟ فتقول أخبرتنى سدرة المنتهى عن سكانها عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم فى مسيئهم فتصيح جنة النعيم كذلك ثم جنة عدن ويسمع منها الكرسى ، فيقول كذلك ، ثم يسمع العرش . فيقول يا كرسى لم صحت ؟ فيقول : أخبرتنى جنة عدن عن جنة النعيم عن جنة المأوى عن السدرة عن سكانها عن جبريل عليه السلام أن الله تبارك وتعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم فى مسيئهم قال فيهتز العرش طربا ويصيح . فيقول الجليل جل جلاله لم صحت ؟ وهو أعلم فيقول : يارب أخبرنى الكرسى عن جنة المأوى عن السدرة عن سكانها عن جبريل عليه السلام أنك يا أرحم الراحمين قد غفرت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفعت صالحهم فى طالحهم فيقول الله عز وجل : صدق جبريل وصدقت سدرة المنتهى وصدقت جنة المأوى وصدقت جنة النعيم وصدقت جنة عدن وصدق الكرسى وصدقت ياعرش ، أعددت لأمة محمد مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر » .

[إخوانى] انظروا ماخصكم الله به من الإنعام والإكرام وحباكم به من العطايا الجسام وشرفكم بنبى الرحمة ورسول الهدى وأنقذكم ببركته من الردى ووهب من أسرف فى الذنوب واعتدى لمن أحسن وعمل صالحا ثم اهتدى . فاستدركوا رحمكم الله مواسم العمر فحادى الموت بالرحيل قد حدا ، واغتنموا ليلة القدر فلعل أن تكتبوا فى ديوان السعدا ، فانها ليلة تفوق ليالى الدهر وهى خير من

فقال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا » .

[ورؤى] بعض الموتى فى المنام فقيل له كيف كان حالك ؟ فقال صليت يوما بلاوضوء فوكل علىّ ذئب يروعنى فى قبرى فحالى معه فى أسوإ حال .

[ورؤى] آخر فى النوم فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال دعنى فانى لم أتمكن من غسل يوما من الجنابة فألبسنى الله ثوبا من النار أتقلب فيه ليلا ونهارا . ومرّ عيسى ابن مريم عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله فقال من أنت ؟ فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لإنسان حطبا وكسرت منه خلالا وتخللت به فأنا مطالب به منذ متّ .

[ورؤى] سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له : بم نلت هذا ؟ فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن ، فقال أىّ شىء أشد عليكم ؟ فقالوا

ألف شهر ، مادعا الله فيها داع إلا أجابه وبلغه أملا ومقصدا ، ولاسأله سائل إلا أعطاه سؤله وجاد عليه بالفضل والندى . فيافوز من أحياها ويا سعادة عبد رآها لقد نال فخرا وسوددا . وقد جاء فى صحيح الإسناد أنها تلتمس فى ليالى الإفراد فاطلبوها فى هذه الأعداد تظفروا بحسن القبول ونيل المراد غدا ، فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تخاف عاقبة الردى ! أما سمعت الحادى وقد حدا ! أما آن أن تسلك طريقا رشدا ! أما تغنم ليالى القدر التى تجلو عن قلبك الصدا :

يا أيها العبد قم لله مجتهدا ... وانهض كما نهضت من قبلك السعدا
هذه ليالى الرضا وافت وأنت على ... فعل القبيح مصرا ماجلوت صدا
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بها ... ومثلها لم يكن فى فضلها أبدا
طوبى لمن مرة فى العمر أدركها ... ونال منها الذى يبغيه مجتهدا
فليلة القدر خير قال خالقنا ... من ألف شهر هنيا من لها شهدا
فيها القران بأمر الله أنزله ... إلى السماء وقد خاب الذى جحدا
فى ليلة القدر جل الله أنزله ... بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن ... يرى من الكشف من يعطى بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من ... عند المهيمن لن تحصى لهم عددا
يافوز عبد رآها إنه رجل ... قد عاش فى الدهر عيشا دائما رغدا
وفاز بالأمن والغفران مغتبطا ... ونال مايرتجى من ربه أبدا
فاطلب من الله إن وافيتها سحرا ... جنات عدن تكن من جملة السعدا
وابك ونح وتضرع فى الدجى أسفا ... ولذ بجاه شفيع المذنبين غدا
خير البرية من عجم ومن عرب ... محمد خير مبعوث بدين هدى
الهاشمى الذى شاعت رسالته ... جهرا وأسخى الورى بالمكرمات يدا
هو البشير النذير المستضاء به ... ومن بإحسانه عم الأنام ندى
وأنه خير من يمشى على قدم ... وخير من فاق مولودا ومن ولدا
صلى عليه إله العرش ماطلعت ... شمس وما سار سار فى الفلا وحدا

إلهى وقف السائلون ببابك ، ولاذ الفقراء بجنابك ، ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك ، يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمك ، إلهى إن كنت لاترحم فى هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك فى صيامه وقيامه فمن للمذنب المقصر إذا غرق فى بحر ذنوبه وآثامه ، إلهى إن كنت لاترحم إلا المطيعين فمن للعاصين ، وإن كنت لاتقبل إلا العاملين فمن للمقصرين ، إلهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون فارحمنا برحمتك وجد علينا بعفوك ومنتك واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس الثامن

فى ذكر حجاج بيت الله الحرام وما أعد الله لهم من الإفضال والإنعام ، جعلنا الله وإياكم فى هذا العام ممن فاز بحج البيت الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام

الحمد لله الذى (لا إله إلا هو الحى القيوم) سبحانه وتعالى (لاتأخذه سنة ولا نوم) ولا يخشى فناء ولازوالا (له ما فى السموات وما فى الأرض) شهود على عظمته لايجد العقل له شبيها ولامثالا

الورع . فقال : ولا شىء أخف على منه فقالوا : فكيف ؟ فقال لم أر ومن نهركم أربعين سنة . وكان حسان بن أبى سنان لاينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولايشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد مامات فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة ، وكان فى ابتداء الأمر كيالا ، فلما مات ورؤى فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : خيرا غير أنى محبوس عن الجنة . وقد خرج على من غبار القفيز أربعون قفيزا .

[ويروى] أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى المنام فقال . ياهذا إنكم تعملون ولاتعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا ومافيها .

(من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) ولا يطيق أحد بين يديه جوابا ولا سؤالا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وفوقا وتحتا ويمينا وشمالا (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) ولا يدرك أحد لكنهه مثالا (وسع كرسيه السموات والأرض) وكل يبدى من هيبته خوفا وإجلالا (ولا يؤوده حفظهما) وإن كانا ثقالا (وهو العلىّ العظيم) الذى تعالى وتعاظم عزا وجلالا :

جلّ رب فى عزه قد تعالى وسما قدره وعـــز منالا
أحد ماجد كريم عظيم ليس يخشى على الدوام زوالا
جل عن مشبه له ونظير ليس تحصى له العقول مثالا

فسبحانه من إله افترض حج بيته الحرام على عباده فشدوا إليه رحالا ، دعاهم لقربه فما استبعدوا فى حبه بعيدا ولا استهولوا أهوالا ، سار بهم الدليل فكيف يضلون السبيل ووجوههم فى ظلام الليل تتلالا ، فلو رأيت النياق ياهذا كيف تمدّ بوادى العقيق الأعناق فتنشر أشواقا وتطوى رمالا . فإذا وصلت إلى شريف حرمه وحطت لباب كرمه رحالا ، نادى منادى القبول عند الوصول ارتجالا :

قد دعا الشوق للحبيب رجالا قطعوا فى السرى إليه رمالا حبذا قد أتوه شعثا وغبرا
يرتجـون النوال والإفضالا قد أتوا يهرعون من كل فج فارقوا فى رضاه أهلا ومالا
ثم نادوا بجمعهـم فى حماه يا كريما إذا استقيل أقالا

فسبحان من شرف البيت العتيق ، بركن من ركن إليه نجا من الهمّ والضيق ، وبباب من دخل إليه كان آمنا وكتب له توقيع التوفيق ، وبميزاب تنصبّ منـه الرحمة على من سلك إلى الخير أقوم طريق ، وبحجر يشهد لمن قبله بالوفاء والتصديق ، وبحجر سبى العقول بالمحبة إليه والتشويق ، وبحرم تأتى إليه الوفود مشاة وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

عن أيمن الشعب بوادى العقيق لاح السنا من نحو ذاك الفريق
وقد بدت أعلام وادى القا والقلب مأسور ودمعى طليق
طوبى لقوم أدركوا قصدهم وكابدوا كل عســير وضيق
ويمموا البيت فبشراهمـو لمـا أتوا من كل فج عميـق

فسبحان من شرف بيته على سائر الأماكن والأقطار ، وجعل ترابه جلاء للأبصار . ووعد من طافه بتضعيف الأجر والثواب وأن يسقيه من شراب الاقتراب رحيقا سلسبيلا ، هذه صفة كعبة الله التى من عظمها كان معظما مبجلا ، ومن أقبل إليها كان مولاه عليه مقبلا ، فكم من محب مات شوقا إليها ولم يبلغ منها أملا ، فلسان حاله يقول عند مالبست من خلع القبول حللا :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا شوقا إليك ورام الوصل ماوصلا
قد يتمت بعده الأولاد حين سرى وظل يبكى بدمع فاض منهملا
فكم غريق بحار فى هواك غدا وآخـر ظل فى البيداء منجدلا
وأنتمو معشر الزوّار قربكم إلى مقام به أمن لمن دخـــلا
فلا تخافوا فأنـتم فى ضيافتـه فهو الكريم الذى بالجود مابخلا

فلله در أقوام دعاهم مولاهم إلى جنابه فساروا إلى بابه شعثا وغبرا ، وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا له حمدا وشكرا ، فإذا زمزم لهم الحادى بذكر زمزم والعقيق وقصدوا ذلك الفريق ألقى فى قلوبهم من الشوق لهبا وجمرا ، ونادى الصب الكئيب وقلبه بذكر الحبيب مغرم ومغرى :

[وقال] بعض الصالحين : مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يافلان عشت : الحمد لله رب العالمين. قال لى لأن أقدر أن أقولها يعنى : الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ، ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا جاء فصلى ركعتين لأن قدر أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها وذكر أبو سبرة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالا إنا ضاربوك مائة ضربة ! فقال الميت إنى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشرا ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا فقال لم ضربتمانى ؟ فقالا : مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه .

[وقال] عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما وجماعة من أهل بيته إنا كنا ندعوا الله تعالى ليرينا عمر فى المنام فرأيته فى المنام

بشيرى بأيام الوصال لك البشرى عساك رأيت الحىّ والخيم الحمرا
وشاهدت سكان العقيق وحاجر وبانت لك الأعلام والقبة الخضرا
ولاح لك الحسن البديع صفاته وأصبحت مثلى هائما مغرما مغرى
بعيشك حدثنى وقل لى عن الحمى وعن أهله إن شئت أن تغنم الأجرا
رعى الله أياما تقضت بقربكم وطيب ليال ماعرفت لها قدرا

فيا أيها الغافل ونسيم القبول قد هب من الأراضى الحجازية وأتى بطيب أخبارها ، وروى أن عروس الكعبة المعظمة قد جليت فى حلل أستارها وتجلت للطائفين ففازوا بمشاهدتها وقرب مزارها وأدركوا السعود بالصعود إلى عرفات وفازوا فى منى برمى جمارها فواشوقاه إلى ليالى منى فقد طالت علىّ مدة انتظارها:

واحسرتى ضاع الزمان باطلا ولم تصل روحى إلى أوطارها وقد تذكرت زمان وصلها
فهاجت الأشجان من تذكارها متى أرى الكعبة تجلى جهرة ويقرب البعيد من مزارها
وأجتليها بعد طول حسرة فى حلل البهاء من أستارها وبعدها اسعى إلى خير الورى
مستنقذ الأمة من أوزارها المجتبى الهادى الرسول المرتضى محمد المختار من نزارها
صلى عليه الله ماهبت صبا وضوعت شذاه فى أقطارها

قال الله عز وجل (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنىّ عن العالمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما : معنى السبيل أن يصح بدن العبد ويكون له زاد وراحلة من غير أن يجحف به ، وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غنىّ عن العالمين) يعنى من كفر بالحج فلم ير حجه برّا ولا تركه إثما ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتى هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة ، فيقول ماأراد هؤلاء ؟ فيقولون ياربنا يريدون العفو والمغفرة ، فيقول الله تعالى: ياملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم وعفوت عنهم» فلله درّ أقوام رأوا خدمة مولاهم فى دنياهم ربحا ومغنما ورأوا تضييع الأوقات فى غير الطاعات خسرانا ومغرما ، أوقفهم على عرفات قربه فأضحى كل منهم بحبل حبه معتصما ، غفر ذنوبهم وبلغهم مطلوبهم ونشر لهم بالسعادة علما :

يافوز قوم قد أتوا لجنابه فأباحهم منه الرضا والمغنما قوم على عرفات قد وقفوا وقد
باهى بهم ذو العرش أملاك السما إذ قال ياأهل السموات انظروا وفدى وكل قد أضرّ به الظما
أشهدتكم أنى قد غفرت ذنوبهم وعفوت عنهم أجمعين تكرما

[وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه] قال : «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أفى كل عام يارسول الله ؟ فسكت . فقال يارسول الله أفى كل عام ؟ قال : لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم» رواه مسلم وأحمد والنسائى رضى الله تعالى عنهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد» رواه النسائى رضى الله عنه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم» رواه ابن ماجه ، وفى لفظ آخر «الحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شفعوا شفعوا» :

بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل ، وهو متلفع بإزار فقلت ياأمير المؤمنين كيف وجدت ربك ؟ وبأى حسناتك جازاك ؟ فقال ياعبد الله كم لى منذ فارقتكم؟ فقلت اثنتا عشرة سنة ، فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت أن أهلك إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم . فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى درة

[وروى] أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجلده مائة جلدة فمات فلما كان بعد أربعين يوما قال حذيفة بن اليمان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرئ عمر منى السلام ، وقل له: هكذا آمرك أن تقرأ القرآن ، وتقيم الحدود ، وقال الغلام : ياحذيفة أقرئ أبى منى السلام ، وقل له طهرك الله كما طهرتنى والسلام .

فهمو وفدى إذا ماحضروا عند بيتى يطلبون الزلفا أعطهم ماسألونى جهرة
وأنلهم من جنابى غرفا وإذا ما اجتمعوا أسمعتهم من جنابى إنّ مولاكم عفا
فابشروا بالفوز منى والرضا قد دنا الوصل وقد زال الجفا

[وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخارى ومسلم . قال العلماء : الحج المبرور : الذى ليس بعده معصية كما قال الفضيل بن عياض لبعض من حج : ياهذا إن الله تعالى يختم على عمل الحاج بطابع من نور فاياك أن تفك ذلك الختم بمعصية الله عز وجل .

أبشر فحجك مقبول ومبرور وكل سعيك محمود ومشكور وماتصدقت فى أرض الحجاز به
فأجره لك عند الله مدخور وكل سعى وماقدمت من عمل فانه لك بعد الربح موفور
فان حججت ولم تأت بمعصية نلت المراد وأنت اليوم مسرور

[وعن أبى رزين العقيلى رضى الله تعالى عنه] أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله إن أبى شيخ كبير لايستطيع الحج والعمرة فقال « حج عن أبيك واعتمر » رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى رضى الله عنهم ، وعن عائشة رضى الله عنها . قالت « قلت يارسول الله هل على النساء من جهاد ؟ قال نعم عليهن جهاد لاقتال فيه : الحج والعمرة » .

[إخوانى] كيف تتخلفون عن الحج وقد فرضه الله على العباد ، وكيف لاترغبون فيه وهو ذخيرة لكم يوم المعاد ، وكيف لاتهتمون به وقد قيل ليدخلنّ الجنة ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الموصى بها والمنفذ لها والحاج عنه ؟ ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال « جاء رجل من الأنصار إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كلمات أسأل عنهن ، قال اجلس ، وجاء رجل من ثقيف فقال يارسول الله كلمات أسأل عنهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك الأنصارى ، فقال الأنصارى إنه رجل غريب وإن للغريب حقا فابدأ به فأقبل على الثقفى ، فقال : إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل ، وإن شئت سألتنى وأخبرك ، فقال يارسول الله بل أخبرنى عما جئت أسألك فانه أعجب قال جئت تسألنى عن الركوع والسجود والصلاة والصوم ، فقال والذى بعثك بالحق نبيا ماأخطأت مما كان فى نفسى شيئا ، قال : فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم فرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه ، وإذا سجدت فمكن جبهتك ولاتنقر نقرا وصلّ أول النهار وآخره ، فقال يانبىّ الله فان أنا واصلت بينهما ، قال فأنت إذا مصلّ ، وصم من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره ونم أول الليل وقم أوسطه ونم آخره ، فان قمت من أوسطه الى آخره فأنت إذا مصلّ ، فقام الثقفى ثم أقبل الأنصارى ، فقال : إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل وإن شئت سألتنى فأخبرك فقال يانبىّ الله أخبرنى عما جئت أسألك ، قال جئت تسألنى عن الحاج ماله حين يخرج من بيته وماله حين يقوم بعرفات وماله حين يرمى الجمار وماله حين يحلق رأسه وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت ، فقال يانبى الله : والذى بعثك بالحق ماأخطأت مما كان فى نفسى شيئا ، قال فان له حين يخرج من بيته أن راحلته لاتخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة ، فاذا وقف بعرفة فان الله عزوجل ينزل إلى سماء الدنيا ، فيقول انظروا إلى عبادى شعثا غبرا اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج ، وإذا رمى الجمار لايدرى أحد ماله حتى يوفاه يوم القيامة ، وإذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه ابن ماجه فى صحيحه ، وفى لفظ آخر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « جاء رجل

[وروى] عن أبى بكر بن أبى الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ماسبب توبتك ورجوعك الى الله ؟ قال نبشت إنسانا فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه . وقيل لآخر ماسبب توبتك ؟ قال رأيت جمجمة إنسان قد ضربّ فيها الرصاص . ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا ، فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى . وقيل : رؤى الأوزاعى فى المنام فقال مارأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ، ثم المحزونين . ورؤى أبو عبدالله النداد فى المنام فقيل له : مافعل الله بك؟ فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحدا استحييت أن أقرّ به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى ، قيل له وماذاك ؟ فقال

من الأنصار يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء رجل من ثقيف يسأله أيضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأخا ثقيف إن أخاك الأنصارى قد سبقك بالمسألة فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصارى قبل حاجتك فتغير وجه الثقفى ، فقام الأنصارى . فقال : يارسول الله ابدأ بحاجة الثقفى قبل حاجتى فانى رأيته آنفا تغير وجهه وأخاف أن يكون قد وجد عليك ومايسرنى ذلك فأخرنى ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم للأنصارى بخير ، ثم قال ياأخا ثقيف سل عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسألنى عنه ، فقال يارسول الله أخبرنى فهو أعجب إلىّ ، فقال جئت تسألنى أىّ الشهر تصوم وأىّ الليل تقوم وجئت تسألنى كيف تصنع فى ركوعك وكيف تصنع فى سجودك ؟ فقال : والذى بعثك بالحق إنه الذى أردت أن أسألك عنه ، فقال صم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ونم أوّل الليل وقم وسط الليل ونم آخر الليل ، فان قمت فى وسطه الى آخره فأنت إذا مصلّ وإذا ركعت فضع يديك على ركبتيك وفرّج بين أصابعك ، فاذا سجدت فمكن جبهتك من الأرض ولا تنقر نقرا ، ثم قال يا أخا الأنصار سلنى عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسألنى عنه ، فقال : يارسول الله حدثنى كما حدثت صاحبى فهو أعجب إلىّ ، قال جئت تسألنى عن خروجك من بيتك تؤم المسجد الحرام مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن وقوفك بعرفات مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن رميك الجمار مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن حلقك رأسك مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن طوافك مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن شىء غيره فقال : والذى بعثك بالحق إنه الذى أردت أن أسألك عنه . قال فان خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام يكتب الله لك بكل خطوة تخطوها حسنة ويحط عنك بها خطيئة ويرفع لك بها درجة ، وأما ركعتاك للطواف فكعتق رقبة ، وأما سعيك بين الصفا والمروة فكعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك بعرفات فان الله تبارك وتعالى يطلع على أهل عرفات فيقول عبادى أتونى شعثا غبرا أتونى من كل فج عميق فيباهى بهم الملائكة ، فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وعدد نجوم السماء وقطر البحر والمطر غفرها لك ، وأما رميك الجمار فانه مدخور لك عند ربك أحوج ماتكون إليه ، وأما حلقك رأسك فان لك بكل شعرة تقع منك نورا يوم القيامة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك وهو طواف الصدر فتطوفه ولا ذنب عليك ويأتى ملك فيضع يده بين كتفيك ثم يقول لك قد غفر الله لك مامضى فأحسن فيما بقى أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه » فلله در الفائزين بالحج ، لقد بلغوا الأمانى وأدركوا الأمان وساعدهم على نيل مقاصدهم الزمان ، فازوا بحج البيت الحرام ، وقد كفر عنهم مولاهم الذنوب والآثام. يافوزهم قد سرت بهم المطايا وحط عنهم ثقل الخطايا والعصيان ، وفازوا بنيل المطلوب وحصول القبول والرضوان [وينشد من كان وكان] :

فازوا بنيل الأمانى وأدركوا مطلوبهم من الإله وطافوا بالبيت والأركان
وبالمقام تعلوا وبالحطيم تمتعوا وشاهدوا النور يجلى فيه بكل مكان
طوبى لهم إذ نالوا مرادهم لما سعوا بين الصفا والمروة فى طاعة الرحمن
يابالغين مناهم وفائزين بحجهم بشرا كموقد أراكم كل الرضا بأمان
فزتم بما أملتم والله عنكم قد عفا عن كل ماقد فعلتم فى سالف الأزمان

وقال الشبلى رحمه الله : الحج حرفان : حاء وجيم ، فالحاء من الحلم والجيم من الجرم والاشارة فيه كأنه يقول : يارب أتيتك بجرمى وجفائى إلى حلمك ورحمتك فان لم تغفر لى جرمى فمن يغفر لى ؟ .

[إخوانى] ماكل مسافر حاج ولا كل جبل عرفات ولا كل بيت مكة ولا كل زاد يوصل .

نظرت الى شخص جميل فاستحييت أن أذكره .

[وروى] عن هشام بن حسان أنه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه ، فقلت يابنى ماهذا الشيب ؟ قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا إلا شاب . وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام : كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض ، فقيل ماهذا ؟ فقالوا إن أهل القبور كسوا لباسا جددا لقدوم كرز عليهم .

[وروى] أن بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام إلا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذ تراءى لى تلك الليلة ، فقلت يابنى ألم تك ميتا ؟ فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى أرزق فقلت ماجاء بك ؟ فقال نودى فى أهل السموات أن لا نبى يبقى ولا صديق ولا شهيد إلا

[إخوانى] سار الأحباب فى ليل العزم ونمتم وربحوا فى معاملتهم وماغنمتم لوتفكرتم فيما فاتكم لندمتم ، يامنقطعين عن القوم إن لم تنهضوا للحاق الإخوان فابكوا معى على البعد والحرمان :

إذامادعاداع الى البيت والحجر ... أجابته أجفان مدامعها تجرى
ولى كلما سار الحجيج إلى منى ... حنين وأشواق تجلّ عن الحصر
فجسمى مقيم فى الديار ومهجتى ... بخيف منى مع كل ركب له يسرى
أعلل بالصبر الفؤاد وإن دنا ... أوان مسير الركب لم يغننى صبرى
وأذكر أهوال الطريق وأجرها ... فيسهل عندى ماأخاف من العسر
وإن خفت من فقر تقول عزيمتى ... تقدم فكم بالفخر فاز أخو فقر

وقيل : ثلاثة لاتردّ لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمريض حتى يعافى ، والحاج حتى يقدم . وقيل من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليمانى ليستلمه خاض فى الرحمة ، فإذا استلمه وقال : بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ومحاعنه سبعين ألف سيئة .

[إخوانى] اغتنموا هذه الفوائد والربح ، فمن اجتهد وجدّ وجد وليس من سهر كمن رقد والفضائل والفوائد تحتاج الى وثبة كوثبة أسد .

[اخوانى] من أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام ، ومن تغرب فى بادية الشوق ظهرت له الخيام .

إذا ماالخيام البيض لاحت لشيق ... فعرج فإنا بعدها بقليل
ترانى على الأطناب صرعى من الهوى ... تكفكف دمعا لافتقاد خليل
وكم أنة أردفتها بتحسر ... وكم عبرة أتبعتها بعويل *
قفوا وانظروا ذلى وعز معذبى ... تروا عجبا من قاتل وقتيل

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الحكمة فى أفعال الحج وما فى المناسك الشريفة من المعانى اللطيفة ؟ فقال : ليس من أفعال الحج ولوازمه شىء إلا وفيه حكمة بالغة ونعمة سابغة ونبأ وشأن وسر يقصر عن وصفه كل لسان . فأما الحكمة فى التجرد عند الاحرام فان من عادة الناس إذاقصدوا أبواب المخلوقين لبسوا أفخر ثيابهم من اللباس فكأن الحق سبحانه وتعالى يقول القصد الى بابى خلاف القصد الى أبوابهم لأضاعف لهم أجرهم وثوابهم ، وفيه أيضا أن يتذكر العبد بالتجرد عند الاحرام التجرد عن الدنيا عند نزول الحمام كما كان أولا لما خرج من بطن أمه مجردا عن الثياب ، وفيه شبه أيضا بحضور الوقف يوم الحساب كما قال الله تعالى (إن الله لايظلم مثقال ذرة - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) .

تجرد عن الدنيا فانك إنما ... خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد
وتب من ذنوب سوبقات جنيتها ... فما أنت فى دنياك هذى مخلد

وأما الاغتسال عند الاحرام فلحكمة ظاهرة الإحكام ، وهو أن الله تعالى يريد أن يعرض الحجاج على الملائكة ليباهى بهم الأنام فلا يعرضون على الملائكة الكرام إلا وهم مطهرون من الأدناس والآثام ، وفيه أيضا حكمة أخرى وهى أن الحجاج يضعون أقدامهم على موضع أقدام الأنبياء الأبرار فيكونون قبل ذلك قد اغتسلوا لينالوا بركتهم فى تلك الآثار كما قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) :

ويحضر الصلاة على عمر ابن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم .

[وروى] عن عبدالواحد ابن عبد المجيد الثقفى قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة ، قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها ، فقلت للمرأة من كان هذا منك ؟ قالت ابنى ، قلت : أولم يكن لك جيران ؟ قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا ؟ فقالت هو مخنث . قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى فقلت من أنت ؟ فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى ، تزود لنفسك ياأخى بالتقوى ، ومن عرف مابين يديه لم يؤثر الهوى ، ومن تفكر

تطهر من الذنب يامذنب إذا شئت من بابه تقرب
وكن راضيا بالذى يرتضى فان رضا الحب يستعذب

وأما الحكمة فى التلبية فان الإنسان إذا ناداه إنسان جليل القدر أجابه بالتلبية وحسن الكلام ، فكيف بمن ناداه مولاه الملك العلام ودعاه الى جانبه ليكفر عنه الذنوب والآثام ، وإن العبد إذا قال لبيك يقول الله تعالى هاأنا دان إليك ومتجل عليك فسل ماتريد فأنا أقرب اليك من حبل الوريد :

عبد دعاه لقربه مولاه فأجابه باللطف حين دعاه
وأتى يلبيه بفرط تذلل يافوزه بالربح إذ لباه

وأما الحكمة فى الوقوف بعرفة وأخذ الجمار من المزدلفة فان فيه أسرارا لذوى العلم والمعرفة فمعناه كأن العبد يقول : سيدى حملت جمرات الذنوب والأوزار ، وقد رميتها فى طاعتك بالإقرار إنك أنت الكريم الغفار :

اليك من هجرك أبغى الفرار وأنت مازلت مقيل العثار
فاغفر لعبد راح فى قلبه من ألم الأوزار وقد الحمار

وأما الحكمة فى الذكر عند المشعر الحرام ومافيه من الأجور العظام فكأن الحق تعالى يقول : اذكرونى أذكركم ، من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه ، فإذا ذكرتمونى عند المشعر الحرام ذكرتكم بين ملائكتى الكرام ، وكتبت لكم توقيع الأمان من حلول الانتقام :

ذكرتك ياسؤلى وغاية مقصدى وأنت لنا ياسيدى خير ذاكر
فجد بقبول منك أرجو به المنى فذكرك فى قلبى وسرى وخاطرى

وأما الحكمة فى حلق الرأس بمنى ففيه حكمة يبلغ بها العبد جميع المنى ، وذلك أن فيه يقظة وتذكيرا لايفهمهما إلا من كان عالما نحريرا لأن الحاج إذا وقف بعرفة وذكر الله عند المشعر الحرام وضحى بمنى وحلق رأسه وطهر بدنه من الأدناس والآثام كتب الله عز وجل له ثوابا وضاعف له أجورا ووقاه جحيما وسعيرا ، وجعل له بكل شعرة يوم القيامة نورا وأعطى توقيع الأمان كما قال الله تعالى فى كتابه المكنون (محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون) :

إلى بابكم أسعى وإنى مقصر فقير إليكم فارحموا زلة العبد
فان تطردونى ليس لى غير بابكم وإن أنتمو عنى رضيتم فياسعدى

وأما الحكمة فى الطواف ومافيه من المعانى والألطاف ، فان الطائف بالبيت يقول بلسان حاله عند دعائه وابتهاله : سيدى أنت المقصود ، وأنت الرب المعبود ، أتيت اليك مع جملة الوفود ، وطفت ببيتك المشهود ، وقمت ببابك أرجو الكرم والجود ، وقد سبق خطابك لخليلك الأمين فى محكم كتابك المبين (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) :

بسجود الجباه فى الأرض ذلا بطواف الحجاج عند القدوم
جد علينا بتوبة يا إلهى ثم فرج عنا جميع الهموم

وأما الحكمة فى الوقوف بعرفات ، ومافيه من المعانى البديعة الصفات ، فان فيه تنبها وتذكيرا بالوقوف بين يدى الحق سبحانه وتعالى يوم القيامة حفاة عراة مكشوفى الرأس واقفين على أقدام الحسرة والندامة يضجون بالبكاء والعويل ويدعون مولاهم دعاء عبد ذليل ؛ كما قيل :

وقفت بالذل فى أبواب عزكمو مستشفعا من ذنوبى عندكم بكمو

فى رحيل من كان لديه صار النهوض مستيقنا عليه ، كم مغرور بشبابه وصحة حاله اختطفه الموت من خلاله ، كم من مائل إلى جمع ماله تركه تركة ومرّ بأثقاله ، هل رحم الموت مريضا لضعف أو صاله ، هل ترك كاسبا لأجل أطفاله :

لقد أخبرتك الحادثات نزولها
ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا
ونفسك لاتبكى وأنت على الأثر

اللهم ارحمنا ولاتعذبنا وانصرنا ولاتخذلنا وعافنا ولاتمرضنا وأكرمنا ولاتهنا وآثرنا ولاتؤثر علينا إنك على كل شىء قدير .

﴿فصل فى أشراط الساعة﴾

قال الله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون

أعفر الخد ذلا فى التراب عسى أن ترحمونى وترضونى عبيدكمو
فإن رضيتم فياعزى وياشرفى وإن أبيتم فمن أرجوه غيركمو
لابلغ الله عينى طيب رؤيتكم إن طاب للسمع يوما غيرذكركمو
إن متّ فى حبكم شوقا فياشرفى وياسرورى بموتى فيكموبكمو
وإن نويت اصطبارا عن محبتكم عدمت طيب مسرّاتى بأنسكمو
نسيت كل طريق كنت أعرفها إلا طريقا تؤدينى لربعكمو
أنا المقرّ بذنبى فاصفحوا كرما فبانكسارى وذلى قد أتيتكمو
لاتطردونى فإنى قد عرفت بكم وصرت بين الورى أدعى بعبدكمو

فلله درّ أقوام دعاهم مولاهم إلى البيت العتيق ، فأجابوا داعى الوجد والتشويق ، وساروا إليه مشاة على قدم التصديق ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق :

ما أشوقنى إلى نسيم الرند يشفى سقمى إذا أتى من نجد
والشيح فانه مثير الوجد شوقى شوق لهم ووجدى وجدى

[قال علىّ بن الموفق رحمة الله عليه] حججت إلى بيت الله الحرام فطفت به أسبوعا وقبلت الحجر الأسود وصليت ركعتين واستندت إلى جدار الكعبة وأنا أبكى وأقول : كم أتردّد إلى هذا البيت وأحضر ولا أدرى : هل قبلت أم لا ثم غلبتنى عيناى فنمت نوما خفيفا ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت هاتفا يقول : ياعلى بن الموفق قد سمعنا مقالتك أفتدعو أنت إلى بيتك إلا من تحب ؟ :

الناس بطيب وصلهم قد سعدوا وأنا المضنى بهجرهم منفرد
هم ماوجدوا بحبهم ماأجد ماجن بحبهم جنونى أحد

[وقيل] وقف بكر ومطرّف بعرفات ، فلما عج الحجيج بالبكاء والضجيج بكى بكر ، وقال : ما أحسنه من مقام لولا أنى فيهم ، وقال مطرف وقد تغير وجهه وانتقع لونه : اللهم لاتردهم من أجلى :

ماضر ريح الصبا لونسمت حرقى واستنقذت مهجتى من أسر أشواقى
داء تقادم عندى من يعالجه ومن يكون له من هجرهم راقى
تمضى الليالى وآمالى مقسمة بمن أحب على مطل وإملاقى
واضيعة العمر لاالماضى انتفعت به ولاحصلت على شىء من الباقى

[ويروى عن محمد بن المنكدر] أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة ، فلما كان آخر حجة حجها قال وهو بعرفات : اللهم إنك تعلم أننى قد وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة واحدة عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى وأشهدك يارب أنى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تتقبل منه ، فلما دفع من عرفات ونزل بالمزدلفة نودى فى المنام يابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم ؟ أتجود على من خلق الجود ؟ إن الله تعالى يقول لك : وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام :

مذ تجلى لنا أنار الوجودا مانح يمنح المحبين جودا ودعا أمة الغرام إليه
فأتاه أهل الوفاء وفودا وأتى المذنبون مابين باك خدد الدمع من جواه خدودا
ثم نادوا يادائم الجود يامن لم يزل محسنا كريما ودودا
أنت قدما وعدت من تاب بالعفو وها قد جئناك نرجوا الوعودا
سمعوا القول قد محونا الخطايا ورحمنا المهجور والمطرودا

لاهية قلوبهم) وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم » وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اتخذ الفىء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين الله وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا ريحا حمراء وزلزلة وخسفا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : ذكر رسول

وجبرنا بالعفو كل كسير كان قدما يشكو الجفا والصدودا

[وعن علي بن الموفق رحمة الله عليه] قال: حججت في بعض السنين فنمت بين مسجد الخيف ومنى فرأيت ملكين قد نزلا من السماء. فقال أحدهما لصاحبه ياعبد الله أتعلم كم حج بيت ربنا في هذه السنة؟ قال لا. قال ستمائة ألف، ثم قال له أتدري كم قبل منهم؟ قال لا. قال ستة أنفس ثم ارتفعا في الهواء فقمت وأنا مرعوب، وقلت واخيبتاه أين أكون أنا في هذه الستة أنفس، فلما وقفت بعرفة وبت بالمزدلفة رأيت الملكين قد نزلا من السماء على عادتهما فسلم أحدهما على الآخر، وقال ياعبد الله أتدري ماحكم ربك في هذه الليلة؟ قال لا. قال فانه وهب لكل واحد من الستة المقبولين مائة ألف وقد قبلوا جميعا. قال فانتبهت وبي من السرور مالا يعلمه إلا الله تعالى إذ قبل الحجاج جميعهم ومنحهم برا وجودا ولم يجعل منهم شقيا ولا محروما ولا مطرودا.

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متندما لاتيأسن من الجميل فعندنا
فضل ينيل التائبين تكرما يامعشر العاصين جودي واسع توبوا ودونكم المنى والمغنما
لاتختشوا من قبح ذنب سالف إني أحب بأن أجود وأرحما

[وقيل إن رابعة العدوية رحمة الله عليها] حجت إلى بيت الله الحرام حافية تمشي على الأقدام وتؤثر بما يفتح الله عليها من الطعام، فلما وصلت إلى الكعبة خرت مغشيا عليها، فلما أفاقت وضعت خدها على البيت وأنشدت تقول:

هذه دارهم وأنت محب مابقاء الدموع في الآماق

ثم إنها طافت وسعت، فلما أرادت الوقوف بعرفة حاضت فبكت وقالت: ياسيدي ومولاي لو وقع لي هذا من غيرك لشكوته إليك، فكيف وقد وقع لي منك؟ فسمعت هاتفا يقول: يارابعة قد قبلنا الحجيج كلهم من أجلك وجبرناهم لأجل كسرك:

أقام الهوى العذري لي فيكمو عذرا فمن أجل ذا لم أستطع عنكمو صبرا
وأصبحت مشغوفا أتيه على الورى وأوسع من قد لامني في الهوى عذرا
فإن كنت أصغى للعذول فعاذر على أنه بالحال من غيره أدرى
ولي قمر في أرض نجد محله على أنه قد أخجل الشمس والبدرا
ولما تبدى حسنه وجماله ولاح لعيني نور طلعته الغرا
وهبت له روحي وقلت لك الحشا محلك يامن حسنه حير الفكرا
إذا قال ياعبدي أقول ذكرتني وسميتني عبدا وشرفتني قدرا
ومن أنا يامولاي حتى ذكرتني لقد تم إسعادي وذا أول البشرى
فيارب بالهادي البشير الذي رقى على ذروة الأفلاك في ليلة الإسرا
وأرسلته فينا بشيرا ومنذرا وما زال في يوم المعاد لنا ذخرا
أذقنا جميعا برد عفوك واهدنا إلى خير أسباب بها نغنم الأجرا
وشفعه فينا من ذنوب تراكمت وقد أثقلت منا الكواهل والزهرا
نبي له في المعجزات خوارق تحير في إدراكها العقل والفكرا
فضائل لو أن الورى كلفوا بها بيانا وحصرا ما أطاقوا لها حصرا
عليه سلام الله ماهبت الصبا وما حملت من طيبة للورى نشرا

الله صلى الله عليه وسلم «بلاء يصيب هذه الأمة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وأهل بيتي فيملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لاتدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء الأموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثماني سنين أو تسع سنين» وفي صحيح مسلم عن حذيفة ابن أسيد الغفاري قال: «اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة

المجلس التاسع

فى فضائل الكعبة التى شرفها الله تعالى وجعلنا وإياكم من القادمين عليها فى هذا العام ومن الفائزين بزيارة قبر نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

الحمد لله الذى أرشد العقول إلى توحيده وهداها ، وجعل توحيدها سببا للنجاة فى سفينة السلامة ، وقال الموحد : بسم الله مجراها ومرساها ، فاتصلت بمحبوبها وظفرت بمطلوبها ومناها ، وسارت فى بحر مشاهدته فاستغرقت فى لذة منادمته عند ماناداها ، أسمعها خطابه فطابت وأجابت لما دعاها ، أشهدها عجائب حكمته وأراها آثار قدرته فى أرضها وسماها ، فالأفلاك بمشيئته سخرها والأملاك بإرادته دبرها عند مايراها ، فسبحانه من ملك عظيم أزليته كأبديته لاتنفد ولاتتناهى ، أحديته كأزليته لاتماثل ولاتضاهى ، فجل مقتدرا وعز ربا وتعالى إلها ، رفع السماء بغير عمد وبحسن الإتقان بناها ، وبسط الأرض على الماء بحكمته ودحاها ، وجعل الكعبة البيت الحرام أشرفها بقعة وأعظمها رفعة ، وأكثرها بركة ووجاهة وجاها ، ودعا إليها نفوس أهل مجالسته ففازت بمؤانسته وصفا عيشها عند الصفا لما صفاها ، وهيمها فى أودية وجدها عند مارفع عنها حجاب بعدها وإلى مقام قربه رقاها ؛ وزمزم لها مزمزم الشوق عند زمزم ومن رائق زلاله سقاها وألبسها خلع التكريم عند الحطيم فحط عنها كل ذنب عظيم وعفا عن زللها وخطاياها ، فلما انتهى الزوار من جميع الأقطار نادتهم بلسان حالها وقد رفعت الأستار عن جمالها وأبدت نورها وسناها :

إلىّ إلىّ ياعشاق حسنى ... فهذا الوقت وقت لايضاهى ... فكأس وصالها قد دار صرفا
وشمس جمالها أبدت سناها ... وقالت دونكم قربى تملوا ... تروا بجنابنا عزا وجاها
فأين يصاب مثل عروس حسنى ... وما فى الكون معشوق سواها
وقد سعدت عيون قد رأتها ... وقد شقيت عيون لاتراها

فسبحان من شرّف الكعبة البيت الحرام وخصها بالإجلال والإعظام واصطفاها ، وجعلها حمى مباحا وجنابا رحبا لمن حام حول حماها ، وحرما آمنا لمن دخل إليه ووفى ماعليه حين وافاها ، ووجهة لمن واجهها وأراد عنده جاها ، وهى التى هاجر منها الحبيب وماهجرها ولاقلاها ، وماانقاب قلبه إلى قبلة سواها ، حتى أنزل عليه فى آيات سمعها وتلاها (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها) :

فولى وجهك الحسن المفدى ... إليها حيثما كنت اتجاها ... فإن أباك إبراهيم قدما
لأجل رضاك حقا قد بناها ... وإسمعيل طاف بها ولبى ... وطهرها لمشتاق أتاها
هو البلد الأمين وأنت حل ... فطأها ياأمين فأنت طاها ... ووجه حيث كنت إذن إليها
ولا تعدل إلى شىء سواها ... فوجه الله قبلة كل حى ... من شهد الحقيقة واجتلاها
وهذا البيت بيت الله فيه ... تسر النفس إذ بلغت مناها ... وهذا الحجر والحجر المفدى
وزمزم والحطيم ومازماها ... فهلل عند مشهده كفاحا ... وزمزم عند زمزمه شفاها
فياحجاج بيت الله طوفوا ... بكعبته ولبوا فى ذراها ... فطوبى ثم طوبى ثم طوبى
لنفس فى منى بلغت مناها ... فقل للناسكين بكل فج ... لكم نهج وعج فى رباها

فلا يجدى سوى الإخلاص حقا ... ونيته التى فيها نواها *
وإقلاع عن العصيان جهرا ... وتجريد لنفسك عن هواها
* وإرفاق وإنفاق وبذل ... لذى الحاجات مما قد عراها

العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

﴿فصل﴾ فى صحيح مسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث إذا خرجن لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » واختلف فى أول الآيات : فقيل أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وجاء من رواية ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها » ودابة الأرض طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر ، وقيل مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات تتصدع بجبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس نزول إلى منى ، وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام ، لايدركها طالب

وتقوى الله أفضل كل زاد لنفس بالتقى عرفت هداها
فقل بلسان عزمك فى رباها إذا شاهدت فى المغنى سناها
إليك شددت يامولاى رحلى وجئت ومهجتى تشكو جواها
وها أنا جار بيتك يارجائى وبالأستار ممتسك عراها
وللجيران والضيفان حق على الجار الكريم إذا دعاها
إليك شفيعنا الهادى المفدى ومن قد حل جهرا فى حماها
شفيع الخلق يوم الحشر حقا رسول الله أقوى الناس جاها
عليه من المهيمن كل وقت صلاة غير منحصر مداها

قوله عز وجل (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) هى الكعبة وضعها الله تعالى فى الأرض قبالة البيت المعمور كما روى أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة وحج البيت لقيته الملائكة ، فقالت له برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام . قال فما كنتم تقولون ؟ قالوا كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فكان آدم عليه السلام يقولها فى طوافه ثم يقول . اللهم اجعل لهذا البيت عمارا من ذريتى ، فأوحى الله تعالى إليه : إنى معمر بيتى من ذريتك بنى اسمه إبراهيم أتخذه خليلا ، وانى لأقضى على يديه عمارته . فلما جاء الطوفان فى عهد نوح عليه السلام رفع الله عز وجل البيت إلى السماء الرابعة ، وكان من زمردة خضراء وفيه قناديل من قناديل الجنة وأخذ جبريل الحجر الأسود فأودعه فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق . فكان مكان البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السلام فلما ولد له إسمعيل وإسحق أمره الله تعالى ببناء بيت يذكر فيه فقال : يارب بين لى صفته فأرسل الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فسارت معه حتى قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ، ونودى : يا إبراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص فكان جبريل عليه السلام يعلمه وإبراهيم يبنى وإسمعيل يناوله الحجارة ذكره ابن عباس وابن شهاب وقتادة . وقوله تعالى (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) أى آيات واضحات دالات على توفير الأجور والثواب . وقوله تعالى (من دخله كان آمنا) يعنى آمنا من النار ، وقيل آمنا من الفزع الأكبر ، وقيل آمنا من الشرك . وقوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) الاستطاعة أن يكون قادرا على الزاد والراحلة ، وأن يصح بدن العبد ، وأن يكون الطريق آمنا . ثم قال تعالى (ومن كفر فإن الله غنىّ عن العالمين) أى من كفر بالحج فلم ير حجه برّا ولا تركه إثما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات بأحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين» وفى الحديث «استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أفضل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه» وفى الخبر «من طاف أسبوعا فى المطر غفر له ماتقدم من ذنبه» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه ابن حبان فى صحيحه .

ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا فينكت فى وجهه مؤمن ، وتطبع الكافر بالخاتم فينكت فى وجهه كافر . وفى صحيح مسلم عن النوّاس بن سمعان قال «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ، إنه خارج من خلة بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالا . ياعباد الله فاثبتوا ، قلنا يارسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه

[وقيل] إن الله تعالى وعد البيت بأن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم من الملائكة ، وإن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها . وفى الحديث « إن الحجر الأسود ياقوتة من من ياقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به فيشهد لمن استلمه بحق وصدق » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا ، وقبله عمر رضى الله عنه وقال انى لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ، فقال علىّ كرم الله وجهه لاتقل كذا ، بل هو يضر وينفع ، فقال له يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتجاب الدعوات ، فقال علىّ ياأمير المؤمنين ، بل هو يضروينفع باذن الله تعالى ، قال وكيف ؟ قال لأن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود ، وهو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وروى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال : الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة وصوم يوم بها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف :

يا كعبة الله لى غرام إليك لم يثنه ملام أنت لنا تشفعين حقا
عند حبيب له ذمام تضاعف الحسنات فيك دوما وزوارك الكرام

وجاء فى الحديث « إن الله تعالى ينظر كل ليلة الى أهل الأرض وأول من ينظر إليهم أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفاغفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه مستقبل الكعبة غفر له » . وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحجر والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة » وعن ابن مسعود رضى الله عنه «وقف النبى صلى الله عليه وسلم على ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة . فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام » وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا البيت دعامة الإسلام من يخرج من بيته يطلب هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة إن قبضه وإن رده رده بأجر وغنيمة » وقوله تبارك وتعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) لأنه خلق قبل الأرض بألفى عام وسمى البيت عتيقا لأن الله تعالى أعتقه من أيدى الجبابرة فلم يسلط عليه جبارا قط ، بل كل من قصده بسوء هلك . وقال أبو بكر الواسطى إنما سمى عتيقا لأن من طاف به صار عتيقا من النار :

طوبى لمن طاف بالبيت العتيق وقد لجا إلى الله فى سر وإجهار
ونال بالسعى كل القصد حين سعى وطاف جهرا بأركان وأستار
ذاك السعيد الذى قد نال منزلة عليا فى دهره من كل أوطار
وكل من طاف بالبيت العتيق غدا بين الورى معتقا حتما من النار

فى الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح ، فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درّا وأسبغه ضروعا وأمدّه خواصر . ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ؛ فبينما هو كذلك إذبعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات

وسمى أبو بكر الصديق عتيقا ، فمن لم يتوجه إلى الكعبة لم تقبل صلاته ومن لم يشهد بولاية أبي بكر الصديق لم تقبل زكاته . وعن عبد الله بن سليمان . قال : طاف آدم عليه السلام بالبيت سبعا حين نزل على الأرض ، ثم صلى ركعتين ثم أتى الملتزم ، فقال : اللهم إنك تعلم سرّى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى فاغفر ذنوبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى ، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت علىّ ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك ، ولن يدعوبها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكشفت عنه ضيقه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه ورزقته من حيث لا يحتسب وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها . وعن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : لما كان بعد الطوفان الذى أغرق الله به قوم نوح ورفع البيت المعمور الذى كان بناه آدم عليه السلام إلى السماء السادسة أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يأتى إلى موضع البيت ويبنى على أثره فانطلق ابراهيم عليه السلام فلم يره أثرا وخفى عليه مكانه ، فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر البيت الحرام فى الطول والعرض فيها رأس له لسان يتكلم وعينان فقامت على ظهر البيت بحياله ، ثم قالت : يا إبراهيم ابن على قدرى وحيالى قال فأخذ ابراهيم عليه السلام على ظهر قدرها وحيالها ، فأسس عليها البيت الحرام فذهبت السحابة ، ثم بناه حتى فرغ منه فطاف به أسبوعا فأوحى الله تعالى إليه أن أذن فى الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال يا إبراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ . وفى رواية : عليك الأذان وعلينا البلاغ ، فلما أمره بذلك صعد إبراهيم على جبل أبى قبيس ونادى ياعباد الله ألا إن ربكم قد بنى بيتا وأمركم بحجه فحجوه فأسمع الله عز وجل من فى الأرض وأجابه الانس والجن والحجر والمدر والشجر والجبال والرمال وكل رطب ويابس ، وأسمع من فى المشرق والمغرب وأجابوه من بطون الأمهات ومن أصلاب الرجال كلّ يقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، فانما يحج اليوم من أجاب يومئذ ، فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى ثلاثا حج ثلاثا ومن لبى أكثر حج بقدر ذلك : وقوله تعالى (يأتوك رجالا) أى رجالة (وعلى كل ضامر) أى ركبانا على ضمر من طول السفر (من كل فج عميق) أى بعيد غامض :

لما رأيت مناديهم ألمّ بنا ... شددت مئزر احرامى ولبيت
وقلت للنفس جدى الآن واجتهدى ... وساعدينى فهذا ماتمنيت
لو جئتكم قاصدا أسعى على بصرى ... لم أوف حقا وأى الحق أوفيت

[وعن محمد بن كعب رضى الله عنه] عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « كنت طائفا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت الحرام فقلت : فداك أبى وأمى ماهذا البيت ؟ قال لى ياعلى أسس الله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتى ، فقلت : فداك أبى وأمىّ ماهذا الحجر الأسود؟ قال تلك جوهرة كانت فى الجنة أهبطها الله تعالى إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مستها أيدى المشركين »

[إخوانى] ما كل بيت كعبة ولا كل جبل عرفات ولا كل زاد يوصل ، فيامن فاته الحج ولم يجد إليه سبيلا ومضى عمره فى اللهو ، وقد حمل من الذنوب حملا ثقيلا ، وجر فى ميدان العصيان بالغفلة منه ذيولا ، وطلب النجاة فلم يجد إليها وصولا ، بادر بالحج إلى بيت الله الحرام واجعل لك نور الإسلام دليلا . فقد قال من لا تدركه الأبصار ولا تجد له العقول ولا الأفكار عديلا ولا مثيلا :

ونفسه يتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله ، ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : أنى أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم فأحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرّة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون ، لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله إليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبىّ الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم

(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فطوبى لمن حجه فأدرك ربحا ومغنما ودخل حرمه الذى هو أمن لمن دخله وحمى . أماشاقه الركب إذا سار الى ذلك الجناب ميمما ، أما أطربه الحادى إذا حدا باسم الحبيب مترنما وغنى بذكره مزمزما :

ياساقيا غن النياق وزمزما	أبشر فقد جئت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة	وتقول إنّ بها المنى والمغنما
بردّ بماء سقاية العباس ما	كابدته طول الطريق من الظما
وانهض وهرول بين مروة والصفا	وادخل الى الحجر الكريم مسلما
ومقام إبراهيم زره مبادرا	وبحجر إسمعيل صلّ معظما
وانظر عروس البيت يجلى حسنها	للناظرين ولذبها مستعصما
فهى التى ظهرت فضائلها فلا	تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنسان إلا باكيا	فرحا بها أو ضاحكا متبسما
والنور من أرجائها لايختفى	أبدا وإن جن الظلام وأعتما
ومن العجائب أنها محروسة	والصيد فيها لايزال محرّما
والطير لايعلو على أركانها	إلا ليشفى إذ غدا متألما
تختال فى حلل السواد وبابها	بالنور دام مبرقعا وملثما
هى كعبة المولى الكريم وكل من	وافى اليها حقه أن يكرما
يارب قد وقفت ببابك عصبة	يرجون منك تفضلا وتكرما
مامنهمو إلا ذليل خاضع	باك على زلاته متندما
ذاطالب فضلا وذا متنصل	مما جناه من الذنوب وقدّما

[قال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه] مكتوب فى التوراة : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك من الملائكة المقربين بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب الى البيت الحرام فيقول لهم : اذهبوا فزموه بهذه السلاسل ، ثم قودوه إلى المحشر فيأتونه فيرمونه بتلك السلاسل ويمدونه وينادى ملك يا كعبة الله سيرى فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلى فينادى ملك من جوّ السماء سلى فتقول الكعبة يارب شفعنى فى جيرانى الذين دفنوا حولى من المؤمنين فتسمع النداء : قد أعطيتك سؤلك ، قال فتحشر موتى مكة بيض الوجوه كلهم محرمين مجتمعين حول الكعبة يلبون . ثم تقول الملائكة سيرى يا كعبة الله فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلى فينادى ملك من جوّ السماء سلى تعطى فتقول الكعبة يارب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق شعثا غبرا تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقا إلىّ زائرين مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم فأسألك أن تشفعنى فيهم وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولى ، فينادى الملك فان فيهم من ارتكب الذنوب بعدك وأصرّ على الكبائر حتى وجبت له النار فتقول : يارب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار حتى وجبت لهم النار فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك فينادى ملك من جوّ السماء ألا من زار كعبة الله فليعتزل عن الناس فيعتزلون فيجعلهم الله تعالى حول البيت الحرام بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون ويلبون . ثم ينادى ملك من جو السماء ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك والخير كله بيديك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . ثم يمدونها إلى المحشر

النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم . وروى زهمهم بضم الزاى وفتح الهاء جمع زهمة ، وهى الريح المنتنة ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ويروى تطرحهم بالنهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين ، ثم يرسل الله مطرا لايكنّ منه بيت مدر ولاوبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردّى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم

فسبحان من جعل الكعبة البيت الحرام أمنا على من كان لها من الأنام أهلا ، وخص بزمزم والمقام من قام بواجبه فرضا ونفلا ، واصطفى للمروة والصفا من سعى على أقدام الوفا واستبدل من الجفا وصلا ، فيالها من عروس حنت إليها النفوس فراح المحزون من حبها أسرى وقتلى ونادى منادى الحبيب بالترحيب أهلا وسهلا :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بعروس على المحبين تجلى ... لبست خلعة الجمال وزفت
سابت للمشوق قلبا وعقلا ... قدهجرنا الديار والأهل شوقا ... وقطعنا القفار وعرا وسهلا
وأتينا شعثا وغبرا نلبي ... ودموع الأشواق تزداد هطلا ... ثم بعنا النفوس بيع سماح
وعلمنا بأن وصلك أغلى ... كم مشوق قد رام منك وصالا ... قبل موت فلم ينل منك وصلا

تحت ظل الأراك أضحى طريحا ... باكي العين عن حماك مخلى
عاقه حظه فعاد حزينا ... وزمان السرور عنه تولى
أي شيء يكون في الأرض جمعا ... من طواف القدوم والسعي أحلى
والتزام الستور والدمع يجرى ... من سرور وكعبة الله تجلى
رفعت برقع الجمال ونادت ... ألف سهلا بالقادمين وأهلا
قد عفا الله عنكمو وحباكم ... برضاه وزادكم منه فضلا
فاشكروا الله مذ دعاكم إليها ... وأعاد العسير ياقوم سهلا
بادروا الآن للطواف وقوموا ... قد صفا الوقت والحبيب تجلى
ماترى الصيد عندها كيف يحمى ... وكذا الطير فوقها ماتعلى
عن قريب نسير في عرفات ... ثم نرمي من المآثم حملا
وينادي بالبشر فينا مناد ... عند ما تنظر النهار تولى
قد عفا الله عنكم وحماكم ... من جحيم بها العصاة أذلا
فانفروا بارك المهيمن فيكم ... واركبوا النجم يا كراما أجلا
فانثنينا عند الصباح جميعا ... نحو وادي منى وأرض المصلى
ورمينا الجمار لما قدمنا ... وأتانا السرور والحزن ولى
وحلقنا الرءوس من بعد نحر ... واتبعنا فعال من كان قبلا
وقضينا مناسك الحج حتى ... عاد ما حرّم المهيمن حلا
وشددنا المطى نحو نبيّ ... أطيب العالمين فرعا وأصلا
أحمد المصطفى شفيع البرايا ... فاز من زار قبره وتملى
فعليه من الإله صلاة ... وسلام على المدى ليس يبلى

المجلس العاشر

في ذكر ماجاء في البكاء والباكين من خشية الله تعالى

الحمد لله الذي أبكى عيون الخائفين خوف الوعيد فجرت عيونهم كالعيون ، وأجرى سحب المدامع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فهم من خوف القطيعة يبكون ، أخذوا في النوح والتعديد خوف الوعيد فهم من مكره خائفون ، جعلوا التقوى لهم أخفر لباس فأطار الخوف نومهم والنعاس فهم عند مايفرح الناس يحزنون ، قد منع الدمع نومهم والهجوع فهم يبكون بفؤاد موجوع وقلب محزون ، قد جعلوا البكاء لهم دأبا والدمع شرابا يقطعون النهار حزنا والليل انتحابا فهم

لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة »

وأنشد بعضهم :

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كوّرت شمس النهار وأضعفت ... حرا على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها مغرور
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت ... وتقول للأملاك أين تسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا ... وعجائبا قد أحضرت وأمور

عن البكاء لا يفترون ، فسبحان من أضحك وأبكى وأمات وأحيا وعلم ما كان وما يكون، عاهدوا مولاهم فوجدوه وفيا وعاملوه فوجدوه مليا . فهم الذين (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا) قد عفر كل منهم فى التراب وجهه المصون ، إذا خلا حزينهم بنفسه أنّ وشكا . وإذا تفكر فى ذنوبه تضرع وبكى ، وقرّح بالمدامع الجفون ، فكلهم فى حضرة الملك الديان يمطرون الدمع من سحائب الأجفان ويخرون للأذقان يبكون ؛ سمعوا ماقيل لأهل الصدق والوفاء «إن لم تبكوا فتباكوا» فهم من البكاء لا يملون ، أقلقهم الخوف فهم سائحون ، وأحرقهم الوجد فهم هائمون ، لزموا الحذر فهم فى النهار صائمون ، وألفوا السهر فهم فى الليل قائمون ، دموعهم شرابهم وصمتهم جوابهم فهم فى الفتنة سالمون ، يبكى كل منهم على زلته وكلهم يخافون من سطوته (وهم من خشيته مشفقون) فسبحان من ابتلى عباده بأنواع الابتلاء من جميع الفنون ، ولم يعف من ذلك الأنبياء وهم المقربون ، فآدم عليه السلام بكى أربعين عاما لما أخرج من الجنة وهو أبو البشر وصاحب العرض المصون . ويعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن وقال لباقى أولاده لما حجبوه عنه (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) ولما علم إخوة يوسف من أبيهم محض الودّ له وفرط الحب ألقوه فى غيابة الجب (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وداود عليه السلام بكى أربعين يوما على خطيئته ولم يرفع فيها رأسه إلى السماء من خجلته ، فنودى : يا داود أما الذنب فقد غفرناه وأما الود فلا يعود فى الدنيا ولا يكون ، ولسان الحال يقول من فرط الحزن والشجون :

بكيت من حزنى حتى جرى ... لما ألاقى من عيونى عيون

ياسادة أغضبتهم ساهيا ... عسى إلى حال الرضا يرجعون ... بكيت بالدمع على مامضى

من زمن ولى وعيش مصون ... فيارعى الله ليالى مضت ... بكم وقرت بلقاكم عيون

رضيت مايرضاه لى سيدى ... وما أراد الله منى يكون ... والله ما استصعبت مانالنى

فى حبه والصعب عندى يهون ... ياهل ترى يرجع عيش مضى ... بمن لقلبى فى لقاه سكون

من قبل أن أعصاك ياسيدى ... ياليتنى لاقيت ريب المنون ... لكننى تبت ومالى سوى

بابك إذ يقصده التائبون ... وقد تشفعت بخير الورى ... ومن لديه لاتخيب الظنون

صلى عليه الله ماغردت ... ورقاء عند الصبح فوق الغصون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس شىء أحب إلى الله تعالى من قطرتين : قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله» وقال صلى الله عليه وسلم « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله تعالى وعين سهرت فى سبيل الله تعالى وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى » وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقنى عينين هطالتين يبكيان الدمع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دما والأضراس جمرا » .

[إخوانى] يقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة : وعزتى وجلالى لا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكا فى نور قدسى ، قل للبكائين من خشيتى أبشروا فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت ، قل للمذنبين من عبادى يجالسوا البكائين من خشيتى لعلى أن أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين ، وقال النضر بن سعد رحمه الله : ماأغرورقت عين بمائها من خشية الله تعالى إلا حرم الله تعالى وجه صاحبها على النار فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة يوم القيامة ، ولو أن محزونا بكى من خشية الله تعالى فى أمة من الأمم لرحم الله تعالى ببكائه تلك الأمة ، وما من عمل إلا وله وزن إلا الدمعة

وإذا الجنين بأمه متعلق ... خوف الحساب وقلبه مذعور

هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهور

﴿ فصل ﴾ قال الله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون . وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم

فانها تطفئ بحورا من النار . وقال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : لأن أدمع دمعة من خشية الله تعالى أحب إلىّ من أن أتصدق بألف دينار .

[إخوانى] إذا تمكن الخوف من أرض القلوب والضلوع جرت سواقى الدموع فسقت بستان الخشية ، فأزهر بالندم وأثمر بالتوبة . كان داود عليه السلام يبكى الليل والنهار على خطيئته فخلع خلع الفرح ولبس جلباب الحزن فأسكت الحمام بنوحه وشغلها عن صدحها بصوته وأقلق الأفئدة بشجنه وروى العشب من دموعه . وكان يقول فى مناجاته : خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداووا قلبى من داء علتى فكلهم عليك دلنى . إلهى امددعينى بالدموع وضعفى بالقوة حتى أبلغ رضاك عنى :

يامن تجنبت صبرى من تجنبه ... هب لى من الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفراتى فى تصعدها ... إلى الممات ودمعى فى تصببه
وبى فؤاد إذا طال الغرام به ... هام اشتياقا إلى لقيا معذبه

قال فما زال يغسل العين من عين العين وهو يستغيث وينادى حتى أقلق الحاضر والبادى :

إن شفيعى إليك منى ... دموع عينى وحسن ظنى
فبالذى قادنى ذليلا ... إليك إلا عفوت عنى

[وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله] البكاء من الخوف والاضطراب من الرجاء والشوق . وكان محمد بن المنكدر رضى الله عنه إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ، فقيل له فى ذلك ، فقال بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع ، ياهذا البكاء يطفئ حمر الذنوب ويحيى زرع القلوب ويوصلك إلى المطلوب ، فابك فى خلواتك على جفواتك ، ابك بعبراتك على عثراتك ، ابك فى أيامك على ذنوبك وآثامك ، ابك فى لياليك على غيك وتماديك :

بكى وحق له إرسال دمعته ... عبد تباعد عن مولاه وانتزحا
سقته لوعته أنواع عبرته ... إذا انقضى قدح أهدت له قدحا
كذا المحب إذا صحت مودته ... أيام فرقته لايعرف الفرحا

[قال أبو بكر الكنانى رحمه الله] : رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن منه فقلت له من أنت ؟ فقال أنا التقوى ، فقلت له فأين تسكن ؟ فقال فى كل قلب حزين بكاء . وقيل رأى يزيد الرقاشى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه . فقال له : هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله : رأيت فى المنام جارية مارأيت أحسن منها يتلألأ وجهها بهاء وجمالا ، فقلت لها : ما أنور وجهك ؟ فقالت : أتذكر الليلة التى بكيت فيها من خشية الله عز وجل ؟ قلت نعم . قالت حملت إلىّ دمعتك فمسحت بها وجهى فصار كما ترى .

[وحكى] عن عطاء السلمى أنه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : لم لاأبكى ووثاق الموت فى عنقى والقبر منزلى والقيامة موقفى والخصوم حولى يقولون لى يامرائى بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء . وبكى يزيد الرقاشى عند موته فقيل له : مم تبكى ؟ فقال . أبكى على مايفوتنى من قيام الليل وصيام النهار وحضور مجالس الذكر . ولما احتضر عامر بن قيس رحمه الله بكى فقيل له مايبكيك ؟ فقال : والله إنما أبكى على صيام هواجر الصيف وقيام ليالى الشتاء . وبكى أبو الشعثاء رحمه الله عند موته فقيل له مايبكيك ؟ فقال : اشتقت إلى قيام الليل . وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوده فجعل يتنفس ويتأسف . فقلت له : على ماذا تتأسف ؟ فقال على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى . وبكى بعض العباد عند موته فسئل عن

إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) . وفى كتاب النسائى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى بجبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ ؟ قالوا يارسول الله كيف نقول ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » ، وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، قلت يارسول الله

ذلك ؟ فقال : أبكى بأن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، ويصلى المصلون ولست فيهم .

[إخوانى] انظروا إلى هؤلاء السادة كيف يتأسفون على الفوت ، ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت ، فاستدرك مابقى من عمرك أيها الإنسان ، واعلم أنك كما تدين تدان . أما تمرون على قبورهم الدوارس وتعتبروا ! أما ترونهم فى قبورهم قد أسروا يتمنون العود إليكم وهيهات ! ويسألون التدارك وقد فات ، وكم وعظ الزمان من ألباب ، وكم أنذر المشيب من شباب ، وكم أباد الموت من أتراب ! وكم فرق بين أحباب ! أما لك سمع للدواعظ يسمع ! أمالك عين على فراق الحبائب تدمع ! أمالك قلب من الخوف يخشع ! أمالك فى التوبة إلى الله مطمع :

كم رأينا من أناس هلكوا ... فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهمو ... ليتهم لو قدموا ماتركوا
كم رأينا من ملوك سوقه ... ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلكا ... فاستداروا حيث دار الفلك

[وقيل] أوحى الله تعالى إلى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم : ياشعيب هب لى من رقبتك الخضوع ومن قلبك الخشوع ، ومن عينيك الدموع ، وادعنى فإنى قريب . وقيل بكى شعيب عليه السلام مائة عام حتى ذهب بصره فردّه الله تعالى عليه فبكى مائة أخرى حتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه ياشعيب ماهذا البكاء إن كان خوفا من نارى فقد أمنتك منها ، وإن كان شوقا إلى جنتى فقد أبحتك إياها . فقال : وعزتك وجلالك يارب مابكائى شوقا إلى جنتك ولاخوفا من نارك ولكن عقد حبك فى قلبى عقدة لايحلها إلا النظر إلى وجهك الكريم . فقال الله تبارك وتعالى : إذا كان ذلك كذلك فلأبيحنك النظر إلى وجهى ولأبعثنّ إليك عاجلا عبدا من عبادى يخدمك عشر سنين ثم أجعله كليما ببركة مناجاتك :

هل سبيل للتلاقى ... فلقد طال اشتياقى ... بعد وصل واجتماع ... وحديث واتفاق
قد سقانى البين كأسا ... طعمه مرّ المذاق ... فدموعى فوق خدى ... فى انسكاب واندفاق
ليتنى متّ ولم ألـ ... ـق مرارات الفراق

آه على قلوب أذابها حرّ الغليل ، آه على نفوس أفناها البكاء والعويل ، آه على جوارح قابلت بفعلها القبيح الفعل الجميل ، آه على أكباد لم تتقطع خيفة من الملك الجليل ، آه على قلوب لم تتفكر فى يوم الموت والرحيل ، آه على جنة عدن وظل ظليل ، آه على قسوة سلكت بالقلب إلى النار بئس السبيل ، آه على شراب من سلسبيل ، آه على نعيم نعم مقيل ، آه على قلب بالذنوب عليل ، آه على من شدّ عظمه للطاعة فأصبح وهو نبيل ، آه على سائق إلى الرشد دليل ، أما آن لك يامسكين أن تقلع عن هواك ! أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك ! أنسيت ماخولك وأعطاك ! أما خلقك فسواك ! أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك ؟ أما ألهمك إلى الإسلام وهداك ! أما قربك بفضله وأدناك ! أمابرّه فى طرفة عين يغشاك ! فقابلت ذلك بالغفلة وركوب الشهوات ، والمبادرة بالخطايا والزلات ، فنقضت عهده ، وعصيت أمره ، ودمت على الإضرار ، وأطعت هواك وخالفت الجبار ، أما آن لك أن تستحى ممن شاهدك على المعصية ورآك ومع هذا الحرمان والبعد عن مولاك إن عدت إليه قبلك وارتضاك ، وإن لزمت خدمته قربك وأدناك :

تغسل من الطبع ثوبك ... تخشى من الناس تنظره ... وقلبك أضحى أسود ... ماتغسله بمتاب

النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم . قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ،

الناس تنظر ثيابك والحق ينظر باطنك فاغسل ثياب الباطن تكتب من الأحباب
ياناقض العهد تعلم بأن ربك مشرف على فعالك وتخشى تعلم بك الأصحاب
للهو تخلى سرّك وتستلذّ مسامعك وبين قلبك وسمعك عن الصلاح حجاب
أفنيت فى اللهو عمرك ومار بحت سوى العنا إلى متى ذى المعاصى وشعر رأسك شاب
فقم وبادر بتوبة فنجم عمرك قد أفل واخلص لمولاك ساعه من قبل غلق الباب
ياعبدنا كم تعرض عنا وفى جنح الدجى ندعوك فى كل ليله ولا تردّ جواب
وعزتى ياعبدى لقد أرى من فعلك مالو رآه غيرى ماراسلك بكتاب
لكن أجود بحلمى عليك علك تنصلح وأسترك حين تعصى وتغلق الأبواب
وبعد هذا تأتى إلىّ تائب أقبلك وأتحفك بالعطايا فى سائر الأسباب
وإن خشيت الفضيحه يوم القيامة فالذى بينى وبينك مخفى أنسيه للكتاب
فانهض بعزم صادق واخلى لخوف باطنك وقف على باب جودى تسمع لذيذ الخطاب
وابكى ونح وتضرع وتب وبادر واعتذر وادعو وعفر خدودك على ثرى الأعتاب

[وقال أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله] دخلت يوما على أبى سليمان الدارانى فوجدته يبكى فقلت مايبكيك ؟ فقال يا أحمد وكيف لا أبكى وقد بلغنى أنه إذا جن الليل وهدأت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه استنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربها وارتفعت هممها إلى ذى العرش وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدى مليكهم فى مناجاتهم ورددوا كلامه بأصوات محزونة وجرت دموعهم على خدودهم فتقطرت فى محاريبهم خوفا واشتياقا إليه فأشرف عليهم سبحانه ونظر إليهم ونادا هم : أحبابى العارفين بى اشتغلتم بى ، ونفيتم عن قلوبكم ذكر غيرى ، أبشروا فإن لكم السرور والفرب يوم تلقونى ، ونادى الجليل جل جلاله : ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى ، واستراح إلىّ وأناخ بفنائى فإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم وأرى تقلبهم واجتهادهم فناد فيهم : ماهذا البكاء الذى أسمع ؟ وماهذا التضرع الذى أرى منكم ؟ هل سمعتم أوأخبركم أحد أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار ! أم بلغكم أنى أطرد من لاذ بى واستجار؟ فوعزتى لأبيحنكم دار القرار ، ولأرفعنّ لكم حجبى والأستار ، ولأعوضنكم بدموع الفرح والاستبشار :

ماناح فى أعلى الغصون الهزار إلاتشوّقت لتلك الديار
ولاسرى من نحوكم بارق إلاوأجريت الدموع الغزار
وا أسفى أين زمان الحمى وأين هاتيك الليالى القصار
واحرّ قلباه متى نلتقى وتنطفى من داخل القلب نار
وأنظر الأحباب قد واصلوا ويأخذ الوصل من الهجر ثار
أقول للنفس أبشرى باللقا قد واصل الحب وقر القرار

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن عبد يخرج من عينيه دموع وإن كانت مثل رءوس الذباب من خشية الله تعالى فتصيب شيئا من حر وجهه إلاحرمه الله تعالى على النار» وقال وهب بن منبه رضى الله عنه : سجد آدم عليه السلام على جبل الهند مائة عام يبكى حتى جرت دموعه فى وادى سرنديب وأنبت الله فى ذلك الوادى من دموعه الدارصين والقرنفل وغير ذلك من الطيب وجعل طير ذلك الوادى الطواويس ، ثم جاء جبريل عليه السلام فقال له ارفع رأسك فقد غفر لك فرفع رأسه وأتى الكعبة فطاف بها أسبوعا فما أتمه حتى خاض فى دموعه . فيا أيها العاصى تفكر فى حال أبيك وتذكر ماجرى له يكفيك :

وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » وفيه قال صلى الله عليه وسلم « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » وفيه قال : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى » قال سهل أوغيره : ليس فيها معلم لأحد ، وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيها » قيل المراد بالثياب العمل ، وحمله أبو سعيد الخدرى على ظاهره . وفى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » قال سليم بن عامر : فوالله ماأدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكتحل به العين ؟ قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ،

بكت عيني وحق لها بكاها ... على نفسي التي عصت الإلها
ومن أولى بطول الحزن منها ... وبالآثام قد قطعت مداها
فلا تقوى تصدّ عن المعاصي ... ولا تخشى الإله ولا تناهى
تتوب من الاساءة في صباح ... وتنقض قبل أن يأتي مساها
وتنكث عهدها حينا فحينا ... كأن الله فيه لا يراها
وتقعد عن حقوق الله عمدا ... وتبغي دائما مالا وجاها

[وقال مجاهد] بكى داود عليه السلام أربعين يوما وهو ساجد لا يرفع رأسه حياء من الله عزوجل حتى نبت من دموعه المرعى وحتى غطى رأسه فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى أم مظلوم فينتصر لك ؟ فنحب نحبة فهاج ماثمّ من الزرع فأنزل الله اليه التوبة والمغفرة . فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لغيره إلا رآها مقابلته وكان يؤتى بالقدح وثلثاه ماء فاذا تناوله رأى خطيئته فلا يضعه حتى يفيض من دموعه . فقال يارب أما ترحم بكائي ؟ فأوحى الله تعالى اليه ياداود نسيت خطيئتك وذكرت بكاءك . فقال إلهي كيف أنسى خطيئتي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء عن جريانه وسكن هبوب الريح وأظلتني الطير على رأسي وأتت الوحوش إلى محرابي . إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك ؟ فأوحى الله تعالى إليه ياداود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، ياداود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي ، وأسجدت له ملائكتي ، وألبسته ثوب كرامتي ، وتوجته بتاج وقاري وشكا الىّ الوحدة فزوّجته حواء أمتي وأسكنته جنتي فعصاني ، فأخرجته من جواري عريانا ذليلا حائرا لا يدري أين يذهب فظل يبكي أربعين عاما ، ولو وزنت دموعه لعدلت دموع الخلائق :

بكت عيني على ذنبي ... ومالاقيت من كربي ... فياذلي وياخجلي ... إذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني ... ولا تخشى من العتب ... وتخفي الذنب من خلقي ... وتأبى في الهوى قربي
فتب مما جنيت عسى ... تعود إلى رضا الرب

[وكان فتح الموصلي رضي الله عنه] يبكي الدموع ، ثم يبكي الدم ، فلما مات رؤي في المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يديه ، وقال لي يافتح هذا البكاء لماذا ؟ قلت يارب على تخلفي عن واجب حقك ، قال فلم بكيت الدم ؟ قلت يارب خوفا على دموعي أن لا تصح لي . قال يافتح ماأردت بذلك كله ؟ . قلت ياسيدي أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع بي ماشئت . فقال وعزتي وجلالي لقد صعد إلىّ حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلألبسنك لباس التكريم ولأمتعنك بالنظر إلى وجهي الكريم :

فاذا جلا ذاك الجمال عليهم ... جهرا أفاق الصب من غمراته
مولى إذا العشاق حار دليلهم ... وجدوا الهدى والرشد في آياته
ما في جميع الكون إلا عاشق ... وموله في حسنه وصفاته

هؤلاء والله هم الخواص من العبيد ، وهؤلاء صفوة الملك المجيد ، فهم السابقون الى المقصود والمتنزهون في حضرة شاهد ومشهود ، فكيف حالك أيها الشقي المطرود ، المنقطع عنهم بمخالفة الملك المعبود ؟ بالله عليك نح على نفسك وابك بكاء من أصبح عن الجناب وهو مبعد مطرود :

دع المفرط يبكي عسى المدامع تنفعه ... فالدمع لا شك أشفى لقلبي المكمود

ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما وأشار بيده صلى الله عليه وسلم الى فيه » ، وفي مسند أبي بكر البزار عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يارب إرسالك بي الى النار أهون عليّ مما أجد وهو يعلم مافيها من شدة العذاب » وقال بعض السلف : لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الصخر ونشفت الأنهار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه ، ورجل ذكر الله

أنا الشقى المفرط قدضاع عمرى فى الهوى وقد شقيت بفعلى ورأيى المفسود
من المفرّط إذا ما رأى الحبايب واصلوا أحبابهم وهو عنهم دون الورى مبعود
ياغارقا فى المعاصى قد ضل عن طرق الهدى إلى متى يامعنى تبارز المعبود
انظر عبيد الطاعه كيف استنار قلبهم قوم يبيتون ركع لربهم وسجود
قاموا وصاموا وداموا واستوهبوا مليكهم جميع ماقد أرادوا وحصلوا المقصود
قوم أطاعوا المولى وشمروا واستيقنوا بأن ماذى الدنيا للمرء دار خلود
ماتستحى من ربك تأتى غدا يوم الجزا والخلق بيض الصحايف وأنت صحفك سود
تقدر بأنك تجحد وأن حالك يخفى استيقظ إن كنت نايم ماذاك يوم جحود
أملاك ربك تكتب جميع ماقد تفعله وكل أعضاك تنطق وهم عليك شهود
واخجلتى من وقوف فى وقت عرضى للقضا وقد تسوّد كتابى فى المنظر المشهود
هناك تبدو الفضائح وينظروا ماقد جنوا وعند ذلك يبين الشقى من المسعود
فكم ترى ذا شيبه يسحبه الزبانيه وكم فتى بالذله والمعصية مطرود
وكم وجوه تقلب فى النار مع خزانها وكم جلود تبدل من حرها بجلود
وليس ينجى الخلائق من هول ماقد شاهدوا إلا الذى بالشفاعه من ربه موعود
رسول رب البرايا المصطفى الهادى الذى يسقى عطاش الأمه من حوضه المورود
صلى عليه البارى ماسارت النوق فى الفلا وماسرت كل عام إلى حماه وفود

المجلس الحادى عشر

فى فضائل الفقراء رضى الله عنهم

الحمد لله الذى جعل الأولياء صفوة خلقه ، فهم إلى لقائه يتأهبون ، تسلوا بالصلوات عن الشهوات وبحلاوة التلاوة عن اللذات ، فحبه فى قلوبهم مصون ، صفحات وجوههم تنبيك عن أنوار قلوبهم ؛ فبنور جمال جلاله يعرفون ، مسك أنفاسهم قد عطر الكون . فهم فى خيمة العزلة يتكتمون ، ونسيم السحر يحمل ذلك العطر فله الخلائق يستنشقون ، فلو ذاق الملوك قطرة من شرابهم لكانوا للدنيا يطلقون ، وإذا ترنموا بكلام الحبيب رأيتهم صحاة سكارى يغيبون ويحضرون ، وإذا هاج شوقهم هاموا فى الجبال فلو رأيت أحدهم لقلت إنه مجنون وإنما هو بحب مولاه مفتون ، فالجبال أوتاد الأرض وهم أوتاد الجبال فلولاهم لمادت الأرض بالخلائق حين يعصون ، فلا أخلى الله الأرض منهم ولا برح بيننا الصالحون ، يسلم عليهم الجبل وتستأنس بهم الوحوش وبهم البهائم يتبركون ، تتوسل بهم الأشجار وتصافحهم نسمات الأسحار ، تحرق أنفاسهم الشياطين فلا يصلون إلى سجادة أحدهم ولا يتقربون ، تعرض الدنيا كنوزها عليهم فلا يميلون إليها ولا يلتفتون ، يفتخر الجبل على الجبل بوطء أقدامهم ويصير ترابه كحلا للعيون وصحائف أعمالهم الظاهرة إذا صعدت بها الملائكة المقربون تتعطر بطيبها السموات وتنظر إليها الملائكة ويتعجبون . وأما سرائرهم فلا يطلع عليها الكروبيون ولا الروحانيون ، وإنما الحق جل جلاله يقول : ماعندكم سواى فأنا الحبيب وأنتم المحبون . تحزن الدنيا على فراقهم والجنة من شوقها اليهم تسأل الله تعالى متى عليها يقدمون ، وفى غرفها ينزلون وبكاساتها يشربون وبحورها يتمتعون وفى حدائقها يتبخترون وفى روضاتها يحبرون وعلى نجائبها يركبون ولكلام الحق يسمعون ولوجهه الكريم ينظرون ، فهذه مقاماتهم ، فما ادخرتم أيها المقصرون (لمثل هذا فليعمل العاملون) .

تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه» قال الحسن البصرى رحمه الله : فما ظنكم بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشا ، واحترقت أجوافهم جوعا ، ثم انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية : أى متناهية فى الحرارة أوقدت عليها جهنم منذ خلقها .

﴿فصل . فى الشفاعة المختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم﴾ قال الله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) وفى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «أتى النبى صلى الله عليه بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ، ثم قال: أنا سيد

أنتم

أنتم بقلبي أيها الراحلون جودوا بعود أيها الغائبون متى أرى أشخاصكم في الحمى
وأجتلي ذاك الجمال المصون متى أنادي عند ماتقدموا أهلا وسهلا أيها القادمون
ياجيرة الحي وحق الذي صير صبري عنكمو لايهون إن غرامي واشتياقي بكم
زاد إلى أن قيل عنه جنون وما تعوضت بديلا بكم وذاك شيء في الهوى لايكون
نحن المسيئون ومن ذنبنا اليك يارب الورى تائبون فلا تؤخذانا بأفعالنا
إنا على أنفسنا مسرفون قد مسنا الضر ولا راحم سواك يامن لاتراه العيون
لانشتكي إلا إلى راحم يطمع في رحمته المذنبون

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الحرف ثلاث : الفقر والعلم والزهد » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله ماالفقر ؟ قال خزانة من خزائن الله ، ثم قال الثانية ماالفقر يارسول الله ؟ قال كرامة من كرامات الله ، ثم قال الثالثة ماالفقر يارسول الله ؟ قال شيء لايعطيه الله تعالى إلا نبيا مرسلا أو كريما على الله عزوجل » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفقير هو الذي لايعلم الناس بجوعه ومرضه ، وخلق الله تعالى الخلق من طين الأرض وخلق الأنبياء والفقراء من طين الجنة ، فمن أراد أن يكون في عهد الله تعالى فليكرم الفقراء » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للجنة ثمانية أبواب سبعة منها للفقراء وباب منها للأغنياء ، وللنار سبعة أبواب ستة منها محرمة على الفقراء حلّ للأغنياء وباب منها للفقراء » . وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب الخلق الى الله تعالى الفقراء ، لأنه كان أحب الخلق إلى الله تعالى الأنبياء وابتلاهم بالفقر » وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال : أيها الناس لاتحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى ينظر من هذه الأمة الى العلماء والفقراء ، فالعلماء ورثتي والفقراء أحبائي » . وعن شقيق الزاهد رضى الله عنه أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب :

طيبوا لملذات الهوى في الشجون ولم يزل سر هواكم مصون يافقراء الحب قوموا اشهدوا
حسن حبيب عنه لاتحجبون في حضرة فيها لكم كل ما تهوون من فوز وما تشتهون
قد خصكم فيها برضوانه وروضة أنتم بها تحبرون وقد صفا الوقت لكم فاشربوا
كأسا وساق حسنه تشهدون في جنة دانية المجتنى قطوفها قد ذللت والغصون
أنهارها تجرى بنيل المنى وكم بها قد فجرت من عيون
هذا هو الملك وهذا العطا وغير هذا مثله لا يكون

قال بعض السلف : والدليل على فضل الفقراء قول الله تبارك وتعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعني أقيموا الصلاة لي ، وأدّوا الزكاة الى الفقراء ، فقرن حق الفقراء بحق نفسه ويقال الفقير طبيب الغنى وقصاره ورسوله وحارسه : قيل هو طبيبه ، لأن الغنيّ إذا مرض يتصدق على الفقير فيدعوله فيبرأ من مرضه ، وإنما قيل هو قصاره لأن الغنى إذا تصدق على الفقير يدعوله فيطهر الغنى من ذنوبه ويطهر ماله ، وإنما قيل هو رسوله لأن الغنى إذا تصدق على الفقير بصدقة عن والديه

الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالايطيقون ولايحتملون ، فيقول الناس ألا ترون مابلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ، فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل الى الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا ، أما ترى

أو عن أحد من أقاربه فيصل ذلك الى الموتى فصار الفقير رسوله ، وإنما قيل هو حارسه لأن الغنى إذا تصدق على الفقير فدعا له تحصن مال الغنى بدعائه :

قوم همو فى الدجى للناس أقمار ... وهم لمن هجر الأوطان أنصار ... وأين حلوا يحل الخصب ساحتهم
كأنهم مثل ماقد قيل أمطار ... صفوا فلا غر وأن تصفو مشاربهم ... وفى المصافاة للعشاق أسرار

يروى عليل الصباعنهم صحيح هوى ... من الشذا فهو نقال ومعطار
هم العيون فان تبصر هدى فبهم ... وفى الهدى ليس بعد العين آثار
سلهم وسل عنهمو إن كنت ذاوطر ... فعندهم لذوى الحاجات أوطار
وانعم إذا كنت تهواهم بعيشهم ... واصحبهمو إن نأت يوما بك الدار
واحلل بساحتهم تسعد فهم عرب ... يحموا النزيل ولايؤذى لهم جار

[وحكى] أنه لما مات ثابت البنانى رحمه الله ودفن وسوى عليه اللبن انكسرت لبنة . قال جعفر بن الحسين رحمه الله فمددت يدى لآخذها من اللحد فلم أجده فى لحده فتحيرت ولم أخبر بذلك أحدا وبقيت أفكر فى ذلك حتى أتيت منزله وعزيت ابنته وسألتها عما كان يكثر من القول والدعاء ؟ فقالت كنت أراه يبكى كثيرا ويقول (رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين) فقلت قد استجاب الله تعالى دعاء الشيخ ، وقيل لما مات ودفن قيل له : من ربك ومادينك ؟ فسمعوا هاتفا من قبره يقول :

ولو ناديتنى ميتا ... لبيتك من قبرى ... ولو فتشت فى سرى ... وجدت اسمك فى صدرى
رجائى فيك مدخور ... ليوم البعث والحشر ... وما أبدى وما أخفى ... من الاعلان والسر
فأنتم سادتى أدرى ... به والغير لايدرى ... وهاأنا رهن عفوكمو ... ليوم الحشر والنشر

[وقال بعض السلف رضى الله عنهم أجمعين] رأيت شابا فى سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تجرى على خدوده ، فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ قال عبد آبق من مولاه ، فقلت يعود ويعتذر . قال العذر يحتاج إلى إقامة حجة ، فكيف يعتذر المقصر ؟ قلت يتعلق بمن يشفع له . قال كل الشفعاء يخافون منه . قلت فمن هو ؟ قال مولى ربانى صغيرا فعصيته كبيرا فواحيائى منه حين ألفاه من حسن صنعه وقبح فعلى ، ثم صاح وخرّ ميتا ، فخرجت عجوز وقالت : من أعان على قتل البائس الحزين ؟ فقلت أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه فقالت خله ذليلا بين يدى قاتله عسى يراه ذليلا فيرحمه .

حاشاك تكسر قلبا أنت جابره ... أو يشتكى خذلا من أنت ناصره
أنت العزيز وذلى فيك يشفع لى ... من عظم ذنب وجرم أنت غافره
ياسيدى عبدك المسكين ليس له ... سواك من شؤم قبح أنت ساتره
يلقاك فى الحشر بالسر المصون ولم ... يئس الوداد ولا خانت ضمائره
لايشتكى وحشة من أنت مؤنسه ... ولايخيب عبيد أنت ذاكره
فأوّل العمر قد ضيعت وا أسفا ... عطفا على مابقى قد حان آخره

[وقال يوسف بن الحسين رحمه الله] كنت قاعدا عند ذى النون المصرى رحمه الله وحوله الناس وهو يتكلم عليهم والناس يبكون وشاب يضحك ، فقال له ذوالنون مالك أيها الشاب الناس يبكون وأنت تضحك ؟ فأنشأ يقول :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا
أوبأن يسكنوا الجنان فيضحوا ... فى رياض ويشربوا سلسبيلا

الى مانحن فيه ألا ترى الى مابلغنا ألا تشفع لنا الى ربك ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون ياإبراهيم أنت نبىّ الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك ، أماترى مانحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، أماترى الى مانحن فيه فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى

ليس فى النار والجنان مرامى أنا لاأبتغى بحبى بديلا

فقال ذو النون: فإن طردك فما تصنع ؟ فأنشأ يقول:

فإذا لم أجد من الحب وصلا رمت فى النار منزلا ومقيلا ثم أزعجت أهلها ببكائى
حيث عذبت بكرة وأصيلا قائلا والغرام حشو ضلوعى حيث لم ألتق لفوزى سبيلا
معشر المذنبين نوحوا على من لم يجد للوصال منهم وصولا عذبونى أواعتقوا كل مافيـ
ـه رضاكم وجدته مقبولا إن أكن بالذى ادعيت محقا فعنى نظرة تعيد الجميلا
أو أكن كاذبا ودعواى زور فأجازى به عذابا طويلا

فهتف هاتف يقول: ياذا النون هكذا يكون المخلصون فى حبهم لربهم يحبونه فى السرّاء والضرّاء ويشكرونه على النعماء والبلاء:

أهل الصلاح وأهل البرّ قد سعدوا لما لمولاهمو دون الورى قصدوا
ماصدهم عن بلوغ القصد إذ رغبوا فيه من الفوز لاأهل ولاولد
فأصبح القوم فى كد وفى تعب أحلى من الشهد بل مامثله الشهد
فطالما كابدوا فى حب سيدهم وما انثنوا عن ورود القرب إذ وردوا
فليس يرتحلون الدهر من بلد إلا ويبكى عليهم ذلك البلد

[وقال ذو النون المصرى رحمه الله] بينما أنا سائح فى بعض الجبال إذ سمعت صوتا يئنّ ويستغيث ويبكى فتبعت الصوت فإذا هو شاب خشن الثياب عليه مدرعة من الشعر وقد افترش الرماد وهو يتمرغ عليه ويقول فى مناجاته: إلهى وسيدى وعزتك وجلالك ماأردت بمعصيتك مخالفتك وماعصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا بعقوبتك مستخف ولكن سوّلت لى نفسى وغلبت علىّ شقوتى وغرنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك بسفهى فالآن من عذابك من يستنقذنى وبحبل من أعتصم إذا قطعتنى وأبعدتنى، واسوأتاه من الوقوف بين يديك، واخجلتاه من العرض عليك فكم أتوب وأعود وأعاهد وأنقض العهود:

خنت العهود وقد عصيت تعمدا واخجلتى وفضيحتى منه غدا
واخجلتى ممن يرانى دائما أعصى ويسترنى على طول المدى
فليندمنّ المذنب العاصى إذا لم ينتبه من قبل أن يأتى الردى
ما الأمر سهل فاستعدّ إلى اللقا واعلم بأنك لاتكون مخلدا
واذكر وقوفك فى المعاد وأنت فى كرب الحساب وجئت عبدا مفردا
سوفت حتى ضاع عمرك باطلا وأطعت شيطان الغواية والعدا
فانهض وتب مما جنيت وقم إلى باب الكريم ولذ به متفردا
وادعوه فى الأسحار دعوة مذنب واعزم ولا تك فى المتاب مفندا
وإذا طردت عن الجناب فقم على أعتابه بالنوح منك معددا
فلعل رحمته تعم فانها تسع العباد ومن بغى ومن اعتدى
وإذا أردت بأن تفوز وتتقى نار الجحيم وحرها المتوقدا
لذ بالنبى الهاشمى محمد خير الورى نسبا وأكرم محتدا
صلى عليه الله ماسرت الصبا وشدا الهذار على الغصون وغردا

اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم. وفى رواية فيأتونى فيقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ فأنطلق وآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول: أمتى يارب أمتى يارب أمتى يارب، فيقال يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب

المجلس الثانى عشر

من كلام الشيخ عز الدين المقدسى

الحمد لله مظهر الحق ومبديه ، ومنجز الوعد وموفيه ، ومسعد العبد ومشقيه ، ومذهب الذنب ومخفيه ، ومظمى القلب ومرويه ، ومعلّ الصب ومشفيه ، ومزيل الكرب ومجليه ، ومرسل السحاب ومنشيه ، ومبسم البرق ومويه ، ومنطق الرعد ومدويه ، ومورق الشجر ومربيه ، ومونق الزهر ومزهيه ، ومر الثمر ومحليه ، ومصور الجنين ومغذيه ، ومحق الحق ومبقيه ، ومبطل الباطل ومنفيه ، الذى تعرف إلى خلقه فحارت الخليقة فيه ، وتوعرت سبل معرفته فوقع السالكون فى التيه ، فمالوا إلى العقول ، فقالت العقول لاندرى من أى جهة نأتيه ، فبعثوا بريد الأفكار فانقطع فى مقطع انقطع فيه كل فقيه ، فأوقدوا مصابيح البصائر بأذهان الأذهان ، فاستدلوا بنور الإيمان (كلما أضاء لهم مشوا فيه) فلما انتهوا إلى قضاء العرفان ، تنكر لهم عزة فى رفعة تعاليه ، وتحجب عنهم غيرة على عزة تجليه ، فانقلبوا إلى القلوب ، فقالت القلوب إنما نحن بيوت التنزيه ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه ، فاستمسكوا بأسمائه ، فقالت الاسماء لانطيق نسميه ، فعلقوا بالصفات . فقالت الصفات لانطيق نبديه . فعدلوا إلى الكلمات . فقالت الكلمات (إن هو إلا وحى يوحيه) فأشاروا إلى عرشه : هل أنت بقربك تليه ، أم بدنوّك تدانيه ؟ فناداهم العرش من سكرة تغاشيه وحيرة تلاشيه : لست بالمحيط به فأدريه . ولا بالحامل له فأحكيه ، ولا بالمتصل به فأحاذيه ، ولا بالمنفصل عنه فأقصيه . ولقد سألتم عن أمر لا أدريه . وكشفتم عن سرّ ما برحت أستمليه وأستجليه . فما وقعت منه إلا على الحيرة والتيه . قالوا فما أفادك قربك من تعاليه . وسموك فى معاليه ؟ فقال : إن قربى منه كقرب النفس من تراقيه . وبعدى عنه كبعد السهم عن راميه ، وذلى له كذل العبد لمواليه ، وحنينى له كحنين العاشق إلى أيام وصاله ولياليه . قالوا فما تقول ؟ قال ما يقول المتحير فيه ، والمنقطع عن أمانيه . فقالوا إن وصفت فصف على سبيل التنزيه . وإياك إياك والتشبيه . وقل هو الأول الذى لا أول يثانيه الآخر الذى لا آخر يدانيه . الظاهر الذى لا ظاهر يضاهيه ، الباطن الذى لا باطن يواطيه ، البعيد الذى لا بالمسافة نوافيه ، القريب الذى متى شئت تلاقيه ، الأحد الذى لا أحد يحاذيه . الفرد الذى لا أمد له فينقطع تماديه . إن صافيته سقاك من كأس صفوته صافيه . وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه :

وحياة قلبى وقلبى فى القسم تمويه ... الذكر للقلب والمعنى لمن هو فيه
هذا حبيب عظيم جل عن تشبيه ... وقد كتمت هواه لم أطق أبديه
ناديته وفؤادى فى لظى يصليه ... إن مات قلبى غراما فالقا يحييه
العبد قانع بنظرة منكمو تكفيه ... والقلب طامع بزورة منكمو تشفيه
أنتم علمتم بما أبدى وما أخفيه ... وحياتكم فى فؤادى منكمو مافيه

إلهى أنت سؤلى ومنائى . وأنت فى الظلمات نورى وضيائى . إلهى مالى سواك وكم لك سوائى عصيتك بجهلى ودعوتك على قبيح فعلى فأجبت بفضلك دعائى . ولم تخيب فى قصدك رجائى ، وشكوت إليك سقام قلبى فأزلت كربى وعجلت شفائى . وكم وقعت فى الشدائد والأخطار . فأعنتنى بالأنصار ونصرتنى على أعدائى ، فلك الحمد ياعدتى فى شدّتى ورخائى :

يامالكا ليس لى سواه ... كم لك فى الخلق من سوائى

الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى » وفى الصحيحين « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لايسترقون ولايتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » وفى رواية فى صحيح مسلم «سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا» قال فى المفاتيح : التوكل نوعان خاص وهو أن يترك التداوى والاسترقاء والكى لغاية ثقته بأنه لايصيبه إلا ما كتب الله من النفع والضرر وهو عام ، والمراد هنا أنه يجب على الكل أن يعلم أن لامؤثر إلا الله فالطعام لايشبع والأدوية لاتشفى إلا بأمره ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء وكسب المال بالتجارة والحرف .

أنت غنىّ وبى افتقار إليك ياسامع الدعاء

إن كنت أذنبت فيك ذنبا ولمتنى منك واحيائى عبدك بالباب مستجيرا
قد قرح الجفن بالبكاء ليس له عنك من براح فى العسر واليسر والرخاء
عسى الذى قد قضى ببعدى يسمح بالقرب واللقاء أراك بالهجر تعتمدنى
حاشاك ماهكذا رجائى يابغية القلب يامرادى يامنتهى القصد يامنائى
ياراحة الروح ياحياتى يانور عينى وياضيائى أنت الذى حزت كل أين
بلا ابتداء ولا انتهاء قد كنت من قبل كل كون بغير أرض ولا سماء
ولاسحاب ولاحجاب ولا فضاء ولا هواء بغير عرش بغير فرش
بغير نار بغير ماء جل عن الكيف فى وجود وفى شهود وفى بهاء
وفى اقتراب وفى احتجاب وفى نزول وفى استواء وعن قيام وعن قعود
وعن هبوط أو ارتقاء ظهرت فى الكل لست تخفى وأنت أخفى من الخفاء
فى كل شىء أراك حقا بلا جدال ولا مراء وحيثما كنت أنت منى
كقاب قوسين غير ناء من عن يمينى وعن شمالى ومن أمامى ومن ورائى

ياطيب ماعنك حدثتنى نسائم الصبح والمساء

[قال الجنيد رحمة الله عليه] عزمت على الحج فى بعض السنين فركبت ناقتى ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى فلوت عنقها وردت إلى نحو القسطنطينية فرددتها مرارا وهى تعود فقلت فى نفسى لله عزّ وجل فى ذلك سرّ خفى فأطلقتها أين تريد وقلت : إلهى وسيدى ليس لى حيلة إن كنت تريد أن تردنى عن بيتك فالأمر كله إليك . قال : وجعلت الناقة تسير سيرا سريعا حتى دخلت القسطنطينية ، فلما دخلت البلد رأيت الناس فى هرج ومرج ، فسألت بعض أصحابى : ماسبب الذى هم فيه ؟ فقالوا : إن ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون لها طبيبا يداويها فقلت فى نفسى : وعزة ربى لهذا الأمر صرفنى عن الحج فى هذا العام ، فقلت لهم أنا طبيب ، فقالوا : أنت تداويها ؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى فأخذوا بيدى وأدخلونى على الملك فاشترط علىّ الشرط فاستعنت بالله تعالى فأدخلنى مخدعا ، فسمعت فيه خشخشة الحديد وقائلا يقول : ياجنيد كم تجدّ بك الناقة إلينا وأنت تردّها نحو الكعبة فطاش عقلى من ذلك الكلام ، ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الراءون أحسن منها وهى مقيدة مسلسلة ، فقلت ماهذه الحالة ؟ فقالت ياطبيب القلوب صف لى صفة أنجو بها من الكروب فقلت لها قولى : لاإله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لاإله إلاالله محمد رسول الله فتساقطت الأغلال والقيود عنها وتفككت الحديد . فلما رأى أبوها ذلك قال : ماأحسنك من طبيب وما أحسن دواءك ! بالله عليك داونى بالدواء الذى داويتها به ؟ فقلت : قل لاإله إلاالله محمد رسول الله ثم أتت أمها وفرحت وأسلمت وأسلم كل من كان فى البلد معهم . فحمدت الله عز وجل على ذلك وعزمت على الخروج فقالت الجارية ياجنيد لاتعجل علىّ بالخروج فإنى سألت الله عز وجلّ أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تقف وتصلى علىّ وتقف على دفنى ، ثم تشهدت وخرت ميتة رحمة الله عليها :

يامنقذ الجهال من ظلمتها ياخير من حطت به النزال من ذاق حبك لم يزل متلهجا
أنت الإله القادر الفعال أنشأتنى وهديتنى ورحمتنى فاغفر فأنت المنعم المفضال
ومننت بالإيمان منك تفضلا أنت الإله وماعداك محال

﴿ فصل فى الحساب ﴾

قال الله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين . وبرزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون) وقال الله تعالى (فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين) وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبدالله قال النبى صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وفى صحيح البخارى « يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت فيقول نعم يارب ، فيسأل أمته هل بلغكم ؟ فيقولون (ماجاءنا من نذير) فيقال من شهودك ؟ فيقول محمد وأمته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيجاء بكم فتشهدون ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة

[وقال عبد الرحمن بن جعفر] كنت بالبصرة أصلى الصلوات الخمس فى مسجد بجوارى يعرف بمسجد الحشابين وكان له إمام مغربى يدعى أبا سعيد مشهور بالخير ، وكان يتكلم فى المسجد بعد صلاة الصبح فخرجت بعض السنين حاجا إلى بيت الله الحرام وكانت تلك السنة حرا شديدا فكنت فى الليل أسبق الركب وأنام حتى يلحقنى رفقائى فنمت فى بعض الليالى وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم تشعر بى رفقتى ونمت حتى طلعت الشمس ثم انتبهت وأنا لاأدرى كيف الطريق فقلت سيدى ومولاى إلى هنا حملتنى وعن بيتك قطعتنى ، ثم سرت حتى أعييت وقوى الحر فأيست من الحياة وانطرحت على كثيب رمل أنتظر الموت وإذا إنسان ينادى باسمى فقمت فإذا هو الشيخ أبو سعيد فقال أنت جائع ؟ فقلت نعم فناولنى رغيفا سخنا فأكلته فاستدّ رمقى فعطشت فناولنى ركوة فيها ماء ألذ من الشهد وأبرد من الثلج فشربت وغسلت وجهى فعادت إلىّ روحى ثم قال اتبعنى فتبعته قليلا ، وإذا أنا بجدران مكة شرفها الله تعالى ، فقال البث هنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولنى رغيفا ومضى فكنت آكل من ذلك الرغيف لقمة فأشبع فأقام معى ثلاثة أيام إلى أن جاء الركب ، فلما وقفت بعرفة رأيت الشيخ أبا سعيد واقفا عند الصخرات وهو مشغول بالدعاء فسلمت عليه ، فلما فرغ رد على السلام ، وقال ألك حاجة ؟ قلت ادع لى فدعا لى ثم نزلنا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج سرت إلى البصرة ودخلت منزلى وبت ، فلما أصبحت صليت الصبح فى المسجد خلف الشيخ أبى سعيد ، فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وصافحته فصافحنى وعصر يدى ففهمت عنه أن أكتم السر ، وكان فى المسجد مؤذن يخدمه كثيرا فسألته عن غيبة الشيخ عن المسجد فى أيام الحج فحلف أن الشيخ أبا سعيد لم يقطع الصلوات الخمس فى هذا المسجد ، فعلمت أنه من الأبدال السادة الرجال ، وينشد :

أنت فى الموضع البعيد قريب ... هل منيب إلى رضاك يثوب

كل وصل خلاف وصلك هجر ... كل حب خلاف حبك حوب ... يا إلهى وعدتنى ورجائى

بك ياسيدى تزول الكروب ... بغيتى من جمال وجهك مرأى ... ليس إلا به النفوس تطيب

أنت روح القلوب أنت شفاها ... بك تحيا وتستريح القلوب

بك يدنو البعيد من كل أمر ... بك تنأى عن المسىء الذنوب

تسمع الصوت حين لايسمع الصو ... ت ومن حيثما دعيت تجيب

أنت رب العباد مالك فى المل ... ك شريك ولا عليك رقيب

يادواء القلوب أنت المداوى ... ياشفاء السقام أنت الطبيب

جد بعفو ورحمة لكئيب ... ليس يشكو إلا إليك الكئيب

[قال عبد الصمد البغدادى] كنت أتجر من بغداد إلى بلاد اليمن وأحج فى كل سنة فبينما أنا فى بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة ، إذ رأيت شابا حسن الشباب نقى الأثواب كأن وجهه قنديل ، وهو راقد على الرمل وتحت رأسه حجر وهو يعالج سكرات الموت فتقدمت إليه وسلمت عليه وقلت له : ألك حاجة ؟ قال نعم : تقيم عندى ساعة حتى أقضى نحبى وألحق بربى فقلت له ما الذى تريد ؟ فقال : إذا أنا مت فوارنى التراب وخذ هذه العضدة من كتفى ، فإذا وصلت إلى صنعاء اليمن فسل عن دار الوزارة فإذا خرجت إليك عجوز وبنات فادفع إليهن هذه العضدة وقل لهن عثمان الغريب يقرئكن السلام ، ثم غاب عنى حسه ساعة ثم أفاق وهو يقرأ (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) ثم شهق شهقة فارق فيها الدنيا فغسلته وكفنته ووجهه يضىء ويتلألأ نورا ثم صليت عليه فى جماعة ودفنته ،

وسطا) قال عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقال مقاتل فى قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى اعتزلوا اليوم ، يعنى فى الآخرة من الصالحين . وقال السدى : كونوا على حدة ، وفى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله : يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك ومابعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال فحينئذ يشيب الوليد (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فاشتد ذلك عليهم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد ، فقال الناس : الله أكبر .

ثم أخذت المعضدة فلما وصلت إلى صنعاء اليمن سألت عن الدار فخرجت إلىّ عجوز وبنات فدفعت إليهن المعضدة . فلما رأينها أخذن فى البكاء والنحيب وخرت العجوز مغشيا عليها ، فلما أفاقت قالت : وأين ذهب صاحب هذه المعضدة فأخبرتها بخبره وما كان منه ، فقالت هو والله ولدى عثمان وهؤلاء أخواته ترك أهله وحشمه وخدمه وزهد فى الدنيا وخرج سائحا على وجهه لا ندرى أين ذهب؟ فجزاك الله عنى وعن ولدى خيرا ، ثم بكت وجعلت تقول :

يافقيدا أضحى وحيدا غريبا	ياعزيزا أمسى ذليلا كئيبا	قد هجرت الديار من بعد أنس
وسكنت القفار فردا سليبا	وتغربت فى البلاد حزينا	بانفراد ولست تدعو مجيبا
منذ فارقتنى تنغص عيشى	ولقد كنت لى خليلا حبيبا	ليتنى مت قبل يومك جهرا
ليتنى كنت من حماك قريبا	فعليك السلام منى حقا	كلما حرك النسيم قضيبا

[إلهى] إن كنت لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين ، وان كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للمخلطين ، وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن للمسيئين . إلهى ما أعظم حسرتى أذكر غيرى وأنا الغافل ، مولاى ما أشد مصيبتى ، أنبه غيرى وأنا النائم . سيدى ما أغرب قصتى ، أدل غيرى وأنا الحائر إلهى جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف ، إلهى إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى إليك ، أتراك تقبل المدلول وترد الدليل ، إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك الكريم وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثالث عشر

فى ذكر جهنم ، أعاذنا الله وإياكم منها والمسلمين

الحمد لله الذى وعد من أطاعه بنعيم جنانه ، وتوعد من جحده بجحيم نيرانه وقهر من كفر بقوىّ سلطانه وستر من فجر بجميل إحسانه وعذر من اعتذر من قبيح عصيانه وغفر لمن عبر إلى حرم غفرانه وجبر من انكسر لأجل رضوانه ونصر من انتصر بعظيم شانه وشكر من ذكر بجزيل امتنانه يسبحه الملك بأعوانه والفلك بدورانه والبرق بلمعانه والسحاب بسريانه والريح بخفقانه والنهر بجريانه والشجر بأغصانه والزهر بألوانه والطير بأشجانه والروض بغدرانه والبر بكثبانه والبحر بحيتانه كل يسبح بغريب لغته ولسانه :

وكل مقر فى فصيح بيانه	بتسبيحه جهرا بنطق لسانه
هو الواحد الفرد الذى قد تفردت	صنائعه فى خلقه وزمانه
له الفرش والعرش الرفيع على العلا	له المثل الأعلى علوا لشانه

فسبحانه من إله عظيم حىّ قيوم ، قدر الرزق المقسوم ، والأجل المحتوم ، والوقت المعلوم ، وحير فى إدراك معرفته العقول والفهوم . خلق الجنة من نور رحمته لأقوام سقاهم من الرحيق المختوم . وخلق النار من سطوة غضبه لأقوام كتب لهم بالشقاوة المرسوم لهم فيها دمار وعذاب وتوبيخ وعقاب لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فسبحانه من إله لم يزل عظيما قويا جليلا بهيا واحدا فى ملكه سرمديا جعل الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا وجعلها مسكن المشركين والكفار ومأوى الأشقياء الفجار كما قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فكيف الخلاص منها ، وقد قال حين تحققها منكرها وجاحدها (وإن منكم إلا واردها كان على ربك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، والله إنى لأرجو تكونوا نصف أهل الجنة فكبر الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنتم يومئذ فى الناس إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم « لتؤدّن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » قال الكلبى يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع : كنّ ترابا فتسوى بهن الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان ترابا كما قال الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) وفى كتاب الترمذى وغيره عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله تعالى حتى يسأل عن أربع :

حتما مقضيا) فهى بيت الأحزان ، والحزى والهوان ، ليس لجاحدها منها أمان ، وحق عليهم الخلود فيها والنسيان ، ينادون فيها وهم يسمعون (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) يالها من دار محتوم بلاؤها ، معدوم رجاؤها ، مظلم مسالكها ، مبهم مهالكها شراب أهلها الحميم ، وعذاب أهلها أبدا مقيم ، لهم فيها بالويل ضجيج ، وبالثبور دعاء وعجيج أمانيهم فيها هلاك ، ومالهم من أسرها فكاك ، ينادون من فجاجها وشعابها ، من ترادف عذابها : يامالك حق علينا الوعيد ، يامالك قد أثقلنا الحديد ، يامالك قد نضجت منا الجلود ، يامالك أخرجنا منها فإنا لانعود ، قد أثقلتهم القيود ، وأيقنوا فيها بالخلود ، وباءوا بغضب الملك المعبود ، وقد جاوروا الفجار ، وخالطوا الكفار ، فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود ، مسكن أهل الجحود ، والارتياب ، طعامهم فيها الزقوم ، وشرابهم فيها الصديد والرصاص المذاب (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)

النار منزل أهل الكفر كلهم ... طباقها سبعة مسودة الحفر ... جهنم ولظى من بعدها حطمه
ثم السعير وكل الهول فى سقر ... وتحت ذاك جحيم ثم هاوية ... تهوى بهم أبدا فى حر مستعر
فيها العقارب والحيات قد تركت ... جلودهم كالبغال الدهم والحمر ... فيها السلاسل والأغلال تجمعهم
مع الشياطين جهرا جمع منقهر ... لهم طعام من الزقوم يعلق فى ... حلوقهم شوكه كالصاب والصبر

سوداء مظلمة شنعاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البشر
أعاذنا الله منها ثم عوضنا ... بجنة الخلد بين الروض والزهر

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى دعا جبريل فأرسله إلى الجنة ، وقال له انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها ، فنظر إليها ورجع فقال وعزتك وجلالك لايسمع بها أحد إلا دخلها فحفت بالمكاره فقال له ارجع فرجع فقال وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لايدخلها أحد ، ثم أرسله إلى النار وقال له انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها فنظر إليها وقال وعزتك وجلالك لايدخلها أحد فحفت بالشهوات ، ثم قال له عد إليها فانظر فعاد ورجع فقال وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لايبقى أحد إلا دخلها ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم » . وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من تلك النار ولولا أنها ضربت فى البحر مرتين ما انتفعتم منها بشىء » . وروى مسلم من حديث شقيق عن عبد الله بن عمر ، قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وفى حديث مسلم عن أبى هريرة قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة ، فقال أتدرون ماهذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر رمى فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى وصل إلى قعرها » .

[إخوانى] أما تعتبرون بهذه الأحوال أما تشفقون من نار جهنم والأنكال ، أما تحذرون سلاسلها والأغلال ، واعجباه لمن كان فى الجنة فى ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة :

إذا برزت ليوم العرض نار ... لها الناس الوقود مع الحجاره
يفر المرء حقا من أخيه ... وينكر فى المعاد من استزاره
فلا الخل الحميم يغيث خلا ... ولا الجار المجير يجير جاره

عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فيم عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ » وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ، فقال أتدرون مم أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول بلى . فيقول إنى لاأجيز على نفسى إلا شاهدا منى . فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — وبالكرام الشاهدين عليك شهودا . قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى ، قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » ، وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر أشأم منه

وقد برز الجليل لفصل حكم ... ونشرت الصحائف مستطاره

فيفتضح المسيء بقبح فعل ... ومن يك محسنا فله البشاره

[ويروى] أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أهل الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم « لو قطرت قطرة من الزقوم فى الدنيا لأفسدتها وأفسدت على أهلها معايشهم ، فكيف من يكون ذلك طعامهم » وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أيضا ، قال قال : النبى صلى الله عليه وسلم « غاظ جلد الكافر اثنان وسبعون ذراعا وضرسه مثل جبل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة » أعاذنا الله وإياكم من النار ، ومن مقام الكفار فيها والفجار فلو رأيت أهل جهنم وشرابهم الحميم ، وكلما اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلا من ضريع ، ياأهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على النار؟ كلا إنها لظى يساقون إليها من كل مكان (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنا لك ثبورا لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) فلو رأيتهم (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) حلت بهم المحن وظهر عليهم الغبار وجرت دموعهم من سحائب جفونهم كالأمطار والقلق قد أحاط بهم من جميع الأقطار :

أما سمعت بأكباد لهم صعدت ... خوفا من النار فانحطت إلى النار

أما سمعت بضيق فى مجالسهم ... ولا قرار لهم ياصاح فى النار

أما سمعت بحيات تدب بها ... إليهم خلقت من مارج النار

فيا إلهى بأحكام وما سبقت ... به قديما من الجنات والنار

أدعوك أن تحمى العبد الضعيف فما ... للعبد من جسد يقوى على النار

والشمس مالى عليها قط من جلد ... فكيف يصبر ذو ضعف على النار

ويروى من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سيق أهل النار إلى النار فتلقطهم بعنف فتنفحهم نفحة لم تترك لحما على عظم إلا أبانته عن العروق » وهم فى توبيخ وعتاب وفى سجن وعذاب وفى حزن وعقاب » كما قال الله تعالى فى محكم الكتاب (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فإنهم كانوا يفرحون بدار الغرور وينسون النفخ فى الصور ويغترون بالأمانى والزور ، قال فى حقهم من يعدل فى حكمه ولا يجور (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور) لهم فيها بكاء وزفير ، وعذاب سعير (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين

فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » ، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حوسب يوم القيامة عذب. فقلت : أليس قد قال الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال : ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » فتفكر رحمك الله سؤال ربك لك بغير واسطة عن كل قليل وكثير وتقير وقطمير وقول الملائكة : يافلان هلم إلى الموقف ، وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام « إن لله ملكا ما بين شفرة عينيه مسيرة مائة عام » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض فترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك وتتمنى حملك إلى جهنم ولا تعرض قبائحك على ربك تعالى فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك حتى

من نصير) فيامن سمع بذكر النار حتى كأنه شاهدها عيانا ، ما هذا الأمل والرحيل قد تدانى ؟ يامقبلا على لذاته ولم يأخذ من هول الموقف أمانا :

اذكر وقوفك يوم الحشر عريانا ... مستضعفا فارغ الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حرق ... على العصاة وتلقى الرب غضبانا
فى موقف قد تجلى فيه حاكمه ... وقال فيه لمن قد لج طغيانا
اقرأ كتابك ياعبدى على مهل ... وانظر إليه ترى فيه الذى كانا
لما قرأت كتابا لايغادر لى ... ما كان فى السر أو ما كان إعلانا
قال الجليل خذوه ياملائكتى ... مروا به لأليم النار ظمآنا
يارب لاتخزنا يوم المعاد ولا ... تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا وإنها تتعوذ من نار جهنم فى كل يوم سبعين مرة » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذكروا من النار ماشئتم فلا تذكرون منها شيئا إلا وهى أشد منه » وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن أهل النار ليدعون مالكا فلا يرد عليهم جوابا أربعين عاما ثم يرد عليهم (إنكم ماكثون) يعنى دائمون أبدا ، ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا ثم يجيبهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) . قال فوالله ماينطقون بعدها بكلمة واحدة ولم يكن لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق فى النار، شبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق. قال قتادة ياقوم هل لكم بذا طاقة أم هل لكم على هذا صبر؟ ياقوم طاعة الله عليكم أهون من هذا فأطيعوه . وعن ميمون بن مهران أنه قال لما نزلت هذه الآية (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) وضع سلمان يده على رأسه ثم خرج هائما ثلاثة أيام لايقدر عليه أحد حتى جىء به . ويروى أن أهل النار يجزعون ألف سنة ثم يقولون كنا فى الدنيا إذا صبرنا أتانا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم شيئا فيقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) فيدعون ألف سنة فلا يأتيهم الغيث لما بهم من العطش وشدة العذاب لكى يزول عنهم بعض الحرارة من العطش فيتضرعون ألف سنة ، فإذا تضرعوا يقول الله تعالى لجبريل ياجبريل أى شىء يطلبون وهو أعلم ؟ فيقول يارب يطلبون الغيث فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون بها فيرسل الله عليهم فيها العقارب كأمثال البغال فتلدغ الواحد منهم لدغة فلا يذهب الوجع ألف سنة ثم يسألون الله الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذه سحابة المطر فيرسل الله عليهم فيها حيات كأمثال الإبل كلما لسعت لسعة لايذهب وجعها ألف سنة وهذا معنى قوله تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) يعنى بما كانوا يكفرون ويعصون الله ، فمن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فعليه بالصبر على شدائد الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره والنار قد حفت بالشهوات .

[إخوانى] مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النار وقلتم (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) كلها ثم صحتم (ياحسرتنا على ما فرطنا فيها) وقد صرفتم همتكم فى طلب الدنيا وأعرضتم عن أخراكم بالكلية ، فكيف بكم (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ؟):

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا ... واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا

انتهوا بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وأعطيت كتابك الذى (لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه، وبأى لسان تجيب ، وبأى قلب تعقل ماتقول، وماذا تقول إذا قال: أما استحييت منى وظننت أنى لاأراك؟. وعن الفضيل: إنى لا أغبط أن أكون ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، ولا عبدا صالحا: أليس هؤلاء يتعاقبون فى القيامة إنما أغبط من لم يخلق وأنشد بعضهم :

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستضعفا قلق الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق
على العصاة وتلقى الرب غضبانا

[حكى] أنه لما دخل هرون الرشيد حرم مكة ابتدأ بالطواف ومنع الناس من الطواف فسبقه أعرابى وجعل يطوف معه فشق ذلك على أمير المؤمنين والتفت إلى حاجبه كالمنكر عليه ، فقال الحاجب ياأعرابى خلّ الطواف ليطوف أمير المؤمنين ، فقال الأعرابى إن الله ساوى بين الأنام فى هذا المقام والبيت الحرام ، فقال تعالى (سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابى أمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابى فاستلمه ثم أتى الى المقام ليصلى فيه فسبقه فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته وطوافه قال للحاجب ائتنى بالأعرابى فأتى الحاجب الأعرابى وقال له أجب أمير المؤمنين ، فقال مالى إليه حاجة إن كانت له حاجة فهو أحق بالقيام اليها ، فانصرف الحاجب مغضبا ثم قص على أمير المؤمنين حديثه ، فقال صدق نحن أحق بالقيام والسعى إليه ثم نهض أمير المؤمنين والحاجب بين يديه حتى وقف بازاء الأعرابى وسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له الرشيد : ياأخا العرب أ أجلس هنا بأمرك ؟ ، فقال له الأعرابى : ليس البيت بيتى ولا الحرم حرمى ، البيت بيت الله ، والحرم حرم الله ، وكلنا فيه سواء إن شئت تجلس وإن شئت تنصرف . قال فعظم ذلك على الرشيد حيث سمع ما لم يخطر فى ذهنه وما ظن أحدا يواجهه بمثل ذلك ، فجاس الى جانبه وقال له يا أعرابى أريد أن أسألك عن فرضك فان قمت به فأنت بغيره أقوم وإن عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز . فقال له الأعرابى : سؤالك هذا سؤال متعلم أو سؤال متعنت ؟ قال فعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال متعلم . فقال الأعرابى : قم واجلس مقام السائل من المسئول . قال فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدى الأعرابى ، فقال له : قد جلست مل عما بدالك . فقال : أخبرنى عما فرضه الله عليك . فقال له : تسألنى عن أى فرض ؟ أعن فرض واحد أم عن خمسة فروض ، أم عن سبعة عشر فرضا ، أم عن أربعة وثلاثين فرضا ، أم عن أربعة وتسعين فرضا ، أم عن واحدة من أربعين ، أم عن واحدة فى طول العمر ، أم عن خمسة من مائتين ؟ قال فضحك الرشيد مستهزئا به . ثم قال سألتك عن فرض فأتيتنى بحساب الدهر . قال ياهرون لولا أن الدين حساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة قال تعالى (فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قال فظهر الغضب فى وجه أمير المؤمنين ، وتغير من حال الى حال حين قال له ياهرون ، ولم يقل له يا أمير المؤمنين وبلغ منه ذلك مبلغا شديدا ، غير أن الله عصمه من ذلك الغضب ورجع الى عقله لما علم أن الله هو الذى أنطقه بذلك ، ثم قال له الرشيد : وتربة آبائى وأجدادى إن لم تفسر لى ما قلت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة ، فقال له الحاجب ياأمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى لأجل هذا المقام الشريف . قال فضحك الأعرابى من قولهما حتى استلقى على قفاه ، فقال له الرشيد مم تضحك ؟ قال عجبا منكما فان أحدكما يستوهب أجلا قد حضر والآخر يستعجل أجلا لم يحضر ، فلما سمع الرشيد ماسمع منه هانت عليه الدنيا ثم قال له سألتك بالله إلا مافسرت لى ماقلت ، فقد تشوقت نفسى الى شرحه . فقال الأعرابى : أما سؤالك عما فرض الله علىّ فقد فرض الله على فروضا كثيرة ، فقولى لك عن فرض واحد فهو دين الإسلام ، وأما قولى لك عن خمسة فروض فهى الصلوات الخمس ، وأما قولى لك عن سبعة عشر فهى سبع عشرة ركعة فى اليوم والليلة ، وأما قولى لك عن أربع وثلاثين فهى السجدات ، وأما قولى لك عن أربع وتسعين فهى التكبيرات ، وأما قولى لك عن واحدة من أربعين فهى الزكاة دينار من أربعين دينارا ، وأما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى حجة واحدة فى طول العمر على الإنسان ، وأما قولى لك عن خمسة

اقرأ كتابك ياعبدى على مهل
وانظر إليه ترى هل كان ما كانا
لما قرأت كتابا لايغادر لى
حرفا وما كان فى سرّ وإعلانا
قال الجليل خذوه يامليكتى
مروا بعبدى إلى النيران عطشانا
يارب لاتخزنا يوم الحساب ولا
تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

﴿فصل : فى الميزان﴾ قال الله تعالى (القارعة ماالقارعة. وماأدراك ماالقارعة. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية. وما أدراك ماهيه . نار حامية) وذكر أبو بكر البزار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى

من مائتين فهى زكاة الورق ، قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الأعرابى وعظم فطنته واستعظمه فى عينه ، ثم إن الأعرابى . قال للرشيد : سألتنى فأجبتك فإذا سألتك أنا تجيبنى ؟ فقال الرشيد : سل ، فقال له الأعرابى . مايقول أمير المؤمنين فى رجل نظر الى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراما ، فلما كان الظهر حلت له ، فلما كان العصر حرمت عليه ، فاذا كان المغرب حلت له ، فاذا كان العشاء حرمت عليه ، فاذا كان الفجر حلت له ، فاذا كان الظهر حرمت عليه ، فلما كان العصر حلت له ، فلما كان المغرب حرمت عليه ، فلما كان العشاء حلت له ؟ فقال له الرشيد : لقد أوقعتنى فى بحر لايخلصنى منه غيرك ، فقال له الأعرابى : أنت أمير المؤمنين ، وليس أحد فوقك ، ولا ينبغى أن تعجز عن شىء ، فكيف تعجز عن مسئلتى ؟ فقال له الرشيد : لقد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك ، فأريد أن تفسرلى ماذكرت إكراما لى ولهذا البيت الشريف . فقال الأعرابى : حبا وكرامة : أما قولى لك فى رجل نظر إلى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراما ، فهذا رجل نظر الى أمة غيره فهى عليه حرام ، فلما كان الظهر اشتراها فحلت له ، فلما كان العصر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له ، فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه ، فلما كان الفجر راجعها فحلت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الإسلام فحرمت عليه ، فلما كان العصر استتيب فرجع فحلت له ، فلما كان المغرب ارتدت هى فحرمت عليه ، فلما كان العشاء استتيبت فرجعت فحلت له . قال فتعجب الرشيد وفرح به واشتد عجبه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، فلماحضرت قال لاحاجة لى بها ردها الى أصحابها ، قال فهل تريد أن أجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك؟ قال الذى أجرى عليك يجرى علىّ ، قال فان كان عليك دين قضيناه فلم يقبل منه شيئا ثم أنشأ يقول :

هب الدنيا تواتينا سنينا ... فتكدر تارة وتلذ حينا
فما أرضى بشىء ليس يبقى ... وأتركه غدا للوارثينا
كأنى بالتراب علىّ يحثى ... وبالاخوان حولى نائحينا
ويوم تزفر النيران فيه ... وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى ... لأنتقمنّ منكم أجمعينا

فلما فرغ من إنشاده تأوه الرشيد وسأل عنه وعن أهله وبلاده فأخبروه أنه موسى الرضا ابن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وكان تزيا بزى الأعراب زهدا فى الدنيا وتورعا عنها فقام وقبله بين عينيه ، ثم قرأ (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

[إخوانى] هؤلاء قوم كانوا يخفون حالهم بين الأنام وهم شعث غبر لايؤبه لهم وهم عند الله فى أرفع مقام ، هذه صفاتهم إذ قبلوا فكيف صفاتك يامردود ؟ هذه صفاتهم إذ قربوا فكيف صفاتك يامطرود ؟ هذه صفاتهم فنح على نفسك يامنكود ، ويحك يامسكين أنت فى النهار فى البطالة وفى الليل من جملة الرقود ، وينشد :

ياعالما بما يكنّ الضمير ... أنت نعم المولى ونعم النصير
من لعبد قد أوبقته الخطايا ... من عذاب ياسيدى يستجير
هل لأهل الذنوب عنك محيص ... ونفوس الورى إليك تصير
حسبنا فى غد من الذنب مولى ... علمنا أنه الرحيم الغفور

للميزان ، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا » وفى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها « أنها ذكرت النار فبكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مايبكيك؟ قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد أحدا : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم » . وفى الوسيط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير ، يقول الله يا آدم لولا أنى لعنت

باب صفة الفقير

من صفة الفقير فى الدنيا أن يكون صائما قائما راكعا ساجدا طالبا راغبا صبورا شكورا رحيما لطيفا وحيدا ، قليل الكلام ، قليل الطعام ، كثير الذكر مليح الفكر بعيد الأوطان ، قليل الإخوان ، كثير الأحزان ، معرضا عن متاع الدنيا وشهاتها ، مخلصا من مكرها وشهواتها ، لايبيع ولايشترى ، ولا أخذ له ولاعطاء ، إن حضر لايعرف ، وإن غاب لايذكر ، كثير الخلوة غزير الدمعة لايملك شيئا ولايملكه شىء محاسبا لنفسه مراقبا لربه ، أنفاسه محروسة وربوع قلبه مأنوسة ، لايطيل فى الدنيا فكره ، وينظر فيها بعين العبرة ، قليل الشهوات ، تارك الشبهات ، ملازم الطاعة ، كثير القناعة ، تارك الحيلة ، قليل الوسيلة ، ليس له حاجة بالناس أبد الأبد ولايؤخر من يومه الى غد متوجها لمولاه ، لايعبد إلاإياه ، خرج من الدنيا خروج صحيح ، وأقبل على الله بوجه مليح ، ليس له بلغة ، ولايملك ذرة ، مشتغلا بالله ، معرضا عما سواه ، لايعرف النفاق ، ولايمشى فى الأسواق يسلك الطريق بلا تعويق ، بدنه نحيف ، وجسمه لطيف ، ونظره عفيف ، علم العلم والعمل ، وترك الدنيا وانعزل ، جاهد فشاهد ، مسارعا الى الملكوت ، مراقب الحى الذى لايموت لايمشى مرحا ولايرى فرحا ، بعيدا من الناس وأكثر منهم الإياس سلم فسلم لامتكبرا ولامتجبرا صادق المقال حسن الفعال فارق العالم وراح وتركهم واستراح ، أنس بوحوش الفلا وأيس من الملا يطوف السهل والجبل قصير الأمل لايملك من الدنيا حبة ولاينظر اليها بعين المحبة هجر الأحباب والأصهار وأنس بوحوش القفار أقام على نفسه الحدّ ولزم طريق الجد ، علم أن القلب بيت الرب فطهره وأخلاه فتجلى فيه اذلم يجد فيه سواه ولو أعطى الدنيا بما فيها لم ينظر إليها فهذا هو الفقير . وقيل أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة وكتمان الفاقة وكتمان الصدقة وكتمان الألم . وقيل من كمال المرء خصلتان : لايدخله الرضا فى الباطل ولايخرجه الغضب عن الحق . وقيل : العجلة من الشيطان إلا فى ستة أشياء تعجيل الصلاة إذا دخل وقتها وقرى الضيف إذا دخل وتجهيز الميت إذا مات وتزويج البنت إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب والتوبة من الذنب إذا وقع .

المجلس الرابع عشر

فى ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء والأولياء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم

الحمد لله الذى ذرأ و برأ ، وصور العالم صورا ، وخلق من الماء بشرا ، وخرق له سمعا وبصرا وأمضى بقدرته قضاء وقدرا ، وأظهر بحكمته من آياته عبرا ، وألبس العمال من ملابس الأعمال ثوبا فتخرا ، وجبر من خضع لديه ووقف بالذلة بين يديه منكسرا ، وأغنى بفضله من تمسك بحبله وأمسى اليه مفتقرا ، فسبحانه من إله ليس فى قدرته مرا ، ولا فى وحدانيته امترا ، وهو السميع البصير الذى يسمع ويرى ، نظر الى الماء فعاد من الهيبة حجرا ، والى الجماد فسال برحمته كالسيل وجرى ، ورفع قبة السماء بغير عمد كما ترى ، وجعل فيها سراجا وقمرا ، ورصعها بدرارى الكواكب فكت دراريها درارا ، وأرسل الرياح بين يدى رحمته نشرا ، وأذن للنجم أن يسرى فسرى ، والى السحاب أن يحمل مطرا ، وحرس قلعة السماء بحراسة الشهب ، فلم يسمع مسترق السمع منها خبرا ، وحير الفكر فى إدراكه فرجع مقهقرا ، وبقى فى بيداء التيه محيرا ، وعذب من كفر واجترا ، وقرب من أناب ووحد وتذلل ولم يبد تكبرا ، وأرسل الصواعق على مقدمة نقمته عبرا ، وألمع البرق

الكذابين أو أبغضت الكذب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ، ولكن حق القول منى لأملأن كذبت رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ويقول الله عزوجل : يا آدم اعلم أنى لا أدخل من ذريتك النار أحدا ولاأعذب منهم بالنار أحدا إلا من قد علمت بعلمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ، ويقول عز وجل : قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر مايرفع اليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لاأدخل منهم النار إلا ظالما» . وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ،

بترادف تألف نعمته مبشرا ، وأنطق الرعد بعواصف قواصف قدرته مزمجرا . هبت من خزائن كرمه نفحات نسمات نعمه فاستنشق العارفون منها عنبرا عطرا ، فجاء بالسر المألوف معروفا منكرا ، وجعل لأبي يزيد التأييد فأصبح على دنياه بتقواه منتصرا ، وبات الشبلي لعرائس المحبة يستجلي فظل متمزقا متحيرا ، وجند الجنيد من أجاده الى لقاء أنداده عسكرا ، فشمر في الخدمة الذيل وظل باكيا طول الليل متحسرا ، وخص ذا النون بالسر المصون فهام ولم يجد مصطبرا ، وشرب الحلاج صرف المزاج فجرى منه ماجرى ، فلما حصل لهم من المحبة الذوق هبت عليهم نسمات الشوق ، وروت لهم عن الحبيب خبرا ، وأخبرتهم أن حبيبهم نظر اليهم وتجلى عليهم مسحرا ، فالراجي في الليل الداجي قد بسط كفا منكسرا ، والجاني بالقلب العاني قد نكس رأسا معتذرا ، والعاصي قد خاف من يوم الأخذ بالنواصي فأطرق حياء وحذرا ، والمذنب ينوح على ذنوبه ويقطع الليل بالبكاء على عيوبه بكاء وسهرا :

لاذقت ياصاح لذيذ الكرى ... أو يصفح الرحمن عما جرى
ويبعد الهجر ويدنو اللقا ... ويفرج القلب بطيب القرى
ويرجع الود الذي بيننا ... والعيش صاف بعد ما كدرا
متى بشير الصلح يأتي لنا ... ويرجع العود وقد أثمرا
وألصق الخد بأبوابهم ... معفرا في ترب ذاك الثرى
هاقد بسطت راحتي سائلا ... وقد مددت الكف مستمطرا
ياسادتي قد تبت من زلتي ... وقد أتيت الآن مستغفرا
فسامحوني كرما منكم ... فعهدكم عندي وثيق العرى
مالي سوى أبوابكم سادتي ... وقد تشفعت بخير الورى

قيل لما آن نزول البلا على سيدنا أيوب المبتلى ، أتى طاوس الملائكة جبريل بأمر الملك الجليل ، فقال له ياأيوب سينزل بك مولاك من البلاء والأهوال مايعجز عن حمله الجبال ، فقال أيوب عليه السلام إن دمت على مواصلة الحبيب ، سأصبر حتى يقال عجب عجيب ، فنودي يا أيوب استعد لبلائي ، واصبر لنزول حكمي وقضائي . وكان السبب في ابتلائه أن ابليس لعنه الله حسده وتحيل عليه بأنواع المكر والحيل فلم يقدر عليه ، فقال إلهي إنما شكر أيوب وسبب طاعته لك أن وسعت عليه في الأموال والأرزاق والأولاد والعافية . فلو سلبته ذلك لما أطاعك طرفة عين ، فقال له الحق جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وإنه لم يغيره ذلك فأول يوم ابتلاه أخذ الأولاد فزاد في الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد ، وفي اليوم الثاني أخذ الأموال فأحرقها ومزقها ، فقال السيد أيوب العطايا عطاياه إن شاء سلبها وإن شاء أطلقها ، وفي اليوم الثالث نفخ ابليس في جسده وهو في صلاة الفجر فلعب الدود في جميع بدنه ولم يزل يذكر الله في سره وعلنه فلما تمكن البلاء من جسده بعد ذهاب ماله وولده قال الحمد لله الذي اصطفاني لخدمته ، ومن علي بفضله وخيرته ، فلم يشغلني بغيره ، ولم يزل أيوب ذاكرا ولربه حامدا وشاكرا إلى أن تمزق جلده وذاب لحمه ودق عظمه وصار الدود يغدو في جسده ويروح وهو بالشكوى لايبدي ولا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة الى الأرض ردها الى مكانها ويقول لها كلي أيتها الدودة فهذا مائدة جسدي ممدودة ، فنزل عليه الأمين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام ثم سلم عليه ثانيا فرد عليه السلام ، فقال له جبريل عليه السلام يانبي الله مامنعك من رد السلام في المرة الأولى ؟ فقال ياأخي ياجبريل :

فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي الصحيح « إن أول مايقضى في الدماء » وفي معالم التنزيل ، روى عن عبد الله بن مسعود قال : « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ، ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء الى حقه فليأخذه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وإن كان صغيرا ، ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل . (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم

إن الملك الودود أرسل الىّ أضيافا من الدود لكى أطعمهم من لحمى على مائدة جلدى وعظمى فكان بعض الأضياف من الدود على طرف لسانى فخشيت أن أردّ عليك السلام فتسقط من مكانها فأمنعها حقها وأكلها فأطالب برزقها فأكون عاصيا لربى :

عذبونا ثم قالوا فى الملا أنت راض بالبلا قلت بلى
أناراض بالبلا لكن على أن تذيبوا القلب بالهجر فلا
عذبوا إن شئتموأوفارحموا عذب التعذيب عندى وحلا

[إخوانى] البلاء يظهر أحوال الرجال وما أسرع مايفتضح المدعى ، هذا أيوب نبىّ الله أرسل عليه سبعين ألف نوع من العذاب والبلاء فصبر وماشكا له ضيرا ، اسمع يامن تضر به شوكة فلا يطيق لهاصبرا فأيوب المبتلى جرّبه نقاد الورى محك الابتلا فزاد فى الخدمة وعلا ، أخذ منه المال فما زاغ عن المحبة ولامال ، وأخذ منه الولد فزاد فى الخدمة واجتهد ورضى بجميع المحن وما باح فى شكواه بسر ولا علن ، نودى ياأيوب أين أنين المكروب قد صبرت على بلائنا وسلمت لقضائنا سنردّ عليك مالك وولدك ونعافى من البلاء جسدك ونكتب اسمك فى محكم الكتاب وننشر ذكرك فى ديوان الأحباب (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) .

أهل البلاء موكل بهم البلا فى هذه الدنيا يحل معجلا
ماضرهم ما كابدوه من العنا حتى بدار الخلد عنهم حوّلا
يتمتعون بضرهم فلأجل ذا قدراق عندهم العذاب وقدحلا
وإذا ابتلاهم بالبلاء يرونه نعما وجودا دائما وتفضلا
والأنبيا صبروا على بلواهم سرّا وإعلانا فهم أهل الولا

حكى أن ابراهيم عليه السلام لما قال : رب أرنى كيف تحيى الموتى قيل له ياابراهيم أنت شاك فى قدرتنا حتى تقف على باب حجتنا وتقول أرنى ؟ فقال يارب أنت أريتنى بعين بصيرتى فأرنى بعين بصرى لأجمع بين النظرين فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير ويذبحها ويمزقها ويفرّق أجزاءها ويجعل على كل جبل منهن جزءا وأمره أن يأخذ رؤوسهن فيجعلها بين أصابعه ويدعوهنّ ففعل ذلك فهب نسيم من جانب القدرة وجمع تلك الأجزاء المتفرقة واللحوم المتمزقة وأتوا نحوه وعطف كل منهم على رأسه من بين أصابعه ، ولما صاروا أحياء بقدرة الله تعالى عكفوا على رأس إبراهيم عليه السلام ونادوه بلسان فصيح وقلب جريح أى شىء أردت منا حتى سفكت دماءنا ياإبراهيم ؟ تأدب فربما باسطك مثل ماباسطته فى تلك الليلة رأى ذبح ولده فكأنّ الله تعالى يقول ياإبراهيم نحن أريناك إحياء الموتى فأرنا أنت إماتة الأحياء فقال (يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) فاستسلم للقضاء وصبر و(قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) ياأبت من ذا الذى يطيق يعترض على الحاكم فيما حكم ياأبت إن كان مولاى راضيا عنى وقد اختار ذلك منى فامض لما أمرت معوّلا ، فقد طاب الموت وحلا ثم أنشد لسان الحال هذه الأبيات :

أما والذى لدمى حللا لقد خص أهل الولا بالبلا لئن ذقت فيك كؤوس الحمام
لما قلت يوما لساقيه لا وإنى لن أشتكى فى الهوى ولو قدّنى مفصلا مفصلا
رضيت وحقك كل الرضا إذا كان يرضيك أن أقتلا

[حكى] أن موسى عليه السلام لما شرب كأس المدام من الكلام ، وكان قد خرج ليقتبس النار وقد سبقت له الأقدار بالعناية من الجبار ، فلما أتى الشجرة ونفسه للأنوار مرتقبة منتظرة سمع

المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون) ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين : هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عزّ وجل للملائكة : انظروا فى أعماله الصالحة فأعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يارب ما بقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله عز وجل ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة . ومصداق ذلك فى كتاب الله عزّ وجل (إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة إلهنا فنيت حسناته وبقى طالبون . فيقول الله عزّ وجل : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم

النداء ياموسى فوجد بذلك قربا وأنسا وظل متفكرا فى أىّ جهة يقرب أو يأتى فسمع النداء من جميع الجهات : ياموسى لابأس عليك (فاخلع نعليك إنك بالواد المقدّس طوى) موضع لايطرقه من بالمعاصى تدنس ولاجاءه مستوحش إلايأنس ثم سمع النداء ، ياموسى (إننى أنا الله) فاعرفنى (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، وأنا إلهك العظيم فعظمنى ، وأنا الملك الرزاق فلا تسأل غيرى واسألنى ، وأنا شديد العقاب فاحذرنى) وأنا الجليس لمن ذكرنى فاذكرنى . قال موسى : يارب دللتنى عليك وقربتنى اليك (فأرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا) وينشد :

طلعت شموس شواهدى لما شهدت خيامهم
وبدت لواعج لوعتى لما سمعت كلامهم وفنيت عن بشريتى
لما بدت أعلامهم ماضرّهم لو أرسلوا مع النسيم سلامهم

[إخوانى] الطريق عسرة المسالك ، ضيقة على السالك ، فبكى فيها آدم ، وناح لأجلها نوح ، ورمى فى النار إبراهيم الخليل ، وأضجع للذبح إسمعيل ، وبيع يوسف ، ونشر زكريا ، وذبح يحيى وابتلى أيوب ، وهام مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر محمد عليه الصلاة والسلام . ياأخى أول قدم فى الطريق بذل الروح ، هذه الجادة ، فأين السالك ، هذا القميص ، فأين يعقوب ، هذا جبل طورسينا ، فأين موسى ياجنيد احضر ياشبلى اسمع ياابن أدهم أقبل :

قف بالديار فهذه أطلالهم تبكى الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا عن أهلها أوصادقا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقى

[قال الشبلى رحمة الله عليه] بينما أنا أسيح فى بعض الجبال إذ رأيت ريحانة العابدة ، وهى تنشد هذا البيت :

أحضرتنى فيك لكن غيبتنى فى التجلى

قال فنظرت يمينا وشمالا وفتشت عليها فرأيتها فسلمت عليها فردت علىّ السلام . فقلت ريحانة : فقالت لبيك ياشبلى . فقلت على من تفتشين ؟ فقالت على ريحانة ، فقلت لها ألست ريحانة ؟ قالت بلى ولكن ياشبلى منذ قرب ودنا وقعت فى العنا وصرت لا أعرف أين أنا ، فغبت عن وجودى ، وضعت منى وصرت أسائل الركبان عنى فلا أجد من يخبرنى عنى فقلت عودى يجمع عليك فقد رفعت الأعلام اليك فقالت ياشبلى لقد سألت عناصرى ، فلم أجد فيهم أحدا ناصرى ، وسألت الحواس فاذاهم سكارى من غير كاس ، وسألت فهمى فدلنى على وهمى ، وسألت سرى فقال لاأدرى وسألت فؤادى فما بلغنى مرادى ، وسألت قلبى فاستغرق وقال حسبى لاأتكلم ولا أبدى ، ثم قالت ياشبلى من هيبة ربى لم يبق حىّ إلا وسألته أن يوصلنى الىّ ويدلنى علىّ فعجز الكل عن لفظى وتركن حظى ، فان كنت ياشبلى تعرف مكانى فقد دعانى ترجمانى فقلت لها ياريحانة قرارة مكانك عند رحيمك ورحمانك ، قال فصرخت صرخة وأتبعتها زفرة فحركتها فاذا هى ميتة فأسندتها إلى صخرة وأصعدت فى فلاة من الأرض لعلى أرى من يعيننى على تجهيزها فلم أر أحدا فعدت إلى الأثر فلم أجد لها خبرا لكن رأيت لها نورا تشعشع وبروقا تلمع ، فقلت ياليت شعرى مافعل بهذه الأمة ؟ فنوديت ياشبلى من أخذناه منه فى حال حياته غيبناه عن الأعين فى مماته . قال الشبلى فلما كانت تلك الليلة رأيتها فى المنام فقلت ريحانة مافعل الله بك ؟ فقالت يابطال زال العنا ونلنا المنى وتحققنا مالنا وبلغنا قصدنا

صكوا له صكا إلى النار . وذكر الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مدّ البصر ، ثم يقول الله أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول الله أفلك عذر فيقول لايارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال إنك لاتظلم . قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل مع اسم الله تعالى شىء » أى من كان معه ذكر الله فلا يقاومه شىء من المعاصى ، بل يترجح الذكر على المعاصى .

وآمالنا ، وإن كنت تريد العز الكلى فمت مثلى :

شهدت بعين الفكر فى حان حضرتى ... ومنذ تجلى للقلوب فجئت
سقانى بكاس من مدامة حبه ... فكان من الساقى خمارى وخمرتى
وخاطبنى سرا فناديت جهرة ... ألا ياعباد الله فزت ببغيتى
فغبت عن الأكوان شغلا بنشوتى ... وتهت عن العشاق جهرا بسكرتى
شغلت بمن أفضى فؤادى محله ... ولم يك شغلى بالرباب وعلوة
ولم ترض روحى بالديار وإنما ... إلى عالم الأسرار زمت مطيتى
فشاهدت معنى لو بدا كشف سره ... لصم الجبال الراسيات لدكت
وها أنا قد ألهمت قصة شكوتى ... فوقع فضلا منه غفران زلتى

[قال بعض السادة] حججت إلى بيت الله الحرام فى بعض الأعوام فلما قضيت الحج وأردت الرجوع رأيت شابا قد نحل جسمه واصفر لونه وخفى رسمه وقد وقف على الراحلة وتنفس تنفس الحزين . وقال هل فيكم من يحمل كتاب الغريب الذى طالت غربته واشتدت زفرته وقويت حسرته من أجل عجوز أفنت عمرها فى تربيتى وطال اشتياقها إلى رؤيتى فهل فيكم من يحمل كتابى ويوصله إلى أحبابى ويغنم أجرى وثوابى ؟ :

هذا كتابى إليكم مخبرا لكم ... بأننى لم أطق تسطيرها يدى
لأن إحداهما مشغولة أبدا ... بمسح دمعى والأخرى على كبدى
فإن تعوضت واستبدلت بعدكم ... يوما فلا قالنى الرحمن من كمدى

ثم قال بالله عليكم إذا وصلتم سالمين فأوصلوا إليها كتابى وأخبروها بما بى ثم أنشد يقول :

وقولوا تركنا العامرى مولها ... بنار الأسى والشوق قد بلغ الجهدا
فإن سألوكم كيف حالى بعدكم ... فقولوا لهم والله مانقض العهدا

قال فرق قلبى له وأخذت كتابه من يده وقلت له ما الذى يمنعك عن الوصول إلى والدتك ؟ ، فقال لى ياسيدى إذا كانت الأقدار تعوق فما يصنع المخلوق ، ثم أنشد يقول :

خرجت وفى أملى عودة ... ولكننى لست أدرى متى
وإن قد تلذذت فى غربتى ... بأنس حبيبى لما أتى
ولكننى أرتجى فى غد ... بها الاجتماع كما شئتا

قال فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فاجتمع أهل القافلة إليه ، ثم أفاق بعد ساعة وهو يقول : هيهات هيهات إنما توعدون لآت قرب المزار ودنت الديار وكان اللقاء وآن الرحيل إلى دار البقاء ، ثم صرخ صرخة عظيمة أخرى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه . قال فجهزناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه وسرنا طالبين البصرة فلما قربنا منها خرج أهل البلد لتلقى غيابهم والتهنئة بسلامة أصحابهم وإذا فى آخر الناس عجوز ضعيفة البصر وقد أضر بها الكبر قلبها بذكر الله منتعش وهى تمشى وترتعش وتقول أما آن قدوم الغائب المنتظر أما له فى القافلة من خبر ؟. قال ثم نادت يامعشر القادمين هل فيكم حامل كتاب فيه من ولدى خبر أوجواب ؟ ثم أنشأت تقول :

يعود إلى أوطانه كل غائب ... ونجلى مع الغياب ليس يعود
لقد ذهبت عيناى من كثرة البكا ... ونيران قلبى بالفراق تزيد
لقد كنت أرجو أن يعود ونلتقى ... ولكننى عما أريد بعيد

فتفكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك ، واعلم أن من لاسيئة له فله الجنة ، ومن لاحسنة له ، فله النار ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فان مابين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع قيل إذا تعلق المظلوم بالظالم الأواب وهو الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للمظلوم ارفع رأسك فيرفع رأسه فاذا بقصر عظيم يلوح فيقول ماهذا يارب فيقول إنه للبيع فاشتره منى فيقول مامعى ثمنه فيقول أن تبرئ مظلمة أخيك فالقصر لك فيقول قد فعلت يارب :

[وحكى] أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى ، فقال له ابنه ما يبكيك

قال فتقدمت إليها وقلت لها : أيتها العجوز الحزينة الغريبة الضعيفة الكئيبة معى كتاب من شاب غريب يشكو البعاد ويذكر أن أهله فى هذه البلاد ويشتاق إلى أم كانت له كثيرة الوداد ، فعند ذلك صرخت العجوز صرخة عظيمة وقالت هذه والله صفة ولدى الغريب فناولنى الكتاب ليرد ما بقلبى من اللهيب والاكتئاب . قال فناولتها الكتاب فجعلت تقبله وتتأمله وتضعه على عينيها وقلبها وتقول يارسول ولدى الغريب مافعل بسيدى الحبيب ؟ فقلت لها قد قضى نحبه ولحق بربه . قال فلما سمعت أن ولدها أضحى غريبا وحيدا بكت بكاء شديدا ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت سيدى ومولاى إنما كنت أحب البقاء فى الدنيا رجاء الاجتماع بولدى واللقاء ، والآن لاحاجة لى بعده فى البقاء ثم صرخت صرخة ووقعت على الأرض ميتة فعزمت على تجهيزها وإذا بقائل يقول أسمع صوته ولا أرى شخصه : ياهذا هون عليك فليس أمرها إليك وأنشد يقول :

سأبكى عليكم بالدموع تأسفا ... وأندب أياما بوصل تقضت
ولهفى على ربع خلا من أنيسه ... وصاح به داعى النوى والتشتت
ودار لنا بالرقمتين عهدتها ... بها كان أحبابى وأهل مودتى
ولى زفرات بالغرام تأججت ... لها فى فؤادى نار شوق أمضت
فإن لم تعودوا إلىّ وأنظر حسنكم ... إذا أقض نحبى من عذابى وحسرتى
فيامعشر الإخوان رقوا لمدنف ... غريب بلى بالذل فى أرض غربة
فيارب بالهادى البشير محمد ... نبى رقى حقا لأرفع رتبة
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا ... وشفعه فينا فهو خير البرية
عليه سلام الله ما أظلم الدجى ... وما لاح برق لامع فى الدجنة

قال الأستاذ أبو محمد الفراء : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنا ، ورجل يموت على الكفر ، ورجل فى قلبه خوف الفقر . وقال الأستاذ الجنيد : يامعشر الفقراء إنكم تكرمون لله وتعرفون بالله فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به ، وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره وأداء فرضه ، وصيانة فقره . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام تريد أن تكون لك فى القيامة مثل حسنات الخلق أجمع ؟ . قال نعم يارب . قال عد المرضى وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يغلى ثيابهم ويعود المرضى .

[قال عبدالله بن المبارك] إظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر . وقيل أقل مايلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء : علم يسوسه وورع يحرزه ويقين يجمله وذكر يؤنسه . قال أبو حفص لايصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ ، وليس السخاء أن يعطى المعدم الواجد ، وقال ابن الجلاء : فلولا شرف التواضع كان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر ، وقال بعضهم رأيت القيامة قد قامت وكأن قائلا يقول ادخل يابن دينار ومحمد بن واسع الجنة . قال فنظرت إليهما أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه قد كان له قميص واحد ولمالك بن دينار قميصان ، وقال يحيى بن معاذ : لايوزن غدا الفقر والغنى إنما يوزن الشكر والصبر فتعالوا نصبر ونشكر :

يامعشر الفقراء رب حاكم ... لما احتميتم عن سواه حماكم
أبديتمو فقرا إليه وأنتمو ... أزكى الورى سبحان من أعطاكم
ماشأنكم فى شأنكم فقر ولا ... ضر إذا مولاكم والاكم

يأبت ؟ فقال يابنى لست أبكى على الدنيا ولاعلى نعيمها ، ولكن على ماأمامى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكئود ، والزاد القليل ، والحمل الثقيل ، ولاأدرى أيحط عنى ذلك الحمل حتى أبلغه الغاية أم أثقل حتى أساق إلى النار فلهذا أبكى ومات رحمه الله ، وأنشد بعضهم :

أرانى إذا حدثت نفسى بتوبة ... تعرض لى من دون ذلك عائق
تقضت حياتى فى اشتغال وغفلة ... وأعمال سوء كلها لاتوافق
طردت وغيرى بالصلاح مقرّب ... ودون بلوغى مسلك متضايق
وكيف وزلات المسىء كثيرة ... أيقرب عبد من مواليه آبق
إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى ... عليه الهوى واستأصلته العلائق

وإذا الملوك تذللت لجنابكم جاءت غدا تختال تحت لوائكم
يافوز من صافاكم فى يومه ليفوز فى غده بصدق ولائكم

ولى حزن يزداد فى كل لحظة
ودمع جفونى للبكاء يسابق
فإن تغفر الذنب الذى قد أتيته
فذاك رجائى والظنون توافق
علامة مايولى من الفضل إن أنا
هجرت لدنا أوقلت إنك طالق
هنالك يبدو كل سرّ معظم
لعينى وتغشانى هناك الحقائق

يأخى من يتصف بأوصافهم ولم يكن بهم مقتديا لايكون فيه أحد معتقدا . وقيل إنه كان بعض المشايخ معه جماعة من الفقراء المسمين بالصوفية رأى فى المنام كأن السماء قد انشقت ونزل جبريل عليه السلام ومعه ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم والملائكة بأيديهم الطشوت والأباريق وكأنهم يصبون الماء على أيدى الفقراء وأرجلهم ، فلما بلغوا إلىّ مددت يدى ليصبوا علىّ فصبوا علىّ وعلى الفقراء الحاضرين . قال سهل رحمة الله عليه ٧ لو دخل هذه الصفة بالصدق ولو يوما واحدا حتى أبلغ إلى السرقة أوغيرها لوجب علىّ نصرته ولوقطع يدى :

ملوك الأرض أرباب الرعايا ونحن عبيد خلاق البرايا إذا رفعوا قدودا كالعوالى
ركعنا فى قدود كالحنايا وإنا فى الثرى وهمو سواء إذا نزلت بنا رسل المنايا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

المجلس الخامس عشر

فى مناقب الأولياء رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى جعل الفقراء صفوة خلقه ، ورفع لهم منزلة وقدرا ، وفوا له بالعهود فنشر لهم فى الوجود ثناء وذكرا ، زين بهم الزمان وملأ بعرف عرفانهم الأكوان عطرا ، جعل قربه غاية مطلوبهم وصير حبه لكسر قلوبهم جبرا ، نكسوا بين يديه رءوسهم وكسروا بالذل نفوسهم فأجرى لهم أجرا ، استعذبوا التعذيب فى رضا الحبيب واستحلوا ما كان مرا ، تاهوا على الوجود ، فجادوا بالموجود ، وأضحوا فى قيود محبته أسرى ، عرضت عليهم الكنوز فرفضوها ، وحدّقت إليهم الدنيا فتركوها ، واختاروا فاقة وفقرا ، ابتلاهم بالمحن فشكروه على هذه المنن ولزموا صبرا ، تحيل عليهم الشيطان فلم يكن له عليهم من سلطان ولا أطاق لهم كيدا ولامكرا ، فهم الفقراء إلى الله الأغنياء بالله الذين حجبهم عن الأغيار ، ورفع لهم فى الأسحار حجابا وسترا :

هم الفقراء عنهم فارو ذكرا وقف واسمع لهم خبرا وخبرا
بذكرهم القلوب تهيم وجدا ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
إذا ما الحب ناجاهم تراهم يميلوا فى الدجى طربا وسكرا
وإن سكروا لهم حال عجيب يحير حالهم عقلا وفكرا
عن الدنيا تجافوا فاستراحوا وقد قطعوا بها الأعمار صبرا
على وجناتهم كتبوا إليه بأدمعهم حروفا ليس تقرا
وقد شمخوا على الأكوان تيها وإعجابا بحالهم وفخرا *
إذا سهروا تراهم فى الدياجى يديمون الخضوع لديه جهرا
وإن ناموا تولاهم حبيب بأسرار القلوب إليه أسرى
حبيب كلما راموا لقاه تجلى للقلوب وشال سترا
فدعهم ياعذول ولا تلمهم فساقيهم بهم لاشك أدرى
هم الفقراء والحقراء حقا هم الأمراء إذا حققت أمرا

﴿ فصل : فى المرور على الصراط والحوض ﴾ قال الله تعالى : (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا . ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشدّ على الرحمن عتيا . ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا . وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) . واختلف فى ورودها فقيل هو الدخول فيها وهى خامدة فيعبر المؤمنون وتنهار بغير هم.

[قال أبو الأشهل السائح رحمة الله عليه] رأيت غلاما بطريق مكة شرفها الله تعالى قائما يصلى

عند بعض الأميال قد انقطع عن القافلة . قال: فوقفت أنتظره فأطال ، فلما سلم قلت له سلام عليك قال وعليك السلام ، فقلت له إنك قد انقطعت عن الركب ألك رفيق يؤانسك حتى تلحقه ؟ فبكى وقال نعم . فقلت وأين هو ؟ قال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى . قال فعرفت أنه عارف. قلت: أمعك زاد ! قال نعم . قلت: فأين هو ؟ قال فى قلبى إخلاصى لربى . قلت: هل لك فى مرافقتى؟ قال الرفيق يشغل عن الله تعالى ولاأحب أحدا يشغلنى عنه طرفة عين . فقلت فمن أين تأكل ؟ قال الذى غذانى فى ظلمة الأحشاء صغيرا قد تكفل برزقى كبيرا فمتى احتجت إلى الطعام والشراب حضر بين يدى . قلت فهل من حاجة ؟ قال نعم : إذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلاتكلمنى ، فقلت ادع لى . قال حجبك الله عن كل معصية وشغلك بما يقربك إليه . قلت فأين اللقاء بعد هذا اليوم ؟ قال مابقى بعد هذا اليوم لقاء ، فإن كنت من أهل القرب فاطلبنى غدا فى منازل المقربين ، ثم غاب عنى فلم أره بعدها فأنا متأسف عليه طول عمرى :

همو قدحوا الغرام بلا زناد ... فطار الشوق من شغف الفؤاد
إذا لم يطفئوا نيران شوقى ... بوصل صار قلبى كالرماد
عذولى لاتضع فى العذل وقتى ... فلست بقاطع حبل الوداد
وياحادى النياق لأهل نجد ... إذا ماجزت فى تلك البوادى
فقل للحب بالجرعاء عنى ... مقالة مغرم الأحشاء صادى
أياراحى وريحانى وروحى ... أتسهرنى وتسلبنى رقادى
ظلام الليل أحسن من ضياء ... إذا نظر المحب بلا انتقاد
يقوم به المحب إلى حبيب ... عظيم العفو منسكب الأيادى
وسار العارفون إلى رضاه ... يحثهم البكا والشوق حادى
وقد جعلوا الحنين لهم حديثا ... وتذكار الأحبة خير زاد

[قال مالك بن دينار رحمة الله عليه] كان لى جار مسرف على نفسه فاجتمع الجيران إلىّ يشكونه فأحضرته وقلت له: إنه قد كثر عصيانك ، فإما أن تتوب وإما أن تخرج من هذه المحلة ؟ فقال: أنا فى ملكى ما أخرج منه. قلت نشكوك إلى السلطان ؟ فقال أنا من أصحابه . قلت: فندعو الله عليك ؟ فقال ربى أرحم بى منكم ثم نهض من عندى ، فلما كان الليل رفعت يدىّ فى وقت السحر وقلت : سيدى قد آذانا هذا الرجل فاصنع اللهم به وافعل فهتف بى هاتف لاتدع عليه فانه من أوليائنا . قال فقمت من ساعتى وطرقت عليه الباب فخرج وظن أنى جئت أخرجه من المحلة فخرج يبكى ويعتذر ويقول : ياسيدى السمع والطاعة أنا أخرج من هذه المحلة . قال فقلت : ماجئتك لهذا ، وإنما الساعة تضرعت إلى الله تعالى فهتف بى هاتف لاتدع عليه فانه من أوليائنا، فبكى بكاء شديدا وتاب وحسنت توبته فأصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثروا عليه فخرج إلى مكة شرفها الله تعالى ماشيا فأقام بها فحججت فى العام المقبل . فبينما أنا فى وقت الظهيرة فى المسجد الحرام أستظلّ بحائط وإذا بجماعة قد اجتمعوا فى جانب المسجد فقمت إليهم فإذا هم قد أحدقوا برجل فتأملته فإذا هو صاحبى وهو ملقى على التراب وهو يجود بنفسه فجلست عند رأسه أبكى ففتح عينيه فرآنى فقال يامالك ترى يعفو عن تلك السيئات ويرحم هذه العبرات إنما خرجت من تلك المحلة وفارقت وطنى وأهلى حياء منك وأنت مخلوق مثلى فكيف أقف غدا بين يدى الخالق ! ثم تنفس ومات رحمة الله عليه [كان وكان]

ما كل وصل يواصل ... ولاالعنا يدنى المنا ... هذى سوابق لواحق ... لمن يشا الوهاب

وقيل هو الجواز على الصراط فانه ممدود عليها وصححه النووى رحمه الله، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أو حذيفة بعد ماذكر حديث الشفاعة التى لجأ الناس إليه صلى الله عليه وسلم فيها وهى الإراحة من الموقف والفصل بين العباد . قال « فيأتون محمدا فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا فيمرّ أولكم كالبرق ثم كمرّ الريح ثم كمرّ الطير وأشدّ الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول: ربّ سلم ربّ سلم حتى يجىء الرجل فلايستطيع السير إلا زحفا قال: وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت فمخدوش ناج ومكدوس فى النار ، والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا» قال فى إكمال المعلم تفسيره الحديث الآخر «إن الصخرة العظيمة لتلقى

قل لى إذا لم تصبر وتحتمل إيش لك عمل تقدر بقوة عزمك تغالب الغلاب
سلم قيادك تسلم واخضع لمالك مهجتك إذا عنى بك أتى بك من أقرب الأبواب
كم من موفق تائب قد بان له سبل الهدى وكم شقى عاصى إلى الساعة ماتاب
ويحك عروس المنايا لبيت لحدك خبئت وذا مشيبك وافى فى جملة الخطاب
كأس المنايا دائر على البرايا كلهم فقل لمن هو حاضر يقل لمن قد غاب
غدا تبين الفضائح ويشتهر من قد جنى وفى القيامة ينادى هل من قصدنا خاب

[وحكى عن الجنيد رحمة الله عليه] قال : سافرت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطريق وإذا بصوت موزون من كبد محزون فبادرت إليه وسلمت عليه فقال لى وعليك السلام ياجنيد فقلت له ياحبيبى ومن أعلمك باسمى ؟ فقال التقت روحى وروحك فى الملكوت فأعلمنى باسمك الحىّ الذى لايموت ثم إنه قال ياجنيد إذا أنا مت فغسلنى وكفنى فى ثيابى هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على الغريب يرحمكم الله . قال وإذا بالشاب قد عرق منه الجبين واشتدّ به الأنين ، فقال بالله عليك ياجنيد إذا أنت قضيت حجك ورجعت فارجع إلى بغداد واسأل عن درب الزعفرانى واسأل عن أمى وعن ولدى وقل لهم الغريب يقرئكم السلام لا إلى بيته أوصله ولا معكما تركه وإذا أنا بالشاب قد فارق الدنيا رحمة الله عليه . قال الجنيد : فغسلته وكفنته وطلعت على الرابية وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله وإذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق فصلينا عليه ووارياه تحت التراب فلما قضيت حجى رجعت إلى بغداد وسألت عن درب الزعفرانى فأرشدت إليه وإذا أنا بصبيان يلعبون فنهض إلىّ من بينهم صبى وقال لى ياعماه لعلك أنت الذى أتيت تخبرنا بموت والدى ؟ قال الجنيد فتعجبت من كلام الصبى وأخذ بيدى وأتى بى إلى الدار فطرقت الباب فخرجت إلىّ عجوز وقالت ياجنيد أين مات ولدى ؟ لعله مات بعرفة قلت لها لا . قالت لعله مات بالبادية تحت شجرة أم غيلان قلت لها نعم . فقالت ياولداه لا إلى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم تأوهت وأنشدت تقول :

أرأيت كيف جنى علىّ زمانى وبأى سهم بالبعاد رمانى فارقت أحبابا علىّ أعزة
كانوا بقلبى فى أعز مكان فرزيت بعد فراقهم برزية فمحت أصول السر من كتمانى

فلئن بكيت ولم تفض عينى دما لفراقهم يوما فما أفسانى
فتنفسوا الصعدا وقالوا يافتى أقرحت جفن العين بالهملان
ماأنت أول من مضت أحبابه وجرت عليه نوائب الحدثان
الدهر مايبقى بحال واحد لابد من فرح ومن أحزان

ثم شهقت شهقة ففارقت الدنيا فنظر الصبى إليها ، وقال : اللهم لامع أبى أخذتنى ولامع جدتى خلفتنى إلهى ألحقنى بهما إنك على كل شىء قدير . قال فشهق الصبى شهقة فمات رحمة الله عليهم أجمعين :

مدامعى تجرى كفيض الغمام وقد جفا جفنى لذيذ المنام
من أجل جيران لنا قد نأوا والوجد عندى بعدهم قد أقام
كم قلت للحادى وقد جد فى سير المطايا لبدور التمام
بالله قف بى ساعة نشتفى ونشتكى الشوق لأهل الخيام
ماكان أهنى عيشنا بالحمى لله طيب العيش لو كان دام

[قال أبو بكر بن الفضل رحمه الله] سألت بعض أصدقائى ، وكان أصله روميا عن سبب إسلامه فامتنع أن يحدثنى فما زلت به حتى حدثنى قال : نزل بنا عسكر المسلمين فحاصرونا سنين فخرجنا إليهم

فى شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما حتى تفضى إلى قرارها» . وفى صحيح البخارى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا عذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه لمنزله كان فى الدنيا» وفى رسالة القشيرى قال معاذ بن جبل : إن المؤمن لايطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم . وكان أبو ميسرة رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدنى ، ثم يبكى فقيل مايبكيك ؟ فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها ، وبكى عبد الله بن رواحة وقال : آية أنزلت ينبئنى فيها ربى أنى وارد النار ، ولم ينبئنى أنى صادر عنها ، فذلك الذى أبكانى .

وقال الحسن: كيف لا يحزن المؤمن، وقد حدّث عن الله أنه وارد جهنم ولم ينبئه بأنه صادر عنها. وفي صحيح مسلم عن أنس قال «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقال: ما أضحكك يارسول الله؟ قال نزلت عليّ آنفا سورة يقرأ فيها (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر. فصلّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول ربّ إنه من أمتي. فيقول ماتدري ما أحدث بعدك»، وقوله يختلج بلفظ المجهول: أي يعدل به عن الحوض وهو إما المرتدّ وإما العاصي. وفي كتاب الترمذي عن سمرة بن جندب

وقاتلناهم فقتلوا منا وقتلنا منهم جماعة وأسرنا منهم جماعة كما جرت عادة العساكر في القتال فأسرت أنا وحدي عشرة من المسلمين وكانت لي في الروم المنزلة العظمى فسلمت العشرة إلى غلماني فقيدوهم وحملوهم على البغال، فرأيت في بعض الأيام أحد الموكلين بهم قد أخذ من أحدهم شيئا وتركه يصلي فأخذت الموكل به وضربته وقلت أخبرني ماالذي أخذته من هذا الأسير؟ فقال: إنه في وقت كل صلاة يدفع إليّ دينارا وأطلقه يصلي فقلت وهل معه شيء؟ قال لا ولكنه إذا صلى وفرغ من صلاته ضرب الأرض بيده ودفع إليّ دينارا فأحببت أن أعرف حقيقة ذلك فلما كان من الغد لبست ثياب الموكل ووكلت نفسي بذلك الرجل وقلت للموكل به رح عنه فاني اليوم أتوكل به حتى أنظر حقيقة ماذكرت لي، فلما كان وقت صلاة الظهر أومأ إلى أنه يريد الصلاة ويدفع إلي دينارا فقلت لا آخذ إلا دينارين فقال نعم فتركته فصلى فلما فرغ من صلاته رأيته وقد ضرب بيده الأرض ودفع إلي دينارين جديدين فلما جاء وقت صلاة العصر أشار إلى كالمرة الأولى فأشرت إليه لا آخذ إلا خمسة دنانير فقال نعم فتركته فصلى فلما فرغ من صلاته ضرب بيده الأرض فأعطاني خمسة دنانير جددا. فلما كان وقت صلاة المغرب أشار إلى كعادته فقلت لا آخذ إلا عشرة دنانير فقال نعم ثم صلى. فلما فرغ من صلاته ضرب بيده الأرض فأعطاني عشرة دنانير جددا. فلما كان وقت صلاة العشاء الآخرة أشار إلى على عادته فقلت لا آخذ إلا عشرين دينارا فقال نعم وقام فصلى. فلما فرغ من صلاته ضرب الأرض بيده ودفع إليّ عشرين دينارا جددا. وقال اطلب ماشئت فإن سيدي غني كريم لا يبخل عليّ بما أسأله فيه فبتّ تلك الليلة وقد داخلني من أمره شيء عظيم وعلمت أنه من أولياء الله تعالى فهبته وداخلني منه هيبة عظيمة ففككت قيده من رجليه. فلما أصبحت دعوته وبجلته وأكرمته وألبسته ثوبا جديدا كان عليّ حسنا وخيرته في الإقامة عندنا في بلادنا في أعز مكان وأكرم محل ويكرم غاية الإكرام والرجوع إلى بلاد الإسلام فاختار الرجوع إلى بلده فأحضرت له بغلا ودفعت له زادا وحملته بنفسي على البغل فقال لي توفاك الله على أحب الأديان إليه. فوالله ماستتم هذه الكلمة حتى وقع دين الإسلام في قلبي ثم أنفذت معه من وجوه أصحابي وغلماني عشرة وأوصيتهم بإيصاله إلى بلده مبجلا معظما مكرما بحيث لا يسوءه شيء ولا يعترضه عارض وأن يمتثلوا منه جميع مايأمرهم به ويفعلوا له كل مايختاره ولا يخالفوه في شيء يريده ودفعت إليه دواة وقرطاسا وجعلت بيني وبينه علامة يكتبها إلي إذا وصل سالما إلى مأمنه، وكانت مسيرة مابيننا وبين بلاده خمسة أيام. فلما كان اليوم السادس قدم أصحابي علي ومعهم القرطاس مكتوبا بخطه والعلامة التي بيني وبينه في القرطاس فسألتهم عن سرعة حضورهم فقالوا: لما خرجنا من عندك وهو معنا وصلنا في ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب أصابنا وأقمنا في المجيء خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دين الإسلام حق ثم خرجت من بلاد الروم إلى بلاد الإسلام وصار أمري إلى ماصار إليه، والحمد لله على الهداية والتوفيق:

هكذا الأولياء عزوا وذلوا ... وأشاروا إلى الطريق فدلوا فهمو للأنام مزن وغيث
وهمو للقلوب برد وظل ... هجروا الخلق في رضاه وساحوا ليس للقوم في الخلائق خل
وصلوا الصوم والصلاة فهما ... مل ذو الكد كده لم يملوا حسبوا أنهم كثير فلما
طلبوا في مهامه الأرض قلوا ... فبهم يدفع البلاء عن الخلق وهم من أهلها حيث حلوا

إلهي إن كنت لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين، وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للمخلطين وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن للمسيئين، إلهي توسلنا إليك بحسن الظنون فاغفر جميع زلاتنا يامن لا تراه العيون، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السادس عشر

فى قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

الحمد لله العلىّ المجيد ، الولى الحميد ، المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد المتوحد فى جلال كبريائه من غير تكييف ولا تحديد ، الذى لاينفد ملكه ولا يبيد ، خلق الخلائق وسلكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد ، فصورهم فأحسن صورهم وبشرهم فى الجنة بالتنعيم والتخليد ، بصرهم بعين الاعتبار وحذرهم عذاب النار والوعيد ، وألزمهم شكره ، وضمن لهم من فضله المزيد ، وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولا محيد ، فكم أثكل خليلا بفراق خليله ؟ وكم أيتم ولدا وشغله ببكائه وعويله ، فهو لايبدى بعد رحيله ولا يعيد ، حكم بالموت على أهل هذه الدار وجعلهم غرضا لسهام الأقدار ، الأحرار منهم والعبيد ، أوحش المنازل من أقمارها ، ونفر طيور الأرواح من أوكارها ، وعوضهم عن لذة العيش بالتنغيص والتنكيد ، فالملك والملوك والغنى والصعلوك كلهم سواء فى القفر والبيد ، فسبحان من أذلّ بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد ، وكسر به من الأكاسرة كل بطل صنديد ، أخرجهم من سعة القصور ، إلى ضيق القبور ، وقطع حبل أمدهم المديد ، أخذ به الآباء والجدود ، والأطفال من المهود ، وأسكنهم اللحود ، وعفر وجوههم فى التراب والصعيد ، وساوى فى الموت بين الصغير والكبير ، والغنى والفقير والمأمور والأمير والولد والوليد ، أحمد به ذكر الذكور والإناث فهم فى سجن الإجداث إلى يوم الوعيد ، أفلا يعتبر العاقل بمصرعهم ، وقد ساروا بأجمعهم إلى منازل التفريد ؟ أين أهل المدن والحصون أين أرباب المعانى والفنون ، أين المتحصنون بكل حصن منيع ، وقصر مشيد ؟ ، أما أصبح منهم ذو الشدّة والباس بعد القرب والايناس ، فى ظلمة اللحد وهو وحيد ، أما وعظهم الموت بمن أخذ منهم من شقى وسعيد ، وقريب وبعيد ، أما أنذرهم قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[كان وكان]

ويحك تنبه لنفسك ... واعمل لما تلقى غدا ... فالموت يأتى بغتة ... وليس له عنه محيد

من لك إذا ما ملك ... من كان يهوى صحبتك ... وحزت لحدك وحدك ... مفلس غريب وحيد

إن كنت ياصاح نائم ... يوم القيامة تنتبه ... إذا رأيت الخلائق ... فى موقف التهديد

وقيل لك اقرأ كتابك ... كفى بنفسك شاهده ... وقد أتيت الموقف ... بسائق وشهيد

ندع دموعك تجرى ... قبل أن يقال بين الملا ... ألم تكن قبل تدرى ... أن الحساب شديد

ترى الخلائق حيارى ... من هول ماقد شاهدوا ... وليس تدرى من هو ... منهم شقى أو سعيد

فمن أطاع المولى ... فذاك منه قد قرب ... ومن عصاه وخالف ... فذاك منه بعيد

كل القلوب قد لانت ... لكن قلبى قد قسا ... كأن قلبك أضحى ... بين القلوب حديد

ويحك فراقب ربك ... واسمع كلامى واتعظ ... عسى قساوة قلبك ... تلين بالتشديد

فياغافلا عن الموت وقد هدم ركن عمره المشيد ، إلى متى أنت فى نوم غفلتك لاتبدى ولا تعيد ، أما هيجك الوعد أما أنذرك الوعيد ، أما سمعت قول العزيز الحميد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) قوله تعالى «وجاءت سكرة الموت بالحق» يريد بذلك وعد الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ظهور ملك الموت وجنوده وانشقاق السقف وأن يكشف له عن مقعده إما فى الجنة أو فى النار ، وذلك عند مجىء سكرة الموت ، وهو الحق الذى ذكره المصطفى

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبىّ حوضا وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض من مرّ علىّ يشرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردنّ علىّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم » وزاد أبو سعيد الخدرى. فقال : «فأقول إنهم منى ، فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدى » قوله لم يظمأ : أى لم يعطش ، وفيه أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وفيه أن الواردين المارّين عليه كلهم يشربون وإنما يمنع الذين يذادون عن الورود والمرور عليه ، وسحقا : أى بعدا ، وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين لأنه يشفع للعصاة

صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالغيب ، ثم من بعده سؤال القبر بمنكر ونكير ، وهو أوّل ما يلقى الميت إذا ألحد . وأما سكرة الموت فهو اسم مفرد للجنس لأن للموت سكرات . ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج سكرات الموت ، كان يقول «إن للموت سكرات» وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل فى دار الدنيا ، وسميت سكرة لأنها تذهل العقول عند ظهورها فيبقى الانسان كالسكران وذلك أن أعمال العبد تظهر له عند الموت صفاتها فى الحسن والقبح يريد جزاء العمل . فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار ، والسامع للغيبة يسلك فى أذنيه نار جهنم ، والظالم تتفرق روحه بكل مظلوم ، وآكل الحرام يقدم له الزقوم ، وكذلك إلى آخر أفعال العبد كل ذلك يظهر عند سكرات الموت ، فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها تقبض روحه وهو قوله تعالى (ذلك ما كنت منه تحيد) يعنى تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء فى دار الدنيا . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أناسا يضحكون فقال أما إنكم لو ذكرتم هاذم اللذات لشغلكم عما أرى ثم قال أكثروا من ذكر هاذم اللذات وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب حدّثنا عن الموت ، فقال كعب : ياأمير المؤمنين كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فجذبها جذبة شديدة فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى . وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال : كان أبى رحمه الله تعالى كثيرا مايقول : إنى لأعجب من الرجل نزل به الموت ومعه عقله ولسانه كيف لايحدّث به ويصفه؟ قال : فلما نزل به الموت : قلت له ياأبت كنت تقول كذا وكذا قال يابنى الموت أعظم من أن يوصف ولكن سأصف لك منه شيئا ، والله لكأن على كتفىّ جبال رضوى وتهامة ولكأن روحى تخرج من ثقب إبرة ولكأن فى جوفى شوك القتاد ولكأن السماء أطبقت على الأرض وأنا بينهما . وروى عن عيسى عليه السلام أن بنى إسرائيل أتوا إلى قبر سام بن نوح عليه السلام فقالوا له ياروح الله ادع الله تعالى أن يحيى لنا صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت فجاء عيسى عليه السلام إلى قبره فصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى أن يحيى سام بن نوح فأحياه الله تعالى فقام وإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا فقال له ماهذا الشيب فإنه لم يكن فى زمانك ؟ قال سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة وما ذهبت مرارة الموت عنى . وقال وهب ابن منبه رضى الله عنه بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله فى الدنيا ، فإن صحبهما بخير قالا جزاك الله عنا خيرا ، فكم من مجلس خير قد أجلستنا وعمل صالح قد أحضرتنا وإن كان رجل سوء قالا له لاجزاك الله عنا خيرا فكم من مجلس شر قد أجلستنا ومن كلام سوء قد أسمعتنا قال فذلك الذى يشخص بصر الميت ثم لايرجع إلى الدنيا أبدا . وروى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه وقال استعيذوا بالله من فتنة القبر ومن عذابه مرتين أو ثلاثا ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه ويقول : أيتها النفس المطمئنة الزاكية اخرجى إلى

ويهتمّ بأمرهم ولا يقول لهم مثل ذلك . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : «بينا أنا قائم عند الحوض إذا أقبل إلىّ زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم . فقال هلمّ فقلت إلى أين ؟ . قال إلى النار والله ، قلت : ماشأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم اذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمّ فقلت إلى أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت : ماشأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص فيهم إلا مثل همل النعم» . قال الكرمانى فى الكواكب الدرارى : والهمل بفتحتين : مايترك مهملا لايتعهد ولايرعى حتى يضيع ويهلك ؛ أى لايخلص منهم من النار إلا قليل ، وهذا مشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه

مغفرة الله ورضوانه قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونها ولايدعونها فى يده طرفة عين فيجعلونها فى ذلك الكفن والحنوط فيخرج منها أطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلايمرون بها على ملأ من الملائكة إلاقالوا : ماهذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه فى عليين وأعيدوه إلى الأرض (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم أهو رسول الله ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك به ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته . قال فينادى مناد من السماء : صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وروحها ورائحتها ويفسح له فى قبره مدّ البصر ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الرائحة فيقول له : أبشر بالذى يسرّك هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربّ أقم الساعة شوقا إلى مايرى من النعيم » :

نحن فى عيشة الوصال الهنيه ... نجتلى الراح فى الكؤوس السنيه
قد هجرنا دار الفناء وسرنا ... لديار حياتها أبديه *
آنستنا هياكل النور لما ... فارقتنا الهياكل البشريه
وسمعنا الخطاب طيبوا فلاحز ... ن عليكم ولا تخافوا منيه
قد حظيتم برؤيتى وخطابى ... وسكنتم دار الجنان العليه

[قال] وأما العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت إليه ملائكة سود الوجوه ومعها المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط الله وغضبه فتتفرق فى الأعضاء كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فتتقطع الأعضاء كلها فيأخذها فلايدعونها فى يده طرفة عين فيأخذونها فيجعلونها فى تلك المسوح وتخرج منها رائحة منتنة كأنتن رائحة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلايمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : هو فلان بن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط) ويقول الله تعالى : اكتبوا كتابه فى سجين ثم تطرح روحه طرحا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أوتهوى به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده ، ثم يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لاأدرى . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول هاه هاه لاأدرى ! فيقولان له : ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لاأدرى ! فينادى مناد من السماء : كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيدخل عليه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له : أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث السيىء فى دار الدنيا فيقول : رب لاتقم الساعة » :

قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال بل أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد . قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟ قال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غرّ محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألايعرف خيله ؟ قالوا بلى يارسول الله قال : فانهم يأتون غرّا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادنّ رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم : ألا هلمّ ألاهلمّ ، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا » . وفى كتاب الترمذى عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من

واطول حزن الأنفس الشقيه إذا أتاها طارق المنيه
وياحياها ساعة العرض على عليم أسرار الورى الخفيه
ماحالها إن دخلت دار البقا وخلدت فى نارها مجزيه
وألبست من السعير حلة لم تبق من أوصافها بقيه
أعمالها خبيثة من أجل ذا خصت بدار الحزن والرزيه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سكرات الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف وإن بعده سبعين هولا كل هول أشدّ من الموت بسبعين ضعفا » وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه : فكرت ليلة فى الموت والقبر فرأيت تلك الليلة كأنى فى المقابر والأموات فى لحودهم ولهم فرش ورائحة طيبة فقلت من هؤلاء ؟ فقيل لى : هم المطيعون وهم فى كرامة الله إلى يوم يبعثون . قلت : فأين المذنبون ؟ فقيل لى غارت بهم الأرض فى ظلمات الوحشة ومهاوى القطيعة لايرون ولايرون ، شتان بين الطائفتين من كانت الدنيا سجنه كان القبر فرجه ، ومن كانت فرجه كان القبر سجنه ومحنته ، مانالوا حلاوة الوصل وراحة الوجد إلا بعد مرارة التعب ، ماطربوا على سماع الإيقاع إلا بسدّ السمع ، ولاشاهدوا وجه الجمال إلا بغضّ البصر ، ولاسكروا من المحبة إلا بعد شراب الشوق :

عج بالمعالم والربوع واسأل بهنّ عن الجموع
من سادة فى دهرهم صبروا على الضيم الفظيع
أين الذين عهدتهم يادار فى العزّ المنيع
إن لم تجبك ديارهم عن ذا ولا القصر الرفيع
فلسان حالهم يقو ل أما نظرت إلى الربوع
قد أصبحت مهجورة من بعد منظرها البديع
هيهات أن ينجو غدا يوم الحساب سوى المطيع

[إخوانى] ماهذه الغفلة وإلى البلى المصير ! وماهذا التوانى والعمر قصير ! وإلى متى هذا التمادى فى البطالة والتقصير ؟ وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير ؟ خلفك والله عن باب الحبيب سوء التدبير فإلى متى تتبهرج والناقد بصير ! ياهذا جولانك فى البطالة حيرك ، وركونك إلى اغترارك غيرك ، وهروبك عمن صوّرك إلى النار صيرك ! أنسيت مصرعك فى القبر لابدّ لك ، وقد سوّد العصيان قلبك وبدّ لك ! أماتذكر ساعة يعرق لهولها الجبين ، وتخرس من فجأتها الألسن ، وتقطر قطرات الأسف من الأعين ، فتذكروا رحمكم الله فالأمر شديد ، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لايفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[إخوانى] أين أحبابكم الذين سلفوا ، أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا ، أين أرباب الأموال وماخلفوا ، ندموا على التفريط ياليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) واعجبا كلما دعيت إلى الله توانيت ، وكلما حركتك المواعظ إلى الخيرات أبيت وتماديت ، وكم حذرك المنون فما انتهيت ، يامن جسده حىّ وقلبه قلب ميت ستعاين عند الحسرات ما لاتريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ياأخى كم أزعج المنون نفوسا من ديارها ، وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها ، وكم نقل إلى الحفائر أرواحا بأوزارها ، وكم أذلّ فى التراب خدودا بعد مزارها . فابك يا أخى على نفسك قبل بكاء لايفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) انتبه ياهذا فالدنيا أضغاث أحلام ، ودار الفناء لاتصلح للمقام ،

العسل وآنيته عدد نجوم السماء ، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد » فقال عمر بن عبد العزيز : لكنى نكحت متنعمات وفتحت لى السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك ، لاجرم أن لا أغسل رأسى حتى يتشعث وأن لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ . وفى صحيح البخارى : كان ابن أبى مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا .

[واعلم] أن الحوض لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على باب الجنة يسقى منه المؤمنون ، وهو مخلوق اليوم . فتب يا أخى إلى ربك واتقه ليخرجك من همك واسأله أن يقيك من فتنة تقع فى دينك فتذاد عن حوض نبيك .

ستفهم

ستفهم قولى بعد قليل من الأيام ، وما غاب عنك بعضه ستراه على التمام ، إذا جاء الكشف وذهب التقليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ويحك أما علمت أنك ترحل فى كل مرحلة ، أما علمت أنه يحصى عليك من الأعمال خردلة وكم من مؤمل خانه فى الحساب ما أمله غافصه(١) مر القضاء وعاجله ولم تبلغه الآمال الى مايريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامعرضا عن المولى الى متى هذا الإعراض ، وقد ولى شبابك فى طلب الأعراض ، أما علمت ويحك أن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى انتقاض ، ويحك تزوّد فالسفر والله بعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامن يجلس فى المجالس وقلبه فى الأسباب ، يامن تنقضى المواعظ وهو ماتاب ، يامن كسته المعاصى ظلمة الحجاب ، يامن أغلق الهوى فى وجهه الأبواب ، نح على نفسك فربما ينفع التعديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أما علمت أن الموت لك بالمرصاد ، أما صاد غيرك ولك سيصطاد ، أما بلغك مافعل بسائر القصاد ، أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد ، أما سمعت قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت تحيد) عباد الله تدبروا القرآن المجيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، ولازموا طاعة الله فهذا شأن العبيد ، واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد (إن بطش ربك لشديد) أين من بنى وشاد وطول وتأمر على العباد وسار فى الأوّل ، وظن جهلا منه أنه لايتحول ، فسقوا اذ فسقوا كأسا على هلاكهم عول أتراهم لم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فيامن أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه ، وهو مصرّ على الخطايا وقد دنا رمسه ، وهو غافل عما جاء بالزجر والوعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت تحيد) أما علمت أيها الإنسان ، أنك مسئول عن الزمان ، ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللسان ، وتشهد عليك الجوارح والأركان ، بما فعلت فى زمن الإمكان ، أما علمت أن الموت لك بالمرصاد ، وهو أقرب اليك من حبل الوريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فيامن ينظر العبر بعينيه ويسمع المواعظ بأذنيه ، وكله معدودة عليه ونذير الموت قد دنا إليه بالاسراع والتأكيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق وتأسفت على ترك الأوّل والآخر الأسف الشديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

[كان وكان]

ويحك تهدم عمرك ... وربع قلبك قد خرب ... أما ترى الشيب أبيض ... والقلب فى التسويد

من عن يمينك كاتب ... لكل خير تفعله ... كذاك للشر حاسب ... على الشمال قعيد

تروغ مثل الثعلب ... إذا أشرت بتوبتك ... وإن بدت لك شهوه ... وثبت كالصنديد

ويحك تقرب قلبك ... إلى سبيل الموعظه ... عسى قساوة قلبك ... تلين بالتشديد

فكل قلب قاسى ... يلين عند الموعظه ... يرجى له الخير فافهم ... إشارة التجريد

إن كان مالك عده ... ولاسلاح يحملك ... فاحرص عسى تسلم ... لك علامة التوحيد

إلهى إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك ، فان حسن الظن قد أطمعنا فى ثوابك ، فان عفوت فمن أولى منك بذلك ، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك : إلهى إن كنت لاترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين ، وإن كنت لاتقبل إلا المخلصين فمن للمخلطين ، وإن كنت لاتكرم إلا المحسنين فمن للمسيئين ، إلهى ما أعظم حسرتى أذكرغيرى وأنا الغافل ، مولاى ماأشدّ مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم ، سيدى ماأبلغ قصتى أدل غيرى وأنا الحائر ، إلهى جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع

قيل إن الله ستر ثلاثا فى ثلاث: ستر رضاه فى طاعته فلا يحتقرنّ أحدكم من الطاعة شيئا فرب محتقر من الطاعة فيه رضا الله ، وستر غضبه فى معصيته فلا يحقرن أحدكم شيئا من المعصية فربّ محتقر من المعصية فيه غضب الله ، وستر وليه فى خلقه فلا يحقرنّ أحدكم أحدا من خلق الله فربّ من لايؤبه له وهو ولىّ الله ، وستر أيضا رابعا وهو الإجابة فى الدعاء فلايحقرن أحدكم شيئا من الدعاء على أى حال كان وفى أىّ موطن كان :

قف على الباب طالبا ... وذر السمع ساكبا

وتوسل اليه وار ... جع عن الذنب تائبا

تلق من حسن صنعه ... عند ذاك العجائبا

لاتخف أن ترد عن ... كرم الله خائبا

فهو يجزى على اليسير ... ويعطى الرغائبا

شرف المرء بالتقى ... فاجعل الصدق صاحبا

(١) غافصه : أى فاجأه وأخذه على غرة اهقاموس

متخلف ، إلهى إذا دلت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى اليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل ، إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السابع عشر

فى إثبات كرامات الأولياء رضى الله عنهم

الحمد لله الذى نصب لأهل محبته على باب خدمته خياما وأعلاما ، فإذا نامت الخلق جذبهم إليه فباتوا بين يديه سجدا وقياما ، فما أحسنهم أول الليل خداما ، وما ألطف شمائلهم آخر الليل ندامى ، فلو رأيتهم وقد فتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب وأنعم عليهم بمشاهدته إنعاما :

حادى الركب إن وصلت الخياما ... أقرعنى تلك الوجوه السلاما
قبل الأرض ثم قل أنا والله ... على العهد ما نقضت الذماما
كيف أختار مذ رحلتم بديلا ... وهواكم بمهجتى قد أقاما

[اعلم] إن من أجلّ الكرامات التى تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من المعاصى والمخالفات ، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات للأولياء قوله تعالى فى قصة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال تعالى لمريم عليها السلام (وهزّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وكان ذلك فى غير أوان الرطب ، ومن ذلك ما ظهر للخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه مما خفى سره على موسى عليه السلام كل ذلك أمور خارقة للعادة اختص الخضر بها ولم يكن نبيا ، وإنما كان وليا . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت إليه وقالت إنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث» . وقال الحسن البصرى : رحمة الله عليه كان بعبادان رجل فقير أسود يأوى الى الخربات فحصل معى شىء فطلبته ، فلما وقعت عينه علىّ تبسم وأشار بيده الى الأرض فصارت الأرض كلها ذهبا تلمع ، ثم قال هات ما معك فناولته وهالنى أمره فهربت . وعن أبى يزيد ، قال دخل علىّ أبو على السندى وكان أستاذه وبيده جراب فصبها فاذا هى جواهر فقلت له من أين لك هذا ؟ قال وافيت واديا ههنا فإذا هو يضىء كالسراج فحملت هذا منه فقلت : كيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى . قال وقت فترتى عن الحالة التى كنت فيها . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاقك بخلق حسن . وقال ذو النون المصرى : رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت له : إنك لتكثر الصلاة . فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف . قال فرأيت رقعة سقطت مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر . وقال جابر الرجى رحمه الله كان أكثر أهل الرحبة على الإنكار فى باب الكرامات فركبت السبع يوما ودخلت الرحبة . وقلت : أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى ؟ قال فكفوا بعد ذلك عنى ، وقال بكر بن عبد الرحمن رحمه الله كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب ! فتبسم ذو النون ، وقال تشتهون رطبا وحرك الشجرة ، وقال أقسمت عليك بالذى أنبتك وخلقك شجرة إلا ما أثمرت علينا رطبا جنيا ثم

واحتشم أن يراك ربـ
ـك للذنب راكبا
إن للدهر أسهما
للرزايا صوائبا
وخطوبا تتابعت
فأثارت نوائبا
فارض بالله واعتصم
واسأل الله راغبا

﴿ فصل : فى الشفاعة ﴾
قال الله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) . وقال : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ذكر أبو بكر البزار عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال « يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتفادع بهم جنبا الصراط تفادع الفراش فى النار ، ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون من فى النار» . وروى فى الصحيح «إن أوّل من يشفع المرسلون ، ثم النبيون ، ثم العلماء» وفى كتاب الترمذى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم ، قيل

حركها فنثرت رطبا فأكلنا وشبعنا ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا :

أيامن كلما نودى أجابا ومن بجلاله ينشى السحابا وكلم فى الدجى موسى بلطف
كلاما ثم ألهمه الخطابا ويامن رد يوسف بعد بعد وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويامن خص أحمد واصطفاه وأعطاه الرسائل والكتابا وقربه وسماه حبيبا
وأعتق فى شفاعته الرقابا لك الفضل المبين على عطاء منحت به وضاعفت الثوابا

وقيل كان جماعة مع أيوب السختيانى فى سفر فأعياهم طلب الماء . فقال أيوب أتسترون علىّ ماعشت ؟ فقالوا نعم فدوّر دائرة فنبع الماء ، قال نشربنا فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد ، فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم . وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع . فقال سفيان لشيبان أماترى هذا السبع ؟ فقال لاتخف فأخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه . فقال : سفيان ماهذه الشهرة . فقال : لولا مخافة الشهرة لوضعت زادى على ظهره حتى آتى مكة . وقال جعفر بن تركان رحمه الله كنت أجالس الفقراء ففتح علىّ بدينار فأردت أن أدفعه اليهم ، ثم قلت فى نفسى لعلى أحتاج إليه فهاج بى وجع الضرس فقلعت سنا فوجعت الأخرى فقلعتها فهتف بى هاتف إن لم تدفع إليهم الدينار لم يبق فى فمك سنّ واحدة . وقال أحمد بن منصور رحمه الله : قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى : غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يابنى خل يدى أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى نقلة من دار إلى دار ، فخلى يدى . وقال الشبلى رحمه الله : عقدت عقدا مع الله تعالى أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى اليها لآكل منها فنادتنى الشجرة : احفظ عليك عقدك لاتأكل منى فانى ليهودى .

[وقال عبد الله بن حنيف رحمه الله] دخلت بغداد قاصدا الحج ولم آكل الخبز أربعين يوما ولم أدخل على الجنيد وكنت على طهارة فرأيت ظبيا على رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشانا ، فلما دنوت إلى البئر ولى الظبى . فإذا الماء فى أسفل البئر فمشيت ، وقلت ياسيدى مالى محل هذا الظبى فنوديت من خافى جربناك فلم تصبر فارجع وخذ ، فرجعت فإذا البئر ملآنة ماء فملأت ركوتى فكنت أشرب منه وأتطهر الى المدينة ولم ينفد ولما استقيت سمعت هاتفا يقول : إن الظبى جاء بلا ركوة ولاحبل وأنت جئت ومعك الركوة ، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد علىّ قال لوصبرت ولو ساعة لنبع الماء من تحت رجليك :

غرست الحب غرسا فى فؤادى فلا أسلو إلى يوم التنادى
جرحت القلب بالهجران منى فشوقى زائد والحب بادى
سقانى شربة أحيا فؤادى بكأس الحب من بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادى

[وقال محمد بن سعيد البصرى رحمه الله] بينا أنا أمشى فى طريق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا له فالتفت فاذا الجمل وقع ميتا ووقع الرجل والقتب فمشيت ثم التفت ، فاذا الأعرابى يقول يامسبب كل سبب ويامأمول كل ذى طلب رد علىّ ماذهب يحمل الرحل والقتب فاذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه .

[وقال أبو بكر الهمدانى رحمه الله] بقيت فى برّية الحجاز أياما ولم آكل شيئا فاشتهيت باقلا حارا وخبزا من باب الطاق فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم كلامى إلا وإذا أنا

يارسول الله سواك ؟ قال سواى » ، وفى مسند البزار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للرجل وأهل بيته » وروى الدارقطنى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم الرجل أنا لشرار أمتى ، قالوا كيف لخيارها ؟ . قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى » وروى عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من عند الله فخيرنى بين أن تدخل نصف أمتى الجنة ، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة ، وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا » . وفى الوسيط للواحدى عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل يقول

بأعرابى من بعيد ينادى ياباقلاحار وخبز فتقدمت إليه وقلت له عندك باقلاحار وخبز ؟ قال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج خبزا وباقلا ، وقال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت ، فلما قال لى الرابعة . قلت : بحق الذى بعثك لى إلا ماقلت لى من أنت ؟ قال أنا الخضر ثم غاب عنى فلم أره.

كفانى سبق علمك بى كفانى ... وحسبك من سؤالك أن ترانى
ولى فى كل وقت منك برّ ... يبشر بالأمان وبالأمانى
وماحاولت رزقا منك يوما ... على بعد المدى إلا أتانى

[وقال إبراهيم الخوّاص رحمة الله عليه] دخلت خربة فى بعض الأسفار فى طريق مكة شرفها الله تعالى بالليل فاذا فيها سبع عظيم فخفت منه فهتف بى هاتف اثبت فان حولك سبعين ألف ملك يحفظونك . وقال أيوب الحمال رحمه الله : كان أبو عبد الله الديلمى رحمه الله إذا نزل منزلا فى سفر عمد إلى حماره ، وقال فى أذنه كنت أريد أن أربطك فالآن لا أربطك وأرسلك فى هذه الصحراء لتأكل الكلأ فاذا أردنا الرحيل فتعال ، قال فاذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار . وقال آدم بن أبى إياس رحمة الله عليه : كنت بعسقلان وكان يغشانا شاب ويجالسنا ويتحدث معنا ، فاذا فرغنا قام الى الصلاة يصلى فودّعنا يوما ، وقال أريد الاسكندرية فخرجت معه فناولته دراهم فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفا من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر فقال لى كله فنظرت فاذا هو سويق وسكر كثير ، فقال من كان حاله مثل هذا يحتاج الى دراهمك ؟ ثم أنشأ يقول :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا ... موضع فارغ لغير الحبيب
هو سؤلى ومنيتى ومرادى ... وبه ماحييت عيشى يطيب
فاذا ما السقام حل بقلبى ... لم يكن غيره لسقمى طبيب

[فصل] إذا هبّ على القوم نسيم عناية الحق فأحيا القلوب التى أماتتها الجهالة والغفلة سقاها بكأس التوفيق رحيق التحقيق فسرت فى أرواحهم آثار المسرّة والأفراح ، ولاح عليهم أثر الوجد والارتياح ، نظروا الى الدنيا بعين الاعتبار فرأوها ليست لهم بدار ، فاغتنموا البدار الى الآخرة بالجدّ والاقتدار ، قطعوا النهار بالصيام والليل بالقيام والأذكار ، فإذا التذّ الغافلون بالنوم تلذذوا بمناجاة الكريم فى الأسحار ، قد بذل لهم الحبيب رضاه فآثروا حبه على ماسواه ، فسقاهم بكأس المصافاة ، وتجلى عليهم فى خلوة السحر فتلذذوا بمشاهدته ورؤياه ، وناداهم عبادى وأحبابى هلموا إلى بابى فقد رفعت لكم حجابى وأبحتكم جنانى وأعطيت كلا منكم قصده ومناه .

قوم على مولاهمو أقبلوا ... وأعرضوا عن كل شىء سواه
وحرّموا نوم الدجى رغبة ... فيما لديه كى ينالوا رضاه
دموعهم فوق خدود لهم ... تجرى اشتياقا منهمو فى لقاه
قد طلقوا الدنيا بلا رجعة ... وآثروا فوق هواهم هواه
يامن أضاع العمر فى غفلة ... ولم ينل من فعل خير مناه
بادر الى التوبة من قبل أن ... تعدم والله سبيل النجاه
وازرع ليوم البعث زرع التقى ... لعل أن ينمو وتجنى جناه
وإن تخف من قبح ذنب مضى ... فلذ بمن تأوى إليه العصاه
محمد المختار خير الورى ... من طبق الأرض جميعا شذاه
صلى عليه الله ما أشرقت ... شمس وماحنت اليه الحداه

فى الجنة : ما فعل صديق وصديقه فى الجحيم ، فيقول الله عز وجلّ أخرجوا له صديقه الى الجنة ، فيقول من بقى فيها فمالنا من شافعين ولا صديق حميم » . وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : « إن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، قال هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله ؟ . قال ماتضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب والأوثان إلا يتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله

المجلس الثامن عشر

فى قوله تعالى (يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه)

الحمد لله الذى تعرّف إلى أوليائه بنعوت الجمال فعرفوه ، دلهم به عليه فوافقهم بالأنس فألفوه ، ألهم أسرارهم أسماءه فذكره لهم ذكروه ، يباهى بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبهم وأحبوه ؟ حمى إقليم قلوبهم من طوارق الغفلة فلا يتركوه ، أحرزوا حاصل العمر فى صندوق الإخلاص وختموه ، تفقدوا دفتر أعمالهم من غلط الخطايا وصححوه ، خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة فيما ائتمنوه ، نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ماطلبوه ، والمحروم فى تيه الحرمان حرموه وما رحموه ، واخجلته فى المحشر وسرابيل الذلّ ألبسوه ، يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ، والحمد لله الذى اخترع الموجودات بلا شريك ولامعين ، تعالى فى علوّ شأنه عن صفات التمكين والتكوين ، استوى على العرش وينزل إلى السماء لاستغفار المستغفرين والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات باليمين (أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) أبدعه من نطفة حقيرة وسفره فى أقاليم الأطوار (فإذا هو خصيم مبين) سلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين ، فأهل المعاصى جفت من عيونهم دموع العبرات فلا معين ولا معين ، والأحباب بالباب يناديهم حبيبهم نداء المحبين (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) والحمد لله الذى لاتغيره الحوادث ولايبليه تعاقب الأزمان والدهور . الأول لامن عدد ، الآخر لابالمدد ، الظاهر لابالرصد ، الباطن فلا يحد (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور) ليس بجسم ولاجوهر ولاعرض ولاعنصر ، تقدس من حجابه النور ، المعطل أكمه والجاحد أعمى والمجسم أعشى والمشبه فى سجن الجهل مأسور ، أنزل من المعصرات ماء أحيا به النبات منظومه والمنثور ، نقله إلى الأغذية فتولد منه المنىّ ليجاد الإناث من الحيوان والذكور ، ليظهر فيهم فضله وعدله فهذا مجبور وهذا مكسور ، نقش فى ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور ، فكل منهم يجرى لما لايدرى ، غيب عنهم عواقب الأمور ، ثم رماهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور ، ثم عزاهم بقوله ليعلموا عدله فى قضائه وأنه لايجور (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) فسبحان من يقضى ولايقضى عليه يكسر الصحيح ويجبر المكسور ، أحمده حمد من يرجو رحمته لعلمه أنه الرحيم الغفور ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة أعدّها ليوم النشور ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شفيع الأمم يوم يبعث من فى القبور ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مادامت الأزمان والعصور .

[إخوانى] لقد خسر من طلب الفانى وهو عنه راحل ، أما يشاهد حادى الجديدين وهو يطوى من العمر المراحل ، أما الليل والنهار مرصدان لحمل الأعمار بالرواحل ، أما ترى من قال تحت ظلها كيف زال بظلها الزائل ؟ أما ترى من عمر ألف عام إذا سئل قال : لبثت أياما قلائل ؟ أما ترى من شيد الحصون وعقل العقائل ؟ أبادهم بسيف الحمام فكل عن ملكه زائل ؟ أين نوح وعاد وثمود وتبع والملوك الأوائل ؟ أين من ملكها شرقا وغربا رحل وماحظى منها بطائل ؟ نقل إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السلطان والخامل ، اندرست معالمهم وعادت دروسا تدرس ليعتبر الظالم والجاهل أما تسمع نداءهم وهم صموت ؟ أما تتعظ بهم ياعاقل ؟ أين شداد والنعمان ؟ أين كسرى والإيوان ؟

من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب . فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولاولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يار بنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنهم سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار . ثم تدعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولاولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يار بنا فاسقنا فيشار لهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، قال : فما ذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا ربنا

أين ملوك بابل؟ أبادهم الحدثان ليوم يقومون فيه على ماقدموه (يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه).

[كان وكان]

لاتأمنن الدنيا وقد أرتك خداعها ... كم من رفيع شامخ إلى البلى جلبوه
فازرع إذا شئت تحصد وجد فى طلب العلا ... وثق بوعد المولى فى كل ما ترجوه
واعلم بأن الناجى يوم القيامة من لظى ... قوم أطاعوا المولى جهرا ولم يعصوه
قدخص أهل السعاده بنور علم المعرفه ... وزاد أهل الشقاوه جهلا فما عرفوه
فاعمل ليوم تودّ فيه الوجوه من الشقا ... كذا لأهل السعاده تبيضّ فيه وجوه

[قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله] سألت الله تبارك وتعالى ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة فرأيت كأن قائلا يقول لى: ياعبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هى؟ قال فى آل بنى فلان بالكوفة. قال فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل هى مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنمات لنا. فقلت أريد أن أراها فقالوا اخرج إلى الجبال فخرجت فإذا هى قائمة تصلى وبين يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لاتباع ولاتشترى وإذا الغنم مع الذئاب فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب. فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا، إنما الموعد فى الجنة، فقلت يرحمك الله ومن أعلمك أنى ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف، وماتناكر منها اختلف! فقلت لها عظينى فقالت:

واعجبا بواعظ يوعظ! ثم قالت يا ابن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون مافيها، ياابن زيد إنه بلغنى أنه مامن عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلاسلبه الله عز وجل حبّ الخلوة معه، وبدّله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة، ثم أنشأت تقول:

ياواعظا جاء بالعيوب ... يزجر قوما عن الذنوب تنهى وأنت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب ... لوكنت أصلحت قبل هذا عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت ياحبيبى ... موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغىّ والتمادى ... وأنت فى النهى كالمريب

فقلت لها: إنى أرى هذه الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فأىّ شىء هذا؟ فقالت: إليك عنى فإنى أصلحت مابينى وبين سيدى، فأصلح مابين الذئاب والغنم، ثم أنشأت تقول:

لو كنت لى يوم اللقا معينا ... لم يردوا ماء اللوى معينا
لولا الهوى لم أدر ماطعم الردى ... ولا أذعت سرّى المصونا
تصدّ ليلى كل يوم جفوة ... تبد لنا من الأسى فنونا
بانوا ففى الأحشاء منهم لوعة ... يمنعها الغرام أن تبينا
لهفى على بعد الحمى وقد أرى ... تلهفى من بعدهم جنونا.
حرمتمو طرفى على النوم فما ... أظن نومى يعرف الجفونا
حاشا لسمعى أن يرى مستمعا ... عذلا وحاشا أن يرى مفتونا

[إخوانى] هذه علامات الصادقين، إخوانى هذه مدائح المؤمنين، إخوانى هذه آثار المتقين، إخوانى هذه روضات السابقين، يامن تحير فى طريق المعاصى الطريق قريب، يامن أوبقته الزلات بادر بالتوبة تصيب، يامن توالى فى المعاصى ارجع فالذى دعاك يجيب، إخوانى كأنكم بقاطع الآمال

فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلايبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولايبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلاجعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة، ويقولون اللهمّ سلم سلم، فيمرّ المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشدّ مناشدة فى استيفاء الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم

قد هجم ، ونقلكم إلى بيت الديدان والظلم وفرق من شمل الأحباب ما انتظم ، وقد ندم المفرط حيث لاينفعه الندم على ذهاب الأعمار فى الأيام الخالية (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) ويحك أما تحذر من بوعيده حذرك ، أما تستحى ممن أوجدك وصوّرك كأنى بك والله وقد نسيك الحبيب وأفردك ، وإلى ضيق قبرك أوردك ، وعادت قلوب حزنة عليك سالية (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) :

واحسرتى واشوقى من يوم نشر كتابيه ... واطول حزنى إن أكن أوتيته بشماليه
وإذ سئلت عن الخطا ماذا يكون جوابيه ... واحرّ قلبى أن يكون محّ القلوب القاسيه
كلا ولا قدمت لى عملا ليوم حسابيه ... بل إننى لشقاوتى وقساوتى وعذابيه
بارزت بالذلات فى أيام دهر خاليه ... من ليس يخفى عنه من قبح المعاصى خافيه
أستغفر الله العظيم وتبت من أفعاليه ... فعسى الإله يجود لى بالعفو ثم العافيه

وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شيع جنازة ، فلما اصطف الناس تأخر عنها ، فقال له أصحابه ياأمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها ؟ فقال إنى ماتأخرت عنها إلا لأن القبر نادانى من خلفى ياعمر بن عبد العزيز ألا تسألنى ماصنعت بالأحبة ؟ فقلت له : وماصنعت بهم ؟ فقال : خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم ، ألا تسألنى ماصنعت بالأوصال ؟ فقلت له : ماصنعت بها ؟ فقلت : فرقت الكتفين من الذراعين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر ، وقال : إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير ، وشبابها يهرم وحيها يموت ، فلايغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، أين قراء القرآن ؟ أين حجاج بيت الله الحرام ؟ أين صوّام شهر رمضان ؟ ما صنع التراب بأبدانهم والديدان بأجسادهم والبلى بعظامهم وأوصالهم ؟ كانوا والله فى الدنيا على أسرة ممهدة ، وفرش منضدة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون . أليس هم بعدها فى مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل فارقوا الأهل والوطن ، قد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة فى المضايق ، وتزوّجت نساؤهم وتردّدت فى الطرقات أبناؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم . فمنهم والله الموسع له فى قبره ، ومنهم والله المضيق عليه فى لحده . هيهات هيهات يامغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ، ويامكفن الميت وحامله ، يامحله فى القبر وراجعا عنه ليت شعرى بأىّ خديه يبدأ البلى ، ثم بكى حتى غشى عليه ومابقى إلا جمعة ومات رحمة الله عليه :

ضعوا خدّى على لحدى ضعوه ... ومن عفر التراب فسوّدوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقا ... وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت ... صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد مالت نواظر مقلتيه ... على وجناته ورفضتموه
وقد نادى البلا هذا فلان ... هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكمو وجاركم الفدى ... تقادم عهده فنسيتموه

[أخى] دنا والله من زرعك الحصاد ، فإلى متى هذا التمادى والرقاد ، وبين يديك أهوال يوم المعاد ، يوم يفرّ الوالد فيه من الأولاد ؟ واحزناه عليك إذ تبدّد شمل أعمالك من الأرباح ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ! فإلى متى هذه الغفلة وعلم القبول قد لاح ! ياغريقا فى بحر هواه اركب سفينة النجاة واقلع عن أفعالك القباح ، وألق نفسك إلى ساحل الندم تجد مولاك أهل الكرم والسماح .

[كان وكان]

قم فى الدياجى وناجى ... مولاك فى وقت السحر ... إن كنت يامتخلف ... إلى السحر ترتاح

القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون ! فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فيحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرّة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا . فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة

إلى متى أنت تائه في ظلم ليل المعصيه ارجع إلينا نقد لك من نورنا مصباح
إلى متى كم تبارز مولاك بالفعل الردى انهض وبادر بتوبه وما مضى فسماح
وقم وصالح حبيبك فذا أوان صلحه فهو الكريم المسامح والواهب الفتاح
يدعوك في كل ليله لعلّ حالك ينصلح وأنت نائم غافل ماتقبل الإصلاح
فانهض إذا شئت تربح واسبل دموعك في الدجى
هذا طريق السلامه ومعدن الأرباح *

[بالله يا إخواني] ابسطوا الأيدي إلى المولى بالذلّ والضراعة، وتضرعوا بالذل والانكسار في هذه الساعة، ونادوا: يامن لاتضره المعصية ولا تنفعه الطاعة، نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح والخسران بالأرباح، وأن تعاملنا بالعفو والسماح، يامن مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين.

المجلس التاسع عشر

في مناقب الصالحين رضي الله عنهم

الحمد لله الواجد الكريم الماجد، القديم الواحد المنزه عن الولد والوالد، المقدّس عن المشارك والمساعد، المتعالي عن الصاحب والمماثل والمضادّ والمعاند، المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد، الذي يسبل ستره الجميل على العاصي وهو ناظر إليه ومشاهد، ويمنّ برفده الجزيل، على عبده الذليل، ويبلغه جميع المقاصد. فسبحان مفجر الأنهار من صم الأحجار والجلامد، ومطلع الأشجار ومزهي الأزهار من العود اليابس الجامد، مخرج رطب الثمار من أفنان الأغصان مختلفة المطاعم والألوان صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد. هذه بعض آثار قدرته وعجائب حكمته وصنعته، ومن ذلك فليشاهد:

أيامن جلّ عن كيف وأين وعن ندّ وعن ولد ووالد
ملكت الكائنات بحسن صنع ولانت من مخافتك الجلامد
أذنت لها تكون فاستكانت وأنت على جميع الخلق شاهد
وكنت بحيث لا كون وعون وحاشى أن تحيط بك المعاهد
وأنت بحيث أنت وليس أين ولا كيف تمثله الشواهد
أحطت بجملة الأشياء علما وأنت لكل مافيها مراصد
فيامن ماله في الملك ثان ولا مثل وليس له مضادد
أجرنا من عذابك واعف عنا وبلغنا إلى نيل المقاصد
فقد عودتنا الإحسان لطفا وصعب عندنا قطع العوائد

[قال يحيى بن الجلاد] سمعت أبي رحمة الله عليه يقول: كنت عند معروف الكرخي رضي الله عنه فدخل عليه رجل، فقال له يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجبا. قال وماهو؟ قال أشتهى عليّ أهلي سمكة فذهبت إلى السوق فاشتريتها لهم وحملتها مع حمال صبيّ ومشى معي، فلما سمع أذان الظهر، قال لي ياعم هل لك أن تصلي؟ فكأنه أيقظني من غفلة فقلت نعم فوضع الطبق الذي فيه السمكة على باب المسجد ودخل، فقلت في نفسي: هذا الغلام قد جاد بالطبق أفلا أجود أنا بالسمكة فلم يزل يتركع حتى أقيمت الصلاة فصلينا جماعة وتركع بعد الصلاة، ثم خرجنا فإذا الطبق

فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه، فيقال لهم: لكم مارأيتم ومثله». [اعلم] أن الشفاعة خمس: أولها الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب وهي مختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم. والثانية في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي أيضا وردت له صلى الله عليه وسلم. والثالثة قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له أن يشفع له. والرابعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. والخامسة فيمن دخل النار من المذنبين فيشفع فيهم نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين، ثم يخرج الله كل من قال لا إله إلا الله من غير شفاعة شافع حتى لايبقى فيها إلا الكافرون كما في حديث أنس.

فى مكانه لم يبرح فجئت إلى البيت وأخبرت أهلى بالذى جرى منه ، فقالوا لى قل له يأكل معنا من هذه السمكة ، فقلت له فقال أنا صائم ، فقلت له : تفطر عندنا ؟ قال نعم أرنى طريق المسجد فأريته فدخل المسجد وجلس الى أن صلينا المغرب فجئت إليه وقلت له تقوم الى المنزل ، فقال حتى نصلى العشاء الآخرة فقلت فى نفسى هذه ثانية ، فلما صلينا جئت به إلى منزلى وفيه ثلاثة أبيات ، بيت فيه أنا وأهلى ، وبيت فيه صبية مقعدة منذ عشرين سنة ، وبيت فيه ضيفنا فبينا أنا مع أهلى ، وإذا بالباب يطرق فى آخر الليل . قلت : من ؟ قالت أنا فلانة ، قلت إن فلانة مقعدة منذ عشرين سنة وهى قطعة لحم مطروحة فى البيت كيف يستوى لها أن تمشى ، فقالت أنا هى افتحوا لى ففتحنا لها فاذا هى قائمة مستوية فقلنا لها أخبرينا بخبرك ؟ فقالت سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع فى نفسى أن أتوسل إلى الله تعالى به فى كشف ضرى فقلت : اللهم بحرمة ضيفنا هذا عندك إلا ما كشفت ضرى وعافيتنى فاستويت قائمة كما ترونى ، قال فقمت إليه فلم أجده فى البيت فجئت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله ، فقال معروف رضى الله عنه نعم فيهم صغار وكبار ، يعنى بذلك أولياء الله تعالى رضى الله عنهم أجمعين .

عبقت بنشرهواهم ريح الصبا ... وإلى شذاهم كل قلب قد صبا
وتضوعت أنفاسهم ولطالما ... صمت اللسان بها فأصبح معربا
قوم إذا نزلوا بواد مجدب ... قفر تأرّج بالعبير وأعشبا
وإذا بدا البحر الأجاج لشارب ... منهم يعود من المدامة أعذبا
علم المحبة فى هواهم مذهب ... فلذاك أصبح حبهم لى مذهبا
وجدوا فؤادى منزلا لهواهمو ... فلذاك خيم فى حشاى وطنبا
قوم لهم نبأ وحال يقتضى ... شرف الجلال إذا سألت عن النبا
فيهم يزول عن السقيم سقامه ... لما غدا بجنابهم متحسبا
يجزون بالعفو الجميل مسيئهم ... والصفح عن عبد لهم قد أذنبا
هم أولياء الله حقا فى الورى ... وغدا يقال لهم جهارا مرحبا

فلله درّهم من أقوام عبدوه لمحبته لا لجنته ، وخدموه لوصله لا لمنحته ، فهم بنور المعرفة إليه ناظرون ، وبأجنحة الشوق اليه طائرون ، وبمناجاته فى الأسحار يتلذذون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال أبو عامر الواعظ رحمة الله عليه : بينا أنا ذات ليلة أسيح فى بعض الجبال إذ سمعت صوتا يئنّ ويصيح ، من قلب قريح ويقول يا دليل الحائرين فى الفلوات يا أنيس المستوحشين فى الخلوات ، أنت أنسى إذا استأنس البطالون وأنت فخرى إذا افتخر الجاهلون . قال فأسرعت نحوه وسلمت عليه ، فرد علىّ السلام وقال لى من أين أقبلت فى سواد هذا الليل وإلى أين تريد ؟ قلت رجل ضل عن الطريق ، وقد سمعت منك كلاما أثار بقلبى أحزانه وهيج وجده وأشجانه فصاح صيحة وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق أخذ فى البكاء . قلت ما هذا البكاء ؟ قال إنى أكره الأمانى وضياع الزمان فى الفانى ، ثم ولى فاتبعته فأشرف على واد فجلس وهو يبكى فقلت رحمك الله إنى على غير الجادة فاشتد بكاؤه وصياحه ، وقال ويحك وأين الجادة أين ذات اليمين ، أين مراتب عليين ؟ ثم ضرب على يدى وتخطى ، فاذا نحن بجانب الوادى . قلت هذا الفجر قد طلع ونحن نحب الوضوء فضرب بيده الأرض فانفجرت عين ماء عذب ، فقال دونك فتوضأ وتوضأت ، ثم أذن وأقام الصلاة وصلينا ، فلما سلم قال ياعبد الله قد دنت مفارقتك فعليك السلام فقلت بالذى أباحك

ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرّ له ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله . قال ليس ذلك إليك لكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجنّ من قال لا إله إلا الله : أى أتفضل بإخراجهم دون شفاعة شافع فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم. وإنما دلت الآثار أنه أذن لمن عنده شىء زائد على الإيمان من عمل صالح أو ذكر خفىّ أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين وخوف من الله ونية صادقة فى عمل فانه جعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليل عليه ، وتفرد الله بعلم ماتكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده سوى الإيمان ، فقوله مثقال ذرّة من إيمان ومن خير. الصحيح

الوصول إليه والإقبال عليه إلا مامنعت على بدعوة ثم أو مأت الى مزودى . فقال أجائع أنت ؟ قلت نعم ، قال شغلت قلبك عن التفكر فى الملكوت بطلب القوت لو ذقت طعم اليقين ، وما أعد الله للمتقين لدام خشوعك ، وسكن جوعك ثم ضرب بيده الأرض فاذا برغيف كأنما أخرج من نار . فقال كل فأكلت وأنا متعجب ، وفى نفسى أريد أن أسأله عن ذلك . فقال : يابطال إن لله رجالا صدقوا فى ترك الشهوات فأخدمهم الأكوان فى الحياة والممات ثم غاب عنى فلم أره :

اصطفاهم لقربه واجتباهم ... وحماهم من فتنة الشيطان
ودعاهم لبابه وسقاهم ... بكؤوس من خمرة العرفان
وجزاهم بجنة ونعيم ... وقصور والحور والولدان
فهمو لايرون هذا نعيما ... لاولاشوقهم لحور حسان
إنما قصدهم تجلى حبيب ... ليروا ذا الجمال رأى العيان
ويناديهمو عبادى هلموا ... تظفروا بالأمان والإحسان
فبهذا النعيم تاهوا دلالا ... وتباهوا به على الأكوان
فبهم يدفع البلاء عن النا س ويحمون من سائر الحدثان
وبهم يستقى الإله تعالى ... غيثه عند حاجة الظمآن
فأجرنا بحقهم ياإلهى ... من أليم العذاب والنيران
وتجاوز عما جنيناه جهلا ... من قبيح الذنوب والعصيان
واعف عنا فانا قد أسأنا ... ثم سامح بالعفو والغفران

فلله درّهم من رجال ، ماتركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال . قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه : بينا أنا أسيح فى بعض الجبال إذ مررت بواد كثير الأشجار والنبات والثمار فجعلت أتفكر فى قدرة الله تعالى وحسن صنعته فسمعت صوتا أهطل مدامعى وهيج نار أضالعى ، فاتبعت الصوت إلى باب مغارة فى سفح الجبل ، وإذا الكلام يخرج من داخل المغارة فدخلت فرأيت رجلا من أهل التعبد والاجتهاد قد براه النحول ، وعليه آثار القبول فسمعته يقول : سبحان من أحيا قلوب المشتاقين بالمناجاة بين يديه ، وكفى نفوسهم مؤنة الطلب فهى لاتعتمد إلا عليه وأفردها لمحبته فهى لاتحنّ إلا إليه ، فلما أحسّ بى ، قلت السلام عليك ياحليف الأحزان وقرين الأشجان فقال : وعليك السلام ، ما الذى أوصلك إلى من أفرده الخوف عن الأنام ، واشتغل بمحاسبة نفسه عن التنطع فى الكلام فقلت أوصلنى إليك الرغبة فى التصفح والاعتبار ، والتنزه فى رياض أسرار الأولياء الأخيار . فقال يافتى إن لله عبادا قدح فى قلوبهم زناد الشغف بمحبوبهم فأرواحهم لشدة الشوق إليه تسرح فى الملكوت وتنظر الى مادّخرلها فى خزائن الجبروت فأعينهم الى جماله ناظرة وقلوبهم بمحبته عامرة وأرواحهم الى لقائه طائرة فهم ملوك الدنيا والآخرة ، ثم بكى وقال ياسيدى لأعمالهم وفقنى وبهم فألحقنى ثم صاح ووقع إلى الأرض ميتا ، هذه والله صفات الخائفين رحمة الله عليه ، وهذه علامة العارفين :

لله قوم أطاعوه وماقصدوا ... سواه إن نظروا الأكوان بالعبر
والوجد والشوق والأفكار قوتهم ... ولازموا الجدّ والادلاج فى البكر
وبادروا لرضا مولاهمو وسعوا ... قصد السبيل اليه سعى مؤتمر
وآمنوا واستقاموا مثل ماأمروا ... واستغرقوا وقتهم فى الصوم والسهر

أن معناه شىء زائد على مجرد الايمان ، لأن مجرد الايمان الذى هو التصديق لايتجزأ . فعليك ياأخى بالايمان : بأن تعتقد بقلبك دين الإسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين فان اقتصرت على أحدهما خلدت فى نار جهنم التى وقودها الناس والحجارة ولاتنفعك شفاعة شافع ، ثم عليك أن تحترز من المعاصى فان المعاصى بريد الكفر ، فقد حكى أن تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس . فقال ياأستاذ لاتقرأ هذه السورة فسكت ، ثم لقنه فقال قل لا إله إلا الله . فقال لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك ، فدخل الفضيل منزله . وجعل يبكى أربعين يوما لم يخرج من البيت ، ثم رآه فى النوم وهو يسحب به إلى جهنم . فقال بأى شىء نزع الله المعرفة عنك ، وكنت أعلم تلامذتى ؟ فقال بثلاثة

وجاهدوا وانتهوا عما يباعدهم عن بابه واستلانوا كل ذى وعر
جنات عدن لهم مايشتهون بها فى مقعد الصدق بين الروض والزهر
لهم من الله ما لاشىء يعدله سماع تسليمه والفوز بالنظر

[وعن عبد الرحمن الأزدى] قال كنت أطوف فى ساحل بيروت فمررت برجل جالس على البحر ورجلاه فى الماء ، وهو يقول : سبحان من فى السماء عرشه ، سبحان من فى الأرض حكمه ، سبحان من فى الهواء قدرته ، سبحان من فى البحر سلطانه ثم سكت ، فقلت له مالك جالسا وحدك ؟ فقال اتق الله عزّ وجل ولا تقل إلا حقا ما كنت قط وحدى منذ خلقت ، وإن معى ربى حيث كنت ومعى ملكان يحفظانى ويحفظان علىّ فقلت له أين مقامك ؟ قال ليس لى مقام معروف ولامكان مخصوص ، قلت فمن أين تأكل ؟ قال إذا عرضت لى حاجة إلى ربى سألته إياها بقلبى ولم أسأله بلسانى فيأتينى بها . قلت فبم نلت هذه المرتبة ؟ قال بصدق التوكل عليه والالتجاء دون الناس إليه ، قلت قد وجب عليك أن تدعو لنا فقال ما أنا من خيل هذا الميدان ، ولكن أنت أحق بذلك فقلت لابدّ أن توصينى بشىء فقال قف ذليلا على بابه ولاتبرح عن جنابه يوصلك الى حضرة أحبابه ثم مشى على البحر حتى غاب عن عيانى :

شاهدوه وقد تجلى فتابوا وحلا للمحب فيه العذاب
شربوا شربة فأضحوا سكارى ليت شعرى ياصاح ماذا الشراب
كتبوا بالدموع قصة شوق فأتاهم من الحبيب الجواب
ركبوا بحر حبه ثم ساروا ودعاهم لوصله فأجابوا
فهمو بالجسوم بين البرايا حضروا عند حبهم ثم غابوا .
وهمو فى الثياب لم يبق منهم غير رسم تضمه الأثواب
فاقتفى أثرهم وجز بحماهم يأتك الفوز والمنى والصواب

[إخوانى] عبارات النسيم لايفهمها إلا المشتاق وحديث البروق لايروق إلا للعشاق ، خلوا والله بالحبيب فى دار المناجاة فكساهم ثياب المواصلة وضمخهم بطيب المعاملة وغالية السحر غالية (يبيتون لربهم سجدا وقياما) فيصبحون وقد كساهم السحر نحولا وسقاما ، فازوا بالله ثم بالربح والغنائم وأنت يامسكين فى بيداء الغفلة نائم ، ألك علم بما جرى للقوم ياأسير الغفلة والنوم ؟ .

[حكى] أن على بن بكار وأبا إسحق الغزارى وكانا من الأولياء الصالحين كانا يحتطبان ويأكلان من كسبهما فاتفقا أن يصعدا إلى الجبل من الغداة فيحتطبا ويساعد بعضهما بعضا فسبق علىّ بن بكار إلى الجبل فاحتطب حزمة وأبطأ عليه رفيقه فجعل يطوف عليه الجبل فرآه وهو جالس متربع وفى حجره رأس أسد وهو ينش الذباب عنه فقال ياأبا اسحق ماهذا فقال له التجأ الىّ فرحمته وأنا أنتظره لينتبه وألحقك فتركه علىّ بن بكار ومضى فرأى صخرة عليها كيس فيه ألف دينار وقد علاه الغبار والتراب فقال فى نفسه آخذه وأتصدّق به فنزل من الجبل فمرّ بعبد أسود وهو مطروح على وجهه وهو مكسور الرجل وعند رأسه حزمة حطب كان يروم بيعها فقال ماأجد لصرف هذا الذهب موضعا أحق من هذا العبد فأخرج من الكيس عشرة دنانير وأتى اليه وقال له خذ هذه واستعن بها على حالك فرفع العبد رأسه اليه ، وقال له ضع هذا الذهب مكانه ولاتتصدق بغير كسبك فأنا والله لى سنة أمرّ كل يوم على هذا الكيس وهو ملقى على الصخرة ولم أعلم مافيه فكيف رغبت أنت فى الدنيا وأخذت ما لايحل لك أخذه ؟ ، قال علىّ فخجلت من كلامه وعلمت أنه من الأولياء ثم رددت

أشياء : أوّلها بالنميمة . فإنى قلت لأصحابى بخلاف ماقلت لك . والثانى بالحسد حسدت أصحابى . والثالث كان بى علة فجاء إلىّ طبيب فسألته عنها ، فقال اشرب فى كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة ، فكنت أشربه ، نعوذ بالله من السخط الذى لاطاقة لنا به . قال بعضهم :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا ، ووفقنا ولاتخذلنا ولاتسلب منا الايمان عند خواتيمنا فانه لاملجأ لنا إلا إليك ولامعوّل لنا إلا عليك ياأرحم الراحمين .

﴿ فصل ﴾ قال الله تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق

الكيس إلى مكانه ورجعت الى العبد فلم أره فسألت عنه فقيل لى إنه يأتى فى كل أسبوع مرة بحزمة حطب فيبيعها بدرهم فيتقوّت به باقى الأسبوع ولا يأخذ من أحد شيئا فهذه والله أحوال الزاهدين وهذه صفات الصالحين . قال بعض السادة خرجت ليلة من المسجد الحرام أريد جبل أبى قبيس فصحبنى عبد أسود عليه أطمار رثة ، وهو يقول : أنت أنت ياهو ياهو لا يزيد على ذلك شيئا . فلما أكثر من القول قلت ياهذا أمجنون أنت ؟ فقال ياشيخ إنما المجنون من يمشى ألف خطوة ولم يذكر مولاه ، فقلت له أفضل الذكر عند المحققين ما كان بالقلب فقال صدقت ، ولكن القلب إذا امتلأ بالذكر فاض على اللسان ثم غاب عن عينى فلم أره فندمت على جفائى عليه ، فلما كان الليل ونمت هتف بى هاتف ، وقال ياشيخ إن لذلك العبد الأسود يوم القيامة نورا يملأ مابين السماء والأرض فلله درّ أقوام أعيادهم قبول الأعمال ومرادهم بلوغ الآمال وأحوالهم تجرى على تمام وكمال وجمالهم بالتقوى وياله من جمال إذا رجع الناس إلى لذاتهم رجعوا إلى عبادتهم وإذا سكن الخلق إلى أوطانهم سكنوا الى حرقات أشجانهم وإذا أقبل التجار على أموالهم أقبلوا على تفقد أحوالهم وإذا التذ الغافلون بالنوم على جنوبهم تلذذوا فى الدجى بكلام محبوبهم ، مثلوا الآخرة بين أيديهم فجدّوا ، ومثلوا المنادى يناديهم فاستعدوا ، وأقبلوا بالصدق إلى باب مولاهم فما ردّوا ، أقلقهم ذكر الذنوب فما ناموا ، وحركهم رجاء المطلوب فقاموا ، وذكروا العرض (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فاستقاموا ، وتفكروا فى قصر الأجل فاجتهدوا فى الخدمة وداموا ، وتذكروا سالف الذنوب فوبخوا أنفسهم ولاموا ، ورأوا السلامة فى دار المقامة فبلغوا ما أملوا وراموا ، فانتبه ياهذا من رقدة إعراضك وتجافيك وأصلح ظاهرك بالتقى قبل أن يعسر تلافيك ، وتزوّد للرحيل فالقليل لا يكفيك ، وامح ذنوبك بكف الانابة لعل مولاك من خطاياك يعفيك ، وداو أمراض أملك بسراب ذكر أجلك ، وسل المولى لعله يشفيك .

لكم مهجتى والروح والجسم والقلب ... وكلى لكم ملك وإنى بكم صب
وأنتم أحبائى على كل حالة ... فيا فرحتى إن صح لى فيكم الحب
نأيتم فعينى دمعها متواصل ... عليكم وقلبى لا يفارقه الكرب
وكم أتمنى أن أسير إليكمو ... فيمنعنى حظى وما تنفع الكتب
خليلىّ إن عاينتما أرض يثرب ... وعند رسول الله قد نزل الركب
فقولا له يا أحمد يامحمد ... محب عن الزوّار عوّقه الذنب
عسى جاهك المقبول يكشف غمه ... فجاهك يامختار يرضى به الرب
فأنت الذى لولاك لم يخلق امرؤ ... ولا فلك يجرى ولا غصن رطب
ووجهك بدر فى سما الحسن مشرق ... أضاءت به الآفاق والشرق والغرب
على وجهه ستر الغمامة مسبل ... لكيلا تراه الشمس تكسف أو تخبو
على شط بحر النور جبريل قائل ... مقامى هذا ماعلى صادق عتب
دنا فتدلى حين فى النور زجه ... بلا كيف لكن حيث شاء له الرب
جلاه على الأملاك جبريل فى السما ... وكانت له من قبل مبعثه تصبو
إلهى بما فى قاب قوسين ناله ... أجرنا فان النار تعذيبها صعب
وكن لى فإنى من عذابك مشفق ... بأحمد داركنى إذا عظم الخطب
وصلّ على خير الأنام محمد ... وأصحابه فى جمعهم وجب الحب

تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون أولئك الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون . فى الحميم ثم فى النار يسجرون . والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . فذوقوا فما للظالمين من نصير — إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم) : أى وسطها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم — وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرّون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون .

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المجلس العشرون

فى قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون)

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه لمشاهدة مشاهد عجائب الاعتبار والعبر ، واستخلص همهم بصفاء المناجاة ولذة المصافاة من شواغل الأسباب وشوائب الكدر ، تقلبهم يد الألطاف فى مهد اللطف فترضعهم ثدى العطف وتفطمهم عن الشهوات المانعة نور البصائر والبصر ، فأصبحت قلوبهم راضية بتعاقب الأحكام وتدبير المشيئة وتقدير الارادة وتصريف القدر ، مهد لهم فرش الأعمال بلين الصفاء فاستعذبوا طيب الخلوة مع الحبيب (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يتلذذون بالسهر ، لاتغيرهم محدثات الحوادث وتحوّل الأحوال لاستغراق أسرارهم فى أودية التذكر وبحار الفكر ، نزهوا نفوسهم عن عبادة الهوى فأضحت أطيار أرواحهم تسرح فى رياض الملكوت بين جنات المعارف ونهر ، لاحظوا إشارة التوحيد فى الأكوان فاستوى عندهم الفقر والغنى والعزّ والذلّ والمدح والذم والسهل والوعر ، فسبحان من هداهم إلى نهج منهاج الخلاص بالاخلاص فتخلصوا من شباك الأكوان وطاروا إلى أوطار القرب لايحزنهم الفزع الأكبر ، أحمده وأشكره وأومن به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة اليه براءة من اعترف بالتقصير وأقرّ ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة من شاهد جمال الحضرة المقدسة واستحضر بحسن الخاتمة فحضر ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وصفوة المرسلين ، وإمام المتقين وسيد البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى دين الله حتى ارتفعت أعلامه على الأديان وظهر .

[إخوانى] كم تحملون أحمال الأوزار وهى ثقال ، وكم تبارزون بالمعاصى ذا الجلال وكم تتعللون بالتسويف والآمال . وكم تتبعون الشهوات وهى خيال . وكم تطمعون فى البقاء وقد دنا الانتقال وكم قيدتكم الأمانى من التوانى بالأغلال . وكم أنذركم من رجل من الأحباب بالارتحال . أين من حصن الحصون وشيدها ؟ أين من جمع الأموال وعددها ؟ أين من عمر الحدائق وغرسها ؟ أين من قاد الجيوش وساسها ؟ أزعجه والله هازم اللذات من غير اختياره . وأخرجه كرها من أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره . وقطعه عن آماله وأوطاره . وحال بينه وبين أعوانه وأنصاره . كم دموع من الأسف عند الحمام سواكب على مامضى من أيام البطالة فى المصائب . وقد شابت فى الشهوات الذوائب . فياله من وقت لاينفع فيه الحبائب . ولايغنى فيه النائح والنادب . قضى الأمر فما ينفع العتاب للمعاتب . يامغترّا بالآمال رب أمل خائب . كم ينام المطلوب ولاينام عنه الطالب . ستدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب . وما أمليت من أعمالك على الكاتب . وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب . ويبدو لكل مستوف أمله الكاذب . هنالك والله تضيق المذاهب . وتبدو الخيبة والحسرة والمصائب . فاغتنموا رحمكم الله أيام أعماركم الفانية ، فسيندم والله أهل القلوب القاسية ، إذا فاز المتقون (وخسر هنالك المبطلون - وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) الانذار هو التخويف ، ويوم الحسرة هو يوم القيامة : أى يوم يتحسر المسىء إذ لم يحسن والمقصر فى الخيرات إذ لم يتزايد . ومعنى قضى الأمر : أى فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار وهم فى غفلة ، هذا خطاب فى الدنيا . وهم لايؤمنون خطاب

أو آباؤنا الأولون . قل إن الأوّلين والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدّقون - خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لايؤمن بالله العظيم . ولايحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين . لايأكله إلا الخاطئون - هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام إلا من ضريع . لايسمن ولا يغنى من جوع)

وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الجنة قال لجبريل

اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها ثم جاء فقال إى رب وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : إى رب وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد قال فلما خلق الله النار قال ياجبريل اذهب فانظر إليها قال فذهب فنظر إليها فقال إى رب وعزتك لايسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال إى رب وعزتك لقد خشيت أن لايبقى أحد إلا دخلها »

وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله ، قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها »

وذكر سفيان بن عيينة عن أبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها

فى الآخرة : أى لم يردّوا فيؤمنوا . روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا . قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالمعاصى وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ماتعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى ، فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ماحرمتكم من ثواب الآخرة » . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توابيت والتوابيت فى توابيت فلا يظن أحدهم أنه بقى فى النار من يعذب سواه ، وليس نفس يوم القيامة الاوهى تنظر إلى بيت فى الجنة وبيت فى النار ، يقال لهؤلاء لو عملتم ، ويقال لأهل الجنة لولا أن منّ الله عليكم . وقال أبو هريرة رضى الله عنه كأنى بكم صادرين عن الحوض يلقى الرجل الرجل فيقول أشربت ؟ فيقول نعم ، ويلقى الرجل الرجل فيقول واعطشاه ، وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : إن ملكا موكل بالميزان ، فاذا ثقل ميزان إنسان نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وإن خفت موازينه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا . وقال قتادة رضى الله عنه لم يجرم أحد فيخفى جرمه على أحد يوم القيامة .

[إخوانى] أهل القبور قد أسروا ، وأكثر القوم فى تجارتهم خسروا ، فمروا أنتم عليهم واعتبروا ، وتفكروا فى أحوالهم وانظروا ، يتمنون العود وهيهات ، ويسألون التدارك وفد فات ، يامطلقا اذكر قيودهم ، يامتحركا قد عرفت همومهم ، خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فانك مطلوب ، وتذكر بقلبك يوما تتقلب فيه القلوب ، قبل أن يمسك اللسان ويتحير الانسان ويزول العرفان ، وتنشر الأكفان وتزول الحضرة وتطول السفرة ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلقى العبد ما أسلفه وينساه من خلفه ، ويبقى هنالك أسيرا إلى أن يعود فيقوم عريانا حسيرا ، فحينئذ تسلب الكرائم ، وتنشر الجرائم وتعظم المصائب ، وتنسد المذاهب ، وتبين العجائب وتسود الوجوه ويفوت العاصى مايرجوه وتثقل على الظهور الأوزار ، ويؤخذ الكتاب باليمين أو اليسار ، وليس لأحد هنالك قرار إلا الجنة أو النار ، فبادروا رحمكم الله بالمتاب قبل ماتعاينون هذه الأهوال وتشهدون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) . قال مسمع بن عاصم رحمه الله : بتّ أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن حرب وسلمان بن الأعرج على بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائه وبكيت أنا والله لبكائهم لا أدرى ما أبكاهم ؟ فلما كان بعد ذلك سألت عبد العزيز ما أبكاك ؟ فقال إنى والله العظيم نظرت إلى أمواج البحر فذكرت أطباق جهنم وزفراتها فذاك الذى أبكانى ثم سألت كلابا فقال مثل ذلك ثم سألت سلمان فقال ماكان فى القوم شر منى ماكان بكائى إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم :

قف ياصاح نبكى الدمنا ... بعد من قد كان فيها سكنا
وننادى من غرام مقلق ... بعدهم فى دارهم واحزنا
طالما كنا بها فى دعة ... نجتنى من وصلهم ما يجتنى
كم بلغنا من أكناف الحمى ... من لبانات المنى ماسرنا
وافترقنا فكأنا لم نكن ... أبدا فى الدار نولى المننا
ليت روحى قبل أن فارقتهم ... فارقت من قبل ذاك البدنا

يا أصحابى انتهوا وانتهزوا فرصة الأوقات فالموت دنا

[إخوانى] كأنى بكم وقد بلغتم يومكم الموعود وغافصكم مالم تفتدوا منه بوالد ولا مولود، مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجوارح والجلود، ولايوجد التجلد على النار والجمر (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال الجنيد رحمة الله عليه: دخلت على سرى السقطى عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبى مابى والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق؟ ثم أنشد:

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لاقرار له مما جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله ومات رحمه الله.

[إخوانى] ما الذى أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت، وما الذى قدّمتموه من من زاد التقوى قبل حلول الفوت، وما الذى حجب أسماع الغافلين عن سماع الصوت، يامن خلا بالمعاصى ليتك ماخلوت كم ينادى الغافلين منادى المواعظ فلا يستجيبون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) قال إبراهيم التيمى رحمه الله: مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ثم قلت لنفسى ماتريدين؟ قالت أردّ إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الأمنية فاعملى:

يانفس قد طاب فى إمهالك العمل فاستدركى قبل أن يدنو لك الأجل
إلى متى أنت فى لهو وفى لعب يغرّك الخادعان الحرص والأمل
وأنت فى سكر لهو ليس يدفعه عن قلبك الناصحان العتب والعذل
تزوّدى لطريق أنت سالكة فيها فعما قليل يأتك المثل
ولا تغرك أيام الشباب ففى أعقابها الموبقان الشيب والأجل
يانفس توبى من العصيان واجتهدى ولا يغرنك الإبعاد والمهل
ثم احذرى موقفا صعبا لشدته يغشى الورى المتلفان الحزن والوجل
ويختم الفم والأعضاء ناطقة ويظهر الفضحان الحط والخطل
ويحكم الله بين الناس معدلة فتذكر الحالتان البرّ والزلل

[إخوانى] تداركوا مافرطتم فى أيام البطالة فسيلقى كل عامل منكم أعماله يوم يستقيل فلا يجاب إلى الإقالة ويعض أنامله بالندم على الضلالة فيالها حسرة ماأهولها ورقدة فى التراب ما أطولها بالله عليكم نوحوا على أيام الغفلات بالله عليكم تفكروا فى مصارع الأموات بالله عليكم بادروا باب الحبيب قبل الفوات فكأنى بكم قد غافصكم المنون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون).

[إخوانى] فكوا أنفسكم من أسر الشهوات، وأيقظوا عقولكم من سكرة الغفلات، واستعدوا لدار البقاء قبل الفوات فكأنى بكم وقد وافاكم حادى المنون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) ستجرى والله دموعك أسفا وحزنا ويشخص لملك الموت البصير الذى بصرورنا وتبقى على الصراط بأعمالك مرتهنا وتبدو قبائح أفعالك من السر إلى الجهر وتذرف منك والله العيون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) هيهات بعد

ضربت بالماء مرتين ماكان لأحد فيها منفعة» وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة» وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: قال «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أتدرون ماهذا؟. قال قلنا الله ورسوله أعلم. قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها» وفى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض فى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو

فوت الأعمار لاتنفع الحسرة وعند انقطاع الآمال لاتفيد الفكرة ليت شعرى ماجوابكم يوم الحيرة إذ نودى (هذا يوم لاينطقون .. وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) إلهى من لعبيد أخجلتهم المعاصى والذنوب من لآبق أبعده عن الباب قبيح الزلات والعيوب عفوك ياعلام الغيوب فقد حسنا برحمتك الظنون . إلهى ماأعظم حسرتى أذ كرغيرى وأنا الغافل ، مولاى ما أشد مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم سيدى ما أبلغ قصتى أدل غيرى وأنا الحائر . إلهى جد بالعفو عن مذكر متكلف وسامع متخلف . إلهى إذادللت السالكين عليك فوصلوابحسن موعظتى إليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل . إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك ياأرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

المجلس الحادى والعشرون

فى قوله تعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)

الحمد لله الذى برهن باهر قدرته على إثبات ثبات وحدانيته ببرهان وجود الموجودات الباطنية والظاهرة ، جعل دلائل الحكم وبراهين القدم وآيات الابداع وشواهد الاختراع نطقا لقارئ الأفكار على سطور الكائنات الواردة والصادرة كتب رسول القضاء بقلم القدر فى دروج الموجودات لاتقرأ كتابة أسرارها إلا بألسنة الأرواح الصافية الطاهرة . بعث كواكب الفهم لعيون العقول فشاهدت عجائب الجبر وغرائب القهر فى اثبات الكسب فى ديوان (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) سكر العقل من خمرة العجز وظهر له خيالات الصور من وراء ستر العيب على بساط الحركات والسكنات مقهورة فى باطنها وفى ظاهرها قاهرة ، أطلق لمريد العقل طرف الطرف على أرض الفكر ليصل إلى مدينة الادراك فانقض عليه فارس القدر فأوقفه على حد العقول حد يقف عنده فعلم أن قواه عن الادراك قاصرة ، رفع العقل بصر الأبصار فشاهد مراتب الأملاك فى مناصب الأفلاك فساجد بالهيبة وراكع بالعظمة وقائم بالقدرة وذاهل بالمحبة وشاخص لامتثال الأمر فى البسائط والمركبات والأدوار الدائرة ، وخفض مرآة الاعتبار فقابلت صور الكائنات عن العدم بارادة القدم فظهر له سرائر الصنعة فى إقامة برهان الأشكال من مشكلات الطبائع المتعاندة المتنافرة شاهدنا الحرارة وماء البرودة مجموعة فى خزائن الحيوان ، فلا الحرارة تقى البرودة ولا البرودة تقى الحرارة قدرة قادر قدرته فى المقدورات باهرة ، حير الألباب فى قسمة أجزاء الغذاء الواحد تنفصل منه الحرارة للحار والبرودة للبارد بأوزان من المقادير فالماء واحد والغذاء واحد وسر القسمة مختلف بحكمة لاتشاهدها البصائر الباصرة ، نادى حكيم حكمته أسماع العقول (إنا كل شىء خلقناه بقدر) من الأرزاق والآجال والشقاوة والسعادة والقرب والبعد فيالبت شعرى بم سبق الكتاب ؟ وكيف الخلاص من هذه الدائرة ، قدرة قادر لاتتعلق يد النقائص بذيل حكمته ولاتتشبث أنامل الإبادة فى تغيير صمديته ولايطمع طامع الغير فى تبديل كلمته ولاتعلل العقول أسرار مشيئته ، فان علات بقيت فى ليل الجهل حائرة ، قدم بين يدى تقديره زمام أم الكتاب ، وأمر كاتب القضاء بقلم القدر بكتابة أسرار المقربين والمبعدين فقرب بلا علة وأبعد بلا سبب وختمه بخاتم السابقة فهى غائبة حاضرة ، محا وكتب ونسخ وأثبت وأبعد وقرب وهدى وأضل وأعز وأذل وأمر أفهام العقول بفهم الرموز ، وكيف تدرك العقول القاصرة . فبالله يا أخى كيف الحيلة وما السبب . وبم سبق الأقدار ، ومن الرابح فى أعماله ومن أعماله خاسرة ؟ فسبحان من غمض بصائر الباصرين ، عن مشاهدة أسراره بستر التركيب ، وحجب الطبائع فى سرادقات التكاليف فافتقرت إلى مرشد الرسالة على توالى الدهور الداهرة . أحمده وأومن

قعرها » وفى صحيح البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك مافى الأرض من شىء أكنت تفتدى به ؟ فيقول نعم . فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك » وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » وفيه عن سمرة بن جندب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه » . وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم

به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة إليه ، براءة عبد معترف بما كسبت يداه من الزلات مفتقر إلى رحمته العامرة ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له المنزه عن الكمّ والكيف والأين والزمان والمكان والكل والجزء والفوق والتحت واليمين والشمال والوراء والأمام . فهذه صفات الأجسام الفانية الغائرة . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأوّلين والآخرين والمرسلين وسلطان الصديقين وإمام المقرّبين ، وقائد الغرّ المحجلين إلى جنات النعيم ، التي قال في حقها ذو القدرة الباهرة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأنصاره صلاة تؤمن روعنا يوم ترى القلوب من الاهوال خائفة طائرة . أيها الناس أين الذين جمعوا الأموال ولم يغنهم ماجمعوا ، أما كلهم في القبور جمعوا ، أين الذين قطعوا أيامهم في الشهوات وما شبعوا ، أتراهم أعجبهم المقام أم حبسوا فما رجعوا ؟ أين الذين غرّتهم الدنيا خذلوا والله بالشهوات وخدعوا ، أين الذين نصبت لهم الأسباب شباك الغفلة حتى وقعوا ؟ نزل بهم مفرّق الأحباب فذلوا لسطوته وخضعوا ، أزعجهم من بين الأهل والأحباب وقد جفوا ، يبكيه أهله وأحبابه ياليتهم نجحوا ، أفردوه بأعماله ونسوه وانقطعوا ، يناديهم بلسان الحسرات ياليتهم سمعوا ، ارحموا من صار رهينا في التراب بلاعمل ينجيه ولامفزع يؤويه هيهات شربوا كأس الأسف والندامة وتجرعوا ، مزقت الديدان أوصالهم فتقطعوا يودّون لو رودّا فصاموا بالنهار وبالليل ماهجعوا ، هيهات والله قد حصدوا من أعمالهم مازرعوا ، فبادروا رحمكم الله فبين أيديكم الصراط والحساب ، وأهوال من سكرات الموت صعاب . ويوم تنقطع فيه الأرحام والأنساب ، ولاينفع فيه الأهل والأموال والأسباب ، إما نعيم في الجنان أو تقلب في العذاب ، وكل ينادي بلسان الحسرات ياويلتنا مالهذا الكتاب . فيامن قادتهم الشهوات إلى الحفائر ، يامن دنس الحرام منهم البواطن والظواهر ، ويامن أعماهم الهوى فعميت منهم البصائر (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) قوله تبارك وتعالى «ألهاكم التكاثر » أي شغلكم ، يقال لها بمعنى لعب ولهى عن الشيء غفل ، والتكاثر هو تكاثف الكثرة ، والتكاثر أيضا التفاخر بالكثرة في المال والأولاد والأنساب حتى أدركم الموت . وهذا خطاب ظاهر في الدنيا إذا كان معنى زرتم مستقبلا ، أي حتى تزوروا المقابر ، وباطن هذا الخطاب هو قوله تعالى لجامعي الأموال وأهل التفاخر (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا) أي ليس الأمر الذي يكون التكاثر عليه ، ويحتمل أن يكون توكيدا ينوب عن اليمين ، ويحتمل أن يكون ردعا وزجرا عن التكاثر والافتخار (سوف تعلمون) أي ستعلمون بعد هذا مايحاسب عليه أهل التكاثر في عرصات القيامة (ثم كلا سوف تعلمون) ذكر المفسرون من طريق العربية أنه تكرار وتأكيد للوعيد وتغليظ للنهي عنه (كلا لوتعلمون) أيها الناس مالكم عند الله وعليكم إذا بدت سكرات الموت ونشر ديوان العمل لايغادر صغيرة ولا كبيرة (علم اليقين) وهو ولوج الصدور بما يرتفع به الشك وجواب لو محذوف تقديره لشغلكم ذلك عن غيره (لترونّ الجحيم) في دار القبر لأنه يعرض على كل آدمي مقعده في النار فإن كان سعيدا عرض عليه وبشر بنواله ، وإن كان شقيا عرض عليه وقرّر له (ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم) قيل عن الصحة والفراغ ، وقال مجاهد وقتادة : كل ماالتذّ به فهو نعيم . يامن سبقه القوم وتخلف في الشهوات ، يامن قطع زمانه في التسويف والبطالات ، يامن قسا قلبه بالمعاصي وجمدت عيناه عن العبرات يامن شابت ذوائبه ، وهو مقيم على الزلات ، كم تبارزون بالمعاصي من يعلم خفيات السرائر (ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اكتسب مالا من حرام فتصدق به أو وصل به رحما أو أنفقه في الله تعالى جمع ذلك كله وقذف به في جهنم »

تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » . وفي كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوأن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه » وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لسرادق النار أربعة جدر وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » قال صلى الله عليه وسلم « لو أن دلوا من غساق تهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا » قال العلماء : الغساق عرق أهل النار وصديدهم . وقيل دموعهم يسقونها مع الحميم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ويل واد في جهنم يهوى الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ويهوى كذلك أبدا » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أن مقمعا من حديد وضع على الأرض

ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكتسب العبد مالا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه ولاينفق منه فيبارك له فيه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار » وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلاتستبطئوا الرزق واتقوا الله وأجملوا فى الطلب فخذوا ما أحلّ الله تعالى وذروا ماحرّم الله تعالى» واعجبا كلما بسط المولى بساط النعم قابلته بالعصيان، كم نراك ياعبدى تترك مجالستى وتجالس الشيطان ، كم أتعطف عليك بالآلاء وأنا المنان ، ياعبدى أحب أن أواصلك وتحب البعاد عنى والهجران ، ماحيلتك إذا حلّ عليك غضبى وفرّ منك الأهل والعشائر (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) قال منصور بن عمار رحمة الله تعالى عليه : حججت سنة من السنين فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة مدلهمة وإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول : إلهى وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بمكانك جاهل ولكن خطيئتى عرضت لى وسوّلت لى نفسى وأعاننى عليها شقائى فغرنى سترك المرخى علىّ فعصيتك بجهلى وخالفتك لشقوتى ، فمن عذابك من يستنقذنى ، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنى ؟ واحسرتا إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا . أترانى مع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ؟ ويلى كلما كبر سنى كثرت ذنوبى ، ويلى كم أتوب وكم أعود ، أما آن لى أن أستحى من علام الغيوب :

ما اعتذارى وأمر ربى عصيت ... حين تبدى صحائفى ما أتيت
ما اعتذارى إذا وقفت ذليلا ... قد نهانى وما رآنى انتهيت
ياغنيا عن العباد جميعا ... وعليما بكل ماقد سعيت
ليس لى حجة ولا لى عذر ... فاعف عن زلتى وما قد جنيت

ثم قال :

ياربّ أنت أمرتنى ونهيتنى ... وأريتنى طرق الضلالة والهدى
وعلمت أنى لاأفرّ من الذى ... قدرت لى إن كان خيرا أوردى
وسلكت بى ماشئت للشىء الذى ... فى الخلق ماأخفيته عنهم سدى
ودخلت من غير اختيارى تحته ... والعبد محكوم عليه وإن عدا
فاقبل بفضلك توبتى لك مخلصا ... وارحم فإنى قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذى ياسيدى ... قد جاء معترفا وعاش موحدا

[قال منصور] فبكيت لما سمعت كلامه وقرأت قوله تبارك وتعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) قال : فسمعت دكدكة عظيمة واضطرابا كثيرا ثم انقطع الحس ، فلما أصبحت مررت على الباب فرأيت جنازة رجل وامرأة تدخل وتخرج وهى تقول : يابنى ياقتيل القرآن ، يابنى ياقتيل الأحزان ، فدنوت منها وقلت : يا أمة الله من هذا الميت ؟ فقالت ولدى وقرّة عينى ، كان يعمل الخوص فينفق علىّ ثلثا وثلثا يأكله وثلثا يتصدق به ! فمرّ به رجل فقرأ عليه آية من كتاب الله تعالى فمات فما حيلتى ؟ :

قف بنا نبكى ديارا أقفرت ... فهى تبكى بعدهم إذ هجرت وتناغت عندها غربانها
وهى من قبل النوى قدزجرت ... آه من أكبادنا لوحفظت عهد سكان الحمى لانفطرت

فاجتمع الثقلان ماتقبلوه من الأرض، وقال لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لفتت وصار غبارا » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إنى قد وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصوّرين» وفى كتاب الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «(يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) قال . يقرّب إلى فيه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) ويقول جلّ وعلا (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) » وفيه عن أبى

لاتسل عن حالهم خلفا فقد خبرت أطلالها ماخبرت فكأن الأهل ماسروا بها
وكأن الدار ماقد حضرت لهف قلبي لليال سلفت تزعج القلب إذا ماذكرت
خربت دارهمو من بعدهم وبهم كانت قديما عمرت وبرغمي أن أرى أطلالهم
ووحوش البين فيها حشرت لو رأت أعينهم ماناالهم لبكت من حزنها واستعبرت

[إخواني] أما آن لذى السفر أن يعدّ له الزاد ؟ أما آن لذى المعاصى أن يتوب قبل المعاد ؟ ويحك ماينفعك غدا أهل ولامال ولاأولاد ، فإلى متى هذه الغفلة وإلى متى هذا الرقاد ؟ تولت أيام شبيبتك وليس لك من أعمالك ناصر ، (ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر) كان خليل العصيرى رحمة الله عليه يقول : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا ، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا ، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا ، فعلام تعرجون وما عسيتم تنتظرون ، الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر ، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا :

سيروا إلى ربكم فالعمر مندرس والموت قد حان والأيام تختلس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم فى كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة فى وسط بلقعة صرعى وماشى الورى من فوقهم بطس
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا قد مات ذكرهمو بين الورى ونسوا
والله لوأبصرت عيناك ماصنعت يد الليالى بهم والدود يفترس
لما انتفعت بعيش بعدهم أبدا أماهمو من جنى الدنيا فقد يئسوا

ياهذا إلى كم تضحك ونوادب الحمام تبكى عليك أسفا ، غيرك ياهذا محروم على الجادة وأنت من البعاد على شفا ، ستبكى زمان الوصال وماصفا ، أما آن لك أن تصالح مولاك ؟ أما كفى كيف عميت بصيرتك عما أنت إليه صائر ! (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) . ويحك كم تحضر المجالس بجسمك وقلبك عن الحضور غائب ! ويحك تملأ بطنك من الحرام وتطلب من الوهاب المواهب ، ويحك إن خرجت من المجلس وماتبت فأنت من القسمة خائب ! هذا باب التوبة مفتوح والتوّاب ينادى هل من تائب فبادروا قبل أن يغلق الباب وتبلى السرائر (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) إلهى ما أعظم حسرتى أذكر غيرى وأنا الغافل ، مولاى ما أشدّ مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم ، سيدى ما أبلغ قصتى أدلّ غيرى وأنا الحائر ، إلهى جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف . إلهى إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى إليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل . إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك ، وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

المجلس الثانى والعشرون

فى صدقة التطوّع

قال الله تبارك وتعالى (إن المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) وقال تبارك وتعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من حلل الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع

هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الحميم ليصبّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان» وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «(وهم فيها كالحون) قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته » وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه فى جهنم كما بين مكة والمدينة» وفى صحيح مسلم قال « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث» وقال « ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع» وروى عن ابن عمر رضى الله

أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم » رواه الترمذى رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور » وروى سعيد بن مسعود الكندى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن رجل يتصدّق يوما أوليلة إلاحفظ أن يموت من لدغة أوهدمة أوموت بغتة » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « باكروا بالصدقة فإن البلاء لايتخطى الصدقة » وقال بعض العلماء : يتصدّق العبد بالصدقة ويكون البلاء قد نزل فتطلع الصدقة فيتلاقيان فلا البلاء يغلب الصدقة ولا الصدقة تغلب البلاء فهما يقتتلان بين السماء والأرض إلى أن يشاء الله تعالى . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى : عبدى استطعمتك فلم تطعمنى ، واستسقيتك فلم تسقنى ، واستكسيتك فلم تكسنى ، فيقول العبد : وكيف ذلك يارب ؟ فيقول : مرّ بك فلان الجائع وفلان العارى فلم تعد عليه بشىء من فضلك فلأمنعنك اليوم من فضلى كما منعته من فضلك » وقال الحسن رحمة الله عليه : لوشاء الله لجعلكم فقراء لاغنىّ فيكم ، ولوشاء لجعلكم أغنياء لافقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ ، وصنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصلة الرحم تزيد فى العمر وتوسع فى الرزق » وقال سالم بن الجعد رحمة الله عليه : إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرّها على علانيتها سبعون ضعفا . وقيل إن الصدقة أربعة حروف : صاد ودال وقاف وهاء . فالصاد منها تصون صاحبها عن مكاره الدنيا والآخرة ، والدال منها تكون دليله على طريق الجنة غدا عند تحير الخلق ، والقاف منها للقربة تقرّب صاحبها إلى الله تعالى ، والهاء منها للهداية يهدى الله تعالى صاحبها للأعمال الصالحة ليستوجب بها رضوانه الأكبر . وعن أبى القاسم المذكور رحمة الله عليه قال : كان من خلق إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بخير مايجد وأفضله وأحسنه فقيل له لوتصدقت بدون هذا لكفى . فقال : لايرانى الله تعالى أطلب خير ماعنده بشرّ ماعندى . وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى ثم قرأ هذه الآية (الشيطان يعدكم الفقر) يعنى ينهاكم عن الصدقة (ويأمركم بالفحشاء) يعنى بالمعاصى (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) يعنى يأمر بالطاعات وبالصدقة لتنالوا منه مغفرته وفضله (والله واسع عليم) يعنى عليم بثواب من يتصدق . وعن أبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه قال : ماعلى الأرض صدقة تخرج حتى تفك لحيى سبعين شيطانا كلهم ينهاه عنها ، وعن عكرمة رضى الله عنه قال : كان فى بنى إسرائيل رجل ذومال ، وكان ذا معروف فى ماله فمات وترك امرأة وابنا . فقالت المرأة : ماأرى لمابقى من ماله وجها أفضل مما كان يصنع فتصدقت به إلامائتى درهم ادّخرتها لولدها ، فلما أدرك الغلام قال يا أماه : أىّ رجل كان أبى ؟ قالت : من خيار بنى إسرائيل . قال : ماترك مالا ؟ قالت بلى ولكنه كان يفعل المعروف وألحقته سبيله . قال ما كان لك أن تتصدقى بمالى فما أبقيت منه ؟ قالت مائتى درهم . قال هاتيها أبتغى بها فضل الله تعالى فأخذها منها ومضى ، فخرج فمرّ بميت عريان مطروح على وجه الأرض . فقال ماوضع المال فى أفضل من هذا ، فاشترى له كفنا بمائة وثمانين وكفنه وواراه التراب ومضى بالعشرين فإذا هو برجل على الطريق ، فقال له أين تريد ؟ فقال : خرجت أبتغى فضل الله تعالى . فقال له إن دللتك على شىء تصيب فيه فضل الله تعالى تجعل لى فيه نصف ماتصيب ؟

عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأ الناس » وفى كتاب الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت » .

[وحكى] عن شقيق البلخى : أنه كان يوما يعاتب نفسه ويوصيها ويقول : ياشقيق لاتعص الله إلا على حسب ماتطيق من عذابه ، واعمل لآخرتك على قدر حوائجك إليها ، واطلب الرزق على قدر مقامك فى الدنيا ، واعمل لدار لانفاد لها ، فسوف ترى إذا انجلى الغبار ، أفرس تحتك أم حمار ؟ .

قال نعم . قال فانطلق الى هـذه المدينة فانك ستجد امرأة معها سنور تبيعه فاشتره منها بعشرين درهما ، ثم اذبحه واحرقه بالنار ، ثم اجمع رماده واذهب بذلك الى المدينة الأخرى ، فان ملكها قد ذهب بصره فأكحله يرجع اليه بصره فذهب ففعل ذلك ، فقال الملك أوردوه الوادى الذى فيه الكحالون ، ثم خبروه إن أبرأنى فله ماشاء وإلا قتلته فان شاء أن يقدم وإن شاء أن يرجع فنظر الى الكحالين وهم مقتولون . فقال إنى أكحله فكحله . فقال كأنى أرى شيئا ، ثم كحله ثانيا ، فقال رأيت شيئا ، ثم كحله ثالثا فرجع اليه بصره ، فقال ماأبرّك بشىء أجلّ من أن أزوجك ابنتى وتسأل حاجتك فأعطاه كل ما أحب من المال فمكث عنده مدة ، ثم تذكر أمه فاستأذن الملك فى الانصراف فقال نعم واحمل معك أهلك ومالك فمرّ بالرجل الذى على الطريق . فقال له أتعرفنى ؟ فقال لا ، فقال أنا الرجل الذى كنت وصفت لك كذا وكذا ، فنزل وقاسمه كل شىء معه . فقال الرجل قد بقى لى شىء ، فقال وماهو ؟ . قال امرأتك فأنشدك الله إلا ماوفيتنى . قال وكيف نصنع ؟ قال تنشرها بمنشار قال أفعل ، فلما وضع المنشار على رأسها قال قف فانى رسول الله اليك حفظك الله حيث حفظت عهده ثم رد عليه ماله .

[كان وكان] :

من عامل الله يربح ... وكل من يصدق نجا ... ومن وفى بالأمانه ... يكتب من الأخيار
ومن عرف مايطلب ... هان الذى يبذل عليه ... ومن يخاطر ويجسر ... قد أدرك الأوطار
ومن زرع فى الدنيا ... يحصد غدا فى الآخره ... ويجتلى فى الجنه ... عرائس الأبكار
ومن يسلم أموره ... لله يعطيه الرضا ... ويتحفه بالعنايه ... وكل مايختار

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : «أن امرأة من بنى إسرائيل كان لها زوج وكان غائبا وكان له أمّ فأولعت بامرأة ابنها فكرهتها فكتبت كتابا على لسان ابنها الى امرأة ابنها بفراقها ، وكان لها ابنان من زوجها . فلما انتهى ذلك إليها لحقت بأهلها مع ولديها وكان لهم ملك يكره إطعام المساكين فمربها مسكين ذات يوم وهى على خبزها . فقال أطعمينى من خبزك فقالت أما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين ؟ قال بلى ولكنى هالك إن لم تطعمينى أنت فرحمته وأطعمته قرصين وقالت له لاتعلم أحدا أنى أطعمتك فانصرف بهما فمر بالحرس ففتشوه وإذا بالقرصين معه ، فقال له من أين لك هـذا ؟ فقال أطعمتنى فلانة فانصرفوا به إليها . فقالوا لها أنت أطعمتيه هذين القرصين قالت نعم ، قالوا لها أوما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين قالت بلى ، قالوا فما حملك على ذلك . قالت رحمته ورجوت أن يخفى ذلك فذهبوا بها الى الملك وقالوا هذه أطعمت هذا المسكين قرصين . فقال لها أنت فعلت ذلك ؟ فقالت نعم ، فقال لها الملك أو ما كنت علمت أنى حرمت إطعام المساكين ؟ قالت نعم . قال فما حملك على هذا ؟ قالت رحمته ورجوت أن يخفى ذلك وخفت الله فيه أن يهلك فأمر بقطع يديها فقطعتا وانصرفت الى منزلها وحملت ابنيها حتى انتهت الى نهر يجرى . فقالت لأحد ابنيها اسقنى من هذا الماء ، فلما هبط الولد ليسقيها غرق . فقالت للآخر أدرك أخاك يابنىّ ، فنزل لينقذ أخاه فغرق الآخر فبقيت وحدها فأتاها آت فقال ياأمة الله ماشأنك ههنا إنى أرى حالك منكرا ، فقالت ياعبد الله دعنى فان مابى شغلنى عنك فقال أخبرينى بحالك . قال فقصت عليه القصة وأخبرته بهلاك ولديها . فقال لها أيما أحب اليك أأردّ إليك يديك أم أخرج لك ولديك حيين ، فقالت بل تخرج ولدىّ حيين فأخرجهما حيين ، ثم رد عليها يديها وقال إنما أنا رسول الله اليك بعثنى رحمة لك فيداك بقرصين وابناك ثوابا لك من الله تعالى برحمتك لذلك المسكين وصبرك على ماأصابك واعلمى أن زوجك لم يطلقك فانصرفى اليه فهو فى منزله وقدماتت

[وروى] أن الربيع بن خيثم كان يذهب الى ابن مسعود فمرّ بحانوت حدّاد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ولم يفق الى الغد ، فلما أفاق سئل عن ذلك ؟ فقال : تذكرت كون أهل النار فى النار .

[إخوانى] صححوا الإيمان وهو تصديق القلب ، ولايعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم ، واحرصوا كل الحرص على الإتيان بكمال خصال الإسلام حتى تنجوا من دخولها رأسا :

أيا عاملا للنار جسمك لين
فجرّبه تمرينا بحر الظهيرة
ودرّجه فى لسع الزنابير يجترى
على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لاتقوى فويلك ماالذى
دعاك إلى إسخاط رب البرية

أمه فانصرفت الى منزلها فوجدت الأمر كما قيل لها :

جعلت على لطفك المتكل ... وأعرضت عن فكرتى والحيل ... ومادام لطفك لى لم أخف
عدوّا إذا كادنى أو خذل ... ولطفك رد الذى أختشى ... كما كشف الضرّ لما نزل
وياسيدى كم مضيق فرجت ... بلطف تيسره من عجل ... ملاذى ببابك لاحلت عنه
وياويح من عنه يوما عدل ... وقفت عليه بذل السؤال ... وماخاب بالباب من قد سأل

قوله تبارك وتعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال أهل التفسير : إن بنى إسرائيل لما مات موسى عليه السلام أخذوا فى التخليط فاعتزلت عنهم فرقة ، وسألوا الله تعالى أن يباعدهم عن أهل التخليط ، فظهر لهم سرب أسفل الأرض فساروا فيه حتى إذاهم فى فضاء من الأرض فنزلوا فيه وبنوا عليه وتناسلوا فى ذلك المكان وداموا فيه إلى أن سار إليهم ذوالقرنين فلما وصل إليها رآهم فى ذلك المكان وكانوا من أطول الناس أعمارا وليس بينهم فقير وقبورهم على أبواب دورهم ومساجدهم بعيدة وليس على دورهم أبواب ولا عليهم أمير ولاحاكم ، فقال لهم ما شأنكم فيما تفعلونه ، فقالوا أيها الملك : أما طول أعمارنا فان الله تبارك وتعالى يبارك لنا فيها فإنا قوم منصفون فطول أعمارنا لإنصافنا ، وأما يسرنا جميعا فنحن قوم نقوم بالمواساة ، فإذا أصيب واحد منا بفقر جمعنا له من بيننا أجمعين حتى تجبر ثلمته ولايبين علينا ذلك فنحن بأجمعنا أغنياء ، وأما قبورنا فجعلناها على أبواب دورنا لأنا أخبرنا عن علمائنا وأنبيائنا أن الفبر يذكر الحى الموت ، وأما مساجدنا فبعيدة عنا لأنا روينا وسمعنا عن علمائنا أن الخطا إذا كثرت الى المساجد كثرت الحسنات ، وأما دورنا فليس عليها أبواب لأنا لانتلصص ولايسرق بعضنا بعضا فلا نحتاج الى الباب ، وأما الحاكم والأمير فلا يظلم بعضنا بعضا ونحن نتناصف فلانحتاج الى أمير مانع ولاحاكم رادع . فقال ذو القرنين مارأيت قوما مثلكم ولو أردت استيطان بلد كنت أستوطن بلدكم هذا لحسن معاشرتكم ، وجميل أخلاقكم . وروى أن عابدا من بنى اسرائيل عبد الله فى صومعته كذا وكذا سنة فاطلع من صومعته يوما فرأى خضرة وماء جاريا فى وسطها فاهتزت نفسه إلى النزول من صومعته فنزل وشرب ماء وقعد متشوّقا فمرت به امرأة متزينة خارجة من قرية إلى قرية فافتتن بها ثم إنه مرّ به سائل ، وكان له كل يوم قرصتان فآثره بذلك وجوع نفسه ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبى ذلك الزمان أن قل لهذا العابد أبطلت عملك كله بمازنيت ، ثم أحييته كله بصدقتك بالقرصين وإيثارك المسكين على نفسك فهذا ثواب صدقتك إنى قبلت ذلك منك ورددتك إلى حالتك :

ردوا علينا لياليا التى سلفت ... واعفوا الذى قدجرى منا بفضلكم
فكم زللت وأنتم تصفحوا كرما ... وكم أسأت وأرجو حسن عفوكم
مالى سواكم وأنتم مشتكى حزنى ... وقد جهلت ومالى غير سترکم
ولم أمل عنكمو يوما إلى أحد ... وليس لى فى البرايا غير قصدكم
ذلى لكم شرف فى الحب أظهره ... وما أرجى ودادا غير ودكم
لو أن ألف لسان لى أبث بها ... شكرى لكم لم أقم يوما بشكركم
إحسانكم لمسىء فى الهوى دنف ... مثلى ومالى سوى عادات خيركم
عودوا وجودوا كما كنتم فليس أرى ... يحلو بسمعى حديثا غير ذكركم
إن كنت أذنبت فاعفوا سادتى كرما ... فمن يرجى لعفو الذنب غيركم

تبارزه بالمنكرات عشية ... وتصبح فى أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرا على الورى ... بمافيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر ... صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر ... فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة ... ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه ... لكل ولم يكفل لكل بجنة
إلهى أجرنا من عظيم ذنوبنا ... ولاتخزنا وانظر الينا برحمة
وخذ بنواصينا اليك وهب لنا ... يقينا يقينا كل شك وريبة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته .

المجلس الثالث والعشرون

فى صدقة الفطر وما أعدّ الله لمخرجها من الأجر

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ، ومكمل الأجر ، وجاعل ظلام الليل ينسخه نور الفجر ، المحيط علما بخائنة الأعين وخافية الصدر ، ومعلم الإنسان مالم يعلم به ولم يدر ، المتعالى عن إدراك خواطر النفس وهواجس الفكر ، الموالى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل ولا الفرخ فى الوكر ، جلّ أن تناله أيدى الحوادث على مرور الدهر ، وتقدّس أن يخفى عنه باطن السر وظاهر الجهر ، منته تيجان الرؤوس وقلائد النحر (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) أحصى عدد الرمل فى الفيافى والنمل فى القفر ، وشاء فأجرى كماشاء تقدير الإيمان والكفر ، أغنى وأفقر بارادته وقوع الغنى والفقر ، وأصم وأسمع بمشيئة إدراك السمع ومنع الوقر ، أبصر فلم يخف عليه دبيب الذر فى البر ، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر فى السر ، وقدّر فلم يحتج الى معين يمدّه بالاعانة والنصر ، وأجرى الأقدار كما شاء فى ساعات العصر ، قسم بين الخلائق كما أراد أسباب العسر واليسر ، وسير الرزق فى بحار الحكم ولولم يشأ لم يسر ، هدانا اليه ودلنا عليه بقويم البيان وسليم الفسر ، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر ، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه وأنالنا عيد الفطر ، أحمده حمدا لامنتهى لعدده ، وأشكره شكرا لايحصى موصول مدده ، وأتوكل عليه توكل عبد على سيده ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له شهادة مخلص فى متعقده ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من يمين أصابع يده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابعى مقصده صلاة تدوم الى يوم يفرّ الوالد من ولده وسلم تسليما كثيرا لاينقضى مدى الزمان ، بل يتجدد بتجدده : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام أوصاعا من شعير أو صاعا من تمر » رواه الترمذى رحمه الله . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مناديا فى فجاج مكة « ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير مدّان من قمح أو سواه صاع من طعام» رواه الترمذى رحمه الله : وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعا من تمر أوصاعا من شعير» رواه البخارى ومسلم والترمذى رحمهم الله . وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا باخراج الزكاة قبل صلاة العيد يوم الفطر » وهو الذى استحبه أهل العلم أن يخرج الرجل صدقة الفطر قبل صلاة العيد لقوله صلى الله عليه وسلم « أغنوهم عن المسئلة فى مثل هذا اليوم » . ويستحب يوم الفطر للإنسان أن يغتسل ويستاك ويلبس أحسن ثيابه ويخرج صدقة الفطر ويأكل شيئا ثم يتوجه الى المصلى ماشيا وأن لايركب إلا من عذر وأن يكون خروجه إلى المصلى من طريق ويرجع من طريق آخر لأن الله تبارك وتعالى يبعث ملائكة يجلسون فى الطريق يكتبون اسم كل من مرّ عليهم فلذلك استحب الخروج من طريق والرجوع من أخرى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج يوم العيد من طريق رجع من غيره»

إلهى اهدنا فيمن هديت
وخذ بنا
الى الحق نهجا فى سواء
الطريقة
وكن شغلنا عن كل شغل
وهمنا
وبغيتنا عن كل همّ
وبغية
وصل صلاة لاتناهى على
الذى
جعلت به مسكا ختام
النبوّة

﴿ فصل : فى الخلود فى النار ﴾ قال الله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وفى كتاب الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب

رواه الترمذى رحمه الله . وعن بريدة عن أبيه قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم لايخرج يوم الفطر حتى يطعم ولايطعم يوم الأضحى حتى يصلى» . رواه الترمذى رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر على تمرات يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى » وعن أم عطية رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيض فى العيدين . فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين . قالت إحداهن يارسول الله إن لم يكن لها جلباب ؟ قال فلتعرها أختها من جلابيبها» رواه الترمذى رحمه الله ، وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل» . وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال : أكره الخروج اليوم للنساء فى العيدين فإن أبت المرأة إلا الخروج فليأذن لها زوجها أن تخرج فى أطمارها ولاتتزين ، فإن أبت أن تخرج كذلك فللزوج أن يمنعها عن الخروج . وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أعظم الليالى ليلة الأضحى والفطر » . وعن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربع ليال يفرغ الله تعالى فيهن الرحمة على عباده إفراغا : أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة الأضحى» وإنما سمى العيد عيدا للعود إلى الفرح والسرور ، وقال بعضهم : سمى عيدا لأنه يوم شريف كريم فللعاقل أن يستقبله بالتعظيم والتبجيل لله تعالى ويكثر من ذكر الله تعالى لأن يوم العيد مثاله كيوم القيامة يسمع فيه النفخة والصعقة ، فضرب الطبول تذكرة لها والنفخ فى البوق تذكرة للنفخ فى الصور ، واجتماع الناس فى المصلى تذكرة لاجتماع الناس فى القيامة على اختلافهم واختلاف أحوالهم ، فمنهم لابس بياض ، ومنهم لابس سواد ، ومنهم راجل ، ومنهم راكب ، ومنهم فرح ، ومنهم محزون ، ومنهم من ينقلب إلى نعمة ، ومنهم من ينقلب إلى نقمة ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحشر الناس من قبورهم على ثلاثة أثلاث : ثلث على الدواب ، وثلث يمشون على أقدامهم ، وثلث يسحبون على وجوههم » والناس فى المصلى ينتظرون الإمام كذلك فى المحشر والوقوف فى العرصات انتظار ماوعد الله تعالى ، والإشارة فى الخطبة هو أن الإمام يخطب والناس سكوت كذلك البارى سبحانه وتعالى يحاسب الناس ويعاقب ونحن سكوت ومراتبهم فى المصلى تشبه مراتبهم يوم القيامة منهم القاعدون فى الظل ، ومنهم القاعدون فى الشمس كذلك فى القيامة منهم من يلجمه العرق ، ومنهم من يكون فى ظل العرش ، وكذلك انصرافهم من المصلى بعضهم مقبول وبعضهم مردود . وعن وهب بن الورد رضى الله تعالى عنه : أنه خرج يوم العيد فجعل يحثو التراب والرماد على رأسه ، فقيل له : هذا يوم السرور والزينة ؟ فقال : هذا يوم السرور والزينة لمن قبل صومه . وخرج حسان بن أبى سنان رحمه الله تعالى يوم عيد ، فلما عاد قالت له زوجته : كم من امرأة حسناء قد رأيت ؟ فقال : والله مانظرت إلا فى إبهامى منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك ، وإنما بالغ السلف فى غض البصر حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته . وقال بعضهم : إياك والنظر فانه ينقش فى القلب صورة المنظور ، وإنما الدنيا عيوبها بادية كم فتحت باب بلية ولاحيلة كحيلة عين كحيلة :

العين أصل عناها فتنة النظر والقلب كل أذاه الشغل بالفكر

فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم فيقولون (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا فى ضلال) قال : فيقولون ادعوا فيقولون (ياملك ليقض علينا ربك) قال : فيجيبهم (إنكم ماكثون) قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام . قال : فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) قال فيجيبهم (اخسئوا فيها ولاتكلمون) قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل» ويروى «أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا

كم نظرة نقشت فى القلب صورة من ... راح الفؤاد بها فى الأسر والحذر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... فى أعين العين موقوف على الخطر
يسرّ مقلته ماضرّ مهجته ... لامرحبا بسرور جاء بالضرر
فالقلب يحسد نور العين إذ نظرت ... والعين تحسده حقا على الفكر
يقول قلبى لعينى كلما نظرت ... كم تنظرين رماك الله بالسهر
فالعين تورثه هما فتشغله ... والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما ... فاحكم فديتك بين القلب والبصر

[وكان الربيع بن خيثم] من شدة غضبه لبصره وإطراقه يظن الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود رضى الله عنه عشرين سنة فاذا طرق الباب خرجت إليه الجارية فتراه مطرقا غاضا بصره فتقول لسيدها صديقك ذاك الأعمى قد جاء فكان ابن مسعود رضى الله عنه يتبسم من قولها. وكان إذا نظر إليه يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وأحبك. وكان بعض الصالحين رحمه الله يقول ياقوم غرقت السفينة ونحن نيام هذا آدم لم يسامح بلقمة وداود لم يتساهل له فى نظرة فكيف بنا ونحن على مانحن عليه من سوء الفعال وقبح المقال وأشد الوبال والنكال والنظر إلى غير الحلال، ثم قال :

يامن رأى سقمى يزيد ... وعاق تعبى طبيبى ... لاتعجبن فهكذا ... تجنى العيون على القلوب

[قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله] فأما عقوبة النظر فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشلشل دما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ؟ قال مرت بى امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها نظرى فاستقبلنى جدار فضربنى وصنع بى ماترى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا» فكم من أناس صلوا فى أوّل الشهر صلاة التراويح وأوقدوا فى المساجد طلبا للأجر المصابيح وملئوا بالعبادات المكان الفسيح ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح. اقتنصهم عن آخرهم الصائل فقهروا وأسرهم الصائد فأسروا وغمسهم التلف فى بحاره فثقلوا ولم ينفعهم المال ولا الآمال لما نقلوا، رحلوا والله عنا قدما ونقض مابنوه من الدنيا هدما أدارت عليهم المنون رحاها وأحلت وجوههم الثرى فجاها، انتهبتهم الآفات من غير تعويض ونظرت إليهم بطرف غضيض فقطعت حبل المنى الموصول وفرقت جميع الأمل المحصول أعدمتهم والله صوما وفطرا وجعلت قبورهم لمهب الرياح قطرا وزودتهم الحنوط عطرا وأصبح كل منهم فى اللحد سطرا وهكذا حالك عن قريب فتيقظ وهكذا مآلك فاجتهد وتحفظ ياقليل الاعتبار وكم قد سمع ورأى، ياطويل الأمل ورفيقه قد نأى يامشغولا باللهو ومفتونا بالمنى يامتعلقا بما يوقن أن عقباه الفنا، أما تعد بتوبتك فقل لى متى، إنما الشيب رسول من المنون قد أتى، أما أكثر العمر فى التسويف قد مضى، أما أنت غرض سهم القدر والقضا يامن راح إلى المعاصى كثيرا وغدا الأمر مجموع وسيفصل غدا، ياقليل الزاد وحادى رحيله قد حدا تأهب للتلف وتهيأ للردى :

أما المشيب فقد كساك رداءه ... وأزال عن كتفيك أردية الصبا
ولقد مضى القوم الذين عهدتهم ... لسبيلهم ولتلحقن بمن مضى
ولقلما تبقى فكن متفطنا ... ولقلما يصفو سرورك إن صفا
وهو السبيل فخذ لذلك عدّة ... فكأن يومك عن قليل قد أتى

على الجنة وبينهم حجاب فـ(نادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله عزّ وجل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وفى الكشاف وأنوار التنزيل عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار يقولون ألف سنة (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا) فيجابون (لقد حق القول منى) فيقولون ألفا (ربنا أمتنا اثنتين وأحيينا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج

لايشغلنك لو وليت عن الذى أصبحت فيه ولا لعل ولا عسى
خالف هواك إذا دعاك لريبة فلرب خير فى مخالفة الهوى
علم المحجة بين لمريده وأرى القلوب عن المحجة فى عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا
وعجبت إذ أخشى الحمام وليس لى دون الحمام وان تأخر منتهى
مع أن ساعات النهار تدب لى رسلا وإنى لا أزال على الخطا
فلئن نجوت فانما هى رحمة الرب الرحيم وإن هلكت فبالجزا
ياساكن الدنيا أمنت زوالها ولقد ترى الأيام دائرة الرحا
أين الذين بنوا الحصون وجندوا فيها الجنود وأوثقوا فيها العرا
وذوو المفاخر والمنابر والمحا ضروا لعساكر والدساكر والقرى
أفناهم ملك الملوك فأصبحوا مافيهم أحد يحسّ ولا يرى
حتى متى لاترعوى ياصاحى حتى متى وإلى متى وإلى متى

[قال أبو يعقوب النهر جورى رحمه الله] رأيت فى الطواف رجلا بعين واحدة وهو يقول فى طوافه أعوذ بك منك ، فقلت له ماهذا الدعاء ؟ فقال انى مجاور خمسين سنة فنظرت إلى شخص يوما فاستحسنته فاذا بلطمة وقعت على عينى فسالت على خدى ، فقلت آه فوقعت أخرى ، فإذا قائل يقول لوزدت لزدناك . وقال محمد بن عبدالله كنت مع أستاذى أبى بكر رحمه الله فمرّ حدث فنظرت إليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر إليه . فقال يابنىّ لتجدن غبها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى ذلك الغبّ فنمت ليلة وأنا متفكر فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن كله وقائل يقول لى هذا غبّ تلك النظرة

[وقال أبو بكر الكتانى رحمه الله] رأيت بعض أصحابنا فى المنام . فقلت له مافعل الله بك قال عرض علىّ سيئاتى . وقال فعلت كذا وكذا ، فقلت نعم قال : وفعلت كذا وكذا . فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقرّ . فقلت له ما كان ذلك الذنب؟ فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت إليه فأقمت بين يدى الله عز وجل بها سبعين سنة أتصبب عرقا من خجلى منه ثم عفا عنى بفضله . وروى عن أبى عبد الله الزراد أنه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا استحييت أن أقرّ به فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له ما كان ذلك الذنب ؟ قال نظرت إلى شخص جميل ، وقال بعضهم فى النظر وخطراته :

عاتبت قلبى لما رأيت جسمى نحيلا فألزم القلب طرفى وقال كنت الرسولا
فقال طرفى لقلبى بل أنت كنت الدليلا فقلت كفا جميعا تركتمانى قتيلا
وقد أطلت نواحى عليكما والعويلا ومن رضى بالذى لا يحل كان جهولا
يستهون الأمر فيه يراه أمرا مهولا فيفتدى القلب منه جهرا سقيما عليلا
فتب إلى الله مما جنيت تعط القبولا وليس ثم عدو إليك يلقى سبيلا

فيا ابن آدم عيوبك مطلقة فى الحرام ، ولسانك منهمل فى الآثام وجسدك يتعب فى كسب الحطام كم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام ، واعلموا عباد الله أن يوم العيد يوم سعيد يسعد فيه ناس ويشقى فيه عبيد فطوبى لعبد قبلت فيه أعماله والويل لمن عمله عليه مردود وهو يوم يهنأ فيه المقبول ويعزى فيه المطرود فاجتنبوا رحمكم الله فيه قبيح الأعمال ، واسعوا فى مرضاة الملك ذى الجلال

من سبيل) فيجابون (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) فيقولون ألفا (يامالك ليقض علينا ربك) فيجابون (انكم ماكثون) فيقولون ألفا (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك) فيجابون (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) فيقولون ألفا (ربنا أخرجنا نعمل صالحا) فيجابون (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) فيقولون ألفا (رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها) فيجابون (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم لايكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء ، وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ويقال : يا أهل الجنة لاموت ، ويا أهل

عسى ينجيكم من ردىء الأعمال ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان ليلة الفطر سميت ليلة الجائزة . فاذا كانت غداة الفطر يبعث الله تعالى الملائكة فى كل بلد فيهبطون إلى الأرض فيقفون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم ، فاذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تبارك وتعالى ياملائكتى ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره فيقول الله تبارك وتعالى ياملائكتى : أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضاى ومغفرتى فيقول الله تبارك وتعالى سلونى فوعزّتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ماراقبتمونى فوعزّتى وجلالى لاتسألونى اليوم فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وعزّتى وجلالى لأسترن عليكم عيوبكم فلا أخزيكم ولا أفضحكم بين يدى أصحاب الحدود فانصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتمونى ورضيت عنكم فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطى الله تعالى هذه الأمة إذا أفطروا

[اخوانى] ما أحسن حال من خلعت عليه خلع القبول وبلغ غاية مقصوده ونهاية مطلوبه وما أشقى من ردّ عليه ماضى صومه وسالف تعبه ولم يحظ فيما أسلفه إلا بشدة نصبه ، واعجبا كيف يفرح بالعيد مطرود ومهجور . قال وهب بن منبه رضى الله عنه : خرج ثلاثة أحبار الى العيد . فقال أحدهم اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نعتق العبيد فى هذا اليوم ، ونحن عبيدك فاعتق رقابنا من النار ، وقال الآخر : اللهم انك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن لانرد المساكين ونحن مساكينك فلاتردنا ، وقال الآخر : اللهم انك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نعفو عمن ظلمنا ونحن عبيدك قد ظلمنا أنفسنا فاغفرلنا وارحمنا إنك أنت أرحم الراحمين :

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف ... والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى عنهما خلف ... طويل الحنين وعين دمعها يكف
والعيد عودى إلى مولاى أقصده ... وإننى بالخطا والذنب أعترف
لعل يشفع لى ذلى ومسكنتى ... فيه عسى ينجلى ضرى وينكشف
فهو الكريم الذى عمت مواهبه ... فجاءنا من هدايا فضله تحف

المجلس الرابع والعشرون

فى ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

الحمد لله الذى قرّب من اختار من عباده إلى حضرة وداده ، واصطفى واجتبى من أحبابه من صلح لحضرة اقترابه وسقاه من صفو شرابه ماصفا ، ومنّ على من اجتباه من خلقه وجعل منهم أنبياء وأصفياء وأولياء وخلفا ، واختار المختار محمدا صلى الله عليه وسلم وميزه على سائر الخلق قبل أن يكونوا فى الأصلاب نطفا ، فاصطفاه منعما ومتحفا ، وأعطاه بكرمه فخرا وكان له معينا ومردفا ، توسل به آدم إلى ربه فقبل توبته وعفا ، ودعا به نوح فنجاه فى يمه وكان لقومه مغرقا متلفا ، واستجار به الخليل إلى ربه من نار نمروذ ففك عنه القيود وخمد لهيبها وانطفا ، وتوسل به إسمعيل فأغيث بالفدا ، وكان له من الردى معينا ومسعفا ، وسأل به موسى الكليم ، عطف الملك الكريم فعاد عليه متعطفا ، والتمس بركته عيسى فكساه مولاه عقدا نفيسا إذ جاء مبشرا بأحمد المصطفى ، فهو سيد الكونين ، وإمام الثقلين ، ومن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ، إلى قاب قوسين معظما مشرفا ، وكان البراق مركبه وجبريل يحجبه والملائكة ترقبه ويهدى إليه من البشر والهنا طرفا

النار لاموت ، ويزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، وأهل النار حزنا إلى حزنهم » وفى كتاب الترمذى « فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار » فاتق الله يا أخى ولاتصغر ذنبا ولاتلق مثل هذا خلف ظهرك ظنا منك أنه إنما يلحق الكفار ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال « يابلال قم فأذن لايدخل الجنة إلا مؤمن » وأنه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » وقال الغزالى رحمه الله ، وكان شيخنا يقول : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فان الأمر على الخطر ولاتدرى ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك فى حكم

وتحفا ، فلما وصل ركابه إلى المسجد الأقصى وجده الأنبياء مرتصا ، فأمّ بهم وكل منهم دعا له ووصى فقال فى حقه من خصه بالاسراء خصا (سبحان الذى أسرى بعبده ليـــلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فكان ذلك فخرا له وشرفا ، ثم نصب له المعراج إلى السماء فرقى وسما وصار مبجلا مفخما ، موقرا معظما مكرما مؤيدا ، مقدما حاكما متصرفا ، هذا وجبريل فى ركابه لايبغى عنه فى ذهابه حولا ولا تحرفا ، فاستفتح أبواب السماء بالتعظيم والتبجيل ؟ فقيل من معك ياجبريل ، فقال محمد المصطفى ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا ولنعم المجىء جاء متوجا مشرفا فتلقته الملائكة الكرام ، وسلم على الأنبياء بالاحترام فكلّ رحب به وأضحى من بركة بركتـه مغترفا ، فتجاوزهم وسار وقطع الرسوم والآثام ، ولم يبالغ تلبثا ولاتوقفا فسمع صرير الأقلام وتسبيح الأملاك ورأى الجنة والنار ، وما أعد الله فيهما للأبرار والفجار ، فحمد لهيب النار ببركة قدومه وانطفا ، وعطر رضوان فى الجنة قصورا وغرفا ، ثم رفع إلى البيت المعمور ، وعاين الضيـاء والنور ، فرآه يدخله فى كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لايعودون إليه إلى (يوم يعضّ الظالم على يديه) ندما وأسفا فلما وصل به جبريل إلى سدرة المنتهى تأخر عندها ، فقال له الرسول الجليل ياجبريل أهنا يترك الخليل الخليل متخلفا ؟ فقال ياسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، أنت صاحب السرّ المكتوم ، والعلم المرقوم ، ومن ههنا تنطمس الرسوم وتندرس العلوم ، فهذا مقامى المفهوم ، ومامنا إلا له مقام معلوم ، فسر فى مطالع طوالع سعدك مشرّفا ، وارق من أنوار عزّك ومجدك رفرفا رفرفا :

رقى رفرف الأنوار والليل قدصفا وهبّ نسيم الوصل وانتسخ الجفا
وطاب له ذكر الخطاب منادما وراق له ذاك الشراب تلطفـا

فمازال المختار يتجاوز حجب الأنوار ، ويخترق الأستار ، ويرقى رفرفا رفرفا ، إلى أن ذهب الأين واختفى ، وزال البين وانتفى ، وسلك المصطفى صلى الله عليه وسلم حسن الأدب واقتفى وشاهد جمالا مازال بالوحدانية معرفا ، وبالفردانية متصفا ، فوقف موقف الحضور ، وقد ألبس خلع الضياء والنور ، مطرزة بطراز السرور ، مرقومة برقوم الحبور ، وقد وصل حبل الوصل وانتفى الجفا ، فبدأه السلام بالسلام متحفا ، وحباه بالانعام والإكرام تلطفا ، وقال له العلىّ الأعلى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) فسراج نبوّتك يضىء على أمتك إلى يوم القيامة ماوهن ولاانطفا ، فأنت الشاهد وأنا المشاهد ، وقد فزت بأشرف المشاهد ، والشاهد لايكون فى تحقيق شهادته مترددا ولامتوقفا ، فاشهد بما رأيت لتكون للناس بالوحدانية معرفا ولى بالعبودية معترفا ، فقـد أسمعتك كلامى شفاها وجعلته لك شفا ، وأشهدتك جمالى وكنت إليه متشوّفا ، ولذذتك بخطابى فكان لسمعك مشنفا ، وسقيتك من لذيذ شرابى كأسا راق ومن الأكدار قد صفا ، فقل لمن نام عنى وغفا ، وتعوض عن وصلى بالجفا :

ياذا الذى قد نام وهنا أوغفـا ماذا يفوت النائمين من الوفا
قم ياغفولا عن وصال حبيبـه واذر الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التـكلف إنه ماطاب من أضحى هواه تكلفا
لى بالعقيق وبين جرعاء الحمى بدر رشيق القدّ أسمر أهيفا
أعيا عيـــون الناظرين بحسنه وقضى لطرف ناله أن يطرفا
إن يبـد فى ليل ترى بدرا بدا أو ينثنى قلت الحسام المرهفا

الغيب ، ولا تغترّ بصفاء الأوقات فان تحتها غوامض الآفات . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أنه قال هى الموت على غير الشهادة . قال أبو حفص الحداد : المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت ، وقال حاتم الأصم : لاتغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم فيها مالقى ولاتغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى مالقى ، ولاتغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ، ولاتغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم فلم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه ، وقيل لما ظهر على إبليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟

ولقد علمت بأن طه أحمدا ... خير الأنام المجتبى والمصطفى
هو سيد الكونين والنور الذى ... ظهرت شريعتنا به بعد الخفا
وهو المشفع فى القيامة وحده ... فيمن هوى فى النار أو من أشرفا
هو صاحب الخلق العظيم فلا يرى ... إلا صفوحا عاطفا متلطفا
هو صاحب المعراج من أسرى به ... ليلا إلى أسنى مقام أشرفا
ملئت به الآفاق نورا باهرا ... وعلا على متن البراق مشرّفا
كانت ملائكة السما خدما له ... وله جنان الخلد أبدت زخرفا
أوحى إليه الله جل جلاله ... أسراره ولغيره لن تكشفا
ياسيد الكونين جئتك أشتكى ... من جور دهر لى غدا متعسفا
أنوى المسير إليك وهو يصدنى ... والقلب نحوك قد غدا متشوفا
والعمر قد ولى ضياعا حسرة ... وأنا لأجلك قد فنيت تأسفا
فعسى لديك عزيمة نبوية ... لتنيلنى قصدى وعيشا قد صفى
صلى عليك الله ياعلم الهدى ... ماناح قمرى الأراك ورفرفا

[وروى] الطبرى فى كتابه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس وشرح صدره بأمر الملك العلام ، واستخرج قلبه فغسل بماء زمزم الشافى من الآلام ، ثم أعيد مكانه بعد أن حشى إيمانا وحكمة بلطف وسلام ، ثم أسرى به إلى أشرف مقام ، وكان السرّ فى الاسراء به خفيا عن الأفهام ، دقيقا على الأنام ، وذلك أنه لما أنزل عليه قوله تبارك وتعالى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارب أنت شرعت لى أن الشاهد لايشهد إلا بما يرى ، فأوحى الله تعالى اليه أيها السيد نحن نسرى بك إلينا لتشاهد الملكوت الأعلى وتخبر عن العيان بما رأته العينان فى الجنان والنيران . وقيل لما أصعده وأشهده قال له : ياأيها النبى قد شهدت لى فاشهد علىّ ، قال يارب وبم أشهد عليك ؟ قال اشهد على أنه من جاءنى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله غفرت له كل ذنب عمله فى سره وجهره . وقيل كشف الله تعالى له الموانع وأزال له الحجب المعترضة وطوى له الأرض وقرب المسجد الأقصى إليه وأحضره بين يديه ثم قال يا محمد انظر وأخبرهم فكان كلما سألوه عن شىء نظر اليه وقال لهم على العيان والمشاهدة ، والله على كل شىء قدير ، فانقطعوا وأخرسوا ثم قصّ عليهم صعوده من بيت المقدس إلى السماء فلما لزمتهم الحجة بتحقيق الاسراء إلى بيت المقدس من مكة فى ساعة واحدة من الليل ، وبينهما شهر للمسافر المسرع لزمهم الإقرار بصعوده إلى السماء ، لأن من قدر على طىّ الأرض وهى تراب كثيف فهو أقدر على طىّ الفضاء والهواء وهو شىء لطيف . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله سمعنا منك أن عيسى بن مريم كان يمشى على الماء قال نعم ولو أراد لمشى على الهواء ولكن لزم الأدب مع صاحب الاسراء إذ كان ذلك مخصوصا بالمصطفى حين رقى السموات وقطع الفلوات وكشف له ألف حجاب من ظلمة وألف حجاب من نور ، والمشى فى الهواء أعجب من المشى على الماء لأنه ألطف من الماء ، وأيضا فالماء يمشى عليه الأبرار والفجار والمؤمنون والكفار بواسطة خشبة أو لوح أو سفينة ، والهواء لايقدر أحد أن يمشى عليه بشىء من ذلك إلا بعناية ربانية وموهبة إلهية . قال بعض العلماء كان رفيقه جبريل ، والآخذ بركابه ميكائيل ، والغاشية بيد إسرافيل ، والداعى له الرب الجليل ، والمدعو محمدا

فقالا يارب لا نأمن مكرك فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكرى » وعن أبى بكر الوراق رحمه الله تعالى أنه قال : أكثر ماينزع الايمان من العبد عند الموت ، فنظرنا فى الذنوب فلم نجد أنزع للايمان من ظلم العباد :

اقنع فديتك بالقليل ... والزم مقارنة الخمول
واملك هواك مجاهدا ... وتنح عن قال وقيل
فلسوف تسأل يوم يحشـ ... ـرك المليك عن الفتيل
والمرء فى شغل بذا ... ك عن المصاحب والجليل
لابد تجزى ماصنعـ ... ـت من الدقيق وبالجليل
نح ما استطعت على ذنو ... بك بالغدو وبالأصيل
إن كنت ترغب فى الجنا ... ن وظل مولاك الظليل

[قال فى إكمال المعلم] اعلم أن الاجماع قد وقع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم ولايثابون عليها بتخفيف عذاب ولا بنعيم ، لكنهم باضافة بعضهم إلى الكفر كبائر المعاصى ، وأعمال

المصطفى الرسول الجميل ، وموضع الدعوة قاب قوسين أوأدنى ، والخلعة الشفاعة فى العصاة من أمته ولذلك قال الله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

يكفيه فخرا بأن الله فضله ... على السماء وما فيها من الزمر
وكم له دون خلق الله معجزة ... تتلى على الناس فى الآيات والسور
وليلة الوصل كم فى طيها عجب ... فاسمع لها سيرة من أعجب السير
كانت على غير وعد من زيارته ... وأطيب الوصل وصل غير منتظر
أوحى إليه الذى أوحى فلا أحد ... يدرى الحقيقة من أنثى ومن ذكر
أعطاه فوق الذى يرضى وخصصه ... بالقرب والفوز والاقبال والظفر
وعطر الكون والآفاق أجمعها ... بطيب نفحة ريا نشره العطر

[وذكر الشيخ الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى بعض كتبه] أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى جبريل عليه السلام : أن قف على أقدام عبوديتى ، واعترف بعزّ ربوبيتى ، وامرح فى ميدان شكرى ، واعرف عظم شأنى وقدرتى ، هاقد مننت عليك ، فاسمع ما أوحيه إليك ، فقال : إلهى أنت اللطيف ، وأنا الضعيف ، وأنت المقتدر ، وأنا المفتقر ، فقال الله تعالى ياجبريل خذ علم الهداية ، وبراق العناية ، وخلعة القبول والولاية ، ولباس الرسالة ، ومنطقة الجلالة ، وانزل مع سبعين ألف ملك إلى باب شفيع الأمم ، سيد العرب والعجم ، الموصوف بالفضل والكرم ، فقف ببابه ولذ بجنابه فأنت الليلة صاحب ركابه ، وياميكائيل خذ بيدك علم القبول . وانزل فى سبعين ألف ملك إلى باب حجرة الرسول . فأنت الليلة صاحب غاشيته والمندوب إلى خدمته . ويا إسرافيل وياعزرائيل افعلا كما فعل جبرائيل وميكائيل . فكونوا الليلة مطرقين بين يدى سيد الأوّلين والآخرين . وياجبريل زد من ضوء الشمس على نور القمر . ومن نور القمر على نور الكواكب . واجعلهما شمعتين بين يدى سيد الكونين . فقال : إلهى قرب قيام الساعة ؟ قال : ولكن حبيب أريد أن أقربه وأطلعه على الأسرار . وأخلع عليه خلعة الضياء والأنوار . وهو محمد المصطفى المخصوص بالصدق والوفا . فانزل إليه . وقبل الأرض بين يديه . وكن له فى هذه الليلة خادما . ولركابه ملازما ، فنزل إليه جبريل بالبشر والتهانى ، وهو راقد فى بيت أم هانى . فناداه يا أيها النبى المختار . قم إلى حضرة الكريم الغفار . فان الملائكة لك فى الانتظار . فقام على أقدام الأشواق ، فأركبه جبريل البراق فركبه وساق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وقطع سفرا لايحدّ ولايحصى وسارت الملائكة بين يديه . وأكثروا من الصلاة والسلام عليه . ونادوه أيها السيد الكريم والرسول العظيم التفت بنظرك إلينا . وتفضل بحسن عطفك علينا . فقال . من نقل قدما إلى غير المحبوب تعب . ومن خطا خطوة لغير المطلوب نصب . ومن وصل إلى هذا المقام الأعلى . كيف يلتفت إلى غير المولى ؟ فلما صحت عزائم إرادته . واشتغل بالخالق عن سائر مخلوقاته . أذعن لسان شكره وماونى . وقال إن أنا أفرطت فى خدمته فمن أنا . فلما اتصف بصفات الأدب والتعليم . أدناه إلى مراتب التعظيم فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى :

هنيئا له لما تملى بنوره ... وفاز من الرضوان بالمنزل الأسنى ... ترقى به الروح الأمين إلى العلا
فأودعه سرّا وقد فهم المعنى ... وأحضره المولى بحضرة قدسه ... فياحبذا المولى وياحبذا المغنى
فشاهد معنى لايحدّ لواصف ... وأدناه منه قاب قوسين أو أدنى ... فكم لك عند الله ياخير مرسل
مناقب فضل لاتبيد ولاتفنى ... وقال له ها قد منحتك رؤيتى ... فمن نال منى نظرة فقد استغنى

الشرّ وأذى المؤمنين يزدادون عذابا كما قال الله تعالى (ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين) فليس إذا عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل . وذكر عند الحسن أن آخر من يخرج من النار يقال له هناد عذب ألف عام ينادى يامنان فبكى الحسن وقال ليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم أليس يوما يخرج ، ولا شك أنه رحمه الله كان عالما بأحكام الآخرة . قال يحيى ابن معاذ : لا ندرى أى المصيبتين أعظم أفوت الجنان أم دخول النيران ؟ أما الجنة فلاصبر عنها وأما النيران فلا صبر عليها ، وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هى الخلود إذ أىّ قلب يحتمله وأىّ نفس تصبر عليه ؟

ثم نو ى يامحمد أنت الليلة ضيفنا وقد جئت إلى حضرتنا وتمتعت بقربنا فما ضيافتك وما الذى تريد ؟ فقال : إلهى كل ماجدت به على الأنبياء قبلى خلع مستعملة لاأريدها : قيل له فما الذى يرضيك أيها الحبيب وما الذى نفسك به تطيب ؟ فقال له بلسان حاله عند تحقيق آماله : ياذا الكرم والجود أنت أعلم بالمطلوب والمقصود ، فقيل له : أيها السيد المشفع الشافع ، وان كنت تريد خلعة لم يصل اليها واصل ولم يطمع فيها طامع ولاطرق ذكرها سمع سامع فدونك فادخل خزائن كرمنا وتحكم فى ملابس فضلنا ونعمنا فكانت خلعته (مازاغ البصر وما طغى) طرازها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) توّج بتاج (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قيل يامحمد أتدرى أين أنت وفى أىّ مقام ؟ فقال أنت أعلم وأنت العلام ، قال : مارأى مقامك هذا أحد من الأنام تقلتك من منزل إلى منزل ومن عالم إلى عالم ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق فى ملكوت السموات والأرض عجيبة إلا أطلعتك عليها ولامنحة غريبة إلا أوصلتك اليها :

تعالى الله عن قرب وبعد ... وعن قدر يقدر بالمكان وجلّ بعزّه عن كل وصف
يقدر فى العقول وفى العيان ... فلا الألحاظ تدركه تعالى ولا الألفاظ منا والمعانى
فهـذا كله فى الله يفنى ... وجل عن التباعد والتدانى

فلما حضر فى الحضرة الأزلية وشرب بكاسات الصمدية أنارت بطلعته الكائنات وبشرته ببلوغ قصده ملائكة السموات فنودى ولم ير أحدا : الله حافظك ومولاك فاشكره على ما أولاك قال فألهمت قول : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . فأجبت : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأشركت إخوانى من الأنبياء وأمتى فيما خصصت به من الفضل الوافر والثواب الباهر ، فأجابت الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . ثم نوديت : ادن يامحمد فدنوت قيل دنا محمد بالمعرفة فتقرب إلى الرب بالمحبة (ثم دنا فتدلى) دنا محمد بحبه فتدلى عليه الوحى من ربه دنوّ رحمة ولطافة لادنوّ قطع مسافة بل ذهب الأين من البين والمغنى (فكان قاب قوسين أو أدنى) فانتفى المكان والزمان وكان معه حيث لاجهة ولا مكان ولا وقت ولا زمان ولا حين ولا أوان ولا أفلاك ولا أكوان :

كان من قبل أن يكون مكان ... وأوان وقبل كل زمان
أول آخر سميع بصير ... وفرد منزه عن ثان
بالنبى الكريم أسرى اليه ... سيد الرسل من بنى عدنان
ثم أدناه قاب قوسين منه ... ثم أوتى الكتاب بالتبيان
ثم أوحى اليه أسرار علم ... باهرات بأوضح البرهان

فلما رجع المختار من سفر الأسرار بالإسراء قد عمه الفرح والاستبشار والغبطة والسرور وقدتم له السعد والحبور اعترضه صاحب الطور موسى الكليم فقال له يا أيها النبى الكريم ماذا افترض ربك على أمتك من الصلوات ، ياسيد الكائنات ؟ فقال خمسين صلاة فى اليوم والليلة فقال ياسيد الأنام عد إلى ربك فاسأله لهم التخفيف فان فيهم العاجز والضعيف ، فلم يزل يردّده موسى عليه السلام حتى جعلها خمس صلوات على الدوام :

وإنما السر فى موسى يردده ... ليجتلى حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا ... لله درّ رسول حين أرصده

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتمنى وخلا بمشاهدة مولاه وتهنى ، قيل له تمنّ

﴿ فصل : فى الجنة وما لأهلها من النعيم ﴾

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ـ والسابقون) أى إلى الهجرة أو الخير (السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين على سرر موضونة) أى منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر (متكئين عليها متقابلين) وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) لايشيبون ولايتغيرون (بأكواب) جمع كوب : إناء لاعروة ولاخرطوم له (وأباريق وكأس من معين . لايصدعون عنها ولا ينزفون) أى لاينشأ عنها صداعهم ولاذهاب عقلهم (وفاكهة مما يتخيرون ولحم

واطلب ماتريد منا ، فقد أبحنا لك الطلب وبلوغ المرام ، فقال أريد أن يصيب أمتى من تشريف خلعتى لينالهم من مواهب رحمتى جزيل الإنعام ، قيل له . ياسيد الكائنات ، ويامن تشرفت بوطء أقدامه الأرض والسموات ، قد خلعنا عليهم خمس خلع ، وقد أشرق كوكب سعدهم من أفق مجدهم وطلع وهنّ الخمس صلوات ، التى يرتاحون إليها فى الخلوات . فقال : وماصفة هذه الخلع ، وما أسماؤها التى ظهر على الآفاق نورها وسطع ؟ فقيل له اجلس على مراتب التقريب ، يا أيها الحبيب . فهاهى تزفّ بين يديك ، وتجلى عليك ، فأول عروس جليت عليه عروس مشرقة الأنوار عالية المقدار ، قد فاح عطرها فى الأقطار ، ولاح نورها لذوى العقول والأبصار ، فنودى عند ذلك : يامن أمن بوصلنا من الصدود والهجر ، وحصل لأمته ببركته جزيل الثواب والأجر ، تسمى هذه الخلعة صلاة الفجر . ثم جليت عليه عروس فى حلل البياض ، وقد أمن من الصدود والإعراض ، فنودى عند ذلك يا صاحب المناقب الزهر ، ومن فضلت أمته على سائر الأمم بالصلاة والطهر ، تسمى هذه الخلعة صلاة الظهر . ثم جليت عليه عروس فى حلل النور الباهر . وقد أشرق الكون بنور وجهه الزاهر فنودى عند ذلك يامن ليس لصفاته حدّ ولاحصر . ومن قلد بسيف القهر والنصر . تسمى هذه الخلعة صلاة العصر . ثم جليت عليه عروس فى حلل الكمال . وقد بلغ جميع المقاصد والآمال فنودى عند ذلك يا أشرف من هذب ، وأفضل من أدنى وقرب تسمى هذه الخلعة صلاة المغرب . ثم جليت عليه عروس فى حلل الوفا وقد نال عزا وشرفا وبلغ نهاية الاجتباء والاصطفا فنودى عند ذلك ياأحسن من نشا وأفضل من هرول ومشى تسمى هذه الخلعة صلاة العشا ، فهذه خمس صلوات فى التكليف وخمسون بالأجر والتضعيف وقد زدتك ياصاحب الحوض والكوثر أنى لا أقبل ذكر من ذكرنى حتى تذكر . فلما جليت عليه خلع الصلوات وعرائس الصلات ناداه منادى القبول طوبى لمن حافظ عليها وفاز ببلوغ المقصود والمأمول فقل لمن لم يجد من أسر هواه خلاصا ولا فكاكا ولا وجد له سبيلا ولاحراكا ابك على نفسك بدمع الأسف على ماسلف وان لم تبك فتباكى :

يا غاديا نحو الحبيب عساكا ... تقرا السلام إذا وصلت هناكا
وعساك تجرى ذكر مثلى عنده ... فهو الشفاء لدائنا ولداكا
وقل السلام عليك ياخير الورى ... من شيق طول المدى يهواكا
أنت الذى لولاك ماسرت الصبا ... كلا ولا عرف الهدى لولاكا
لولاك ماغفرت لآدم زلة ... لما النجا فى وقته لحماكا
لولاك مارفعت ليونس رتبة ... لما نجا من حوته بهداكا
لولاك ماكان ابن عمران ارتقى ... طور الخطاب ونال من نجواكا
ولقد سريت إلى المهيمن ليلة ... والله ما أحد سرى مسراكا
بالجسم كان سراك لاعن ريبة ... وتحكمت فى ملكه عيناكا
وطلبت تخلع نعل رجلك هيبة ... فأتى الندا لاتخلعن نعلاكا
ورقيت تخترق السموات العلا ... متوصلا حتى بلغت منا كا
ناداك جبريل الأمين مخاطبا ... لك بالكرامة عن رضا مولاكا
إن كان آدم صفوة من خلقه ... فقد اصطفاك لحبه وهداكا
أو كان نوح قد نجا بسفينة ... فمن العدا فى الغار قد نجاكا
أو كان ابراهيم أعطى خلة ... فقد اجتباك الله إذ نادا كا

طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المصون عما يضرّ به . (جزاء بما كانوا يعملون . لايسمعون فيها لغوا) عبثا باطلا (ولا تأثيما) أى مايوقع فى الإثم (إلا قيلا سلاما سلاما) أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض . (وأصحاب اليمين. ما أصحاب اليمين) هم الأبرار دون المقرّبين (فى سدر مخضود) أى لاشوك له أو مثنى الغصن من كثرة الحمل (وطلح) موز (منضود) متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه (وظل ممدود) أى منبسط أو دائم وفى الحديث « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام مايقطعها» (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير أخدود (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة) فى زمان (ولا ممنوعة) من أحد (وفرش مرفوعة) كما بين السماء والأرض (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة (لسعيها) فى الدنيا (راضية)

أوكان إسمعيل جاء له الفدا من ربه فكما فداه فداكا
أوكان موسى للإله مناجيا فبليلة المعراج قد ناجاكا
أوكان عيسى نال قبلك رتبة فمراتب المجموع قد أعطاكا
قد نلت بالمعراج كل فضيلة ورأيت رحمن السما ورآكا
فعليك ياخير الأنام تحيـــة تأتيك بالإقبال من مولاكا

فلما رجع من معراجه ومرقاه ، وقد أشرق الكون بنوره وسناه ، وتعطر الوجود بطيب نشره وشذاه ، تحدث بما أولاه مولاه من الفضل والجاه ، وخصه به من الشرف واصطفاه ، فصدقه الصديق وبشره وهناه ، ولم يشق فيما نقله ورواه ، واطلع عليه ورآه :

حبيب سرى وهنا فيا طيب مسراه وقد فاحت الاكوان من طيب رياه
وخادمه جبريل عند ركابه على متن ظهر للبراق ترقاه
وصلى بجمع الأنبيـــاء وكلهم لرتبته العلياء حنّ للقياه
فلما علا السبع الطباق تحفه ملائكة الرحمن والنور يغشاه
تجاوز حدا لايحد لواصف ولاحاسب فى عده قط أحصاه
وفارقه جبريل عند مقامه وقال له هـذا الحبيب ومولاه
هناك تجلى للحبيب مشاهدا بلا كيف لكن حيث شاء تلقاه
فأدهشه ذاك الجمال فلم يطق جوابا فنودى بالسلام فحيـاه
وأدناه منه قاب قوسين إذ دنا وناداه ياخير الأنام أنا الله
منحتك فانظر هـذه ليلة الرضا فهل لى كما ظن المشبه أشباه
فبلغ وقل إن كنت عنى محدّثا رأيت حبيبا ليس يعبد إلا هو
يجود على العاصى ويستر أهله ويعفو عن الذنب الذى ليس يرضاه
بجاهك ياخير الأنام تشفعوا فحط عن المحزون منهم خطاياه
عليك سلام الله ياخير مرسل سلام شريف فى الحقيقة ترضاه

فسبحان من خص هذا الحبيب بخلع التشريف والتقريب ، وجعله قبلة للطاعة وكعبة للشفاعة من النار واللهيب ، ووعد من صلى عليه باجابة دعائه وانشراح صدره الرحيب ، فقال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب) اللهم بجاهه العظيم وبما كان بينك وبينه ليلة الخلوة والجلوة والتقريب والتكريم ، اغفر لنا كل ذنب عظيم ، وألبسنا ملابس القبول ، وبلغنا نهاية المسئول وجميع المأمول ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المجلس الخامس والعشرون

فى حكايات الصالحين ومافيها من الرقائق والاعتماد على الخالق

فمن ذلك ماقال محمد بن السماك الواعظ رحمه الله : وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت ، وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصا بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ردّا ضعيفا ، ثم قال من أنت ؟ فقلت محمد بن السماك قال الواعظ قلت نعم فألقى الخوص من يده وقال يا ابن السماك ان الوعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل فاعرض على شيئا من وعظك فقلت له ياشيخ

فى الآخرة لما رأت من ثوابها (فى جنة عالية) المحل أو القدر (لاتسمع فيها لاغية) لغوا (فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك إذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترتفع (وأكواب موضوعة) بين أيديهم (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها بجنب بعض (وزرابىّ) بسط فاخرة (مبثوثة) مبسوطة وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر . واقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين) » قال أهل اللغة قرّة أعين : يعبر بها عن المسرة ورؤية مايحب الانسان ويوافقه وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لشجرة يسير

أما تخشى أن تكون خطيئتك لاتنسى وذنبك لا يمحى ، ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربة وأنكال ، فأولها ظلمة القبر ، ثم ظلمة النشر ، ثم ظلمة الحشر ، ثم ظلمة الصراط . ثم وزن الأعمال ، ثم قطع الآمال ، ثم سطوة الملك المتعال . فبكى بكاء شديدا . وقال لى يا ابن السماك وما بعد ذلك ؟ قلت حمل الأوزار والورود على النار ، وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار ، فصاح صيحة عظيمة ثم سقط فى قبره فخرجت إليه عجوز كبيرة وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول بأبى وأمى هاتان العينان طالما سهرتا فى طاعة الله ، وطالما بكتا من خشية الله . ثم حركناه فاذا به قد مات فخرجت من المنزل فاذا أنا بسرى السقطى وإبراهيم بن أدهم والجنيد وجماعة من وجوه العباد فقالوا لى مات أبو يزيد الحوّاص ؟ قلت نعم فدللتهم على المنزل فدخلوا ليخرجوه من قبره ويغسلوه ويكفنوه فوجدوه مغسلا مكفنا مطيبا فصلى عليه المسلمون ، ثم رجعت إلى منزلى وقد صغرت عندى نفسى .

إلى كم ذا التراخى والتمادى ... وحادى الموت بالأرواح حادى
فلو كنا جمادا لاتعظنا ... ولكنا أشد من الجماد
تنادينا المنية كل وقت ... وما نصغى إلى قول المنادى
وأنفاس النفوس إلى انتقاص ... ولكن الذنوب إلى ازدياد
إذا ما الزرع قارنه اصفرار ... فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى ... وبالأخرى مناديها ينادى
وقالوا قد قضى فاقروا عليه ... سلامكمو لى يوم التناد

[قال عبد الله بن واسان رحمة الله تعالى عليه] عبرت يوما فى أزقة البصرة فوجدت صبيا يبكى وينتحب فقلت له ياولدى ما الذى يبكيك ؟ فقال خوفا من النار فقلت ياولدى أنت صغير السن وتخاف من النار . فقال ياعمّ نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار . فقلت لها يا أماه لم تقدمين الصغار قبل الكبار ؟ فقالت ياولدى ماتشعل الكبار إلا بالصغار فهذا الذى أبكانى وهيج لوعتى وأحزانى فقلت له ياولدى هل لك فى صحبتى فتتعلم ماينفعك ؟ فقال على شرط إن قبلته فانى أصحبك وأتبعك . قلت وماهو ؟ قال إن جعت تطعمنى ، وان عطشت تسقينى ، وان زللت تغفر لى وإن مت تحيينى . فقلت له ياولدى لا أقدر على ذلك كله . فقال ياعمّ دعنى فانى على باب من يقدر على ذلك كله :

منك أرجو ولست أعرف ربا ... أرتجى منه بعض مامنك أرجو
وإذا اشتدت الشدائد فى الأر ... ض على الخلق فاستغاثوا وضجوا
وابتليت العباد بالخوف والجو ... ع فصروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لى سواك ربى ملاذ ... وتيقنت أننى بك أنجو

قيل لما بلغ سفيان الثورى رضى الله عنه من العمر خمس عشرة سنة قال لأمه يا أماه هبينى لله تعالى فقالت ياولدى إنما يهدى للملوك من يصلح لهم . وأنت مافيك شىء يصلح لله فاستحيا ودخل بيتا فأقام فيه خمس سنين متوجها إلى الله تعالى بالعبادة فدخلت عليه أمه بعد ذلك فوجدته مجتهدا فى العبادة وعليه آثار السعادة فقبلت بين عينيه وقالت ياولدى الآن قد وهبتك لله فخرج عنها وغاب عشر سنين فى سياحته متلذذا بعبادته فاشتاق إلى أمه فزارها ليلا فلما طرق الباب نادته من وراء الحجاب ياسفيان من وهب لله شيئا فلا يعود فيه وأنا قد وهبتك إليه فلا أراك إلا بين يديه :

ولا

الراكب فى ظلها مائة سنة اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وفى كتاب الترمذى « مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة قال « قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء ، قلنا الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبؤس ويخلد ولا يموت ولايفنى شبابهم ولاتبلى ثيابهم » وفى صحيح مسلم قال : « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين

ولا تحسبوا أنى نسيت وداد كم ... وإنى وإن طال المدى لست أنساكم
حفظنا لكم عهدا قديما وحرمة ... ونحن على العهد الذى قد عهدناكم
ونحن على ماتعهدون من الوفا ... يود كمو قلبى وبالغيب يرعاكم
ولست بناس عهدكم بعد بعدكم ... ومادام قلبى عندكم كيف ينساكم

[قال منصور بن عمار رحمه الله] تكلمت فى بعض مدائن العراق بكلام يذوب منه الجماد وتنفطر منه الأكباد ، فلم يجر لأحد فى مجلسى دمعة ولا كأن كلامى طرق سمعه ، فبينا أنا أحدو نياق القلوب وأسوق الأرواح إلى حضرة المحبوب إذا أنا بشاب حسن الثياب قد قام فى المجلس وصرخ ثم جلس وزعق فزلزل بصرخته أركان الأفكار وخلا فى سره بجمال الغفار فنزلت عن منبرى ثم امتهلت حتى أفاق من سكر غرامه وصحا من راح هيامه ، ثم تقدمت إليه وقلت له سيدى إلى أين وصلت خيل طربك ، فقال وصلت خيل طربى إلى بلوغ طلبى ، قلت وبماذا اتصلت ؟ قال براحتى بعد تعبى ، قلت وعلى ماذا حصلت ؟ قال على كنز مقصودى ومطلبى . قلت فهل مررت على حضرة القرب قال نعم ومنها كان مشربى . قلت فهل شاهدت رجال الوقار ، وخلعت معهم العذار . فقال يا ابن عمار وهل خلع العذار إلا مذهبى . قلت فكيف تحيلت حتى إلى الدخول توصلت . قال وقفت بالباب ولزمت أدبى فنظر الساقى الباقى إلى فرط أشواقى فرحمنى ولطف بى وفتح لى الباب ورفع لى الحجاب وناداني تملّ بمشاهدتى عند رفع حجبى ، ثم أنشأ يقول :

إن كنت من أهل عصبة الطلب ... بادر الى شرب خمرة الطرب
وقم إلى نحوها لعلك أن ... تحصل من صرفها على الأرب
راح على أربع العناصر قد ... سمت إلى أن علت على الرتب
رقت وراقت وروقت وصفت ... وقدّست نسبة عن العنب

[قيل] إن أبا القاسم الجنيد رحمة الله عليه حج هو وجماعة من الفقراء الصوفية فانقطع عنهم الماء أياما حتى أشرفوا على الهلاك وكانوا تحت جبل . فقال لأحدهم خذ هذه الركوة واصعد إلى ذروة هذا الجبل فخذ لنا ترابا طيبا طاهرا حتى نتيمم به فقد حان وقت الصلاة فأخذ المريد الركوة وصعد إلى الجبل فجعل يأخذ التراب ويجعله فى الركوة وإذا بصوت يناديه فالتفت فاذا هو راهب فى دير يناديه ماتصنع بهذا التراب . فقال نحن مسلمون محمديون إذا عدمنا الماء تيممنا بالتراب فقال عندى بئر عذب شراب خذ منها واشرب وتوضأ فقال المريد نحن جماعة تحت الجبل فقال انزل إليهم واعرض ذلك عليهم فنزل إلى الجنيد فأعلمه بذلك فقال اصعد إليه وقل له نحن فى سبعين مرقعة أتحملنا فصعد إليه وقال له ذلك فقال أحملهم ولو كانوا ألفا إكراما لمحمد وأمته فانى أحبهم فنزل المريد إلى الجنيد وأخبره بقول الراهب فصعد هو والجماعة وفتح لهم الراهب باب الدير فوجدوا بئرا منقورة وفيها ماء عذب طيب فاستقوا منها وشربوا وتوضئوا وصلوا فلما فرغوا قدّم لهم الراهب صحفا على عددهم فيها أنواع الطعام فأكلوا وقدّم لهم الطست والإبريق فغسلوا أيديهم وطيبهم بالماورد والمسك فلما استقروا سألهم هل فيكم من يقرأ شيئا من القرآن على حسب الحال فأمر الجنيد بعض مريديه فاستفتح وقرأ (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فصرخ الراهب وقال اصطلحنا ورب الكعبة فلما أتمّ القارئ قراءته سألهم وأقسم عليهم هل فيكم من يحسن أن يقول شيئا فانى أحب السماع فأشار الجنيد إلى بعض المريدين فأنشد :

أقام على الإبعاد حينا من الدهر ... فعرفه كيف الطريق إلى العذر

يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لايسقمون ولايبولون ولا يتغوطون ولايتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوّة وأزواجهم الحور العين ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء » وفيه قال « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولايتفلون ولا يبولون ولايتغوطون ولايمتخطون قالوا : فما بال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس » وفى الصحيحين قال « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرىّ الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل مابينهم قالوا يارسول الله : تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى

وأشفق أن يبقى على حالة الجفا فيغرق فى بحر الصدود ولا يدرى
لأن جراحات الجناة بالوفا وان برئت لاينمحى موضع الأثر

فبكى الراهب طويلا ثم قال زيادة فأنشد له ثانيا :

لبيك يامن فى القديم دعانى وإليه باللطف الخفى هدانى

فصرخ الراهب . وقال لبيك سيدى لبيك وها أنت قد دعوتنى إليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقطع الزنار وخلع ما كان عليه فألبسه الجنيد دلقه وفرح باسلامه هو والجماعة وخلاص عنقه من النار ثم أخرج لهم ألف دينار كانت مذخورة عنده ثم ترك الدير ومافيه وساح على وجهه هائما لايدرون أين ذهب فلما وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى ودخلوا الحرم فطافوا واجتمعوا وإذا شخص متعلق باستار الكعبة وهو يقول : سيدى بكشفك حجابك لى حتى شهدتك وباستدعائك لى حتى أجبتك فيامن عرفنى به فعرفته هب لى من الحجيج من لاقبلته . فقال الجنيد لبعض مريديه انظروا من القائل لهذا الكلام فمضى إليه فوجده الراهب . فقال له ياهذا اذهب إلى الجنيد وأقرئه منى السلام وقل له إنى لما فتحت لكم المقام وبذلت لكم الطعام نادانى الملك العلام إلى الإسلام وخلع علىّ خلعة الإكرام حتى لبست ثياب الاحرام ودخلت البلد الحرام ولى عنده حرمة وذمام فعاد المريد إلى الجنيد فأخبره بذلك فقام إليه وضمه وقبل بين عينيه وقال له حبيبى كيف رأيت لذة الوصول إليه فقال ياسيدى لما هجرت الطلول وتبعت القفول هبت علىّ نسمات القبول ففتح لى مولاى باب الوصول فحصلت على المحصول وبلغت القصد والسول ثم صاح وسقط إلى الأرض فحركناه فإذا به قد مات .

هذه والله الجذبات الربانية ، وهذه أمارات الاخلاص فى الوحدانية :

غلب الغرام عليه حتى إنه ساوى هواه ليله بنهاره
وسطا عليه السكر حتى قد غدا متهتكا فى الحب بعد وقاره
ولهان بين معنف ومؤنف فرحان من طرب بخلع عذاره
أضحى بخمرة حبه متمايلا بخماره شوقا إلى خماره
وكليم شوق كم له من زورة يرجو شفا أوزاره بمزاره
فى طور طور القلب حاول نظرة فقضى الهوى بالبعد عن أوطاره
لاعار للمضطر أن يبدى الجوى ويبث مايلقاه من أضراره

[قال بعض العارفين] رأيت غلاما قد افترش الرماد وهو يتمرغ عليه ويئنّ أنينا شديدا فقلت لصاحبى اعدل بنا إلى هذا العليل نعوده فقال ليس هذا عليلا ولكنه من المحبين يدعى بعبيد المجنون قال فتقدمت إليه فاذا هو فتى وعليه جبة صوف بالية وهو يقول سيدى عجبا لمن وصل إلى معرفتك وذاق حلاوة محبتك كيف ينقطع عن خدمتك ثم لم يزل يردد ذلك القول حتى غشى عليه فقلت لصاحبى إنما المجنون والله من لم يصل إلى هذه المنزلة فلما أفاق من غشيته نظر إلينا وقال مابالكم تنظرون إلىّ ؟ قلنا لعل داوء يشفى من الداء الذى نجده . فقال ان الذى ابتلى بالداء عنده الدواء ولكن يطلب الذى يتداوى أن يحتمى أولا فقلت بماذا . قال بترك الحرام وعدم التعرض للآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام وأخذ القليل من البلغة والصبر على البلا فى حال السخط والرضا والتعفف والقناعة عند وجدان الاستطاعة والاستعداد للموت وإعداد الجواب لمسئلة منكر ونكير والوقوف بين يدى الملك الجليل القدير ثم إما إلى الجنة وإما إلى السعير

بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفى مسند البزار عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجىء مشويا بين يديك » وفى كتاب الترمذى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها . فقام اليه أعرابى فقال : لمن هى يارسول الله ؟ فقال هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » وفى كتاب الترمذى عن سعد ابن أبى وقاص عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « لو أن مايقلّ ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له مابين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وفى كتاب الترمذى رضى الله عنه عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم بكى حتى علا بكاؤه وبكينا معه ، وقلنا له نحن أضياقك فادع لنا . فقال : لست من خيل هذا الميدان ، فأقسمنا عليه فقال : جعل الله قراكم الجنة ، وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال . قال فانصرفنا عنه وقد عاشت قلوبنا من حسن لفظه وموعظته ، وارتاحت النفوس لعذب كلامه ومحبته .

[إخوانى] هذه أحوال المجانين ، فأين عقلك أنت أيها الكئيب الحزين المسكين ؟ :

يامن بديع جماله الفتان ... يسبى عقول أعزة الفتيان
لولا وصالك لى لما علق الهوى ... بحشاشتى وثنى إليك عنانى
لاحظتنى نظرا تضمن جملتى ... فعجبت من داعيك حين دعانى
يانظرة أهدت لسرّ سرائرى ... شوقا فلم ينظر إلى إنسان
فتراسلت أسرارنا وتجوهرت ... أرواحنا وسرت عن الجثمان
مالى وللبرق الخفىّ يهيجنى ... وجدا وإن سجع الحمام شجانى
لولاك ماهزّ الغرام معاطفى ... طربا ولا أصبو إلى الألحان
أشتاقه لاعن مسافة بيننا ... لكن يحنّ إلى لقاه جنانى
ماقلت آه تألما من وجده ... لكن لفرط لذاذة الوجدان

[قيل] جلس عبد الله بن مشرف وزير هرون الرشيد بين يديه ، فقال ياأمير المؤمنين لو استغاث بك رجل فى ردّ عبد له هرب إليك أما كنت ترده إليه ؟ قال بلى . قال فأنا عبد قد فررت إلى خدمة سيدى فاتركنى له فقد أردت الرجوع إليه . فبكى الرشيد ومن حضره ، وقال : هذا رجل قد نجا من بيننا ، ونحن جلوس ننظر إليه ، ثم خلى سبيله فخرج من وقته محرما يقول : لبيك اللهم لبيك . فلقيه سفيان الثورى فى بعض الطريق وهو نائم على الأرض والريح ترفع التراب على وجهه فسلم عليه وقال ياعبد الله ما الذى عوضك الله عما تركت ؟ فقال ياسفيان عوضنى الرضا بما أنا فيه . فلما بلغ شيوخ الحرم قدومه خرجوا للسلام عليه ؛ فرأوا شعثه وجهده ، فقالوا له : كيف رأيت جهدك وصبرك على قطع المفاوز ؟ فقال : وكيف يأتى العبد المجرم إذا قاد نفسه إلى باب مولاه لو قدرت جئت أسعى على رأسى . ثم أخذ فى البكاء ، فقيل له وماهذا البكاء ؟ فقال : شفيع قدمته لعله يقبل . فلما وقع بصره على البيت شهق شهقة ومات ، رحمه الله تعالى :

جنونى بكم حلم وغيى بكم رشد ... وحبّ الورى هزل وحبى لكم جد
رضيت بما ألقاه فى السخط والرضا ... ولو كان سما فهو من أجلكم شهد
وحقكمو ماسرنى من سواكمو ... دنوّ ولا من غيركم ساءنى بعد
وما سمحت بالصبر عنكم حشاشتى ... ولا بخلت بالدمع أجفانى الرمد
وإنى لأهوى الشوق حتى كأنما ... على كبدى من حر نيرانكم وقد
وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم ... وأسأل عنكم من يروح ومن يغدو
فحنوا وجودوا وارحموا وتعطفوا ... وكونوا كما شئتم فما منكمو بد

[قال محمد بن السماك رحمة الله عليه] وصف لى عابد فى بعض جبال الشام فسرت إليه وسلمت عليه فرد علىّ السلام ، وقال لى يا ابن السماك من أوردك إلى هذا المكان ؟ قلت : سمعت بك فجئت أزورك ، فقال غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى من غيرى . فالعاقل يا ابن السماك من يجتهد فى الخلاص والفكاك قبل الهلاك . فلما سمعت كلامه بكيت . فلما عزمت على الانصراف قلت : هل لك من حاجة ؟ قال : من جلس فى هذا المكان لم يبق له حاجة إلى إنسان . ثم قال يا ابن السماك هل لك أنت من حاجة ؟

«إن فى الجنة لسوقا مجتمعا مافيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها» وفى كتاب الترمذى عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلا قال يارسول الله هل فى الجنة من خيل؟ قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت إلا حملت ، وسأله رجل فقال يارسول الله هل فى الجنة من إبل ؟ فقال : إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » . وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردّون بنى ثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار ، وقال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضىء مابين المشرق والمغرب » . وفى كتاب الترمذى . قال صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة

فقلت له : سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ، ماالذى تحب من الدنيا والآخرة ؟ فبكى وقال : والله لولا أقسمت علىّ ما أخبرتك . فأما الذى أحبه من الدنيا فقوة على الطاعة ، وزهد وقناعة ، ونفس بعيدة عن الهوى ، وقلب حشوه الخوف والجوى . وأما الذى أحبه من الآخرة فسماعى من سيدى : اذهب فقد غفرت لك . ثم تأوّه ووقع على الأرض ميتا فبهت من حاله وحرت فى أمره وهممت بغسله وتجهيزه فسمعت هاتفا من خلفى يقول : يا ابن السماك هون عليك فليس أمره إليك ثم غيب عنى فسمعت صب الماء عليه وأنا لا أنظر إليه وسمعت قائلا يقول هنيئا لك أيها الولىّ المحبور بالأمن من الخوف يوم النشور :

لما رأيتك حاضرا ... فى القلب زاد بى الخمار ... فبقيت فيك محيرا ... والقلب ليس له قرار

ياصاح هات مدامتى ... صرفا فما عنها اصطبار ... لطفت فلما ذاقها الأحباب نحو الحب طاروا

بذلوا إليه نفوسهم ... كلا وما فى الموت عار ... وإليه فى بحر الهوى ... ركبوا وبالأرواح ساروا

طلبوه حقا بالقلو ... ب فعندها نظروا وحاروا

[قال منصور بن عمار رضى الله عنه] وكان واعظ العراق : بينا أنا فى بعض الليالى نائم إذ رأيت بابا فى السماء مفتوحا وقد نزل منه ملك كثير الأنوار ، فقال لى يا ابن عمار يسلم عليك الملك الجبار ، خالق الليل والنهار ، ويقول لك انصب غدا منبرك فى الحان ، وتكلم بعزم وجنان ، فلنا فى ذلك سرّ ونبا ، ونشهدك من آياتنا عجبا . قال ابن عمار : فاستيقظت من منامى وأنا فزع ولا أجيب . وقلت : إن هذا لشىء عجيب . هذا أمر ما أظنه يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . كيف تورد الأحاديث الصحاح . على غير أهل الصلاح ؟ وكيف يتلى القرآن بين الدنان والأقداح ؟ أم كيف تجلى عرائس الأذكار والآيات ؟ على أهل الخمور وفى الحانات . فأعدت الوضوء وصليت ركعتين . ثم نمت وإذا بالملك قد عاد وقال : يامنصور ماجئتك إلا بأمر الملك الغفور وهو يقول لك قم وتكلم فى الحان . وعلينا الضمان . فاستيقظت من منامى وأنا من هذا الأمر أتعجب وأتفكر . وقلت : أريد حمال المنبر فإذا به قد حضر وطرق الباب . فقلت من ؟ فقال ياسيدى أنا حمال المنبر تريد أن أنصب لك المنبر فى وسط الحان ؟ أم بين الدنان ؟ فقلت : ومن كشف لك عن هذا السرّ المصون ؟ فقال : الذى يقول للشىء كن فيكون . اعلم ياسيدى أن الملك الذى جاء إليك البارحة جاء إلىّ بعدك وقلدنى الأمانة . وأمرنى أن أنصب لك المنبر فى الحانة . قلت : حبيبى إن كان الأمر كما تقول فافعل ماأمرك به الرسول فلما أسفر الصباح . ونشر عطره الفياح . سارعت إلى امتثال الأوامر . فإذا شيوخ الحان قد عقدوا الدساكر فصعدت منبرى بين جلاسى . وأطرقت ساعة ثم رفعت رأسى وقلت : الحمد لله الذى جذب قلوب أحبابه . إلى حضرة اقترابه . وأدخلهم إلى حانة وصله وسقاهم شراب عتابه . وشغلهم به عمن سواه . والمحب لايشغل بغير أحبابه وتجلى عليهم فدهشوا عند مشاهدة جماله ورفع حجابه . فياأيها السكارى بخمر الهوى لو دخلتم حانة الحب وعاينتم دنان القرب لرأيتم رجال الوقار فى حضرة الملك الغفار . وأقداح الأفراح عليهم تدار . وكاسات المصافاة تغنيهم عن شراب العقار . فأقداحهم أفراحهم وخمارهم أذكارهم . وريحانهم قرآنهم ووردهم وردهم . وشمعهم سمعهم ومزمارهم استغفارهم . فإذا جنّ الليل وغابت الرقباء والأغيار . تجلى عليهم الملك الجبار . ورفع لهم الحجب وكشف لهم الأستار . فشاهدوا جمالا لاتكيفه العقول ولاتمثله الأفكار . فتأملوا يا أولى الألباب . كم بين القشور واللباب . واعلموا أن محرك أغصان القلوب . الجامع بين يوسف ويعقوب . ماأمرنى بالجلوس فى هذا المكان إلا وقد عفا عما كان من الذنوب والعصيان . وجاد بالعفو والرضا . وصفح عما مضى . وسمح للجانى

مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » وحكى أن أصحاب الثورى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله ، فقالوا يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا إن شاء الله تعالى . فقال سفيان : كيف لاأجتهد ؟ وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضىء له الجنان الثمان فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين ، فينادون أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذى تظنون إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها » ثم أنشأ يقول :

ماضرّ من كانت الفردوس مسكنه

ماذا تحمل من بؤس وإقتار

وقبل

وقبل المطرود والعانى . فالمحبوب قد حضر ، وبعين الرضا إليكم قد نظر ، وقد انتهت إليكم النوبة ، فهل فيكم من يعزم على التوبة ؟ فقد دارت كؤوس المصالحة ، وهبت نسائم المسامحة . قال ابن عمار فما استكملت كلامى إلا وشاب قد وقف أمامى وهو سكران وفى يده قدح بالخمر ملآن وهو ثمل نشوان ، وقال يا ابن عمار ترى الملك المتعال ؟ يقبلنى وأنا على هـذا الحال ؟ فقلت له ياحبيبى كيف لايقبلك بإفضاله وإسعاده . وقد قال تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال فرمى القدح من يده وخرج هائما ، واستيقظ من غفلته بعد أن كان نائما . ثم قام إلىّ شـيخ مخمور وبيده طنبور ، وقال ياابن عمار هل يقبل الاعتذار ؟ لمن ضيع عمره فى المعاصى والأوزار ؟ فقلت له ياسيدى كيف لايقبل الاعتذار ؟ وقد قال تعالى (وإنى لغفار) فأبشر من التوبة بالنجاح ، فقد فتح باب السماح . فلما سمع كلامى رمى الطنبور وصاح . وخرج على وجهه هائما وساح . ثم قام إلىّ غلام قد لعبت به المدام ، واستولى عليه الوجد والغرام ، وقال يامنصور إن الملك الغفور ، قد أمرك أن تأخـذ علىّ العهود . فقد مضت دولة الصـدود ، وأنجزت الوعود ! وآن أوان حصول المطـلوب والمقصود ! فقلت له ياغلام ومن أوصلك إلى هذا المقام ؟ فقال أنا الذى خوطبت من أجله فى المنام ! وأتاك الملك فى شأنه من عند الملك العلام ! فقلت له : حبيبى ومن كشف لك عن هذا السرّ المستور ؟ فقال الذى (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور) ثم قال يامنصور من هبت عليه نسمات الملاطفة لم يعجز عن حصول المكاشفة ! قلت سيدى فمتى هبت عليك هذه النسائم ؟ قال البارحة وأنت نائم ، ثم قال ياابن عمار أنت كنت السبب فى دلالتى عليه وقربى لديه ؟ فهل لك من حاجة إليه ؟ قلت : سـيدى فإلى أين عزمك ؟ فقال يامنصور إلى حضرة الملك الغفور ! بين ندمان عليهم كؤوس الأنس تدور بين ذاكر ومذكور ! وقد رفعت الحجب والستور ! فإن أحببت ياابن عمار أن ترانى فهناك غدا تلقانى ثم خطا فى الهواء خطـوات ، وقد نهى النفس عن الشهوات ، فغاب عن عيانى ، فجعلت أرمقه بإنسانى ؟ فسمعته يقول :

دعونى فالذى أهوى دعانى ... ونادانى ومنـه الوصل دانى
وقال تريد ماذا قلت كأسا ... أهيم بسكرها طول الزمان
وأنظر نظـرة يانور عيـنى ... أراك بها على قرب التدانى
فقد لبى عظيم الشـوق منى ... ولم يخطر سـواك على لسانى
ومذ ناديتنى للوصـل جهرا ... أجبت وقد أتيت بلا توانى
وكنت على القبائح مستمرا ... كثير الذنب مضنى القلب عانى
فلاطفنى حبيبى حـين داوى ... فؤادى بالوصال وما جفانى
وكنت على شفا جرف المعاصى ... فداركنى حبيبى واجتبانى
وعرفنى الطريق إليـه جهرا ... فنلت القصد منـه والأمانى
فها أنا بعـد ذلى فى اعتزاز ... وعندى كل أسـباب التهانى

المجلس السادس والعشرون

فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله المتعزز بجلاله ، المتفرد بكماله ، المتوحد ببديع أفعاله ، الذى أودع جواهر حكمته فى صناديق قلوب أهل معرفته ، وقفل عليهم بوثيق أقفاله ، دعاهم إلى حضرة قدسه ، وتولاهم بنفسه ، فخرج

تراه يمشى كئيبا خائفا وجلا
إلى المساجد يمشى بين أطمار
يانفس مالك من صبر على النار
قد حان أن تقبلى من بعد إدبار

[وقيل] لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ، ولـكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك . ذكره البخارى فى صحيحه وروى «أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : ماأقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتى » ؟ وعن شهر بن حوشب : طلب الجنـة بلاعمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلاسبب نوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة ممن لايطاع حمق وخذلان ، وعن رابعـة البصرية أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالـكها
إن السفينة لاتجرى على اليبس

كل منهم عن أبناء جنسه وأشكاله ، قنعوا فى المسير باليسير ، ونشطوا فى الليل كما ينشط الأسير من عقاله ، قاموا فى الدجى على أقدام التهجد بين يدى مولاهم ، فأصبحوا وقد أولاهم من فضله ونواله ، استعذبوا التعذيب فى رضا الحبيب وصبروا على مرارة أهواله ، تجافوا عن الجفاء والغدر ، وداموا على استعمال الصبر وما كل أحد يقدر على استعماله ، جادوا فى محبته بالأموال والأرواح فحصل لهم السرور والأفراح ومابرح المحب يجود بروحه وماله ، سقاهم بكأس منادمته ، فأضحوا نشاوى من فرط محبته ، لايعرف أحدهم يمينه من شماله ؛ فالعارف قد ترك لذة هجوعه ، والخائف قد تردى برداء ذله وخضوعه ، والمذنب قد بكى بفيض دموعه ، والهائم قد خرج عن ربوعه وأطلاله ، والمطرود قد غص ببعده ، والعاصى قد احترق بنار وجده ، والواجد قد خرج عن حده ، ونادى بلسان حاله :

يامن سقى قلبى شراب وصاله ... وأباحه نظرا لحسن جماله
عودته منك الجميل فأجره ... كرما على عادات حسن مناله
حاشاك تمنعه رضاك وقد أتى ... متنصلا من عظم قبح فعاله
لاتبتليه بالبعاد وبالجفا ... ياسيدى أنت العليم بحاله
يا أيها العاصى المسىء إلى متى ... تعصى الإله وتغتذى بنواله
قم فى الدياجى طالبا لأمانه ... واخضع وذل لعزه وجلاله
واضرع إليه وناده بتذلل ... يامن يجود على الكئيب الواله
يامن إذا سأل المقصر عفوه ... فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالى إليك وسيلة إلا الرجا ... وتشفعى بمحمد وبآله
المصطفى المختار أكرم شافع ... فيمن يرجيه ليوم مآله
صلى عليه الله ماجنّ الدجى ... وبدا الصباح بنور حسن جماله

[إخوانى] أين الذين (كانوا قليلا من الليل مايهجعون ؟) أين الذين قيل فى حقهم (وبالأسحار هم يستغفرون ؟) أين الذين (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟) أين من بات وهو لربه ساجد وراكع ؟ أين الذين سبقت لهم العناية بالتوفيق والهداية . قال عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه : خرجنا جماعة من الفقراء نريد سفرا فى البحر فعصفت الريح بنا فطرحتنا على جزيرة فى البحر فرأينا فيها رجلا يعبد صنما من دون الله تعالى ، فقلنا له : أىّ شىء تعبد ؟ فأومأ بأصبعه إلى الصنم ، فقلنا له : يامسكين إن معنا فى السفينة من يحسن صنع مثل هذا ، وإن هذا ليس بإله يعبد . قال : فأنتم من تعبدون ؟ قلنا نعبد الله . قال وما الله ؟ قلنا الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الأحياء والأموات قضاؤه ، فقال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولا أخبرنا بذلك . قال فما فعل الرسول ؟ قلنا : لما أدى رسالة الملك قبضه إليه ، قال فما ترك عندكم علامة من الملك ؟ قلنا بلى ترك عندنا كتاب الملك . قال أورنى كتاب الملك ؟ فإن كتب الملوك تكون حسانا . قال فأتيناه بالمصحف . فقال : لاأحسن أقرأ هذا فقرأنا عليه سورة فما زال يسمع ويبكى إلى أن ختمنا السورة . فقال : ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لايعصى فأسلم وحملناه وعلمناه شرائع الإسلام وشيئا من القرآن . فلما أقبل الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا للنوم . فقال ياقوم الإله الذى دللتمونى عليه ينام ؟ قلنا لا ياعبد الله هو حىّ قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم . قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لاينام ، فأعجبنا كلامه . فلما وصلنا إلى عبادان وأردنا أن نتفرق جمعنا له دراهم وقلنا له : أنفق عليك هذه فنظر إلينا مغضبا . وقال : لاإله إلا الله دللتمونى على طريق ولم تسلكوها أنا كنت

قال الشيخ اليافعى رحمة الله عليه :

فياعجبا ندرى بنار وجنة ... وليس لدى نشتاق أوتلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولاحيا ... فماذا بقى فينا من الخير يذكر
ولسنا لحرّ صابرين ولا بلا ... فكيف على النيران ياقوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة ... على تلك فليتحسر المتحسر
فأفّ لنا أفّ كلاب مزابل ... إلى نتنها نغدو ولا نتدبر
نبيع خطيرا بالحقير عماية ... وليس لنا عقل وقلب منوّر
فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى ... وأوقاته فى طاعة الله يعمر
اللهم اجعلنا من المتقين الوارثين للجنة ، ولاتحرمنا من رفدك ورحمتك ياعظيم المنة .

﴿فصل : فى صفة الحور العين﴾ قال الله تعالى (وحور حين كأمثال اللؤلؤ

في جزيرة في البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعني فكيف الآن وقد عرفته ثم تركنا ومضى . قال عبد الواحد : فلما كان بعد أيام أتاني آت فأخبرني عنه أنه بأرض كذا وهو يعالج سكرات الموت فجئته ، وقلت له ألك حاجة ؟ قال قد قضى حوائجي من عرفتني به ، فبينما أنا أكلمه إذ غلبتني عيناي فنمت فرأيت في المنام روضة وفي الروضة قبة وفيها سرير وعليه جارية أجمل من الشمس والقمر وجها وهي تقول سألتك بالله إلا ما عجلت عليّ به فانتبهت فاذا به قد مات فجهزته ودفنته في قبره فلما نمت رأيته في المنام في القبة التي رأيتها أولا والجارية الى جانبه وهو يتلو قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) :

صب قضى في الهوى العذري مشتاقا ... ولم يخن لأهيل الحي ميثاقا
ومات وجدا بهم من بعد ما عطفوا ... عليه حين غدا بالذنب منعاقا
له الهنا وله البشرى غداة غد ... ينسى بطيب التلاقي كل مالاقى
ويشهد الحسن في كل الوجود بدا ... والحجب قد رفعت والوقت قد راقا
وخمرة الأنس دارت والمدير لها ... أعارها منه أنوارا وإشراقا
كم نوّرت بصرا كم جوهرت فكرا ... كم أيقظت في ظلام الليل أحداقا
وقد تجلى لأهل الحب فافتتنوا ... وأصبحوا كلهم للحسن عشاقا

[إخواني] لاتزدروا حلل الفقر فان عليها أنوار المهابة (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) « رب أشعث أغبر لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره »

[قال محمد بن المنكدر] رحمة الله عليه كان لي سارية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلس إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا ، فلما كان الليل صليت العشاء في المسجد ثم جئت فاستندت الى السارية فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزر بكساء فتقدم الى السارية وأنا خلفه ولم يشعر بي فصلى ركعتين ثم جلس ، فقال يارب خرج أهل حرم نبيك صلى الله عليه وسلم يستسقون فلم تسقهم وأنا أقسم عليك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله أن تسقيهم قال ابن المنكدر فما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جادت السماء بالمطر حتى أهمني الرجوع الى أهلي ، فلما أحس بالمطر حمد الله وأثنى عليه بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قام فلم يزل يصلي حتى قرب الفجر فأوتر وصلى ركعتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الناس وصلى معهم ، فلما سلم الإمام خرج مسرعا فركضت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فجعل يرفع كساءه ويخوض في الماء فخيل بيني وبينه فلم أدر أين ذهب فبقيت متأسفا عليه متشوقا إليه :

نهاري وليلي دائم الحزن والبكاء ... على جيرة في ذي المنازل قد كانوا
لقد رحلوا عني وإني لبعدهم ... كئيب حزين والهالقلب حيران
نأوا فبقلبي حرقة لفراقهم ... وفيه من الوجد المبرح نيران
فوا حسرتي ولي الزمان ولم أفز ... برؤية أحباب عن العين قد بانوا
نسيم الصبا بلغ سلامي اليهم ... فقد مضى منهم صدود وهجران
وإن لم أطق صبرا عليهم فليس لي ... سوى من له حلم وعفو وغفران
يفرج احزاني ويغفر زلتي ... ففي القلب من فقد الأحبة أحزان

[إخواني] ما كل مسافر حاج ، ولا كل بيت مكة ، ولا كل زاد يبلغ ، ولا كل جبل عرفات ، ولا كل واقف واقف .

المكنون. جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) وقال (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لايراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» : أي صفة الكبرياء والعظمة ، فهو بكبريائه وعظمته لايريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن فيرونه فيها ، وفي صحيح مسلم . قال « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم

[قال ذوالنون المصرى] حججت سنة إلى بيت الله الحرام ، فلما وقفت بعرفة رأيت شابا عليه آثار الاصفرار والنحول والقلق والذبول ، فعلمت أن عنده من المحبة محصول فسمعته يقول : سيدى كيف أليبك بلسان عصاك أو قلب جفاك ، سيدى ما أجمل هذه الساعة إذ أنت تناجينى وفى هذا الوقف تناديني . قال ذو النون فتقدمت إليه ، فلما رآنى قال مرحبا ياذا النون فقلت له ومن أين تعرفنى ؟ فقال عرفنى بك من عرفنى وأخبرنى بك من آنسنى ، ثم قال ياذا النون حبه تيمنى وهجره أنحلنى فمتى أظفر بقربه ويجود لى الحبيب برفع حجبه ؟ قلت من أين جئت ؟ قال من بلد القلب أقصد حضرة الرب قلت فبم تزودت قال بقطرة من شراب أنسه أرجو أن أصل بها إلى حضرة قدسه قلت فهل كانت لك مطية . قال نعم صفو النية والانقطاع عن الدنيا بالكلية والتنزه فى مقامات حضرته السنية ، ثم قال إليك عنى ياذا النون فما أقبح ساعة تمرّ فى غير طاعة ثم تركنى ومضى . فلما جئت منى رأيته ينظر الى الناس وهم ينحرون ضحاياهم فجرت دموعه وتزايد ولوعه وعظم خوفه وخشوعه ، ثم قال سيدى : كل أحد تقرب اليك بنسكه وتقدّم بملكه وأنا ما أملك غير هذه النفس العانية الغافلة الساهية وإنى أقربها اليك بالذلة والمسكنة بين يديك ، فان تكرّمت بقبولها فجد بوصولها وأسرع فى تعجيلها فأنت دليلها الى سبيلها ثم صاح وتأوّه وسقط الى الأرض ميتا فسمعت قائلا يقول ياأيتها ركضة الى الفردوس الأعلى . قال ذوالنون فوقفت عند رأسه ساعة أتفكر فيه ، وإذا بعجوز قد أقبلت اليه وألقت نفسها عليه ثم أجرت الدموع أسفا وأظهرت حزنا ولهفا ثم قالت هنيئا يامن كان دأبه النسك والوفا ، وماغفل عن خدمة سيده ولاهفا ، وطالما قام فى الليل برداء الطاعة ملتحفا يمسى كئيبا ويصبح مدنفا . قال ذوالنون فقلت لها من يكون لك هذا الشاب ؟ قالت هو ولدى سائح فى الفلوات أجتمع أنا وهو كل سنة فى الموسم والميقات ، فلا أعود أراه الى العام المقبل ، فلما وقفت فى هذه الساعة بعرفات طلبته على سالف العادات فهتف بى هاتف أنه قدمات ، وقد رفعت روحه الى أعلى الدرجات ، ثم قالت ياسيدى بما بينى وبينك فى خلوتى وبما أودعت من محبتك فى مهجتى إلا ماخلصت نفسى العانية من هذه الدار الفانية وأوصلتنى مع ولدى الى الدار الباقية قال ذو النون ثم تنهدت وخرت ميتة إلى جانب ولدها ، رحمهما الله تعالى :

فاز المحبون بالمحبوب واتصلوا ... ولم يخب منهمو فى قصدهم أمل
وافوا ومحبوبهم وفى أجورهم ... وأقبلوا وهمو والله قد قبلوا
ومن رضاه عليهم ألبسوا خلعا ... بديعة الحسن فيها يضرب المثل
ياجيرتى وأصيحابى بخيف منى ... متى تعود لنا أيامنا الأول
ماكان أحسن ذاك الشمل مجتمعا ... والوصل متصل والهجر منفصل
والوقت صاف وساقى القوم سامرهم ... لما تجلى على أسرارهم ذهلوا
ناداهمو قد بلغتم كل قصدكم ... فاليوم لاصدّ تخشوه ولا ملل
ها قد خلعت عليكم من خزائن ما ... دخرته خلعا ينأى بها الوجل
فاستبشروا بنعيم لانفاد له ... على الدوام وجنانى لكم نزل
هم الأحبة أدناهم لأنهمو ... عن خدمة الصمد القيوم ماغفلوا
باعوا النفوس بجنات فبايعهم ... لما اشترى منهمو فى حبهم قتلوا
عند المهيمن أحياء وقد رزقوا ... طيب الجنان على لذاتها حصلوا

فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم ، وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » وفى كتاب الترمذى . قال « إن أوّل زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درىّ فى السماء ، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها » وفى كتاب النسائى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعطى المؤمن فى الجنة قوّة كذا وكذا من الجماع . قيل يارسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال يعطى قوّة مائة » . وفى كتاب الترمذى عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالدات

وجاوروا المصطفى الهادى الذى رغبوا ... فى حبه وله أرواحهم بذلوا
سعوا إلى بابه راجى شفاعته ... يوم المعاد إذا كل الورى ذهلوا
داعى التشوّق ناداهم وأقلقهم ... فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
وشقة البيد تطوى فى السرى لهمو ... وكل قاص دنا حتى به اتصلوا
ياسيدى يارسول الله خذ بيدى ... يوم الحساب إذا ضاقت بنا السبل
صلى عليك إله العرش ماهتفت ... ورق الحمام وما سارت لك الابل

[حكاية] كان إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه صاحب خراسان ، فبينما هو ذات يوم راكب على جواده فى معرك جلاده بين عسكره وأجناده ، إذ سمع من قربوس سرجه مناديا ينادى يا إبراهيم مالهذا خلقت عبادى ولا بهذا أمرت أهل ودادى ، فاترك مرادك لمرادى وإلا فأنت من أهل عنادى ، قال إبراهيم فأصابنى السهم فى مقتل فؤادى فتغربت عن بلادى وتشتت عن أولادى وخرجت هائما الى من عليه توكلى واعتمادى .

أهيم بحبكم فى كل وادى ... وأسأل عنكمو فى كل نادى
وأندب كلما عاينت ربعا ... حدا لهمو بوشك البين حادى

فلما انفصل ابراهيم عن ملكه ومماليكه واتصل بخالقه ومالكه دخل البادية وأشجانه عليه بادية وانقطع فى الطريق عن الرفيق وبقى سبعة أيام لايتناول شربة من الماء ولا لقمة من الطعام فغار الشيطان على صدقه والشيطان غيور ؛ وإنما يغار من الأكابر ملوك الحقيقة وسلاطين الطريقة وحق له أن يغار لأنهم ألبسوا خلعته التى انخلع منها وولايته التى انعزل عنها فظهر له الشيطان فى هيئة شيخ صالح ، وقال له يا إبراهيم اسمع منى فانى لك ناصح : إن الحبيب الذى تركت من أجله المماليك وركبت فى محبته المهالك قد ضيعك حتى أشرفت على الموت ، فقال : لابأس بالموت إذا حصل الأمان من الفوت .

ياالأمى لو بذلت الروح مجتهدا ... وجملة المال والدنيا وما فيها وجنة الخلد والفردوس أجمعها
بساعة الوصل كان القلب شاريها ... لانسلكن طريقا لست تعرفها بلا دليل فتهوى فى مهاويها
فالروح أوّل موجود تجود به ... والنفس أيسر شىء فيه تفنيها
وماعليك إذا ماتت بغصتها ... من الغرام فان الوصل يحييها

فبينما ابرهيم فى دهشة حيرته إذ ظهر له شخص من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا ، وقال له ياابراهيم تريد أن أعلمك الاسم الأعظم فتسقى به وتطعم ، فقال نعم فعلمه إياه ، فقال له من أنت ؟ قال أنا أخوك الخضر تريد أن أصحبك ، قال لا ؟ قال ولم ؟ قال ، لأن الصحبة لاتحصل إلا بالشركة وأنا لا أريد أن أشرك فى مصحوبى ولا أصحب غير محبوبى ، فانى أخاف أن أصحب غيره وهو شديد الغيرة فلا حاجة لى فى ذلك :

ها كم فؤادى فان أبقيتمو أثرا ... لغيركم فاجعلوا التعذيب مأواه
وها لسانى فان أنبا كمو خبرا ... عن غيركم صحوا بالكذب دعواه
فمن تكن أنت دون الناس بغيته ... فامنن عليه ولو يوما بلقياه
فأنت للصب أقصى مايؤمله ... وأنت للقلب أحلى ماتمناه

وكان ابراهيم لما انفصل عن أهله فارق زوجته وهى حامل فولدت له ولدا سموه أدهم باسم جده فلما كبر وترعرع قال لأمه يا أماه : أما كان لى أب . قالت بلى ، والله يابنى كان لك أب وأىّ أب .

فلانبيد ، ونحن الناعمات فلانبؤس ونحن الراضيات فلانسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له » ، وفى كتاب الترمذى قال صلى الله عليه وسلم « لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا ومافيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها » قال فى الصحاح : النصيف الخمار ، وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء » وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة ؟ فقال :

فقال أين ذهب ؟ قالت يابنى ذهب فى طلب ربه . فقال ياأماه دعينى أذهب وأطلب ماطلب أبى : لعلى أفوز بأربى . فقالت بالله عليك ياولدى ، إن أباك قد أحرق قلبى بفراقه فلا تحرق أنت قلبى بفراقك فمكث رعاية لأمه حتى ماتت فبقى حزينا لا أم له ولا أب ، فخرج خافيا وعن الناس خافيا يبيت بالمساجد المهجورة ويسأل اللقمة من الأبواب إلى أن وصل إلى مكة شرفها الله تعالى ، فبينما إبراهيم فى الطواف ومعه بعض مريديه : إذ نظر الشيخ الى الشاب وجعل يحدّق بالنظر اليه ، فأنكر المريد عليه ، وقال له ياسيدى ماهذه الغفلة فى هذا المكان والوقت تحدق بالنظر إلى صورة مستحسنة ، فبكى الشيخ . وقال للمريد اذهب اليه وسله من هو ؟ فذهب المريد اليه وسلم عليه وقال له من أين أنت أيها الشاب ؟ فقال من بلاد العجم من بلخ ، فقال ابن من ؟ فقال لاأدرى إلا أن أمى قالت لى إن اسمه ابراهيم بن أدهم ، ثم تناثرت دموعه على خده . قال المريد فرجعت الى ابراهيم فوجدته قد بكى حتى غشى عليه فجلست عند رأسه حتى أفاق . فقلت له ياشيخ الله يأخذ حق هذا الشاب منك ، فقال هذا والله ولدى تركته لله تعالى فلا أعود فيه . فقلت له أيها الشيخ سألتك بالله إلا ما قمت اليه فقام اليه . فقال له الصبى من أنت ؟ فقال أنا أبوك ابراهيم بن أدهم ، ثم ضمه الى صدره وقال : إلهى هذا ولدى وقطعة من كبدى وقد جاء فى طلبى ، وقد علمت موضعه من قلبى وأنا لا أتفرغ له وأنت أعلم بمصالح عبادك ، فما مضت على الشاب سبعة أيام حتى قضى نحبه فغسله إبراهيم بيده وكفنه فى قطعة كساء غليظ ، كلما غطى رأسه بانت رجلاه ، وكلما غطى رجليه بانت رأسه وهو يقول قرة عينى الله يجمع بينى وبينك يوم القيامة :

إن كنت لا أبالى من فقدت ولا ... أرجو سواك ولا ألوى على أحد
ولو سفكت دمى عمدا بلا سبب ... يابر ذاك الذى ترضى على كبدى
أهل الهوى كلهم فى الحب قد وردوا ... لكنه ليس ورد الظمى كالأسد
كم وارد ملئت كأس الوصال له ... وواقف دون ذاك الورد لم يرد
وقد مددت يدى بالذل خاضعة ... وقد عجزت فيامولاى خذ بيدى
وقد تشفعت بالهادى الشفيع ومن ... ترجى شفاعته فى اليوم ثم غد
محمد المجتبى المختار من مضر ... ومن جلا كل قلب بالذنوب صدى
صلى عليه إله العرش خالقه ... وزاده منحا جلت عن العدد

المجلس السابع والعشرون

فيما يجلو القلوب من القسوة : بذكر أخبار النسوة

الحمد لله الذى أنشأ العالم واخترعه وابتدعه ، وأتقن كل شىء صنعه وأحكم متفرقه ومجتمعه . [أحمده] على ماأولى من إحسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه [وأشهد] أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك المنان ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه بالبيان مرشدا يهدى الحيران مؤيدا بمعجزة القرآن فأظهر دينه على سائر الأديان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة فى كل وقت وأوان . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين . (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وقال الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة

إى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى اليوم الواحد الى مائة عذراء » وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا » ، وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سأل موسى عليه السلام ربه ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال هو رجل يجىء بعد ماأدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول : إى ورب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربى قال رب فأعلاهم منزلة ؟ . قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين

وأجرا عظيما) فقرن الله سبحانه ذكر النساء الصالحات بالرجال الصالحين . وللنساء أحوال وزهد وخير وصلاح كما فى الرجال ، وفى النساء من لهنّ الأوراد والسياحات والكشف وغير ذلك من الخصوصيات التى خصهن الله تعالى بها كمن مضين منهنّ فى الصدر الأول مثل رابعة العدوية وشعوانة وريحانة وأمّ الخير وغيرهنّ من النساء المشهورات وغير المشهورات؛ كما حكى عن رابعة العدوية رحمها الله تعالى : أنها كانت إذا صلت العشاء قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ، ثم قالت : إلهى نارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهـذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها ، فاذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت : إلهى هذا الليل قد أدبر وهـذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها علىّ فأعزى ، فوعزتك هذا دأبى ماأحييتنى وأعنتنى ، وعزتك لوطردتنى عن بابك مابرحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ثم أنشدت :

ياسرورى ومنيتى وعمادى ... وأنيسى وعـدتى ومرادى ... أنت روح الفؤد أنت رجائى
أنت لى مؤنس وشوقك زادى ... أنت لولاك ياحياتى وأنسى ... ماتشتت فى فسيح البـلاد
كم بدت منة وكم لك عنـدى ... من عطاء ونعمة وأيادى ... حبـك الآن بغيتى ونعيمى
وجلاء لعـين قلبى الصادى ... ليس لى عنـك ماحييت براح ... أنت منى ممكن فى السواد
إن تـكن راضيا علىّ فانى ... يامنى القلب قد بدا إسعادى

[وقال سعد بن عثمان] كنت مع ذى النون المصرى رحمه الله فى تيه بنى إسرائيل وإذا بشخص قد أقبل ، فقلت ياأستاذ شخص قد أتى ، فقال لى انظر من هو ؟ فانه لايضع أحـد قدمه فى هذا المكان إلا صدّيق فنظرت فإذا هى امرأة ، فقال صديقةورب الكعبة فابتدر إليها وسلم عليها فقالت ماللرجال ومخاطبة النساء ؟ فقال أنا أخوك ذوالنون ولست من أهل النهم ، فقالت مرحبا حياك الله بالسلام . فقال لها ماحملك على الدخول فى هذا الموضع ؟ فقالت آية من كتاب الله عزوجل قوله تعالى (ألم تـكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) . فقال لها صفى لى المحبة ؟ فقالت : سبحان الله أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألنى عنها . فقال لها : للسائل حق الجواب ، فأنشدت تقول :

أحبك حبـين حب الهوى ... وحبا لأنك أهـل لذا كا
فأما الذى هو حب الهـوى ... فذكر شغلت به عن سوا كا
وأما الذى أنت أهـل له ... فـكشفك لى الحجب حتى أرا كا
فما الحمد فى ذا وفى ذاك لى ... ولـكن لك الحمد فى ذا وذا كا
[وآخر] ياحبيب القلب مالى سوا كا ... فارحم اليوم مذنبا قد أتا كا
يارجائى وراحتى وسرورى ... قد أبى القلب أن يحب سوا كا

[وقيل] إنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن الحسن البصرى فى الدخول عليها هو وأصحابه فأذنت لهم وأرخت سترا وجلست وراءه ، فقال لها أصحابه إنه قد مات بعلك ولابدّ لك من زوج وقد انقضت عدتك فاختارى من هؤلاء الزهاد من شئت منهم ، فقالت حبا وكرامة من هو أعلمكم حتى أزوجه نفسى ؟ قالوا الحسن البصرى ، فقالت له إن أجبتنى عن أربع مسائل فأنا لك أهل فقال لها سلى فأنا أجيب إن وفقنى الله تعالى قالت : مايقول الفقيه العالم إذا أنا متّ هل خرجت من الدنيا مسلمة أم كافرة ؟ فقال هذا غيب والغيب لايعلمه إلا الله تعالى ، قالت فما يقول إن وضعت فى القبر وسألنى منـكر ونـكير أفأقدر على جوابهما أم لا ؟ قال وهذا أيضا غيب ، قالت : فاذا حشر الناس

ولم تسمع أذن ولم تخطر عـلى قلب بشر » قال ومصداقه من كتاب الله تعالى (فلا تعـلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وفى صحيح مسلم : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول لأهـل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيـك ربنا وسـعديك والخـير فى يديك فيقول هـل رضيتم ؟ فيقولون ومالنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحـدا من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحلّ عليكم رضـوانى فلا أسخط عليكم بعـده أبدا » . اخوانى اتركوا الدنيا واكـدحوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الفاخرة فانها تدرك بأيسر الأثمان وتـكون معكم مخلدة فى الجنان ، وروى عن مالك ابن دينار رضى الله عنه

فى القيامة وتطايرت الكتب فيعطى بعضهم كتابه بيمينه ويعطى بعضهم كتابه بشماله أفأعطى كتابى بيمينى أم بشمالى ؟ قال وهذا أيضا غيب ، قالت فاذا نودى فى الخلائق فريق فى الجنة وفريق فى السعير فمن أىّ الفريقين أكون ؟ قل لها وهذا أيضا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، فقالت له فاذا كان الأمر كذلك وأنا فى قلق وكرب من هذه الأربعة فكيف أحتاج الى الزوج وأتفرغ له ، ثم أنشدت :

راحتى ياإخوتى فى خلوتى ... وحبيبى دائما فى حضرتى ... لم أجد لى عن هواه عوضا
وهواه فى البرايا محنتى ... حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابى اليه قبلتى
إن أمت وجدا وما ثم رضا ... واعنائى فى الورى واشتموتى ... ياطبيب القلب ياكل المنى
جد بوصل منك يشفى مهجتى ... ياسرورى وحياتى دائما ... نشأتى منك وأيضا نشوتى
قد هجرت الخلق جمعا أرتجى ... منك وصلا فهو أقصى منيتى

[قال صالح المرّى رحمة الله عليه] رأيت جارية وهى تغنى بالطار فمرّت يوما بقارئ يقرأ (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) . قال فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت الى الأرض مغشيا عليها ، فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت فى العبادة والاجتهاد حتى شاع ذكرها . قال صالح فدخلت عليها يوما فكلمتها فى الرفق بنفسها فبكت وقالت ليت شعرى أهل النار من قبورهم كيف يخرجون وعلى الصراط كيف يعبرون ، ومن أهوال يوم القيامة كيف يخلصون ، وللحميم كيف يتجرعون ، ولتو بيخ المولى كيف يسمعون ؟ ثم سقطت الى الأرض مغشيا عليها ، فلما أفاقت قالت مولاى وسيدى عصيتك وأنا غضة رطبة وأطعتك وأنا يابسة خشنة أتراك تقبلنى ؟ ثم قالت أوّاه كم من فضيحة تكشفها القيامة غدا ، ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد فى المجلس حتى غشى عليه من شدّة البكاء مما صنعت بنفسها ، ثم أنشدت تقول :

أما والذى قد قدّر البعد بيننا ... وعذبنى بالشوق وهو شديد
وخصكمو بالصبر دونى وخصنى ... بحزن عليكم يبتدى ويعيد
وصيرنى مهما شممت نسيمكم ... أشدّ لقلبى راحتى وأميد
لقد ذاب قلبى من دموعى عليكمو ... على أنه فى النائبات جليد
فياليت شعرى هل علىّ مالقيته ... وكابدت من جور الفراق مزيد
لئن عاد ذاك الوصل أوعاد بعضه ... وملتم إليه إننى لسعيد
على أنها الأقدار قد تبعد الفتى ... قريبا وقد تدنيه وهو بعيد

[قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه] كانت أم داب من كبار الصالحات العابدات الى أن بلغ عمرها تسعين سنة وهى تحج فى كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة فكفّ بصرها ، فلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنها ويتغممن لها فى كف بصرها فبكت ثم رفعت رأسها لى السماء وقالت إلهى وعزتك لئن فقدت نور بصرى بين يديك مافقدت أنوار شوقى إليك ثم أحرمت وقالت لبيك اللهم لبيك وخرجت مع صواحباتها فكانت تمشى بين أيديهن فتسبقهن فى المسير . قال ذو النون فتعجبت من حالها فهتف بى هاتف : ياذا النون أتعجب من ضعيفة اشتاقت الى بيت مولاها فحملها اليه بلطفه وقوّاها :

همو قدحوا الغرام بلا زناد ... فطار الشوق من شغف الفؤاد
إذا لم تطفئوا نيران شوقى ... بوصل صار قلبى كالرماد

أنه كان ماشيا فى أزقة البصرة ، فاذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أبيعك مولاك ؟ . فقالت كيف قلت ياشيخ ؟ قال أيبيعك مولاك ؟ قالت ولو باعنى كان مثلك يشترينى . قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل الى دارها فحمل فدخلت الى مولاها فخبرته فضحك وأمر أن يدخل به اليه فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد ، فقال ماحاجتك ؟ فقال بعنى جاريتك ، قال أو تطيق أداء ثمنها ؟ قال نعم عندى نواتان مسوّستان فضحكوا ، قال وكيف كان ثمنها عندك هذا ؟ قال لكثرة عيوبها قال إن لم تتعطر دفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تمشط وتدهن قملت وشثت وإن تعمرت عن قليل هرمت ، ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار

عذولى لاتضع فى العذل وقتى فلست بقاطع حبل الوداد
ويا حادى النياق لأرض نجد إذا ماجزت فى تلك البوادى
فقل للحب بالجرعاء عنى مقالة مغرم الأحشاء صاد
أياراحى وريحانى وروحى أتسهرنى وتسلبنى رقادى
ظلام الليل أحسن من ضياء إذا نظر المحب بلا انتقاد
يقوم به المحب إلى حبيب عظيم العفو منسكب الأيادى
وسار العارفون الى رضاه فنوقهم البكا والشوق حادى
وقد جعلوا الحنين له حداء وذكرهم الأحبة خير زاد
فتسمع صوتهم والعيس تسرى بهم نحو الذى فيه رشادى
أجلّ الخلق أنسابا وأعلى وأعظم حرمة يوم التنادى
هو الهادى البشير هو الرجى شفيع الخلق فى يوم المعاد
عليه من المهيمن كل وقت صلاة ماحدا بالركب حادى

[قال محمد بن مروان] وكان من أهل الفقر والورع : كنت عند الركن اليمانى بالكعبة شرّفها الله تعالى وقد خف الطواف وإذا بأربع جوار قد أقبلن وعليهنّ سيما القبول فتعلقت الكبرى منهنّ بالأستار ، وقالت بلسان الذلة والإنكسار :

اليك حجى لا للبيت والحجر ولا طواف بأركان ولاجدر

ثم رفعت رأسها وقالت : إلهى الشوق أقلقنى اليك ، والحب هيمنى وجدا عليك ، وها أنا بين يديك ، إلهى إن كانت زلتى تطردنى ، فحبى إلى بابك تجذبنى ، وإن كان ذنبى عن بابك يبعدنى فرجائى فى عفوك يقربنى وإن كانت خطاياى تقيدنى ، فاخلاصى فى متابى اليك يطلقنى ، إلهى فمتى اليك أصل ، والى حضرة جمالك أتصل ، ياأنيس المستوحشين ، ويا حبيب المحبين ، ويا أمان الخائفين ، ويا راحم المذنبين ، ويا قابل التائبين ، ويا أرحم الراحمين ارحمنى برحمتك ، واشملنى بمغفرتك ، ثم تنهدت وأنشدت :

أستغفر الله مما كان من زللى ومن ذنوبى وتفريطى وإصرارى
يارب هب لى ذنوبى يا كريم فقد أمسكت حبل الرجا ياخير غفار

ثم جلست وهى كئيبة عانية فقامت الثانية فتململت وتقلقلت وبكت ومادت ونادت يامنتهى الآمال ، ياحامل الأبرار على نجب الأعمال ، يامسرج قناديل الودّ فى قلوب العارفين ، ياأنيس المستوحشين ، ياطبيب القلوب ، ياغافر الذنوب ، قد ذاب جسمى من اشتياقى اليك ، وقد استحييت من إقدامى عليك فارحمنى . واعف عنى ياأرحم الراحمين ، ثم جالت وقالت :

أتيتك أشتكى سقمى ودائى وعندك يامنى قلبى دوائى
فلا أحد سواك إليه أشكو فيرحم عبرتى ويرى بكائى
فيا مولى الورى جدلى بعفو ومنّ بنظرة فيها شفائى

ثم جلست وهى من وجدها عائثة ، فقامت الثالثة فبكت طويلا وأبدت عويلا ثم قالت : إلهى ذنوبى طردتنى عن بابك ، ودوام الغفلة أبعدنى عن جنابك ، وقد وقفت ببابك بالذلة والافتقار ، ورجوت العفو عن ذنوبى والأوزار ، وقد هربت منك اليك وها أنا بين يديك ثم تنهدت وأنشدت

ببابك ربى قد أنخت ركائبى ومالى من أرجوه ياخير واهب

ولعلها لاتودّك إلا لنفسها
ولا تحبك إلا لتنعمها
لاتفى بعهدك ولا تصدق
فى ودّك ولا يخلف عليها
أحد بعدك إلا رأته مثلك ،
وأنا آخذ بدون ماسألت
فى جاريتك من الثمن جارية
خلقت من سلالة الكافور
ومن المسك والجوهر
والنور لو مزج بريقها
أجاج البحر لطاب ،
ولو دعى بكلامها ميت
لأجاب ولو بدا معصمها
للشمس لأظلمت دونه
وكسفت ولو بدا فى الظلماء
لأنارت به وأشرقت ولو
واجهت الآفاق بجليها
وحللها لتعطرت بها
وتزخرفت نشأت من بين
رياض المسك والزعفران
وقضبان الياقوت والمرجان
وقصرت فى خيام النعم
وغذيت ماء التسنيم
لاتخلف عهدها ولا تبدل
ودّها فأيهما أحق برفع
الثمن ؟ قال التى وصفت :
قال فانها الموجودة الثمن
القريبة الخطب فى كل زمن
قال فما ثمنها رحمك الله ؟
قال أيسر المبذول لنيل

سواك فجدلى بالذى أنت أهله لأعطى من الافضال أسنى المواهب
إذا لم أمت شوقا إليك وحسرة عليك فلا بلغت منك مآربى

ثم جلست وعيونها بالبكاء دامعة ، فقامت الرابعة فبكت وتحسرت واستقالت من ذنوبها وقالت : إلهى أمرت المجتهدين بالوقوف على بابك وما أظن أنى منهم ، إلهى لولا أن العفو من صفاتك لما ابتليت بالذنوب أهل ولاياتك ، إلهى إن كنت غير مستأهلة لما أرجوه من مغفرتك ، فأنت أهل أن تجود علىّ بسعة رحمتك ، يامن لا تخفى عليه خافية ، ويامن نعمه لم تزل وافية ، استر علىّ ماخفى من ذنوبى ، فأنت غاية مقصدى ومطلوبى ثم أنشدت :

تعطف بفضل منك يامالك الورى فأنت ملاذى سيدى ومعينى
لئن أبعدتنى عن جنابك زلتى فان رجائى فيك حسن يقينى
وظنى جميل أنى منك أرتجى عواطفك الحسنى فخذ بيمينى

قال محمد بن مروان فلقد أطربتنى بما أسمعتنى وأبكين أعينى بما وعظتنى

[قيل] كانت امرأة مجاورة بمكة شرفها الله تعالى يقال لها حكيمة وكانت إذا نظرت الى باب الكعبة يفتح صرخت صرخة عظيمة وأغمى عليها ففتحت الكعبة يوما فى غيبتها . فلما جاءت قيل لها ياحكيمة فتح اليوم بيت ربك ، فلو رأيت الطائفين به يطوفون وهم محرمون ملبون ، والباب مفتوح ، وكل منهم قلبه من الشوق مجروح ، ومن الوجد مقروح . وهم ينتظرون من ربهم الرحمة والمغفرة ، ويبكون بالذلة والمعذرة ، لكانت تقرّ عينك ، فصرخت صرخة أزعجت بها القلوب ، ولم تزل تضطرب حتى ماتت أسفا على مافاتها من بلوغ المطلوب ورؤية الكعبة التى شرفها الله تعالى بين الملا ، ولم يجعل لها فى الدنيا عوضا ولا بدلا :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا شوقا اليك وعنك لم يرم بدلا
يمسى ويصبح محزونا ومكتئبا ويهجر الأهل والأوطان والظلا
لولاك ماسارت الركبان من طرب كلا ولا قطعت سهلا ولا جبلا
ولا رأت كل ضيق فيك متسعا كلا ولا خف عنها كل ماثقلا
باعوا النفوس رخيصا فى هواك وما تغلو النفوس بوصل منك إن حصلا

[قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه] بلغنى أن بالجبل المقطم جارية متعبدة ، فأحببت أن أزورها فخرجت الى الجبل أطلبها فلم أجدها ، فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها ، فقالوا أتسأل عن المجانين ، وتترك العقلاء ؟ فقلت دلونى عليها وإن كانت مجنونة ؛ فقالوا نراها تجوز بنا تقع مرة وتقوم مرة وتصيح مرة وتسكت مرة وتبكى مرة وتضحك مرة . فقلت دلونى عليها فقال أحدهم تراها فى الوادى الفلانى ، فخرجت فى طلبها . فلما أشرفت عليها سمعت لها صوتا ضعيفا وهى تقول :

ياذا الذى أنس الفؤاد بذكره أنت الذى ماإن سواه أريد يامنيتى دون الأنام وبغيتى
يامن له كل الأنام عبيد تفنى الليالى والزمان بأسره وهواك غض فى الفؤاد جديد

قال ذو النون فاتبعت الصوت . فاذا أنا بالجارية ؛ وهى جالسة على صخرة عظيمة ، فسلمت عليها فردت علىّ السلام وقالت : ياذا النون مالك وللمجانين ، فقلت لها أمجنونة أنت ؟ قالت لو لم أكن مجنونة لما نودى علىّ بالجنون . قلت : وما الذى جننت به ، قالت : ياذا النون حبه خبانى ووجده أقلقنى وشوقه تيمنى ، فقلت : وأين محل الشوق منك ؟ فقالت : ياذا النون الحب فى القلب والشوق فى الفؤاد والوجد فى السرّ ، ثم بكت بكاء شديدا حتى غشى عليها . فلما أفاقت قالت :

الخطير المأمول أن تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعا فتؤثره لله تعالى على شهوتك وأن ترفع حجرا أو قذرا وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش فى الدنيا بعزّ القناعة وتأتى الى موقف الكرامة آمنا غدا وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جوار المولى الكريم مخلدا . فقال ياجارية أسمعت ماقال شيخنا هذا ؟ قالت نعم ، قال أفصدق أم كذب ؟ قالت : بل صدق وبرّ ونصح . قال فأنت إذا حرة لله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدم أحرار ، وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله ثم مدّ يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ماكان عليه واستتر به فقالت الجارية لاعيش

أوّاه من فرط المحبة ، ياذا النون هكذا موت المحبين ، ثم صاحت صيحة عظيمة وسقطت إلى الأرض فحركتها فاذاهى ميتة رحمة الله عليها:

ياحبيب القلوب مالى سواكا ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا أنت سؤلى ومنيتى وسرورى
قد أبى القلب ان يحب سواكا يارجائى وغايتى واعتمادى طال شوقى متى يكون لقاكا
ليس قصدى من الجنان نعيما غير أنى أريدها لأراكا ياحبيب القلوب جدلى بعفو
وأنلنى يانور عينى رضاكا أنا أهواك ماحييت وإن متّ فبعدى يافوز من يهواكا
ليس لى عنك ماحييت براح وفؤادى على المدى يرعاكا كل من فى حماك يهواك لكن
أنا وحدى كل من فى حماكا جئت يامنيتى إليك ومالى غير ذلى إليك لالسواكا
فبذلى ولوعتى وانكسارى وافتقارى وفاقتى لغناكا هب لى الفوز واعف عنى لأنى
فى البرايا أصبحت من أسراكا ليس لى قربة إليك من الخلق سوى المصطفى الذى ناجاكا

أحمد المرتضى شفيع البرايا سيد الكون خير من نادا كا
فعليه الصلاة فى كل وقت كلما حرك النسيم الأراكا

[عن جعفر الخالدى رحمة الله عليه] قال سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول: حججت سنة من السنين على الوحدة وجاورت بمكة شرفها الله تعالى فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف فبينا أنا أطوف إذا بجارية تطوف بالبيت وهى تقول :

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتدّ شوقى هام قلبى بذكره وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
ويمنحنى وصلا فأحيا به له ويسكرنى حتى ألذّ وأطربا

[قال الجنيد] فقلت لها ياجارية : أما تتقين الله تتكلمين بمثل هذا الكلام فى مثل هذا المقام فالتفتت إلىّ وقالت : ياجنيد لاتدخل بينه وبين محبيه . ثم أنشدت تقول :

لولا التقى لم ترنى هجرت طيب الوسن إن الهوى شرّدنى
كما ترى عن وطنى قد هممت من حبى له فجبه هيمنى

ثم قالت ياجنيد أنت تطوف بالبيت . فهل ترى رب البيت ؟ فقلت: هذه دعوى تحتاج إلى إقامة حجة فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك سبحانك ، ماأعظم شانك ، وما أعزّ سلطانك ، خلق كالأحجار يطوفون بالإنكار على أهل الأسرار ، ثم أنشدت:

يطوفون بالبيت العتيق تقرّبا إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
فلو يخلصون السرّ جادت صفاتهم وقامت صفات الحق منهم على الذكر

قال الجنيد: فأغمى علىّ من كلامها ، فلما أفقت طلبتها فلم أجدها :

ياذا الذى آنسنى فى الفؤاد وحرّم النوم وطيب الرقاد أنت الذى أسهرتنى دائما
وقد حلالى فيك طيب السهاد ياذا الذى قد لامنى فى الهوى ماتتقى الهجر وطول البعاد
إن كنت تبغى قربه فاجتهد ولذ بجاه المصطفى فى المعاد طه شفيع الخلق يوم اللقا
إذا أتوا فى الكرب يوم التناد صلى عليه الله ما أورقت أغصان أشجار وما سار باد

[قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه] وصف لى عابدة من الزهاد ، ذات عمل واجتهاد ، فقصدتها فاذا هى صائمة النهار قائمة الليل لاتفتر عن العبادة ، ولا تملّ من العمل ، وهى مقيمة فى دير خرب . فلما جن الليل ، سمعتها تقول : سيدى لاينام ، ولاينبغى له المنام ، فكيف الجارية تنام ؟

بعدك يامولاى فرمت بكسوتها ولبست ثوباخشنا وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذ طريقا غيره فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمهما الله ورضى عنهما ونفعنا بهما وبسائر الصالحين. اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل إلينا فتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم واهدنا هداهم وأسلكنا طريقتهم آمين.

﴿ فصل : فى اللقاء ﴾

قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى

والمخدوم لاينام ؟ لاوعزّتك وجلالك ليس لى فى هذه الليلة منام . فلما أصبحت سلمت عليها فردّت علىّ السلام . فقلت لها ياجارية تسكنين فى مساكن النصارى وأنت على هذه الحالة ؟ فقالت : ياذا النون لاتتكلم بمثل هذا الكلام السقيم ، وأنت على هذا القدم العظيم ، فلايخطر غيرالله فى بالك ، ولا تتوهم غيره فى خيالك . فقلت لها : أماتستوحشين فى هذا الدير ؟ فقالت : والذى ملأ قلبى من لطيف حكمته ، وهيمنى فى محبته ، ماعلمت فى قلبى موضعا لغيره ، ولا فى جسدى عرقا إلا وهو ملآن بمعرفته ؟ فكيف لاأستأنس بذكره ؟ وأنا دائما فى حضرته . فقلت لها : قد أرشدتنى إلى الطريق فاسلكى بى مسالك القوم ، فانى والله فى بحر ذنوبى غريق . فقالت : ياذا النون اجعل التقوى زادك ، والآخرة مرادك ، والزهد والورع مطيتك ، والانقطاع إلى الله تعالى سجيتك ، وارم هذه الدنيا عن قلبك ، فهو سبب الرجوع إلى ربك ، واسلك طريق الخائفين ، واترك طريق المذنبين تكتب فى ديوان الموحدين ، وتلق الله تعالى وليس بينك وبينه حجاب ، ولايردك عنه بوّاب . قال ذوالنون : فأثر كلامها فى قلبى ، وكان سبب رجوعى إلى ربى ، ثم تركتنى ومضت وهى تسوح ، وتقول فى سياحتها :

هو الحبيب الذى بالوصل قد وعدا ... وحقه لاسلته مهجتى أبدا
كرر على مسمعى ذكراه تطربنى ... روحى الفداء لمن باسم الحبيب حدا
هو الحبيب فلا شىء يماثله ... تالله مامثله للقلب حين بدا
إن متّ فى حبه شوقا فلا عجب ... ياحبذا إن أكن من جملة السعدا
يامن يروم وصالا منه يغنمه ... اهجر منامك ماوصل الحبيب سدى
وانظر لأهل التقى فى الليل قد وقفوا ... فى طاعة الله كلّ ربه عبدا
هذى صفاتهمو نالوا الذى طلبوا ... وكل راج لما يبغيه قد وجدا

المجلس الثامن والعشرون

فى قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)

الحمد لله الذى لاتدركه الأوهام ولا الظنون ولا تحويه الأبصار ولا العيون ، ولاتناله الآفات ولاالمنون ، الذى أنزل الكتاب المكنون ، وأرسل السحاب الهتون ، وأخرج رطب الثمار من يابس الغصون ، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون (وإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) تكوّنت بقدرته الأشياء ، وتوالت برحمته الآلاء ، وانشقت بحكمته الأرض والسماء ، وكتب بمشيئته السعادة والشقاء (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون) الشافى صدور أولى الألباب ، النافى بإتقان مصنوعاته كل شك وارتياب (ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أنشأ بحكمته أصناف المبتدعات ، وقدر الأشياء من ماض وآت ، وغفر بالمتاب سائر الخطيئات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون) مبدع الدهور بالأحداث ، ومصوّر الذكور والإناث ، وباعث من فى القبور فينهضون بالانبعاث (ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ـ جعل الشمس سراجا) وأنزل من المعصرات ماء ثجاجا . ولوشاء لجعله أجاجا فلولا تشكرون . الكريم الشكور الرحيم الغفور المنزه فى أقضيته عن أن يظلم أويجور (الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) مالك الأشياء بالطول والأرض ، وقبل من عباده السنن والفرض ، وإليه المآب والعرض (وله من فى السموات

والأرض

فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال العلماء الحسنى الجنة ، والزيادة هى النظر إلى وجه الله الكريم ، اللهم ارزقنا ذلك بفضلك . وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) » . وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر ، قال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم

والأرض كلّ له قانتون) أتقن خلق الإنسان وأبدع ، وركب فيه قوى حركاته وأودع (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أوضح سبيل الرشاد وبين مسالكه ، وأسبغ على العباد نعمه المتداركة ، ونوّر وجوه الموحدين فهى (مسفرة ضاحكة لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أرسل من المعصرات الماء إلى الأرض وأنزل ، وأسبغ بفضله الآلاء وخوّل ، وقضى على خلقه بما شاء وأجزل (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) أتقن صنعة خلق العالم وأحكم ، وجاد عليهم بفائض رزقه وأنعم ، ويدرك منهم السرّ المكنون المبهم (لاجرم أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون ـ رب المشرقين ورب المغربين) ومنور الكون بالنورين ، (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) حجب أرباب العقول عن تحديده فتاهوا ، وبصرهم بتوحيده فلم يشاققوا ولم يضاهوا ، وألهمهم ذكر تمجيده فنطقوا بذكره وفاهوا ، الله لاإله إلاهو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أفاض على أوليائه من جزيل نعائه فضلا ونوالا ، وأعدّ لأعدائه من عذابه وبالا ونكالا ، وحجبهم عن إدراكه فلا يتوهمون له شبيها ولامثالا (سبحانه وتعالى عما يشركون ـ ليس كمثله شىء) ولاتنشر فضله طىّ ، ولايعترى المهتدى إلى سبيله غىّ (يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ ، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) :

فنون المحبة فيها فنون ولكن لقوم بها يعرفون
ففيها رموز لأهل الهوى وفيها صفات الجمال المصون
تعلم فيها رجال الوفا علوم الصفا فبها يعملون
وعرّفهم كيف طعم الهوى وطرق الهدى فيه يعرفون
وفيها إشارات سرّ الغرام وسرّ الغرام لديه فنون
عجيب لمن لامنى فيهمو يهون باللوم مالايهون
ويقطع بالتعب أوقاته ويطلب فى الكون مالايكون
فسبحان من لاله فى الورى شريك وكل الورى يشهدون

أحمده حمدا يتقرّب به المتقرّبون ، وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له شهادة تنفع قائلها يوم لاينفع مال ولابنون ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبى العربى الأمين المأمون ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون . قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) النافخ إسرافيل والصور قرن ، وقيل جمع صورة على قراءة الحسن لأنه قرأ (ونفخ فى الصور) بفتح الواو . وقال ابن عباس رضى الله عنهما: صاحب الصور لم يطرف ، أى لم يطبق جفنا على جفن منذ وكل به ينظر تجاه العرش يخاف أن يؤمر قبل أن يلتقى جفناه وهذه هى النفخة الأولى ، ومعنى (فصعق) ماتوا من الفزع وشدة الصوت ، وقوله (إلامن شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وقيل حملة العرش ، وقيل الملائكة ، وقيل هم الحور العين . ثم نفخ فيه أخرى يريد نفخة البعث ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الأجساد تنبت كنبات البقل فتخرج الأرواح كأمثال النحل فتدخل الخياشيم فتدب كدبيب السمّ فى اللديغ فاذا هم قيام ينظرون إلى أهوال ما كانوا يوعدون » .

[إخوانى] رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون ، وتركوا الأموال والأوطان وستتركون ، وتجرعوا كأس الفراق وستتجرعون ، وقدموا على ماقدموا وستقدمون ، وندموا على التفريط

قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) » ، وفى كتاب الترمذى عن سعيد بن المسيب « أنه لقى أبا هريرة فقال له أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد : أفيها سوق ؟ قال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك والكافور مايرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قلت يارسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال نعم ، هل

في الأعمال وستندمون . وتأسفوا على أيام الإهمال وستتأسفون ، وشاهدوا مالهم عند المنون وستشهدون ، ووقفوا ببصائرهم على الأهوال وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستسألون ، ويودّ أحدهم لو يفتدى بالمال وستودون . فبادروا للمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون، فكأنكم بأيام الشباب قد أبلتها يد المنون ، وقد أظلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون ، (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون) فكيف بك يا ابن آدم (إذا نفخ فى الصور ، وبعثر ما فى القبور ، وحصل مافى الصدور) وضاقت الأمور ، وظهر المستور ، وخرج الخلائق من القبور (فاذا هم قيام ينظرون) ياله من يوم عظم فيه الزلزال (وسيرت الجبال) وترادفت الأهوال وانقطعت الآمال . وقلّ الاحتيال وخسر أصحاب الشمال ، وخرجوا من القبور بنفخة الصور يرجفون (فإذاهم قيام ينظرون) يوم تزل فيه الأقدام وتتبلد فيه الأفهام ويطول القيام وتظهر الآثام وينقطع الكلام ويخرجون من اللحود أحياء بعد شرب كأس المنون (فاذاهم قيام ينظرون) فهو يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يوم الزلزلة والطامة ، يوم يشاهد العاصى ذنوبه وآثامه ، يوم يخرجون من الأجداث بالانبعاث إلى مايوعدون (فاذا هم قيام ينظرون — يوم تبلى السرائر) وتكشف الضمائر وتظهر الجوائر وتعمى البصائر ، ويبهت الحائر ، ويفتضح أهل الكبائر ويبعثر ما فى القبور فيخرج المؤمن والكافر والبرّ والفاجر إلى الموقف يهرعون (فاذاهم قيام ينظرون) كان محمد بن السماك كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية فى القرآن أبكتنى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) كيف لاتذوق العيون من البكاء ألمها ؟ وهى لاتدرى مايختم لها ؟ .

[إخوانى] سار المتقون ورجعنا ، ووصلوا وانقطعنا ، وأصابوا وامتنعنا ، ونجوا من الإشراك ووقعنا ، تعالوا ننظر فى آثارهم وندرس دارس أخبارهم ونبكى على مانابنا ، وننذب على مالحقنا وأصابنا :

تذكرت أيامى وما كان فى الصبا ... من الذنب والعصيان والجهل والجفا
وكيف قطعت العمر سهوا وغفلة ... فأسكبت دمعى حسرة وتلهفا
وناديت من لايعلم السرّ غيره ... ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه ... فجاد عليه بالجميل تعطفا
أغثنى إلهى واعف عنى فانى ... أتيت كئيبا نادما متلهفا
وخذ بيدى من ظلمة الذنب سيدى ... وجدلى بما أرجوه منك تلطفا

[إخوانى] زرع أعمالكم قد دنا للحصاد ، وزاد أيامكم قد آذن بالنفاد ، ونوم غفلتكم قد أطال الرقاد ، فستندمون يوم يفرّ الوالد من الأولاد . وتختلف الأمور ونفخ فى الصور فأين الحسرات على فوات أمس ؟ أين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس ؟ أين ماأعددتموه ليوم لاتجزى فيه نفس عن نفس ؟ ستذهل إذا خشعت الأصوات فلا تسمع إلا الهمس ، وتعلق الصحائف فى النحور وتغلى النيران فى الصدور ونفخ فى الصور . قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : فى قوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) قال تلقى الوالدة ولدها يوم القيامة . فتقول له يابنىّ ألم يكن بطنى لك وعاء ؟ ألم يكن ثدىى لك سقاء ؟ فيقول بلى ياأماه . فتقول : قد أثقلتنى ذنوبى فتحمل عنى منها ذنبا واحدا ؟ فيقول : إليك عنى فأنا مشغول بنفسى عنك وعن غيرك :

أنا مشغول بذنبى ... عن ذنوب العالمينا وخطايا أثقلتنى ... تركت قلبى حزينا
ولقد كنت جليلا ... فى عيون الناظرينا صرت فى ظلمة قبرى ... ثاويا فيها رهينا
بعد عز وسرور ... فوق وصف الواصفينا فأتى الموت علينا ... بعد هذا ففنينا

تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا قال كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ، ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يافلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا ! فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول : أفلم تغفر لى ؟ فيقول فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه . فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ماشتهيتم فيأتون سوقا قد حفت بهم الملائكة فيها مالم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، فيحمل لنا ماشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى

وعلمنا ففهمنا مالنا الآن نسينا أنّ حيا ليس يبقى غير رب العالمينا
والذى صح لدينا وعلمناه يقينا كل حى سوف يفنى غير محيى الميتينا

[إخوانى] قلوبنا بالغفلة رحلت عن الأجساد ، إخوانى إلى متى أتحدث وليس فى الحىّ إلا الحيام ، إخوانى أما تنظرون إلى مافعلت بنا الزلات والآثام ، إخوانى قيدنا التقصير وقد دنا الحمام ، فأوّاه علينا من هول يوم النشور ، ونفخ فى الصور ، بالله ياإخوانى إلى متى تؤخرون المتاب ، هذا المشيب أتى وقد تولى الشباب ، متى تصالح مولاك متى تقف بالباب ؟ أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب ، وماحدث بعد ذلك من الأمور ، ونفخ فى الصور ، قيل إنه إذا رجع الشاب إلى سيده وتاب تبشر الملائكة بعضهم بعضا فيقولون ماذا وقع ؟ فيقال لهم شاب استيقظ من نوم غفلته ورجع إلى الله بتوبته فينادى مناد زينوا فراديسكم لقدوم توبته ، وفى الحديث : ان الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعيوبه عند سيده ومحبوبه . وقال إلهى أنا أسأت فيقول الله تعالى وأنا سترت . فيقول إلهى وأنا ندمت . فيقول الله تعالى وأنا علمت . فيقول : إلهى رجعت . فيقول الله تعالى قبلت ، أيها الشاب إذا تبت . ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا ثانيا وإذا نقضت ثانيا فلايمنعك الحياء أن تأتينا ثالثا ، وإذا نقضت ثالثا ، فارجع إلينا رابعا فأنا الجواد الذى لا أبخل ، وأنا الحليم الذى لا أعجل ، وأنا الذى أستر على العاصى وأقبل التائبين ، وأعفو عن الخاطئين ، وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين . من ذا الذى أتى إلى بابنا فرددناه ؟ ومن ذا الذى لجأ إلى جنابنا فطردناه من ذا الذى تاب إلينا وما قبلناه ؟ من ذا الذى طلب مناوما أعطيناه ؟ من ذا الذى استقال من ذنبه فما غفرناه ؟ أنا الذى أغفر الذنوب ، وأستر العيوب ، وأغيث المكروب ، وأرحم الباكى الندوب وأنا علام الغيوب ، ياعبدى قف على بابى أكتبك من أحبابى ، تمتع فى الأسحار بخطابى أجعلك من طلابى ، لذ بحضرة جنابى أسقك من لذيذ شرابى ، اهجر الأغيار ، والزم الافتقار ، وناد فى الأسحار ، بلسان الذلة والانكسار ، وقل إن كنت من المحبين أهل الاشتياق والاشتهار :

يامن فؤادى عنه لايسلو وخاطرى منه فما يخلو قد انقضى عمرى بلا موعد
يعلل القلب ولا وصل انظر إلى حالى بعين الرضا فالعيش بالهجران لايحلو
واسمح على قدرك ياسيدى حوشيت أن ينقصك الفضل كل عذاب فيك مستعذب
وكل صعب هين سهل لى بك عن كل الورى شاغل يافوز من أنت له شغل

[اخوانى] جزاء الأعمال بالميزان عسير ، والوقوف بين يدى المولى بظلمة المعاصى خطير ، فإلى متى فى المطال والعمر قصير ، لاتدرى هول ما أنت اليه تصير ، وستندم إذا بعثر ما فى القبور ، ونفخ فى الصور وحصل مافى الصدور :

ماحيالى وأمر ربى عصيت حين تبدى صحائفى ماجنيت ما احتيالى إذا وقفت ذليلا
قد نهانى وما رآنى انتهيت ياغنيا عن العباد جميعا وعليما بكل ماقد سعيت
ليس لى حجة ولا لى عذر فاعف عن زلتى وما قد أتيت

كيف حالك يا أخى إذا بلغت القلوب الحناجر ، وقطعت الحسرات الأكباد قطع الخناجر ، واشتد عطش المفرطين من شدّة الهواجر ؟ فيا أيها العاصى بادر إلى باب مولاك وهاجر ، وأدرك مواسم الارباح قبل أن تمور . ونفخ فى الصور :

سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنت إلى إلف بعيد فأزعجت القلوب وأقلقتها
وما زلنا نقول لها أعيدى أرى ماء وبى عطش شديد ولكن لاسبيل إلى الورود

من دونه وما فيهم دنىء فيروعه مايرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه وذلك أنه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإنّ بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا . قال بعض السادات : رأيت غلاما فى البرّية وهو قائم يتعبد ، وليس معه أحد قد انقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه ، وقلت له يافتى أنت منقطع بلا معين ولا رفيق ؟ فقال بلى وعزته معى المعين والرفيق . فقلت فأين المعين والرفيق ؟ فقال هو فوقى بقدرته ، ومعى بعلمه وحكمته ، وبين يدىّ بهدايته ، وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعصمته . قال فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له : هل لك فى المرافقة فقال : هيهات مرافقتك

فرد من ماء موعظة ورودا لتلق الأمن للقلب الشريد
ولازم خدمة المولى عسى أن تنال الفوز من رب مجيد

واها على قلوب أقسى من الحديد ، واها على نفوس عن طريق الرشاد تحيد ، واها عن عيون أجمد من أصلاب الجلاميد سيشرب أهل الشهوات شرابا من صديد وتبرز أعمالهم بسوء أفعالهم فيذهلون (فإذا هم قيام ينظرون) .

[اخوانى] كم خذل التفريط من البطالين ، وكم أقعدت البطالة قلوب الغافلين وكم أعمت الآمال بصائر الآملين . وكم قطعت الأسباب قلوب الخائفين وحيل بينهم وبين مايشتهون (فإذا هم قيام ينظرون) أما لكم عيون من الم الفراق تسمع ، أما لكم قلوب من وحشة الانقطاع تخشع ، أما لكم أسماع تصغى إلى المواعظ فتسمع ، أما لكم أكباد من طلب الفانى تشبع (تالله لتسئلن عما كنتم تعملون ـ فإذا هم قيام ينظرون) .

[قيل] إن بعض المريدين حصلت له فترة فرجع إلى ما كان عليه ثم انه ندم وقال : ترى لو رجعت عن ذنبى كيف حالى مع ربى ؟ فسمع النداء : يافتى عصيتنا فسترناك وتركتنا فأمهلناك فإن عدت إلينا قبلناك وإن كنت ماتراانا فنحن نبصرك ونراك ، عصيتنا فى الملا جهرا وغطيناك وكم تباعدت عنا ثم قربناك بارزتنا بالخطايا ثم سامحناك ولو رجعت إلينا وطلبت الصلح صالحناك .

وكان على بن الموفق يقول فى مناجاته : سيدى وعزتك لا أبرح عن بابك ولو طردتنى ولا أزول عن جنابك ولو أبعدتنى ولا أحول عن وصلك ولو قطعتنى ولا أسلو عن محبتك ولو عذبتنى سيدى وان كنت محجوبا عن ناظرى فأنت فى قلبى وخاطرى وان كنت مقاطعى ومهاجرى فحبك مكنون فى سرى وضمائرى :

ان حجبوا شخصك عن ناظرى ماحجبوا ذكرك عن خاطرى
قد زارنى طيفك من مضجعى ياحبذا طيفك من زائر
واصلتنى أفديك من واصل هجرتنى أفديك من هاجر
أصبحت ما بين الهوى والنوى فى موقف مالى من ناصر
فظاهرى ينبيك عن باطنى وباطنى ينبيك عن ظاهرى

غيره :

قولوا لمن غيب عن ناظرى حبك فى قلبى وفى خاطرى
يامالك الروح ترفق بها قد منع الصبر عن الصابر
تريد أن تقتلنى عامدا لابدّ للمظلوم من ناصر
* بحرمة الودّ الذى بيننا لاتفسد الأوّل بالآخر

[اخوانى] مدّوا أيدى الذلّ والافتقار ، وأسبلوا من عيونكم دمعها المدرار ، ونادوا برفيع الأصوات بالسرّ والاجهار : عبيدك أهل المعاصى والإصرار أتوك يرجون عفوك عن الذنوب والأوزار وقد عثرنا فأقل عثرتنا من النار ، إلهنا شفيعنا اليك الذل والانكسار والندم والرجوع والدموع الغزار ، إلهنا ان كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك فان حسن الظن قد أطمعنا فى ثوابك فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنا لك ، إلهى إن كنت لاترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين وان كنت لاتقبل إلا المخلصين فمن للمخلطين وإن كنت لاتكرم إلا المحسنين فمن للمسيئين إلهى ما أعظم حسرتى أذكر غيرى وأنا الغافل ، مولاى ما أشدّ مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم سيدى ما أبلغ قصتى أدلّ غيرى وأنا الجائر ، إلهى جد بالعفو عن مذكر متكلف وسامع

تشغلنى عن خدمته ، وما أحب أن يكون هذا لى ولى ملك الدنيا من شرقها إلى غربها . فقلت له أما تستوحش فى هذا المكان؟ فقال لى : ياهذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش ؟ فقلت من أين تأكل ؟ فقال ياهذا الذى غذانى برفقه فى ظلمة الأحشاء صغيرا تكفل بى كبيرا ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته فى الدعاء ، فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته ولاجعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له ياأخى متى ألقاك ؟ فتبسم وقال لى أما بعد يومك هذا فلا تحدّث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس فان كنت ممن تلقانى فاطلبنى فى جملة الناظرين إلى الله فقلت له ومن أين عرفت ذلك ؟ فقال به وعدنى ربى وذلك أنى غضضت طرفى عن النظر إلى المحرمات ومنعت

متخلف

متخلف. إلهى إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى إليك أتراك تقبل الدلول وتردّ الدليل ، إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجالسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس التاسع والعشرون

فى بعض مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى نزه أبصار بصائر أوليائه فى ملكوته ، وأراهم من آياته عجبا ، وأسرى بأرواحهم إلى محل قربه وجعلهم من الأتقياء والنجبا ، وشرّفهم بأن جعلهم عبيده فجعل لهم شرفا ونسبا ، وأقامهم على الأقدام فى جنح الظلام ، وقد مدّ عليهم من ستوره غيهبا ، وأطلعهم على أسرار ما كتبتها أقلام ولا أودعت كتبا ، وقذف فى قلوبهم أنوارا يشاهدون بها الملكوت فيرون ما كان بعيدا مقتربا ، ومنّ عليهم بالكشف والاطلاع فيرون ما كان محتجبا ، وكساهم جمالا ومهابة وسمة وأدبا ، وجذب أعنة قلوبهم إلى جنابه والسعيد من كان له منجذبا ، ونعمهم بطيب خطابه الذى فرّج هموما وأذهب كربا ، وأراحهم لما تعبوا فى خدمته فما وجدوا لذلك تعبا ، ونادمهم فى خلوة السحر فقطعوا بالسهر وقتا طيبا ، وناداهم فى سرائرهم ببشائرهم أهلا وسهلا ومرحبا ، وسقاهم من ألذ مشروب ، وتجلى عليهم المحبوب وأراهم جمالا للقلوب قد سبى ، فهو حبيب القوم وجليسهم ونديمهم وأنيسهم ، وقد رفع لهم عنده رتبا ، فإذا غابوا كانوا فى الحضرة قربا ، وإذا حضروا حدّثوا عجبا ، فبهم ينزل الغيث ويعشب من الأرض ما لم يكن معشبا ويخضب منها ما كان مجدبا ، وبهم يستجاب الدعاء ويكشف البلاء وهم أهل الاجتباء ، تركوا الدنيا لأجل محبوبهم فتساوى عندهم أن يروا حجرا وذهبا . رضوا به بدلا من كل شىء فقالوا قصدا وبلغوا أربا ، فإذا أقبل الليل تمسكوا بأذياله وأخذوا منهم حسبا وتملوا بمنادمة حبيبهم عند ما غابت الرشاة ونامت الرقبا . وإذا هجم الصباح أعلنوا بالصياح وأجروا دمعا منسكبا . وقالوا يا ليت الليل ماذهب وليته أقام وليت المشرق عاد مغربا :

أيا ليل لاتنفد إلى الحشر دائما ... ومدّ على رغم العواذل غيهبا ... ويا صبح لاتهجم علينا بسرعة

وبالله لاتسفر وكن متأدبا ... فمحبوبنا فى آخر الليل زارنا ... وقد بشرتنا باللقا نسمة الصبا

ولما سرى ذاك النسيم معطرا ... حسبناه بالمسك العبيق تطيبا ... وداخلنا سكر عجيب ونشوة

تخبر أن العشق من زمن الصبا ... فيا صاحيا من خمرة الحب خاليا ... من الوجد ما ذاق الغرام ولا صبا

تنح ودع عنك الهوى وحديثه ... فان رمت سلوانا تروح مخيبا ... بروحى من طاوعت فيه صبابتى

وخالفت فيه عاذلى شاء أو أبى ... وقلت هو المحبوب دينى ومذهبى ... ويا حبذا لى مذهب صار مذهبا

[قال بعض الصالحين] كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدّامى شخصا فسارعت حتى أدركته : فإذا هى امرأة بيدها عكاز وهى تمشى الهوينا فظننت أنها أعطبت فأدخلت يدى فى جيبى وأخرجت لها عشرين درهما وقلت خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح أمرك . فقالت بيدها فى الهواء هكذا ، فإذا هى فى كفها دنانير من الغيب وقالت أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب ثم أنشدت تقول :

كم نعمة لك فى الأنام ومنة ... موجودة فى ذاتها لاتعدم

كم آية لك فى الخلائق والنهى ... مشهودة أسرارها لاتفهم

كم حالة حولتها وتحولت ... فينا بنا عما نريد نترجم

نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ثم غاب عنى فما رأيته

اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الثلاث فظفر بلقائك يوم الدين الذين يقول لهم خزنة الجنة إذا جاءوها (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم كتاب : أحاديث وآثار ومواعظ

ويليه :

كتاب قرة العيون ومفرج القلب المحزون

ولدى كلامك تستوى أقوالنا ففصيحنا فى بعض قولك أبكم
وتقول حقا إنك الحق الذى حجب الجميع فعلمه لايعلم

فسبحان من اختص من خلقه عبادا جعل لهم أرض الهدى مهادا ومنحهم توفيقا ورشادا وزادهم فى طريقهم زادا ، نصب لهم شباك الملاطفة فأوقعهم فى طريقهم وأدار عليهم كؤوس المعاطفة فصرعهم فقلوبهم فى محبته واجلة وأبدانهم من خوف هجره ناحلة فهم فى بساتين وصله يرتعون وفى روضات أنسه يتمتعون ومن أهوال يوم القيامة آمنون (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

[قيل] دخل لص على رابعة العدوية ليلا فنظر فى البيت يمينا وشمالا فلم يجد غير إبريق فلما همّ بالخروج قالت له ياهذا إن كنت من الشطار فلا تخرج بلا شىء . فقال انى لم أجد شيئا ، فقالت له يامسكين توضأ بهذا الابريق وادخل إلى هذا المخدع وصلّ ركعتين فانك لاتخرج إلا بشىء ففعل ما أمرته به فلما قام يصلى رفعت رابعة طرفها إلى السماء . وقالت : سيدى ومولاى هذا قد أتى إلىّ ولم يجد عندى شيئا وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك فلما فرغ من صلاة الركعتين لذت له العبادة فما برح يصلى إلى آخر الليل فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة العدوية فوجدته ساجدا وهو يقول فى عتابه لنفسه :

إذا ماقال لى ربى أما استحييت تعصينى وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما يعاتبنى ويقصينى

فقالت له حبيبى كيف كانت ليلتك ؟ فقال بخير وقفت بين يدى مولاى بذلى وفقرى فجبر كسرى وقبل عذرى وغفر لى الذنوب وبلغنى المطلوب . ثم خرج هائما على وجهه فرفعت رابعة طرفها إلى السماء وقالت سيدى ومولاى : هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أترى قبلتنى فنوديت فى سرّها يارابعة من أجلك قبلناه وبسببك قرّبناه :

ياسيدى عبدك المسكين فى بابك يرجو رضاك فجد بالعفو أولى بك
حاشاك تسدل حجابك دون طلابك أو تبتلى بعذابك قلب أحبابك

يا هذا سبقك أهل العزائم وأنت فى الغفلة نائم ، قف على الباب وقوف نادم ونكس رأس الذل وقل عبد ظالم وناد فى الأسحار أنا المذنب الهائم وقد جئت أطلب العفو والمراحم وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم فزاحم .

[إخوانى] نظر العارفون بعين البصائر وعمل كل منهم لما هو إليه صائر هجروا المنام وقاموا فى لدياجى الدياجر وغسلوا الوجوه بدموع المحاجر فأزعجهم مايتلونه فى القرآن من الزواجر :

خضوع وخوف واحتشام وذلة وهذا لمن يرجو النجاة قليل
فهل لى من الأحزان حظ موفر وهل لى إلى طول البكاء سبيل
لعلى أن أحظى بقرب ولذة ويحصل لى بعد الفراق وصول

[عن أنس بن مالك رضى الله عنه] قال : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى الشام ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى . قال فبينما هو جاء من بلاد الشام يريد المدينة ، إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف قال فوقف التاجر وقال له شأنك بمالى وخلّ سبيلى . فقال له اللص : المال مالى وإنما أريد نفسك فقال له التاجر ماتريد بنفسى ، شأنك والمال وخلّ سبيلى . فرد عليه بمقالته الأولى فقال له التاجر انتظرنى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين وأدعو ربى عز وجل ؟ فقال له افعل مابدا لك قال فقام التاجر

وتوضأ

٢
كتاب
قرة العيون
ومفرح القلب المحزون
لأبى الليث السمرقندى

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباب الأول
فى عقوبة تارك الصلاة

قال الله عزّ وجل (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وقال الله عزّ وجل (واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقال الله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وقال ابن عباس رضى الله عنهما « ويل واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره ، وهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مابين المسلم والمشرك إلا ترك الصلاة » فإذا تركها أى جحدها كان كافرا ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

وتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال : ياودود ياودود ياودود ياذا العرش المجيد . يامبدئ يامعيد . يافعالا لما يريد : أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء ، أنت الذى وسعت كل شيء رحمة وعلما ، لا إله إلا أنت يامغيث أغثنى ثلاث مرات ، فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر وبيده حربة من نور ، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس ، فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ، ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله . فقال له التاجر من أنت ؟ فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى لقتله . قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ، ثم رجع إلى التاجر وقال . اعلم أنى ملك من السماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادى من لهذا المكروب ؟ فدعوت ربى أن يولينى قتله ، واعلم ياعبد الله أنه من دعا بدعائك هذا فى كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عنه وأغاثه . قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بالقصة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لقد لقنك الله تعالى أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب ، وإذا سئل بها أعطى :

لك الفضل يامولاى والشكر والحمد ... فمازلت تولى الخير مذ ضمنى المهد
ولو رمت أن أحصى جميلك لم أطق ... فما لجميل قد مننت به حد
وكم لك من لطف أتانى مفرج ... من الكرب مالولاه قد كان يشتد
قصدناك نستكفى العداة وشرهم ... وعند العظيم الجود لم يخب القصد
فليس لعبد غير مولاه ملجأ ... فان رده المولى فما يصنع العبد
ومالى شفيع غير جاه محمد ... ومن جاهه فى الحشر ليس له رد
عليه صلاة الله ما لاح بارق ... وماهطلت سحب وماقهقه الرعد

إلهى وصل العارفون بالمعرفة اليك وقام المجتهدون للخدمة بين يديك : إلهى خضع المتكبرون من هيبة جلالك وخشع المتجبرون لسطوة كمالك ، وارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك ، إلهى وقف السؤال ببابك ، ولاذ المحتاجون بجنابك ، وتقطعت أكباد المحبين فى طلابك ، وفاز القائمون بلذيذ خطابك ، وربح العاملون بثوابك ، وحضر المراقبون فى حضرة اقترابك : إلهى ندم المفرطون على تقصيرهم فى خدمتك ، وخجل العاصون وأطرق واحياء من مراقبتك وأطرق المذنبون من جلال هيبتك وتمزق الخائفون من عظيم سطوتك ، إلهى ان كنت لاترحم إلا القائمين فمن للنائمين إلهى إذا لم تنظر إلا للعاملين فمن للمقصرين ، إلهى أجر أنهار المفتقرين من بحر إنعامك ، وروّ أكباد المحزونين من ماء عفوك واكرامك : إلهى رد شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك ، واهد قلوب الضالين بأنوار رأفتك وأدخلهم جميعا فى ظل عفوك ورحمتك وآوهم إلى ركن تجاوزك ومغفرتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس الثلاثون

فى مناقب الأولياء رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى ملأ قلوب أحبته من سر محبته سرورا ، وكسا وجوههم من إشراق ضياء بهجته نورا ، وتوجهم بتيجان البهاء وكتب لهم بالولاء منشورا ، وهداهم إلى طريق معرفته فداموا على

«من تهاون بالصلاة عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة ستة منها فى الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة فى القبر وثلاثة عند خروجه من القبر . فأما الستة التى تصيبه فى الدنيا : فالأولى ينزع الله البركة من عمره ، والثانية يمسح الله سيما الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل لايأجره الله سبحانه وتعالى عليه ، والرابعة لايرفع الله عز وجل له دعاء إلى السماء والخامسة تمقته الخلائق فى دار الدنيا ، والسادسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين . وأما الثلاثة التى تصيبه عند الموت : فالأولى أنه يموت ذليلا ، والثانية أنه يموت جائعا ، والثالثة أنه يموت عطشان ولوسقى مياه بحار الدنيا ماروى من عطشه . وأما الثلاثة التى تصيبه فى قبره فالأولى يضيق الله عليه قبره ويعصره حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه فى قبره نار يتقلب فى جمرها ليلا ونهارا ، والثالثة يسلط الله

خدمته وماغيروا تغييرا: اطلع على سرائرهم وتجلى على ضمائرهم فصفى خلاصة جواهرهم وزادهم هدى وتبصيرا، وروّق لهم الشراب ورفع لهم الحجاب، وقال مرحبا بالأحباب لاتخشوا اليوم حزنا ولا تكديرا، فمنهم من ترنح فطرب، ومنهم من باح بالسر إذ غلب، ومنهم من ندب إلى الحضرة وطلب، وناهيك من ساق أدار سرورا (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) فهم قائمون فى خدمته متلذذون فى حضرته متقلبون فى نعمته يكسرون جبارا ويجبرون كسيرا (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أخلاقهم القنوع، وشعارهم الخشوع، وأفعالهم السجود والركوع يطوون الضلوع على الجوع، ويؤثرون على أنفسهم سائلا وفقيرا (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) قد غضوا الأبصار وأخرسوا الأفواه، وعفروا الوجوه والجباه، وقالوا لفقرائهم قولا ميسورا (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا) قد شربوا من شراب حبه كؤوسا، واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسا، وبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسا، فقالوا (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) ذلك يوم يأله من يوم يحير من هوله كل قوم، ويطير من شدته عن العيون النوم (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) اخترقوا حجب الأنوار وفازوا بجوار العزيز الغفار فى جنات تجرى من تحتها الأنهار، تخدمهم الملائكة فيها مساء وبكورا (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لايحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة ـ ولا تلحقهم حسرة ولاندامة، يستبشرون بعد طول سفرهم بالسلامة ويسكنون غرفا وقصورا، ثم يقال لهم فى الجنة تهنئة لهم وتبشيرا (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أحضرهم فى حضرة قدسه وتولاهم بنفسه وسقاهم بكأس أنسه شرابا طهورا وناداهم عبادى وأحبابى طالما وقفتم ببابى ولذتم بجنابى، وكان كل منكم على مصابى صبورا لأبوئنكم دار النعيم ولأمتعنكم بالنظر إلى وجهى الكريم ولأجعلن جزاءكم جزاء موفورا:

نالوا بذلك فرحة وسرورا ... وسعوا فأصبح سعيهم مشكورا ... قوم أقاموا للإله نفوسهم
فكساوجوههم الوسيمة نورا ... تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم ... زهدا فعوضهم بذاك سرورا
قاموا يناجون الحبيب بأدمع ... تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا ... ستروا وجوههم بأستار الدجى
ليلا فأضحت فى النهار بدورا ... عملوا بما علموا وجادوا بالذى ... وجدوا فأصبح حظهم موفورا

وإذا بدا ليل سمعت أنينهم ... وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم ... فأراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على بلواهمو فجزاهمو ... يوم القيامة جنة وحريرا

[كان أبو مسلم الخولانى رحمة الله عليه] يحب الصدقة والإيثار وكان يتصدق بقوته ويبيت طاويا فأصبح يوما وليس فى بيته غير درهم واحد، فقالت له زوجته خذ هذا الدرهم واشتر به دقيقا نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد فانهم لايصبرون على الجوع فأخذ الدرهم والمزود وخرج إلى السوق وكان بردا شديدا فصادفه سائل فتحول عنه فلحقه وألح عليه وأقسم عليه فدفع إليه الدرهم وبقى فى همّ وفكر كيف يعود إلى الأولاد والزوجة بغير شىء فمرّ بسوق البلاط وهم ينشرونه ففتح المزود وملأه من النشارة وربطه وأتى به إلى البيت فوضعه فيه على غفلة من زوجته ثم خرج إلى المسجد فعمدت المرأة إلى المزود ففتحته، فإذا فيه دقيق حوارى أبيض فعجنت منه وطبخت للأولاد فأكلوا وشبعوا ولعبوا. فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم، وهو على خوف من امرأته. فلما جلس

عليه ثعبانا يسمى الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف ويقول له أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح من الصبح إلى الظهر وأضربك على تضييع صلاة الظهر من الظهر إلى العصر، وأضربك على تضييع صلاة العصر من العصر إلى المغرب، وأضربك على تضييع صلاة المغرب من المغرب إلى العشاء، وأضربك على تضييع صلاة العشاء من العشاء إلى الصبح وكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا فيدخل أظفاره تحت الأرض ويخرجه فلا يبرح تحت الضرب إلى يوم القيامة، نعوذ بالله من عذاب القبر. وأما الثلاثة التى تصيبه يوم القيامة. فالأولى يسلط الله عليه من يسحبه إلى نار جهنم على حرّ وجهه،

أتته بالمائدة والطعام فأكل ، فلما فرغ قال من أين لكم هذا ؟ قالت من المزود الذى جئت به فتعجب من ذلك وشكر الله تعالى على لطفه وحسن صنيعه .

[إخوانى] انظروا إلى لطف الله تعالى بأوليائه ، كيف توكلوا عليه فكفاهم أمر دنياهم ورزقهم من فضله وفعل معهم ماهو أهله :

توكل على الرحمن تحظى برفده ... وكن واثقا منه برزقك بالفعل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه ... سيكفيك أسباب الكريهة والثقل
ومن يتوكل فى الأمور جميعها ... على الله يحظى بالتباشر والفضل
فيلقى جميع الناس بالرحب والرضا ... ويحنو على الجيران والصحب والأهل
فذاك الذى قد أذهب الله همه ... وجازاه بالاحسان فى الضيق والمحل

[كان أبو معاوية الأسود] رحمه الله مكفوف البصر ، وكان يحب قراءة القرآن ، وكان إذا فتح المصحف ردّ بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فإذا أغلقه كف بصره فنودى فى سره ما كففنا بصرك بخلا عليك به ، ولكن غرنا عليك ، أن تنظر إلى غيرنا :

وغضضت طرفى عن سواك فما أرى ... فى الكون غيرك من إله يعبد
يامن له عنت الوجوه بأسرها ... وله جميع الكائنات توحد
يامنتهى سؤلى وغاية مطلبى ... من لى إذا أنا عن جنابك أطرد
أنت المؤمل فى الشدائد كلها ... ياسيدى ولك البقاء السرمد
ولك التصرف فى العباد كما تشا ... فلذاك تشقى من تشاء وتسعد
فامنن علىّ بتوبة يامن له ... قلب المحب مقدس وموحد

[قال ابراهيم السائح رحمه الله] بينا أنا أطوف بالبيت الحرام ، وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تنادى وتقول : ياوحشتى بعد الأنس ، وياذلى بعد العزّ ، ويافقرى بعد الغنى وياعظم مصيبتى . فقلت لها : ياجارية وما مصيبتك ؟ فقالت فقدت قلبى ؟ فقلت وهذه مصيبتك ؟ فقالت وأى مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب ؟ فقلت لها هلا خفضت من صوتك فقالت ياشيخ البيت بيتك أم بيته ؟ فقلت لها بل بيته . قالت فالحرم حرمك أم حرمه ؟ قلت بل حرمه قالت فمن استزارنا اليه ؟ قلت هو ، قالت فدعنا نتدلل عليه بين يديه كما استزارنا اليه ودلنا عليه ثم رفعت يديها وقالت سيدى بحبك لى إلا مارددت علىّ قلبى فقلت لها من أين علمت أنه يحبك قالت لسبق عنايته بى فانه جيش الجيوش فى طلبى وأنفق الأموال وجهد العبيد حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى بلاد التوحيد وعرفنى الطريق اليه ودلنى بحسن التوفيق عليه فما شعرت إلا وأنا بين يديه :

شغفى بذكرك جنتى ونعيمى ... وإذا نسيتك فهو عين جحيمى
يامن أخاطبه به فى خاطرى ... وأراه وهو محدثى ونديمى
وأحبنى من قبل أن أحببته ... فلذاك أوجب فى الهوى تقديمى
وعلىّ بالتوحيد جاد تكرما ... والعفو والغفران والتكريم

[كان الشيخ أبو مدين رحمة الله عليه] كبير القدر وكان من الأبدال صاحب الخطوة والحظوة والكرامات والتصريف ، وكان يتكلم فى الحقيقة بعد صلاة الفجر فى مسجد الخضر بمدينة الأندلس فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك وكانوا سبعين نفرا فجاء من أكابرهم عشرة بسبب الامتحان فتنكروا ولبسوا زىّ المسلمين ودخلوا المسجد فجلسوا مع الناس ولم يعلم بهم أحد . فلما أراد الشيخ

والثانية ينظر الله تعالى إليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه والثالثة يحاسبه الله عز وجل حسابا شديدا ماعليه من مزيد سرمدا طويلا ويأمر الله عزّ وجل به إلى النار وبئس القرار » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الصلاة ميزانك ومنتهى كيلك فإذا وفيت نجيت وإذا نقصت عذبت » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح فى جماعة أربعين يوما لم تفته ركعة واحدة كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح فى جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس بنى الله له قصرا فى جنة الفردوس الأعلى ، وقيل سبعين قصرا لكل قصر سبعون بابا من ذهب وفضة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما مثل الصلاة كنهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى

أن يتكلم سكت حتى دخل رجل خياط ، فقال له الشيخ ما أبطأك ؟ فقال ياسيدى حتى فرغت العشرة طواقى التى أوصيتنى عليها البارحة ، فأخذها الشيخ منه ونهض قائما فألبس كل واحد من الرهبان طاقية ، فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر . ثم شرع الشيخ فى الكلام ، فكان من جملة قوله يافقراء إذا هبت نسمات التوفيق من جناب الحق تعالى على القلوب المشرفة أطفأت كل نور ، ثم تنفس الشيخ فانطفأت قناديل المسجد كلها وكانت نيفا على ثلاثين . ثم سكت الشيخ وأطرق ، فلم يجسر أحد أن يتكلم أو يتحرك لعظم الهيبة ثم رفع رأسه وقال : لا إله إلا الله يافقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب الميتة عاشت وأضاء لها كل ظلمة . ثم تنفس الشيخ فاشتعلت القناديل وعاد إليها نورها واضطربت اضطرابا شديدا حتى كاد يلحق بعضها بعضا . ثم تكلم الشيخ فى تفسير آية سجدة فسجد وسجد الناس فسجد الرهبان مع الناس خشية الفضيحة والاشتهار . فقال الشيخ فى سجوده : اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين فى لباسهم والسجود لك وأنا قد غيرت ظواهرهم ، ولم يقدر على تغيير بواطنهم غيرك . وقد أجلستهم على مائدة كرمك فأنقذهم من الشرك والطغيان ، وأخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ، فما رفع الرهبان رؤوسهم من السجود ، إلا وقد مضى عنهم الهجران والصدود ، ودخلوا فى دين الملك المعبود فأسلموا وبلغوا المقصود ، فأتوا إلى الشيخ ، فتابوا على يديه ، وبكوا وندموا على ما كان منهم فكثر الصراخ والبكاء فى المسجد ، وكان يوما مشهودا ، ومات ثلاثة أنفس فى المجلس وبلغ الملك خبرهم فأحسن إليهم وأنعم عليهم ، وفرح الشيخ بإسلامهم ، هذه والله صفات الأولياء الأخيار السادة الأبرار أمناء الله على عباده ورحمته لهم فى بلاده :

فهمو أولياؤه حيث حلوا وهموا للقلوب برد وظل قد تفانوا عن الوجود فعزوا
وأشاروا إلى الطريق فدلوا فلهذا قد أصبحوا فى البرايا كل صعب ينالهم فهو سهل
لم يزل ذكرهم على الدهر يتلى ولكل القلوب يحلو ويحلو
فبهم يرفع البلاء عن الخلق ويهدوا مخافة أن يضلوا

إلهى وقف السؤال ببابك ، ولاذ المذنبون بجنابك ، رفع ذوو الحاجات قصص فاقتهم إليك نكس العصاة رؤوس الانكسار بين يديك ، انقطعت حجج المقصرين عن الاعتذار إليك ، أرست سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك ، وكلهم يرجون الجواز إلى ساحة فضلك ونعمك ، امتدت أيدى السائلين إلى وابل غيث جودك ، تقلقلت قلوب الخائفين من إزعاج وعيدك ، فكيف يخيبون وقد عمّ عفوك ورحمتك سائر عبيدك ؟ إلهى فمن للسائلين إذا ردوا ، ومن للعاصين إذا طردوا عن بابك وصدوا ، ومن للمتخلفين إذا قطعوا ، ومن غيرك يقبل التائبين إذا رجعوا . إلهى وصل العارفون بالمعرفة إليك قام المتهجدون للخدمة بين يديك . إلهى خضع المتكبرون من هيبة جلالك خشع المتجبرون لسطوة كمالك ، ارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك . إلهى تقطعت أكباد المحبين فى طلابك ، فاز القائمون بطيب خطابك ربح العاملون بثوابك حضر المراقبون فى حضرة اقترابك . إلهى ندم المفرطون على تقصيرهم فى خدمتك خجل العاصون وأطرقوا حياء من مراقبتك أطرق المذنبون من جلال هيبتك تمزق الخائفون من عظيم سطوتك ، إلهى إن كنت لا ترحم إلا القائمين فمن للنائمين إلهى إذا لم تنظر إلا للعاملين فمن للمقصرين إلهى إذا لم تغفر إلا للمطيعين فمن للمذنبين إلهى رد شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك ، اهد قلوب الضالين بأنوار رأفتك أدخلهم جميعا فى ظل عفوك ورحمتك ، آوهم إلى ركن تجاوزك ومغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عليه درن : قال فكذلك الصلاة تغسل الذنوب » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من واظب على الصلوات الخمس بوضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ويعترف أنها حق الله سبحانه وتعالى حرم الله عز وجل جسده على النار » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الصلاة كانت له نجاة يوم القيامة ونورا وبرهانا ومن لم يحافظ على الصلاة لم تكن له نجاة يوم القيامة ولا نورا ولا برهانا ولا أمانا » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يمسح أحدكم وجهه من التراب إذا سجد فى الصلاة فان الملائكة تصلى عليه مادام أثر السجود فى وجهه » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كانت روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره وهو يقول : أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم فما برح يوصى بها حتى انقطع كلامه صلى الله عليه وسلم

المجلس الحادى والثلاثون

فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم

الحمد لله الذى فتح أقفال الصدور بمفاتيح السرور والأفراح ، وخص نسيم السحر بطيب الهبوب فأحيابه القلوب وأروح الأرواح ، سقى بساتين قلوب أوليائه بغيث جوده ونعمائه فانبسط جزيل عطائه وساح ، انطلق بلابل تمجيدهم على أغصان توحيدهم فأثنت بشكر معبودهم فى المساء والصباح ، عطر أزهار أسرارهم بأنفاس أذكارهم ففاح أرجها الفياح ، جمعهم تحت خيمة الليل فى حضرة قربه وروّق لهم شراب حبه وسقاهم بكؤوس السماح ، فإذا صفقت أوراق الأشجار وشبب النسيم وغنى الهزار بصوته الرخيم حنّ كل مشتاق إلى عهده القديم وارتاح ، فمنهم من سكر وصحا ، ومنهم من فنى رسمه وانمحى ، ومنهم من هام مترنحا ، ومنهم من كتم ، ومنهم من باح ، ومنهم من لازم الخضوع والإنكسار ، ومنهم من تهتك ولبس ثوب الاشتهار وكلهم فى خلوة الأسحار قد مزق الأطمار ، وهتكوا فى محبته الأستار ، فسامحهم صاحب الدار وقال (ليس عليكم جناح) :

إذا غلب الوجد والافتضاح ... لأهل الهوى والجوى لاجناح
فكم فى المحبة من هائم ... يطيل النحيب ويبدى النواح
وكم فى دجى الليل من سادة ... لهم فى الصباح وجوه صباح
وكم فى المحبة من كاتم ... ينم عليه نسيم الصباح
فمن باح بالوجد فى حبه ... فذاك الذى فى هواه استراح
فقم يالبيب بباب الحبيب ... فثم طبيب يداوى الجراح
وقم واسهرن فى الدجى واعتذر ... الى الحب واسمع منادى الفلاح
وإن تك بالذنب مستوحشا ... فهم فى الحقيقة أهل السماح

[قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه] حججت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام ، فأتيت مكة شرفها الله تعالى فاذا بالناس قد خرجوا يستسقون أوّل يوم وثانى يوم وثالث يوم وأنا معهم فلم يسقوا فتركتهم ومضيت الى الحجر فدخلت ، فاذا على البلاطة الخضراء شخص أسود نحيل الجسم مصفر اللون ، وعليه خلقتان متزر بإحداهما ومرتد بالأخرى ، وقد بكى وانتحب حتى بلت دموعه ثوبيه ، وهو رافع طرفه إلى السماء ، ويقول : إلهى أخلقت الوجوه كثرة الذنوب والعيوب ومنعت عبيدك القطر من كثرة المعاصى والخطايا ، وأذهبت خلقك بالمحل والقحط وابتليتهم بالجوع والجهد ، وأنت عالم بالأحوال ، فقد قلقت الأطفال ، وهلكت المواشى والعيال ، فأقسمت عليك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم إلا ماسقيتنا الغيث الساعة ، وقد توسلت بك اليك ، وجعلت معتمدى عليك ، فهب للحاضرين ذنوبهم ، ولا تؤاخذهم بجرائمهم ، ياربا ياربا ياربا الساعة الساعة ، قال فما استتم كلامه حتى تراكمت السحب ، وجادت بالقطر من كل جانب ومكان فجلست أبكى حتى خرج من الحجر فاتبعته حتى عرفت الموضع الذى دخل فيه فعلمت الباب ورجعت إلى منزلى ، فلم يأخذنى نوم طول ليلتى . فلما أصبحت صليت الصبح بغلس ، وأتيت الموضع فدخلت ، فإذا رجل حسن الهيئة فسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، وقال هل لك من حاجة ياأبا عبد الرحمن ؟ . قلت نعم : أريد شراء غلام ، فقال عندى عشرة غلمان فاختر منهم من شئت

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا ترك الرجل فريضة واحدة متعمدا كتب اسمه على باب النار : فلان لابدّ له من دخوله النار » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال : أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا لا يارسول الله ، قال الشقى المحروم تارك الصلاة لأنه لاحظ له فى الإسلام » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تارك الصلاة على صحته لايقبل الله توحيده ولا أمانته ولاصدقته ولاصيامه ولا شهادته وقد تبرأ الله منه والملائكة والمرسلون » وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم « تارك الصلاة على صحته لاينظر الله إليه ولايزكيه وله عذاب أليم إلا أن يتوب ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى فيتوب الله عليه » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « عشرة من أمتى يسخط الله عليهم

فصاح بأحدهما فخرج غلام سمين ، فجعل يصفه لى ، فقلت ليس من حاجتى . فعرض آخر وآخر إلى أن عرض العشرة ، وأنا أقول ليس من حاجتى ، فقال لم يبق عندى إلا غلام أسود ضعيف الجسم متغير اللون ، إن ضحك الناس بكى ، وان اشتغل الناس بأشغالهم صلى ، لاينام الليل ينادى فى بعض أوقاته بالحسرة والويل لايصلح لخدمة أهل الدنيا من كثرة الضعف والبلى ، ومع هذا فان قلبى يحبه ، وقد استبركت بنظره ، فصاح ميمون ، فقال إن شاء الله تعالى ميمون فخرج فنظرته فإذا هو صاحبى ، فقلت هذا أريد . فقال ليس إلى بيعه من سبيل ، قلت لم لاتبيعه قال قد أنست به ، واستبركت بطاعته ومع هذا إنه قد حمل عنى مؤنته ، فوالله ما يأكل عندى شيئا إلا بعمل الشريط والخوص فيعمل كل يوم بنصف دانق ، فان باع أفطر وإلا بات طاويا . وقد أخبرنى الغلمان أنه يحيى الليل كله . فقلت ، والله لئن لم تبعنيه لأتيتك بسفيان والفضيل فقال إن كان هذا قضيت حاجتك فاشتريته منه ، وأخذت بيده وسرنا فى الطريق فالتفت الىّ ، وقال لى مولاى ، قلت لبيك : فقال لاتلبنى فان العبد أحق بالتلبية للمولى ، ثم قال سألتك بالله لم اشتريتنى وأنا ضعيف نحيل الجسم لا أقوى على الخدمة وقد أخرج سيدى اليك أجود منى ؟ فقلت والله لا أستخدمك وإنما أكون لك خادما ، فقال سألتك بالله إلا ما أخبرتنى بحالك معى فأخبرته بالخبر ، فقال لى ينبغى أن تكون عبدا صالحا ، فان لله تعالى فى خلقه نجباء وأولياء لا يكشف شأنهم إلا لمن ارتضاه من عباده ، قال فتمشينا الى أن عبرنا على مسجد . فقال لى يامولاى هل لك أن تأذن لى أن أصلى فى هذا المسجد ركعتين ؟ قلت له الساعة نسير إلى منزل الفضيل بن عياض فتركع فيه مابدالك . قال وماعلمى بأن قد بقى من عمرى مايوصلنى إلى منزل الفضيل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فتح له باب خير فليتم فانه لايدرى متى يغلق عنه» . قال فدخلنا المسجد فركع وركعت وأطال فى الصلاة وأنا منتظره ، فلما سلم قال يامولاى قرب الأجل وانقطع العمل ، يامولاى إنما كانت المعاملة طيبة بينى وبينه ، وقد علمت أنت وسيعلم غيرك وغيرك ولاحاجة لى فى إفشاء السرّ وقد استودعتك الله وخر ساجدا ، فما زال يبكى ويتشهد إلى أن سكن حسه فحركته فإذا هو ميت رحمة الله عليه فتركته ومضيت الى الفضيل وسفيان فأخذنا فى أمره ماوجب ودفناه فى المعلاة وانصرفت ، وفى قلبى لهيب النار فجئت الى منزلى فلما كان الليل وقضيت وردى ونمت فإذا بميمون قد أقبل فى شملتين من الحرير وهو يتبسم وفى يده شىء فسلم علىّ وقال لى يامولاى حضرت بين يدى مولاى الكبير فشرحت له حالى ووزنك لثمنى من غير منفعة انتفعت بها ولاخدمة . فقال لى يامیمون إنى أعلم السر وأخفى ، وأعلم مافى الضمائر والقلوب وإنه لم يشترك إلا لوجهى وإجلالا لكرامتى ، وقد أعتقته من النار بسببك وكرامتك علىّ وهذا ثمنى فخذه . قال ابن المبارك فبكيت وانتحبت واستيقظت من نومى والدراهم فى يدى وأنا أبكى فوالله ماذكرته قط إلا بكيت على فراقه :

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل ... فنى حبه يحلو التهتك والذل
تذلل له تحظى برؤيا جماله ... إذا رضى المحبوب صح لك الوصل
أدار على العشاق خمرة قربه ... فطاب لهم فيها الصبابة والقتل
وقال لهم هذا جمالى تمتعوا ... وهاخلع الإحسان والجود والفضل
سكارى حيارى واقفين ببابه ... وأجفانهم منها المدامع تنهل
فان شئت أن تحظى برؤيا جماله ... تقدم وإلا فالغرام له أهل

يوم القيامة ويأمر الله بهم الى النار وجوههم عظام بلا لحم فقيل يارسول الله من هم ؟ فقال : شيخ زان وإمام ضالّ ومدمن خمر وعاق لوالديه والماشى بالنميمة وشاهد الزور ومانع الزكاة وآكل الربا والظالم وتارك الصلاة إلا أن تارك الصلاة يضاعف له العذاب يحشر يوم القيامة وقد غلت يداه إلى عنقه والملائكة يضربون وجهه ودبره وجنبه وتقول له الجنة لست منى ولا أنا منك ، وتقول له النار أنا منك وأنت منى ومن أهلى ادن منى فوالله لأعذبنك عذابا شديدا فعند ذلك تفتح له نار جهنم فيدخل فى بابها كالسهم المسرع فيهوى على أمّ رأسه فيها الى فرعون وهامان وقارون فى الدرك الأسفل من النار » وقال صلى الله عليه وسلم «لاتحل الزكاة لتارك الصلاة ولاتساكنوه ولاتجالسوه فان اللعنة تنزل عليه من السماء » وقال النبى صلى الله عليه وسلم

فوالله مافى الكون يعشق غيره هو السؤل والمطلوب والقصد والكل

[قال مالك بن دينار رحمه الله] أصابنى فى بعض أسفارى عطش شديد فملت الى بعض الأودية طمعا فى الماء ، فسمعت صوتا يهدر فقلت هذه سباع مقبلة فوليت هاربا فنادانى هاتف من بين الجبال ياهذا ليس الأمر كما ظننت إنما هو ولىّ لله سبحانه وتعالى قد عظمت زفرته واشتدت حسرته فارتفع صوته وعلا نحيبه فعدت الى طريقى فاذا أنا بشاب قد أذابته العبادة حتى عاد كالخلال فسلمت عليه وأخبرته بعطشى . فقال يامالك ماوجدت فى المملكة قطرة ماء ثم قام الى صخرة فضربها برجله . وقال لها اسقنا ماء بقدرة من يحيى العظام وهى رميم فاذا الماء يخرج من الصخرة كما يخرج من العين فشربت حتى رويت ثم قلت أوصنى بشىء أنتفع به . فقال يامالك كن لمولاك طائعا فى الخلوات حتى يسقيك الماء فى الفلوات ثم ولى عنى :

دمع أضر بمهجة المشتاق وجرت سوابق دمعه الهراق
صب إذا ما الليل أسبل ستره نادى بصوت فى الدجى مشتاق
ياعالما بسريرتى وبليتى وبما أجنّ من الأسى وألاقى
لوصرت نضوا فى المحبة مغرما ماحلت عن عهدى ولاميثاقى
فامنن بعفوك لى فانى مذنب مالى سواك لزلتى من راقى

[قال بعض السادة رحمه الله] رأيت غلاما فى البادية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد ، منقطعا عن العمارة والناس فسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، فقلت له يافتى أنت فى مكان منقطع بلامعين ولارفيق . قال بلى وعزة ربى معى المعين والرفيق . قلت وأين المعين أوالرفيق ؟ قال هوفوقى بعزته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعظمته . فلما سمعت هذا الكلام ، قلت هل لك فى المرافقة ؟ . فقال هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته وما أحب أن يكون هذا ولى ملك الأرض من مشرقها الى مغربها . قلت له أما تستوحش فى هذا المكان . فقال لى ياهذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش . قلت من أين تأكل ؟ . قال ياهذا غذانى بلطفه فى ظلمة الأحشاء صغيرا أفلا يكفلنى كبيرا ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء ، فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته ولاجعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له ياأخى متى ألقاك فتبسم وقال : أما بعد هذا اليوم فلاتحدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس كلهم فان كنت ممن يلقانى فاطلبنى فى جملة الناظرين الى الله عزّ وجلّ قلت له ومن أين عرفت ذلك ؟ . قال به وعزته ، وذلك أنى غضضت طرفى عن المحرمات ومنعت نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ، فعوّضنى النظر الى وجهه الكريم ، ثم غاب عنى فلم أره بعد ذلك :

أترى عبدكم يرى بالمصلى قبل يقضى أسى بكم يتملى سمعونى وارسلوا لى جوابا
إن تكن صادقا فأهلا وسهلا قلت أمشى على جفونى إليكم فعسى بالحبيب نجمع شملا
ثم أشرى منه الوصال بروحى قيل لى وصله من الروح أغلى ياطريدا عن بابنا قبل الأر
ض لدينا وعفر الخد ذلا إن ذل المحب خير شفيع لحبيب قد صدّ عنه وولى
لاتظن الدموع تنفع إن لم تك تجرى من القلوب وإلا ليس للدمع منة فى هوانا
فابك مهما أردت طلا ووبلا قلت للروح ودعينى وروحى ثم للجسم خلنى فتخلى
وإذا بالحبيب قد رفع الحجـ ـب تعالى جماله وتجلى ثم نادى أين المحب عبيدى

«رأيت رجلا من أمتى جاءه الموت وكان بارّا بوالديه فردّ عنه برّ والديه سكرات الموت ، ورأيت رجلا من أمتى قد سلط عليه عذاب القبر فجاءه الوضوء فأنقذه ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءته الملائكة بذكر الله سبحانه وتعالى الذى كان يذكره ويسبح به فى الدنيا فخلصته منهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فخلصته ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما جاء إلى حوض لم يصله من الزحام فجاءه صيامه فسقاه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما والنبيون جلوس حلقا حلقا كلما جاء الى حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة لأجل الصلاة فأجلسه إلى جانبى ، ورأيت رجلا من أمتى وقدامه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة فجاءه حجه وعمرته

ادن منى وبالوصال تمـلى ياعبيـدى أطلت صبرك عنى أتسليت قلت حاشا وكلا
عطف السيد الكريم على العبـد وما زال للتعطف أهـلا ودعاه فى مجلس الأنس جهرا
وعليه كأس التواصل يجـلى ومنادى القبول منـه ينادى هكذا هكذا يكون وإلا
فعلى أشرف النبيين صـلوا فعليه رب الخـلائق صلى

[قال ابراهيم الخواص رحمة الله عليـه] حججت سنة من السنين وكانت سـنة كثيرة الحرّ والسموم . فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفوت قليلا فلم أشعر إلا وأنا وحدى فى البرية فلاح لى شخص فأسرعت إليه فلحقته وإذا هو غلام لانبات بعارضيه وجهه كالقمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترفه ، فقلت له السلام عليك . فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم . فتعجبت منه أكثر العجب وقلت له : من أين تعرفنى ولم ترنى قبلها ؟ فقال يا إبراهيم ماجهلت منذ عرفت ولاقطعت منذ وصلت ، فقلت له : ماالذى أوقعك فى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحرّ والسموم ؟ فقال يا إبراهيم ما أنست بسواه ولاوافيت غيره وأنا منقطع إليه بالكلية مقرّ له بالعبودية . فقلت له : من أين المأكول والمشروب ؟ قال تكفل لى به المحبوب ثم أجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب ، وأنشأ يقول :

من ذا يخـوّفنى بالبرّ أقطعه إلى المحبّ وقد قدّمت إيمانا
الحب أقلقنى والشوق أزعجنى ولايخاف محب الله إنسانا
فهل لصغران سنى اليوم تحقرنى دع عنك عذلك بى قدكان ماكانا

ثم قال يا إبراهيم أنت منقطع عن الحاج ؟ فقلت له نعم . قال إبراهيم فنظرت إلى الغلام قد لمح بطرفه إلى السماء وهمهم بكلمات فعند ذلك لحقتنى سنة من النوم فلم أفق إلا وأنا فى وسط الحاج ورفيقى يقول لى يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة فما أعرف أن الغـلام صعد إلى السماء أم نزل فى الأرض ، فلما انتهيت إلى الموقف ودخلت الحرم الشريف وإذا أنا بالغلام متعلق بأستار الكعبة وهو يبكى ويقول :

تعلقت بالأستار والقبر زرته وأنت بما فى القلب والسرّ أعلم أتيت إليه ماشيا غير راكب
لأنى محبّ فى هواك متيـم هويتك طفلا حيث لاأعرف الهوى فلا تعذلونى إننى متعـلم
وإن كان قد حانت إلىّ منيتى لعل بوصل منك أحظى وأغنم

ثم وقع ساجدا وأنا أنظر إليه فأطال السجود فأتيت إليه وحركته فإذا هو ميت رحمه الله تعالى فتأسفت عليه كل الأسف ومضيت إلى راحلتى وأخذت ثوبا واستعنت بمن يغسله فأتيت إليه فلم أجده فسألت عنه الحاج جميعا فلم أجد أحدا يقول رآه حيا ولاميتا فعلمت أنه مستور عن الخلق وأنه لم يره أحد غيرى فأتيت إلى مكانى وغفوت فرأيتـه فى المنام وهو فى موكب عظيم وهو فى أوائلهم وعليه أثر الدلال والترفه ، فقلت له : ألست صاحبى ؟ فقال نعم ، فقلت له : ألست متّ ؟ قال : قد كان ذلك فقلت له لقد طلبتك حتى أكفنك وأصلى عليـك وأدفنك فلم أجدك ؟ فقال لى يا إبراهيم : اعلم أن الذى من بلدى أخرجنى ، ولمحبته شوّقنى ، وعن أهلى غرّبنى ، هو الذى تولانى وكفننى ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه ، وقال مابغيتك ؟ فقلت : إلهى أنت أعلم . فقال أنت عبدى حقا حقا ، ولك عندى أن لاأحتجب عنك أبدا ، ثم قال لى ماتريد ؟ فقلت أريد أن تشفعنى فى القرن الذى أنا فيه . قال قد شفعتك فيه . قال ابراهيم ثم صافحنى فاستيقظت بعد المصافحة وقضيت ما كان علىّ من الحج ونسكه ، ثم سرت مع جملة الحاج فما أجد أحدا إلا يقـول لى : عجب الناس

فاستخرجه من الظلمة وأدخله فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم الناس المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فانه كان واصـلا فكلموه ، وصافحوه وسلموا عليه . ورأيت رجلا من أمتى يلقى النار وحرّها وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه وحجابا من النار » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى النار واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية نحو رقبة الجمل طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فى ذلك الوادى فيغلى سمها فى جسده سبعين سـنة ثم يتهرّى لحمه وينقع عظمه يعذبون تارك الصلاة فى ذلك الوادى وإن فى جهنم واديا يسمى جب الحزن فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسـود له سبعون شوكة فى كل شوكة

من طيب رائحة يدك . قال الناقل لهذا الحديث: ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد إبراهيم حتى قبض رحمة الله عليه :

قلوب بتقوى الله والذكر عامره ... وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
يناجون مولاهم بفرط تضرع ... وأنوارهم من بهجة الحق باهره
يناديهم الرحمن أنتم أحبتى ... وأرواحهم شوقا إلى القرب طائره
إذا اجتمعوا فى خلوة الذكر فى الدجى ... بمقعد صدق والزجاجات دائره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم ... إلى ذلك الوجه المقدس ناظره
فيانفس هذا مشرب القوم فاشربى ... عسى أن تكونى عند ذلك حاضره
وتحظى برؤيا من بحسن جماله ... غدت ألسن المداح تتلو مفاخره
رسول أتى والشرك كالليل حالك ... فجلى بأنوار الرشاد دياجره
رءوف رحيم شاهد متوكل ... سراج منير فاز من كان زائره
فلوشاهدت عيناك زوّار قبره ... وأعينهم كالسحب بالدمع ماطره
وتأتى وفود العاشقين صبابة ... إلى نحوه من كل فج مبادره
لتهدى نفوسا حجبت فى ظلامها ... وكانت ضلالا قبل ذلك حائره
وهبت لها من ذلك الحىّ نسمة ... وأنفاسها من طيب رياه عاطره
فيا أيها المختار من آل هاشم ... ومن كرم الله الكريم عناصره
أغثنا جميعا فى غد بشفاعة ... فأنت لكسر القلب مازلت جابره
عليك سلام الله ماذرّ شارق ... ولاحت نجوم فى دجى الليل نائره

المجلس الثانى والثلاثون

فى مناقب الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه فى وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود ، المقدّس فى ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود ، العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود ، البصير بحركات الذرّ فى البحر والبرّ تحت ظلام الديجور والليالى السود . الحكيم الذى فجر الأنهار من صمّ الجلمود ، وأخرج رطب الثمار من يابس العود ، لاتمثله الأفكار ، ولا تحويه الأقطار ، ولاينهيه المقدار ، ولا تفنيه الأعصار ، ولاتدركه الأبصار وهو الواحد المعبود . المعطى الذى لامانع لما أعطى ولا دافع لما قضى ، الكريم الذى جاد لعبده بجزيل رفده وكم رآه عن بابه معرضا . الحليم الذى ستر العاصى بحلمه ورأفته وقد رآه لمعصيته متعرضا . الغفار الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويعفو عما مضى ، القهار الذى قهر الجبابرة وكسر الأكاسرة وضرب بسوط بعاده من سلّ سيف عناده وانتضى . فسبحان من حير الأفكار فى مدارك سبحات جلاله العظيم . وأذهل العقول عن الوصول إلى كنه ذاته القديم . وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سرّ أفعاله بعد الفصاحة والتكليم . وأدهش الخواطر عن الإحاطة به فلايرام بالتوهيم ؛ فهو الكريم الماجد القديم ! الواحد المنزه من الولد والوالد ! المقدس عن المشارك والمساعد ، المتعالى عن المشابه والمماثل والضادد والمعاند ، الشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد ، الذى أسبل ستره الجميل على عبده العاصى

ذؤابة من سمّ تضرب
تارك الصلاة ضربة وتفرغ
سمها فى جسده فيجد
حرارة سمها ألف سنة
ثم يتهرى لحمه على عظمه
ويسيل من فرجه الصديد
ويلعنه أهل النار» نعوذ بالله
من النار . فلازم التوبة
أيها العبد الضعيف مادام
باب التوبة مفتوحا إن
الرضا ليلوح . وأنشد
بعضهم فى المعنى هذه
الأبيات :

قم فى ظلام الليل واقصد
مهيمنا
يراك إليه فى الدجى
تتوسل
وقل ياعظيم العفو لاتقطع
الرجا
فأنت المنى ياغايتى والمؤمل
فيارب فاقبل توبتى
بتفضل
فما زلت تعفو عن كثير
وتمهل
إذا كنت تجفونى وأنت
ذخيرتى
لمن أشتكى حالى ومن
أتوسل

الدليل ، وهو إليه ناظر ومشاهد ، فهو المعروف بالربوبية الموصوف بالإلهية ، المنفرد بحقيقة الوحدانية ، تنزه عن الأوهام الخيالية وتعزز فى بقائه عن الفناء والمثلية ، عالم بكل خفية وجلية ، حارت العقول فى عظمته فما عرفت له أينية ، وكلت الأفكار عن إدراك صمديته فلا تعرف بالعلوم العقلية فسبحانه من إله تعالى على المماثل والمناسب ، وجلّ عن المشارك والمصاحب ، يقبل التائب ويجيب الآيب ، وليس على بابه بوّاب ولاحاجب ، من أمل سواه فهو الشقى الخائب ومن أناخ بباب كرمه ظفر بنيل المآرب . ومن ذاق حلاوة أنسه رأى من لطفه عجائب الغرائب . ومن أعرض عن سواه رفعه ورقاه إلى أرفع المراتب . يزيل الضرر ويجبر من انكسر وينادى فى السحر هل من مستغفر هل من تائب . ويستعرض حوائج السائلين ويجود على التائبين بخلع القبول والمواهب :

إله جل عن شبه ومثل ... وعن ندّ يعدّ وعن مصاحب
تفرد فى علاه فلا شريك ... ينازعه ولا ضد محارب
تحجب حيث شاء فلا يدانى ... وجل عن المماثل والمناسب
تجلى للقلوب فليس يخفى ... وهل يخفى الحبيب على الحبائب

فسبحانه من إله شهدت له السموات ومافيها من العجائب . وأقرّت بربوبيته الأرضون فى مشارقها والمغارب . واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المبعوث بالدين الواصب الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب . الذى شرّف الله به الوجود وكمل به السعود وبلغه أسنى المطالب والمآرب . واختار أصحابه النجباء وخلفاءه الكرماء الأخيار الأطايب وخص التابعين لهم باحسان من أمته القائمين بشريعة الاسلام على توالى الزمان واختار منهم أربعة أقاموا قواعد الإيمان ودعوا العباد إلى عبادة الملك الدّيان فملئوا بعلومهم الآفاق والبلدان وسارت بها الركبان إلى كل مكان . فمنهم الامام الشافعى المتصل نسبه بالشرف إلى عدنان . ومنهم الامام الأصبحى مالك بن أنس الرفيع القدر والشان . ومنهم الامام أحمد بن حنبل الذى سلك بعلمه الطريق الأحمد فى السرّ والاعلان . ومنهم الامام الكوفى أبو حنيفة النعمان . فهؤلاء الأربعة السادات الأعيان الذين نفع الله بهم وبعلومهم الناس فزال عنهم الباس والجهل والغىّ والطغيان :

فالشافعى له علوم تشرق ... بين الورى وله ثناء يعبق ولمالك نشرت علوم مالها
حدّ كبحر زاخر يتدفق ... ولأحمد تعزى العلوم لأنه يروى الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابق فلأجل ذا ... آثاره وعلومه لاتسبق
فهم الأئمة خصهم رب العلا ... بالفضل منه فشأوهم لايلحق

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى رضوان الله عليهم أجمعين . ولد بالأنبار سنة ثمانين . ومات سنة مائة وخمسين وعاش سبعين سنة وكانت ولادته فى عصر الصحابة وتفقه فى زمن التابعين قال أبو بكر بن ثابت المؤرّخ رضى الله عنه : ويقال ان أبا ثابت هو الذى أهدى الفالوذج لعلىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم النوروز . وقيل كان ذلك يوم المهرجان وكان ثابت أبو أبى حنيفة يقول أنا فى بركة دعوة صدرت من علىّ رضى الله عنه فى حقى . وقال السيد الشريف الحسيب النسيب أبو عبد الله محمد بن على الحسينى أخبرنى أبو العباس بن مسلمة قراءة عليه عن أبى البطى حدّثنا ابن خيرون أخبرنا الضمرى . قال كان أبو حنيفة حسن السمت والوجه والثوب والنعل والمواساة لكل من طاف به ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقا سقطت فى حجره حية فقام الناس عنه فنفض الحية وهو فى مكانه لم يتغير . وعن أبى نعيم أنه كان يقول : كان

حقيق لمن أخطا وعاد لما مضى
ويبقى على أبوابه يتذلل
ويبكى على جسم ضعيف
من البلى
لعل يجود السيد المتفضل
قصدت إلهى رحمة وتفضلا
لمن تاب من زلاته يتقبل

الباب الثانى

فى عقوبة شارب الخمر

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله الخمرة وبائعها وشاربها ومشتريها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يجىء شارب الخمرة يوم القيامة مسودّا وجهه مزرقة عيناه متدليا لسانه على صدره يسيل بصاقه مثل الدم يعرفه الناس يوم القيامة فلاتسلموا عليه ولاتعودوه إذا مرض ولاتصلوا عليه إذا مات ، فانه عند الله سبحانه وتعالى كعابد الوثن » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، فمن شرب الخمر

أبو حنيفة حسن الوجه والثياب طيب الريح حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه ، وكان عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه . [فأما كونه عابدا] فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحي الليل كله . وقال علي بن يزيد الصدائي رحمه الله : رأيت أبا حنيفة ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار . وقال أبو الجورية رحمه الله : لقد صحبت حماد بن أبي سليمان وعلقمة بن مرثد ومحارب بن دثار وعون بن عبد الله وصحبت أبا حنيفة فما في القوم أحسن ليلا من أبي حنيفة لقد صحبته ستة أشهر فما منها ليلة وضع جنبه فيها . وروى أنه كان يحي نصف الليل ، وأشار إليه إنسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحي الليل كله . وقال أنا أستحي من الله تعالى أن أوصف بما ليس في من العبادة :

للامام النعمان فضل عظيم ... حيث للدين قد أقام منارا ... سنه ضاحك ويعلن حزنا
ألهب الخوف في الحشا منه نارا ... لم يزل يكتم التهجد حتى ... مات من خشية الاله اصطبارا
ليله قائم يصلي ويبكي ... وإذا جاء الصبح صام النهارا ... لو تراه إذا هدأت كل عين
باكيا يسفح الدموع الغزارا ... ان هذا هو الكريم على الله له صير الجنان قرارا *

[وأما زهده] فقد روى عن بشر بن الوليد قال : كان أبو جعفر أمير المؤمنين أرسل إلى أبي حنيفة واراد أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه أبو جعفر لتفعلن فحلف أبو حنيفة لا يفعل . فقال الربيع لأبي حنيفة ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فمات في السجن ودفن في مقابر الخيزران . وفي موضع آخر أن أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان الثوري وشريكا فدخلوا عليه . فقال لسفيان : هذا عهدك على قضاء البصرة فالحق بها . وقال لشريك : هذا عهدك على قضاء الكوفة فامض إليها . وقال لأبي حنيفة : هذا عهدك على قضاء مدينتي وما يليها فامض . وقال لحاجبه وجه معهم متوكلا بهم فمن أبى منهم فاضربه مائة سوط . فأما شريك فانه تقلد القضاء . وأما سفيان فانه هرب إلى اليمن . وأما أبو حنيفة فانه لم يقبل فضرب مائة سوط وحبس إلى أن مات رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك . فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فنفر منها ؟ وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم . قال فما رضي أبو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه . فقال من حضر لا يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته ، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه إذا مت ودفنوني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه ففعلت ذلك . فقال الحسن : رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه . وأما علمه بطريق الآخرة وأمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فتدل على شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا ، وقد قال ابن جريج : بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف من الله عز وجل . وقال شريك النخعي رحمه الله تعالى : كان أبو حنيفة رضي الله عنه طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس ، وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله :

قد غدا في الزمان أسمى وأعلى ... راده الله منه نبلا وفضلا ... صار في مجمع العلوم إلى حد

في الدنيا حرم الله عليه خمر الآخرة في الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يجدون ريح الجنة ، وان ريحها يشم من مسيرة خمسمائة عام : مدمن خمر وعاق والديه والزاني ان لم يتب » وقال صلى الله عليه وسلم « يخرج شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة والكوز معلق في عنقه والقدح في يده ويملأ به جلده حيات وعقارب ويلبس نعلين من نار يغلى منهما دماغه . ويكون قبره حفرة من حفر النار قريبا من فرعون وهامان » وروى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حيات وعقارب ، ومن قضى له حاجة فقد أعانه على هدم الاسلام ، ومن أقرضه فقد أعانه على قتل مسلم ، ومن جالسه حشره الله أعمى لا حجة له ، ومن

د التناهى فليس يلحق أصلا ذو بيان ما أشكل الحطب إلا حله فضله على الفور حلا
وغدا فى السماح مثل سحاب لمعت نار برقه فاستهلا
حلّ أرض العراق فاعتاض منه أهلها العلم فارتووا منه نهلا

ويروى أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان يوما جالسا فى المسجد فدخل عليه طائفة من مقدمى الخوارج شاهرين سيوفهم ، فقالوا يا أبا حنيفة نسألك عن مسئلتين فان أجبت نجوت وإلا قتلناك قال اعمدوا سيوفكم فان برؤيتها يشتغل قلبى قالوا كيف نعمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل باعمادها فى رقبتك فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب : إحداهما رجل شرب الخمر فغص فمات سكران ، والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان ؟ والقوم الذين جاءوا يسألون مذهبهم التكفير بذنب واحد فان قال مؤمنين قتلوه . فقال من أى فرقة ؟ كانا من اليهود قالوا لا ، قال من النصارى ، قالوا لا . قال من المجوس ، قالوا لا ؛ قال من عبدة الأوثان . قالوا لا ، قال ممن كانا قالوا من المسلمين ؟ قال قد أجبتم . قالوا وكيف ؟ قال قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين ؟ قالوا هما فى الجنة أو فى النار قال أقول فيهما ماقال ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم فى حق من هو شرّ منهما (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وأقول ماقال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شرّ منهما (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فتابوا واعتذروا إليه . وروى أن امرأة دخلت مسجده وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك ، فقال لهم إنها ترى الدم تارة أحمر مثل أحد جانبى التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الآخر أيهما يكون حيضا أوطهرا فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك أنها لاتطهر حتى ترى البياض مثل باطنها فقامت . وقال أبو حنيفة دخلت البصرة فظننت أن لا أسأل عن شىء إلا أجبت عنه فسألونى عن أشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى أن لا أفارق حمادا فصحبته عشرين سنة قال : وما صليت صلاة إلا واستغفرت لحماد مع والدىّ ولكل من قرأت عليه وحدثنا صالح بن محمد عن يوسف بن رزين عن أبى حنيفة رضى الله عنه قال : رأيت فى المنام كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت عظاما فاحتضنتها قال فهالتنى هذه الرؤيا فدخلت إلى ابن سيرين فقصصتها عليه فقال إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد صلى الله عليه وسلم . وحدثنا يوسف بن الصباغ قال : قال لى رجل رأيت كأن أبا حنيفة نبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم أخبره من الرجل قال : هذا رجل يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم ، وماجاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال . وأما غير ذلك فلانسمع :

لقد أيد الله الأنام بعلمه وقد ردّ حزب الجهل بالعلم معروف
وقد ملأ الآفاق فضلا بعلمه وكم جاءه فى الكشف للضر ملهوف
وكم من مقامات رآها له الورى وكم نفعتهم من نهاة التصانيف
وكم من كرامات حكى القطر عدها فلا الفضل محجوب ولا الحق مصروف
فهذا هو النعمان حقا وانه له عند رب العرش فى القدر تشريف

شرب الخمر فلا تزوّجوه وإن مرض فلا تعودوه أبدا ، فوالذى نفسى بيده إنه ماشرب الخمر إلا من كفر فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان بجميع مانزله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء ، ومن استحلّ الخمر فانه برىء منى وأنا برىء منه ، وان الله سبحانه وتعالى أقسم بعزته وجلاله : إن من شرب الخمر فى الدنيا عطشه يوم القيامة عطشا شديدا ويحرق فؤاده ويخرج منه لسانه على صدره ، ومن تركه لأجلى سقيته يوم القيامة من حمر الجنة يوم القدس تحت عرشى » وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا شرب شربة من الخمر اسودّ قلبه وإذا شرب ثانية تبرأ منه ملك الموت ، وإذا شرب ثالثة تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا شرب رابعة تبرأ منه الحفظة ، وإذا شرب خامسة تبرأ منه جبريل عليه السلام ، وإذا شرب

وأما تأدّبه عند مجالسة العلماء فحدّثنا أبو هاشم أيوب بن عبد الرحمن حدّثنا محمد بن رشيد صاحب عبد الرحمن بن أبي القاسم عن يوسف بن عمرو عن عبد العزيز الدراوردى : قال رأيت أبا حنيفة ومالك بن أنس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء الآخرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما عن القول الذى قال به أمسك الآخر من غير تعنيف ولا تعيير ولا تحطئة حتى صليا الغداة فى مجلسهما ذلك رضى الله عنهما . وأما إنصافه واعترافه فانه رضى الله عنه كان يقول : قولنا هذا رأى وهو أحسن ماقدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب . وأما قيامه لله تعالى حق القيام فانه كان إذا رأى منكرا ذهب ذلك الليل فظاظة واحمرّت عيناه وانقلبتا فى أمّ رأسه ، وانتفخت أوداجه ، وما رأى منكرا قط إلا أزاله ؛ ولقد خرج يوما فرأى بعض الملاهى مع رجل فهاوشه فأوجعه الرجل ضربا ولم يعرفه وهو مع ذلك يحرص على كسر ذلك حتى كسره ورجع إلى بيته فمكث شهرين منقطعا فى بيته من شدة الضرب . وقال الخطيب : قيل لسفيان الثورى : ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ماسمعته يغتاب عدوّا له قط . قال هو والله أعقل من يسلط على حسناته مايذهب بها . وقال على بن عاصم رحمه الله : لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم . وأما تأدّبه مع السلف فيروى أنه سئل رضى الله عنه عن علقمة والأسود أيهما كان أفضل فقال والله مابلغ قدرى أن أذكرهما إلا بالدعاء والاستغفار إجلالا لهما ولا أفضل بينهما . وأما كرمه رضى الله عنه ، فقال قيس بن الربيع : كان أبو حنيفة يجمع مايكتسبه من بضائعه فيشترى به الكسوة للمشايخ المحدّثين وما يحتاجون إليه ويقول : احمدوا الله تعالى فهو الذى أعطاكم فوالله ما أعطيتكم من مالى شيئا . وكان رضى الله عنه إذا جلس إليه الرجل يسأل عنه فإن كان به فاقة أعطاه فجلس إليه رجل عليه ثياب رثة ، فلما تفرّق الناس عنه أمره بالقعود حتى خلا به فقال ارفع هذا المصلى وخذ من تحته ألف درهم أصلح بها حالك ، فقال الرجل أنا موسر وأنا فى نعمة ، فقال له أما بلغك الحديث « ان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فينبغى لك أن تغير حالك حتى لايغتمّ بك صديقك :

لأبى حنيفة فى العلوم منار ... ملئت بها الآفاق والأقطار
شيخ البرية فى العلوم ومن له ... تروى المناقب عنه والأخبار
متعبد لله طول حياته ... وعليه منه سكينة ووقار
قد كان يحيى ليله متهجدا ... وله بكل وظيفة أذكار
وعطاؤه قد كان سحا فى الورى ... وله بذاك على الأنام فخار

وكان رضى الله عنه لايكلمه أحد فى حاجة إلا قضاها . وأما ورعه عما دخله الشبه ؛ فعن حفص بن عبد الرحمن وكان شريك أبى حنيفة : أن أبا حنيفة كان يتجر عليه ويبعث إليه بمتاع ويقول له فى ثوب كذا عيب فبين إذا بعته فباع حفص المتاع ولم يبين ونسى ، فلما علم أبو حنيفة ذلك تصدّق بثمن الثياب كلها ، ومن ورعه رضى الله عنه أن شاة سرقت فى عهده فلم يأكل لحم شاة مدة تعيش الشاة فيها . وروى أن الخليفة بعث إلى أبى حنيفة وابن أبى ذئب بمال ، فقال ابن أبى ذئب إنى لا أرضى له بهذا المال فكيف أرضاه لنفسى ، وقال أبو حنيفة : لو ضربت على أن أمسّ منه درهما مامسسته ، وروى أن الخليفة دعاه ، فقال ياأبا حنيفة كم يحلّ للرجل الحرّ من النساء الحرائر فقال أربع فقال الخليفة اسمعى ياحرة ، فقال أبو حنيفة على البديهة يا أمير المؤمنين لايحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع ، فقال يا أمير المؤمنين قال الله تبارك وتعالى (فانكحوا ماطاب لكم

سادسة تبرأ منه إسرافيل عليه السلام ، وإذا شرب سابعة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام ، وإذا شرب ثامنة تبرأت منه السموات وإذا شرب تاسعة تبرأت منه سكان السموات وإذا شرب عاشرة غلقت دونه أبواب الجنان وإذا شرب حادية عشرة فتحت له أبواب النيران وإذا شرب ثانية عشرة تبرأت منه حملة العرش وإذا شرب ثالثة عشرة تبرأ منه الكرسى وإذا شرب رابعة عشرة تبرأ منه العرش وإذا شرب خامسة عشرة تبرأ منه الجبار جل وعلا ، ومن تبرأ منه الأنبياء والملائكة أجمعون وتبرأ منه رب العالمين فقد هلك فى جهنم مع المذنبين ، وإن الله سبحانه وتعالى يسقيه فى جهنم قدحا من نار تسقط عيناه ويتهرى لحمه من وهج ذلك القدح ، فاذا شربه يقطع أمعاءه ويخرجها

من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) فلما سمعتك تقول اسمعى ياحرة عرفت أنك لاتعدل ، لهذا قلت لايحل لك إلا واحدة ، فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثنى عليه ، فلم يقبلها أبوحنيفة وردها وقال للرسول قل لها أنا ماتكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرى على الله . وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة ، قال الخطيب : كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وإذا اكتسى ثوبا جديدا كسا بقدر ثمنه العلماء ، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه على الخبز بقدر ما يأكل ثم يطعمه لانسان فقير أولمن فى بيته يحتاج إليه ، وكان يؤثر رضا ربه على كل شىء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل ، وكان دائما يتمثل بهذين البيتين :

عطاء ذى العرش خير من عطائكمو وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنتكم والله يعطى فلا منّ ولا كدر

وقال محمد بن الحسين الليثى : قدمت الكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدفعت إلى أبى حنيفة ثم قدمتها وأنا شيخ فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى أبى حنيفة . وقال مسعر بن كدام وكان مشتهرا بالزهد والاجتهاد : أتيت أبا حنيفة فى مجلسه فرأيته يصلى الغداة ثم يجلس للناس للعلم إلى أن يصلى الظهر ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلى العشاء الآخرة فقلت فى نفسى : هذا الرجل فى هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدنه الليلة . قال فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ودخل منزله ولبس ثيابه ، وخرج إلى المسجد ففعل كفعله اليوم الأوّل ، فلما جاء الليل تعاهدته ففعل كفعله الليلة الماضية . قال فقلت لألزمنه إلى أن أموت أو يموت . قال ابن أبى معاذ فبلغنى أن مسعرا مات فى مسجد أبى حنيفة فى سجوده . وعن محمد بن الحسن قال : حدثنى القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ) فلم يزل يرددها ويبكى ويتضرع إلى أن طلع الفجر . وقال حفص بن عبد الرحمن كان أبو حنيفة يحيى الليل بقراءة القرآن فى ركعة ثلاثين سنة . وقال أسد بن عمرو : صلى أبو حنيفة رضى الله عنه الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة . وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه . وقيل إنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه ستة آلاف مرة . وقال ابن أبى زائدة : صليت مع أبى حنيفة العشاء الآخرة ، وخرج الناس وأنا فى المسجد أريد أن أسأله عن مسئلة وهو لايعلم أنى فى المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى (ووقانا عذاب السموم) فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر . ويروى أنه من شدّة خوفه سمع قارئا يقرأ ليلة فى المسجد (إذا زلزلت الأرض زلزالها) فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر وهو يقول نجزى بمثقال ذرة ، فرحمة الله عليه ورضوانه .

ان ترد فى أبى حنيفة وصفا فالرواة الثقات عنه تشير كان شمسا يضىء بالعلم حقا
وهو فى الناس بالعلوم الأمير كان شيخ الاسلام قدوة خلق الله حقا لما اقتضاه القدير
لم يزل وجهه جميلا بهيا خاشعا لايشوبه تكدير معرضا عن حطام دنيا تلهى
كل عقل بحبها مأسور قد تساوى لديه تنزيه نفس عن حطام قليلها والكثير

وأما وفاته فحدثنا أحمد بن كامل وعبد الباقى بن قانع قالا : توفى أبو حنيفة رضى الله عنه ببغداد فى رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وبلغ سبعين سنة . قيل إنه سقى السم فمات رحمه الله ، وصلى عليه قاضى القضاة الحسن بن عمارة فى جمع عظيم . وأما رؤيته بعد الموت فحدثنا جعفر بن الحسن قال

من دبره ، ويل لشارب الخمر مما يلقى من عذاب الله سبحانه وتعالى » عن أسماء بنت زينب قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من وقع الخمر فى بطنه لم يقبل الله سبحانه وتعالى منه حسنة فإن مكث أربعين يوما ولم يتب ومات قبل الأربعين مات كافرا وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه طينة الخبال ، قالوا يارسول الله وماطينة الخبال؟ قال صديد أهل النار والدم والقيح» وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم انبشوا قبره ، فإن لم تجدوا وجهه مصروفا عن القبلة فاقتلونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذ شرب الخمر أربع مرات سخطه الله سبحانه وتعالى وكتب اسمه فى سجين ولا يقبل الله منه صومه ولا صلاته ولا صدقته إلا أن يتوب فإن تاب وإلا فمأواه النار وبئس المصير » وعنه

رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى . وعن على بن الحسن قال حدّثنا على بن مسلمة قال : سمعت عبد الحميد بن عبد الرحمن الجمانى يقول : رأيت فى المنام كأن نجما سقط من السماء فقيل أبو حنيفة ، ثم سقط نجم آخر فقيل مسعر ، ثم سقط آخر فقيل سفيان فمات أبو حنيفة قبل مسعر ثم مسعر قبل سفيان . وحدّثنا خلف بن سالم قال حدّثنا صدقة وكان صدقة مجاب الدعوة : أنه لما دفن أبو حنيفة رحمة الله عليه فى مقابر الخيزران سمعت صوتا ثلاث ليال يقول :

ذهب الفقه فلا فقه لكم ... فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذى ... بعد يحيى ليله إن سجفا

وقال بعضهم فى وفاته :

ألا كم لنعمان علوم سوابق ... ويعزى له فضل وتنمى حقائق
وزهد ولطف زانه وتفرد ... معارف شاعت فى العلا وطرائق
فلله يوم حان فيه حمامه ... فكادت له تهوى الجبال الشواهق
وغص به كل الأنام فذا شج ... كئيب وذا باك وآخر شاهق
ويعلو وقار نعشه وسكينة ... وكل فؤاد قد غدا وهو خافق
وقاموا صفوفا للصلاة كأنهم ... سطور وهاتيك البقاع مهارق
تحفهمو فيها الملائك خشعا ... ومن حوله حور حسان عرائق
وقد حسد المسك التراب لطيبه ... بقبر له فالطيب من ذاك عابق
وفتحت الجنات يوم قدومه ... يقبله رضوانه ويعانق
وكم من منامات رآها أولو النهى ... له فهى بالاسناد عنه توافق
وكم من علوم واجتهاد بفقهه ... يصون حماها حافظ منه صادق
وكم حل إشكالا وكم من أدلة ... تشدّ إلى معناه فيها الأيانق
وحدث عن خير الورى عند قبره ... أحاديث صدق وهو بالنقل واثق
وأحيا بعلم الفقه سنة أحمد ... نبى له قلب المتيم شائق
نبى الهدى جالى الصدى قامع العدا ... مزيل الردى يوما تحق الحقائق
شفيع الورى خير الأنام محمد ... ومن فضله فى الخلق والذكر سابق
أحنّ إليه كل وقت وأنثنى ... وقد عوقتنى عن لقاه العوائق
لئن أوصلتنى أرض نجد مطيتى ... وزرت حماه الرحب والدمع دافق
كحلت عيونى من تراب ضريحه ... ومن لى به كحلا لعينى يوافق
عليه صلاة الله ثم سلامه ... مدى الدهر والأزمان ماذرّ شارق

المجلس الثالث والثلاثون

فى ذكر كرامات الأولياء رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى ظهر بالبرهان وتجلى ، وتصرف فى الأكوان فعزل وولى ، ووفق من شاء من عباده فجاهد فى الله حق جهاده وما ولى ، أقامه فى الليل لخدمته فجاهد فى طاعته ، وتلذذ بمنادمته والسعيد من بات بمشاهدة مولاه يتملى ، وسقاه من شراب قربه بكؤوس حبه فنادى بلسان ذوقه وقلبه على جمرات شوقه يتقلى :

صلى الله عليه وسلم أنه قال « يساق أهل الزنا وشارب الخمر إلى النار يوم القيامة فإذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد ويضربونهم فى النار بعدد أيام الدنيا ثم يدفعونهم إلى منازلهم فى النار فلا يبقى عضو حتى تلدغه عقرب وتنهشه حية على رأسه أربعين سنة لا يبلغ الدرجة ثم يرفعه اللهب إلى رأس الطبقة فتضربه الزبانية فيهوى إلى قعر النار (كلما نضجت جلودهم بدّل لهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ثم يعطشون عطشا شديدا فينادون واعطشاه اسقونا شربة من الماء فتقدّم لهم الملائكة الموكلون بعذابهم أقداحا من جهنم تغلى وتفور ، فإذا تناول شارب الخمر القدح سقط لحم وجهه فإذا وصل الحميم فى بطنه قطع أمعاءه وخرجت من دبره ، ثم تعود لما كانت ثم يضرب فهذه عقوبة شارب الخمر » وقال

هذه الكاسات فى الأسحار تجلى ماترى الساقى علينا قد تجلى زالت الوحشة بالأنس وقد
قيل يامن يطلب الوصل تملى دولة الهجر توالت وانقضت والذى قد كان معزولا تولى
أيها الأحباب هذا وقتكم إن عزمتم فابذلوا الأرواح بذلا خلوة الليل خلت من عاذل
والذى تهواه لايسمع عذلا واحد منفرد فى ذاته عنه آيات صفات الحسن تتلى

فسبحان من نظر بحسن اصطفائه إلى أوليائه ومنحهم من عطائه نعما وفضلا ، أعطاهم ومناهم اختبرهم وابتلاهم فشكروا على ما أعطى وصبروا على ما أبلى ، سبقت لهم العناية بالسعادة فى سابق الإرادة فكانوا من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة إذ صيرهم لها أهلا ، خف منهم معروفا بالمعروف فخرق فى محبته الصفوف ، وجال فى مجال الحتوف ، وما زاغ من محبته ولا ولى ، وفقه لمحبته ومنحه من طيب حضرته قربا ووصلا ، وسقاه بكأس الوصال حين رقاه إلى رتبة الاتصال ففاز بقربه وتملى:

مذ شهدت الحبيب جهرا تحلى همت شوقا ونلت قربا ووصلا
فلهذا عرفت فيه جهارا بشهود الهوى وكأسى تملى

وجاد بالمزيد على أبى يزيد ، فلزم التجريد وشطح على كل مريد بالمورد الأحلى ونادى بلسان حاله مترجما عن وجده وبلبابه متعجبا بأحواله مدلا :

ومح من لم يكن لوصلك أهلا ذاك عن قصده تباعد جهلا
لو يذوق الغرام فى الحب أضحى مستهاما بناره يتقلى *

وشعشع شموس العناية للشبلى ، فبات لأنوار الهداية يستجلى ، ولأسرار المحبة يستملى ، إذ شرب بين الناس بالكأس الأملى ، وخاطبه فى خلوة أنسه ، وقال له بنفسه مرحبا وأهلا وسهلا :

كأس شوقى من دنّ ذوقى تملى وعروس الرضى لعينى تجلى
لو ترانى وقد برانى نحول هو عندى أهنى لقلبى وأحلى

وتفضل على الفضيل ، فشمر فى خدمته الذيل ، وسار فى نيل التحقيق بعد قطع الطريق مستقلا وأصلى بالمصالحة أسرار قلبه وناداه وقد جمع له بقربه شملا :

قد عفونا عما مضى منك فضلا مذ رأيناك للتواصل أهلا
* ثم قلنا لما أتيت منيبا مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا

وأدار صرف المزاج على الحلاج فسكر وهاج ، وخرج عن المنهاج ، وبات بنار شوقه يتقلى ، ونادى بلسان وجده ، وقد خرج عن حده لما رأى ساقى شهوده فى وجوده قد تجلى :

ساقى الراح لاتزدنى مهلا ماترى القوم من شرابك قتلى
ياحبيب القلوب أنت لقلبى كعبة الحسن للخلائق تجلى
جئت أسعى على جفونى إليها قيل لى لن تنال بالسعى وصلا
قلت إن جئت زائرا تقبلونى قيل إن كنت للتواصل أهلا
قلت قد متّ فى هواكم غراما قيل هكذا يكون وإلا
أيها الخاطب الذى جاء يبغى من حمانا قربا ويطلب وصلا
غضّ عن غير حسننا كل طرف وتهنى بحسننا وتملى
وإذا جئت فامدد الكف فقرا فى الدياجى وعفر الخدّ ذلا
واعترف بالذنوب وابك الخطايا وزمانا مضى وعمرا تولى
ثم لذ بالنبى خير البرايا والذى فى الإسرا دنا فتدلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأتى شارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق فى عنقه والطنبور فى كفه حتى يصلب على خشبة من نار فينادى مناد : هذا فلان بن فلان فتخرج من فمه نتنة ويلعنونه ثم تلقيه الزبانية من الصلب ويطرحونه فى النار فيبقى فيها ألف سنة فينادى واعطشاه ، ثم يرسل الله تعالى عليه عرقا منتنا فينادى رب ارفع عنى هذا العرق فلا يرفع عنه حتى تجىء نار تحرقه فيصير رمادا ، ثم يعيده الله سبحانه وتعالى فيخلقه خلقا جديدا من نار فيقوم مغلولة يداه مقيدة رجلاه يسحب فيها بالسلاسل على وجهه ، يستغيث من العطش فيسقى من الحميم ويستغيث من الجوع فيطعم من الزقوم فيغلى فى بطنه وعند مالك نعال من نار فيلبسه منها نعلين تغلى منهما دماغه حتى يخرج المخ من أرنبته وأضراسه من جمر يخرج لهيب النار من فمه وتتساقط أحشاؤه

ثم صلى عليـــه فى كل وقت فعليه رب الخـــلائق صلى

[عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه] قال مرض رجل من أولياء الله تعالى مرضا شديدا فكان الناس إذا رأوه قالوا به جنون فأكثروا عليه ، فلما عظم كلام الناس فى أمره قالوا له نعالجك ؟ فقال لهم ياقوم اعلموا أن لى طبيبا إذا سألته داوانى لكننى لا أسأله أن يداوينى فقيل له ولم ذلك وأنت محتاج إلى الدواء ؟ فقال أخشى إن برئت من هذه العلة طغيت . فقيل له ان عندنا مجنونا فاسأل طبيبك هذا أن يداويه ، قال نعم ائتونى به فأتوه برجل فى عنقه غلّ عظيم ويداه مشدودتان إلى عنقه فى قيد ثقيل قد استمكنت منه العلة ، فقال لهم خلوا بينى وبينه فنهض جهال القوم إلى يديه فحلوهما وأدخلوه معه فى البيت الذى كان فيه وأغلقوا عليهما البـاب وهم يظنون أنه سيفضى إليه بمكروه ، فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وخرج إليهم وسلم عليهم وكلمهم بكلام عاقل وهو يبكى بكاء شديدا . فقالوا له أخبرنا بقصتك وما كان منك ومنه ، فقال دخلت على هـذا الرجل وأنا على ماقد علمتم لاأعقل شيئا كما رأيتمونى فقرّبنى منه وأدنانى وجعل يده على صـدرى والأخرى على رأسى فأحسست بالعافية وزال مابى فقالوا له : ادخل معنا اليه لنسأله أن يدعو الله عزّ وجلّ لنا فدخل مع القوم اليه فلم يجدوه فى البيت وستره الله عزّ وجلّ عن أعينهم . قال سهل : وهـذا رجل من بيت المقدس يقال له إدريس بن أبى خولة رضى الله عنه :

أهل المحبة مانالوا الذى وجدوا ... حتى لربهم فى الخـلوة انفردوا
تراهم الدهر لايمضون من بلد ... إلا ويبـكى عليهم ذلك البـلد
لايعطفـــون على أهل ولا ولد ... ولاينامون إن كان الورى رقدوا
فالذكر مطعمهم والشكر مشربهم ... والوجد مركبهم من أجل ذاسعدوا
لايبرحون على أبواب سـيدهم ... ولا يريدون إلا من له عبـدوا
فالشوق يضرم نارا فى قلوبهم ... ونارهم فى دجى الظلماء تتقـد
مساجد الله مأواهم ومسكنهم ... وعيشهم طيب فى قربه رغـد

[قال الجنيد رحمة الله عليه] حججت سنة من السنين وجاورت بمكة شرّفها الله تعالى فجئت يوما إلى بئر زمزم لأرتوى منها فلم أجد بها حبلا ولا ركوة ولاسقاء ، فبينا أنا كذلك إذ دخل عبـد أسود ومعه ركوة وحبل فدلاهما فى البئر فلم يصلا فرفعهما وقال : وعزتك لئن لم تسقنى لأغضبن فإذا بالماء قد طفح على جانب البئر فتوضأ وشرب وملأ ركوته ثم عاد الماء إلى قعر البئر ، قال الجنيد : فلما خرج تبعته وقلت حبيبى على من كنت تغضب ؟ فقال ياجنيد ماهو كما خطر لك كنت أغضب على نفسى لا أسقيها الماء إلى يوم القيامة ، فلما علم سيدى صدق الدعوى أنبع لى الماء ثم غاب عنى فلم أره :

قوم أقاموا وداموا ... على العهود وراقبوا ... حبيبهم واستقاموا ... فى السر والإجهار
طوبى لهم إذ وفوا ... اليه من دون الورى ... وبادروا بالطاعـه ... فى خدمة الجبـار
لبوه لما دعاهم ... وقدموا أرواحهم ... وأقبـلوا لحمـاه ... من سائر الاقطار
لهم حقـائق دقائق ... على الخلائق تنعجم ... محلهـا من بوارق ... خوارق الأفـكار
هبت عليهم نسـيمة ... فاستنشقوا من نشرها ... شـذا الحبيب ومنها ... تنسموا الأخبـار
وحين وافت وطافت ... تفردوا وتجـردوا ... من الوجود وولوا ... عن سائر الأغيـار
قلوبهم معمـورة ... بحبّ مولاهم فلا ... يضرّهم فى الظاهر ... مـلابس الإنكار
باعوا النعيم الفـانى ... وحققوا واستيقنوا ... بأن هـذى الدنيا ... ليست بدار قرار

من قدامه ، ثم يجعـل فى تابوت من جمر ألف سنة طويل عذابه يضيق مدخله سائل صديده متغير لونه يقول : ياربـاه قد أكلت النـار لحمى ، فويل له إذا شكا لايرحم ، وإذا نادى لايجاب ، ثم يستغيث من العطش فيسقيه مالك شربة الحميم فيتناولها فتتسـاقط أصابعه ، فإذا نظرها وقعت عيناه وخدوده ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام فيجعل فى سجن فيه حيات وعقارب أمثال من البخت يأخذون بقدميه ثم يوضع على رأسه خرزة من نار ويجعل فى مفاصله الحديد وفى يده الأغلال وفى عنقه السلاسل ، ثم يخرج من السجن بعـد ألف سنة ، فتأخذه الزبانية إلى وادى الويل ، والويل واد من أودية جهنم أشدّها حرا وأبعدها قعرا وأكثرها حيات وعقارب ويبقى فى وادى الويل ألف سنة ، ثم ينـادى يامحمد يامحمد ، فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم نداءه فيقول :

أباحهم مولاهم يوم القيامة والجزا جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار
فعند ما يدخلوها تقبل تنادى الملائكه بشراكم اذ صبرتم فنعم عقبى الدار

[قيل] لمعروف الكرخى رحمة الله عليه يامعروف بماذا أنت معروف ، وبأىّ وصف فى المحبة موصوف ؟ فقال ياقوم ويحكم هل يجهل المعروف أو ينكر المألوف ، وهل يخفى القمر إلا على البصر المكفوف ؟ أما تنظرون الى قلبى المشغوف ولبى الملهوف وعقلى المخطوف فكم خرقت فى المحبة من صفوف ، وكم جرعت من كؤوس صروفها من حتوف ، وكم قرأت فى رموز مشكلها من حروف ، حتى صرت بين أهل المحبة معروف ، ولولا أن يكون معروف لكان عن طريق السعادة مصروف فان المستور بأثواب غروره مكشوف ، والمتبهرج بدعواه ترد عليه الزيوف .

جسدى على حكم الضنى موقوف أبدا وطرفى بالبكا مطروف
والقلب حول حماكمو ورضاكمو يسعى على قدم الصفا ويطوف
فبحسنكم قلبى يهيم صبابة وبحبكم أبدا أنا موصوف
وبوصلكم قدعذت من هجرانكم فأنا الحزين وقلبى الملهوف
وبكم عرفت فكيف تنكر حالتى والفضل أن لاينكر المعروف
مالى سوى أبوابكم ياسادتى والقلب من هجرانكم مرجوف
حاشاكمو أن تطردوا عبدا لكم عن بابكم قد جاء وهو مخوف
يبغى الأمان ومنكمو يرجو الرضى والستر فهو لديكمو مكشوف

[قيل] للفضيل بن عياض رحمة الله عليه : يافضيل أخبرنا كيف جذبتك يد التوفيق من قطع الطريق ، وكيف نقلت من فريق الشقاوة إلى أسعد فريق ؟ فقال ياقوم كنت ضالا عن الطريق بعيدا عن التوفيق ، فأنقذنى مولاى من بحر الآثام ، وغمرنى بالإحسان والإنعام ، فقالوا كيف كان ذلك ، وكيف قربت عليك المسالك ؟ فقال بينا أنا يوما قد خرجت لأقطع الطريق على المارة وتقودنى الى الشرّ نفسى الأمارة غرّنى الزمان واستحوذ علىّ الشيطان ، فذهبت لأستلب الرقاب وأنتهب الركاب ، وأنا فى ظلمة الحجاب أتيه ولاأعرف لطريق الصواب باب ، إذ طلع علىّ من مكامن التوفيق كمين (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فألقيت له سمعى وأجريت بالبكاء دمعى وطار قلبى وأثر ذلك فى رجوعى الى ربى . فقلت بلى والله قد آن وحان رجوعى إلى الرحمن وخوفى من العصيان ، ولكن لابد للخائف من أمان ، فجاءت بشائر القرآن بترجمان (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فرجعت من قطع الطريق الجادة الى قطع السجادة وخرجت عن طريق الوسادة ودخلت فى طريق أهل السعادة ، فصرت تحت قهر قدرته أسيرا ووقفت على باب رحمته فقيرا ونكست رأس ذلتى على باب عزته كسيرا . وقلت سيدى رجعت إليك رجوع العبد الآبق مستشفعا بفضلك السابق فغدوت صائدا ورجعت مصادا ، وذهبت قائدا ورجعت الى بابك منقادا ، ثم أنشد يقول :

عبيدك فى معاصيه تمادى وبارز إذ طغى وبغى عنادا وها أنا واقف بالباب فردا
كما تأتى العبيد غدا فرادى فكم سوّدت من صحف ولكن ستور الحلم غطين السوادا
فواخجلى ومالى ثم وجه أواجههم ولا أعددت زادا ولامال يقربنى إليهم
ولاجاه يبلغنى المرادا تراك معذبى يانور عينى وقلبى فيك قد أصفى الودادا
فان يرضيك إبعادى وطردى على رأسى ولو أضنى الفؤادا فيالله ماأهنا محبا *

يارب صوت رجل من أمتى فى جهنم ، فيقول الله سبحانه وتعالى : هذا رجل من أمتك شرب الخمر فى الدنيا ومات غير تائب ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : يارب قد خرج من شفاعتى إلا أن تعفو عنه » فتب أيها العبد من الذنوب اليه واعتذر من الخطايا لديه ، وقال عليه الصلاة والسلام «يخرج شارب الخمر من قبره متورمة سيقانه ولسانه مدلع على صدره ، وفى بطنه نار تأكل أمعاءه فيصيح بصوت جهورى نفزع منه الخلائق والعقارب تلدغ بين جلده ولحمه ويلبس نعلين من نار يغلى منهما دماغه ويكون فى النار قريبا من فرعون وهامان ، فمن أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حية وعقربا ، ومن قضى له حاجة فقد أعانه على هدم الإسلام ، ومن أقرضه شيئا فقد أعانه على قتل مسلم ، ومن جالسه

إلى أحبابه ألقى القيادا وما أشقى معنى قد تغنى وسد الباب فانقلب ارتدادا

فيامولاى جد بالعفو وارحم كئيبا قد أسا جهرا ونادى

أقلنى عثرتى يارب واغفر لعبد فى المعاصى قد تمادى

[كان] فى بنى إسرائيل رجل عابد فى كهف جبل لايراه الناس ولايراهم وعنده عين ماء يتوضأ منها ويشرب ويقتات من نبات الأرض وهو صائم النهار قائم الليل لايفتر عن العبادة وعليه آثار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده فى النهار فوجده مشغولا بالصلاة والأذكار وقصده فى الليل فوجده مستغرقا فى مناجاة العزيز الغفار ، فسلم عليه موسى عليه السلام : وقال له ياهذا ارفق بنفسك : فقال يانبى الله أخاف أن أؤخذ على غفلة فأقضى نحبى وأكون مقصرا فى خدمة ربى ، فقال له موسى عليه السلام هل لك من حاجة ؟ قال سل مولاك أن يعطينى رضاه ولايشغلنى بسواه حتى ألقاه ، فصعد موسى عليه السلام إلى المناجاة واستغرق فى لذة كلام مولاه ، فنسى قول العابد ، فقال له الحق سبحانه وتعالى ماذا قال لك عبدى العابد ؟ فقال : إلهى أنت أعلم سألنى أن تعطيه رضاك ولاتشغله بسواك حتى يلقاك . فقال ياموسى اذهب إليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار فهو من أهل النار لما سبق له عندى من الذنوب والأوزار وأعلم منه مالايعلمه غيرى من الفضيحة والعار ، فأتاه موسى عليه السلام فأخبره بقول ربه وماسبق من عظيم ذنبه ، فقال مرحبا بقضاء ربى وحكمه وكل شىء بعينه وعلمه لامردّ لأمره ولا معقب لحكمه ثم بكى بكاء شديدا ، وقال ياموسى وعزته وجلاله مابرحت عن بابه ولوطردنى ، ولاحلت عن جنابه ولوأحرقنى ومزقنى ثم أنشد :

لوقطعنى الغرام إربا إربا ما ازددت على الغرام إلا حبا

لازلت به أسير وجد وضنى حتى أقضى على هواه نحبا

فلما صعد موسى عليه السلام إلى المناجاة وقال : إلهى أنت أعلم بما قال عبدك العابد ، قال ياموسى بشره بأنه من أهل الجنة فقد أدركته الرحمة والمنة وقل له تلقيت قضائى بالصبر والرضى ورضيت منى بأصعب حكم وقضا ، فلو ملأت ذنوبك السموات والأرض والفضا ، وجميع الأقطار لغفرتها لك وأنا الكريم الغفار ، فلما بلغه موسى ذلك خرّ ساجدا وحمد ربه ، ومازال فى سجوده حتى قضى نحبه :

نوح الحمام على الغصون شجانى ورأى العذول صبابتى فبكانى

إن الحمام ينوح من خوف النوى وأنا أنوح مخافة الرحمن

فلئن بكيت فلا ألام على البكا ولطالما استغرقت فى العصيان

يارب عبدك من عذابك مشفق بك مستجير من لظى النيران

فارحم تضرعه إليك وحزنه وامنن عليه اليوم بالغفران

فيا أيها العبد المريب الى متى يدعوك مولاك وأنت معرض لاتجيب وكم يتقرّب اليك باحسانه وأنت تبارزه بعصيانه وعليك منه رقيب ؟ بادر بالتوبة الى بابه ولذ بجنابه فهو منك قريب ، واسأله الهداية والتوفيق واقصده فى إفراج الهمّ والضيق فقاصده لايخيب ، وعامله بما يرضيه واحذر من معاصيه فانه حاضر لايغيب ، وادعه حين تناجيه فانه لداعيه مجيب ، وتب فى هذه الساعة اليه ، وتضرع بين يديه بالبكاء والنحيب ، فعسى يجتبيك بعنايته ، ويهديك بهدايته ، فان الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب .

[كان وكان]

حشره الله تعالى أعمى بلا حجة ، ومن شرب الخمر فلا تزوّجوه ، وإن مرض فلاتعودوه ، فوالذى بعثنى بالحق ماشرب الخمر أحد إلا كان ملعونا فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، من شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله سبحانه على أنبيائه ولا يستحلّ الخمر إلا كافر وأنا برىء منه ، وإن شارب الخمر يموت عطشانا فينادى واعطشاه ألف سنة ، والذى بعثنى بالحق نبيا إن شارب الخمر يجىء يوم القيامة ، فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة خذوه فيبرز له سبعون ألف ملك يسحبونه على وجهه ، وأزيدكم : من كان فى قلبه مائة آية من كتاب الله تعالى وصب عليها الخمر يجىء يوم القيامة كل حرف من القرآن يخاصمه بين يدى الله عز وجل ، ومن خاصمه القرآن فقد هلك» . وروى عن عمر ابن عبدالعزيز أنه قال : كنت ذات ليلة ذاهبا الى

تعصى الإله وتغلق بابك لكيلا تفتضح فكل ماقد عملته عليك فيه رقيب
تزعم بأنك عاقل وأنت من أهل الوفا وتتبع شهواتك ماذاك فعل لبيب
انهض وداوى سقامك فذا أوان طبه قبل أن تجيك المنيه ماينفع التطبيب
وقم وهيئ زادك فقد دنا وقت السفر وراع غصن شبابك مادام غصن رطيب

فيا أخى الى متى تضيع عمرك ومانلت منه نصيب ، الى كم يستحضرك الى حضرة جنابه وأنت فى المغيب ، الى متى أنت سقيم بعلة زلتك ولاتبدى شرح قضيتك الى الطبيب ؟ [كان وكان]

ارفع الى محبوبك قصة ذنوبك فى الدجى فهو الطبيب المداوى ومن دعاه يجيب
حيث اتجهت رأيته حاضر معك فى خلوتك وحيث كنت وجدته معك فليس يغيب
فقم وداوى سقامك واهجر منامك والكرى واخلص قيامك عسى أن تنال منه نصيب

فيا أيها الغريق فى بحار الخطايا والذنوب ، المشتهر بالقبائح والعيوب ، المعرض عن خدمة علام الغيوب ، إن كنت مستوحشا بالذنوب ، فباب الكريم مفتوح لمن يتوب ، [كان وكان]

فانهض وبادر بتوبه ثم اعتذر عما مضى الى متى أنت معرض عن الرضى محجوب
وقم وقول ارحمونى وسامحونى سادتى فكم عملت قبايح وكم ركبت ذنوب
وها أنا جئت تائب من زلتى ياسيدى فارحم خضوعى وذلى ودمعى المسكوب

فيا أيها المريد المنقطع عن حبل حبه المديد لاتستصعب الطريق ، ولاتستبعد التوفيق ، فكم من ضعيف محمول ، وكم من منقطع موصول ، اركب جواد همتك وضع قدم أقدامك فى ركاب عزيمتك ، فان لم تملك زادا من التقوى فاجعل لك زادا من الشكوى ، واقدح به فى حراق قلبك المحترق وأرسل عليه سحاب دمعك المندفق ، فاذا صعد دخان زفراتك وعلت أنفاس حسراتك ، قف على الباب منتظرا ماذا يكون من الجواب ؟ فان سمعت فى العتاب من ذا الغريب الواقف بالباب وقوف المريب ؟ فقل :

العبد واقف بالباب وقوف سائل مفتقر منكس الرأس يبكى بدمعه المسكوب
قلب الفقير رأس ماله ورأس مالى قد خرب واحسرتى واعنائى بقلبى المسلوب

فان قيل لك فما الذى أبطأ بك عن مطلوبك وماالذى قطعك عن محبوبك ؟ فقل :

ما كنت أعرف بجهلى مقدار وصل أحبتى حتى هجرت فقابى
عن وصلهم محجوب حتى متى بالقطيعة والصد عمرى ينقضى
عودوا الى الوصل عودوا وحياتكم وأتوب *

فان قيل فكم تتوب وتنقض ، وتتعرض لك وأنت عنا معرض ؟ فقل :

من الساعة إن سمحتم بالصلح قلبى ينصلح وينصلح كل حال من كلى المعيوب
ترى تزول الوحشة ونصطلح بعد الغضب ونجتمع بعد فرقة ونبلغ المطلوب
وافرحتى يوم أنظر جمال وجه أحبتى ويشفى بالتلاقى فؤادى المكروب
وأزور قبر الهادى خير الأنام المصطفى الهاشمى التهامى المجتبى المحبوب
صلى عليه وسلم رب السموات العلى مادام قلبى اليه على الدوام طروب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المسجد ، وإذا بنسوة يتباكون على الطريق . فقلت لهن ماقصتكن ؟ قلن مريض عندنا ندعوه ونكرر عليه الشهادة فلم يقلها ، فتعال اكتسب أجره ولقنه الشهادة فلقنته لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم يقلها ، فكررتها عليه ففتح عينيه وقال كفرت بلا إله إلا الله وتبرأت من الإسلام وخرجت روحه فخرجت من عنده وأعلمت النساء بحاله وناديت : ياقوم لاتصلوا عليه ولا تدفنوه فى مقابر المسلمين فانه مات كافرا ، فاسألوا أهله ماكان يفعل ؟ فقالوا مانعلم له ذنبا غير أنه كان يشرب الخمر ، فالخمر سلب إيمانه عند الموت ، فتب أيها العبد الضعيف قبل مقاطعة الرب اللطيف ، فياويل من عصاه وكانت النار مأواه ، فبادر الى التوبة مادام فى الجسم روح وعلم الوصال يلوح والباب للتائبين مفتوح . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم

المجلس الرابع والثلاثون

فى مناقب معروف الكرخى رحمة الله عليه

الحمد لله الرحيم الرءوف الكريم العطوف ، المعروف بالمعروف ، الواحد الأحد الذى لايتأثر بالوحدة ولايتكثر بالألوف ، الغنىّ فى ملكوته عن الوزير المشير والأليف والمألوف ، العالم بما فوق النجوم وماتحت التخوم ، فستر الغيب عنده مكشوف ؛ استوى على العرش استواء منزها عن الحركة والجلوس والوقوف ، أحمد الله سبحانه وتعالى لما دفع من المخوف ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له شهادة من لسانه بالصدق محفوف ، وكفه على الامتداد إلى غير الحق مكفوف ، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أرسله إلى الشريف والمشروف ؛ وبشر بالجنة الدانية القطوف ، وحذر من النار الحامية العسوف ، ولبس الصوف وانتعل المخصوف ، وكان من الله بمكان مكين ومقام موصوف . اللهم صلّ على هذا النبى الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أشم الأنوف ، وسلم عليه وعليهم ماصفّ فى الصلوات من الجماعة صفوف :

هذا الولى الذى بالخير موصوف ... واسمه فى الورى لاشك معروف
هو الولىّ الذى أعطى كرامته ... حديث سنّ له بالبرّ مألوف
له الكرامات عند الله قد جمعت ... وشوقه زائد والطرف مطروف
مانام عن خدمة الله ليلته ... وقد غدا السرّ منه وهو مكشوف

هو معروف وهو والله بالخير موصوف ، وكنيته أبو محفوظ واسم أبيه فيروز وهو منسوب إلى كرخ بغداد ، وكان أبواه نصرانيين ، وكان معروف فى صغره يصلى بالصبيان فكان يعرض الإسلام على أبويه فيضجان منه فأسلماه يوما إلى معلم دينهما ليعلمه فأجلسه قدامه وقال له يابنىّ أنت وأبوك وأمك كم أنتم فى العدد ؟ فقال ثلاثة ، فقال قل ثالث ثلاثة ، فصاحت به الغيرة : إياك أن تذكر غيره فتهوى فى مهاوى الحيرة ، واحذر أن تجاوز من الأحد إلى أحد فتضرب بسياط البعد والكمد ، قال معروف فطاب لى سماع هذا الخطاب ، ثم رفع الحجاب ، وزال الاحتجاب فرأيت كأسا من المحبة والاخلاص ، مكتوبا عليه بقلم القبول والاختصاص ، على الجانب الواحد (وإلهكم إله واحد) وعلى الجانب الثانى (لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) وعلى الجانب الثالث (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وعلى الجانب الرابع (إننى أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدنى) فلما شربت ذلك الكاس ، ذهب عنى الباس ، وزال الغىّ والالتباس ، فغبت فى سكرتى وطبت فى حضرتى ، وناديت بلسان فكرتى :

جسدى على حكم الضنى موقوف ... أبدا وطرفى بالبكا مطروف
والقلب حول حماكمو ورضاكمو ... يسعى على قدم الصفا ويطوف
وبكم عرفت فكيف تنكر حالتى ... والفضل أن لاينكر المعروف

ثم قال له المؤدب قل ثالث ثلاثة ، فقال بل واحد أحد فضربه ضربا مبرحا ثم أحضره وقال له قل ثالث ثلاثة ، فقال بل واحد أحد فضربه أشدّ من الأول وأمر أبويه فحبساه فى خزانة فمكث فيها ثلاثة أيام كل يوم يرمون له رغيفا وشربة ماء فبكت أمه وقالت لأبيه : إن ولدك صغير وأخاف أن يعتريه فى هذه الخزانة جنون فأخرجه منها ففتحا عليه الباب فوجدا الثلاثة أرغفة لم تكسر فراوداه على الخروج فأبى فقالا له ماتريد بحبسك فى هذه الخزانة ؟ فقال إن الحبيب الذى حبستمانى من أجله وجدته عندى فآنسنى :

أنه قال « إذا تاب العبد عرجت الملائكة إلى السماء فيقولون ربنا عبدك فلان قد استيقظ من سنة الغفلة واللعب ووقف بين يديك ذليلا ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتى زينوا السموات والأرضين لقدوم أنفاس حضرته وافتحوا أبواب التوبة لقبول توبته ، فان نفس التائب عندى إذا تاب أعزّ من الأرضين والسموات » فمن لازم التوبة وقام فى الخدمة بدلت ذنوبه حسنات والله تعالى أعلم .

الباب الثالث
فى عقوبة الزنا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا الزنا فان فيه ستّ خصال : ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة فأما الثلاثة التى فى الدنيا فانه يذهب البهاء من وجهه ويورث الفقر وينقص العمر ، وأما التى فى الآخرة فانه يوجب سخط الله وسوء الحساب والخلود فى النار » ويقول الله تبارك وتعالى (لبئسما قدمت لهم

واحد لاشيء يشبهه أبدا قلبي يوحده لو رآه الجاحدون له لرأوا لاشيء يشبهه
هو فرد والفؤاد له عن جميع الخلق أفرده أنا معروف بألفته ياعذولي كيف أنكره
حيثما وجهت فهو معي هات قل لي كيف أجحده

فلما ألحوا عليه في الخروج خرج وساح على وجهه وبقي أياما لايأكل طعاما ولايذوق شرابا ولايستظل بجدار وجعل أبواه يبكيان ويقولان ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنتبعه ونوافقه ، فلما كان بعد مدة طرق الباب فقيل من ؟ قال معروف قالا على أي دين أنت ؟ قال على دين الإسلام فخرج إليه أبواه واعتنقاه وأقبلا عليه وأسلما على يديه :

تعالوا بنا نصطلح فباب الرضى قد فتح وداووا الفؤاد الذي بسيف الجفا قد جرح
فيامدعي حبنا دع الروح ثم انطرح ووحد جمال الحبيب وقل للعذول استرح

وروى معروف الكرخي بإسناده عن أنس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم «أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال لاتغضب ، قال فإن لم أطق ذلك يارسول الله ؟ قال فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر لك ذنوبك سبعين عاما ، قال فإن لم يأت علي ذنوب سبعين عاما ؟ قال يغفر لأمك قال فإن ماتت أمي ولم يأت عليها ذنوب سبعين عاما ؟ قال يغفر لأقاربك » . وروى معروف الكرخي أيضا رضي الله عنه بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج واعتمر» وروى معروف الكرخي رضي الله عنه بإسناده عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «من قال عند منامه : اللهم آمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولاتكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين . اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا إلا بعث الله تعالى إليه ملكا في أحب الساعات إليه فيوقظه فان قام وإلا صعد الملك وبعث إليه ملكا آخر فان قام وإلا صعد ذلك الملك فقام مع صاحبه الأول فان قام بعد ذلك ودعا استجيب له ، وإن لم يقم كتب الله تعالى له ثواب أولئك الملائكة» .

[ومن كراماته رضي الله عنه] قال ابن مردويه : كنا جالسين مع معروف الكرخي فلما كان ذات يوم رأيت وجهه متهللا ، فقلت له ياأبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء ؟ قال لي مامشيت على الماء قط ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها فأتخطاها . وقال محمد بن واسع رحمة الله عليه : كنت عند معروف أذان المغرب وجئت إليه من الغد ، فاذا في وجهه أثر فقلت لشيخ إلى جانبي كان أنس به سله ، فقال له ياأبا محفوظ كنا عندك أمس ومابوجهك هذا الأثر وجئنا اليوم وهو في وجهك فما السبب في ذلك ؟ فقال معروف لاتسأل عما لايعنيك عافاك الله ، فقال له الرجل سألتك بالله أي شيء سببه ؟ فقال معروف : ويحك ماحملك على هذا ! قال ثم تغير وجهه ثم قال : صليت البارحة ههنا العتمة واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة شرفها الله تعالى ، فطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها ، فرأيت صورة حسنة فحدقت إليها بالنظر فزلقت رجلي في الباب فأصاب وجهي ماترى وإذا أنا بقائل يقول : ياهذا لوزدت زدناك . وقال حدثنا محمد بن مخلد قال : قرأ علي الحسن بن عبدالوهاب وأنا أسمع . قال قالوا إن معروفا الكرخي يمشي على الماء ولو قيل لي إنه يمشي في الهواء لصدقت . وقال عبد الصمد بن حميد سمعت عبد الوهاب يقول : مارأيت أزهد من معروف .

أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل وجوههم نارا يعرفون بين الخلائق بنتن فروجهم يسحبون على وجوههم إلى النار ، فاذا دخلوها يلبسهم مالك دروعا من نار لو وضع درع الزاني على جبل شامخ عال ساعة لصار رمادا ، ثم يقول مالك : يامعشر الزبانية اكووا عيون الزناة بمسامير من نار كما نظرت إلى الحرام وغلوا أيديهم بأغلال من نار كما امتدت الى الحرام ، قيدوا أرجلهم قيودا من نار كما مشت إلى الحرام ، فتقول الزبانية نعم نعم ، فتعلق الزبانية أيديهم بالأغلال وأرجلهم بالقيود وأعينهم تسكوى بالمسامير فهم ينادون يامعشر الزبانية ارحمونا خففوا عنا العذاب ساعة ، فتقول لهم الزبانية كيف نرحمكم ورب العالمين غضبان عليكم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[ومن كلامه رضى الله عنه] قال إبراهيم البكاء رحمة الله عليه: سمعت معروفا الكرخى رحمة الله عليه يقول: إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل. وجاء يحيى بن معين وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما عند معروف، فقال يحيى أريد أن أسأله عن سجدتى السهو؟ فقال له أحمد اسكت فلم يسكت، فقال له ياأبا محفوظ ماتقول فى سجدتى السهو؟ فقال له معروف: عقوبة للقلب لما اشتغل وغفل عن الصلاة، فقال له أحمد بن حنبل رضى الله عنه: هذا من كيسك. وقال: أقام معروف الصلاة يوما، ثم قال لمحمد ابن أبى توبة تقدم فصلّ بنا وذلك أن معروفا كان لايؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره، فقال له محمد بن أبى توبة: إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصلّ بكم صلاة أخرى، فقال له معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى! نعوذ بالله من طول الأمل فانه يمنع خير العمل. ومن كلامه أيضا رضى الله عنه الدنيا أربعة أشياء: المال والكلام والمنام والطعام. فالمال يطغى، والكلام يلهى، والمنام ينسى، والطعام يقسى. وقال سرى السقطى رحمه الله: سمعت معروفا الكرخى يقول: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه نفعه، ومن تواضع له رفعه:

تواضع لرب العرش علك ترفع فما خاب عبد للمهيمن يخضع وداو بذكر الله قلبك إنه
لأشفى دواء للقلوب وأنفع ولاتغترر بالمكر منك وبالمنى فمن خادع الله العظيم يخدع

[قال لمعروف رضى الله عنه] بأى شىء يخرج حب الدنيا من القلب؟ قال بصفاء الود، وحسن المعاملة، وللفتيان علامات ثلاث: وفاء بلاخلاف وعطاء بلاسؤال ومدح بلاجود. وعلامات الأولياء ثلاث: همتهم لله وشغلهم فيه وفرارهم إليه. وجاء رجل إلى معروف الكرخى رضى الله عنه فقال له ياسيدى عرفنى كيف أصل إلى الله تبارك وتعالى؟ فأخذ بيده وأتى به إلى دار أمير فوجد على الباب عبدا قائما مكسور الرجل، فقال لسائله: كن مثل هذا تصل إلى الله تعالى وأشار الشيخ يعنى كن عبدا مكسورا واقفا على الباب:

العبد واقف على أبوابكم مكسور واحسرتى إن أمت فى حبكم مهجور
ياليت شعرى تراكم تعتقوا المأسور عسى إذا ماالتقينا ينمحى المسطور

[وأنشد آخر]

بالله عليكم دعوا مابيننا مسطور واعفوا باحسانكم ماقد حوى الدستور
لايسمعون العدا حين ينقرى المسطور ترجع فضيحة وقلبى ينثنى مكسور

ومما يدل على شدة خوفه رحمه الله قال أبوبكر بن أبى طالب: دخلت مسجد معروف الكرخى وكان فى منزله فدخل إلينا ونحن جماعة. فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرددنا عليه السلام فقال: حياكم الله بالسلام فى دار السلام ونعمنا وإياكم فى الدنيا بالإحسان وفى الآخرة بالغفران ثم أذن فلما أخذ فى الأذان اضطرب وارتعد حين قال أشهد أن لاإله إلا الله وقام شعر حاجبيه ولحيته واضطرب حتى خفت أن لايتم أذانه وانحنى حتى كاد أن يسقط. وقال الثقفى سمعت عبد الله بن محمد الوراق رحمه الله يقول: ربما كنا مع أبى محفوظ فى المجلس وهو قاعد يتفكر ثم يفزع ثم يقول: واغوثاه. وقال القاسم البغدادى رحمة الله عليه: كنت جار معروف الكرخى فسمعته ليلة فى المسجد ينوح ويبكى وينشد ويقول:

أى شىء تريد منى الذنوب شغفت بى فليس عنى تغيب

« من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه من جمر جهنم ومن زنى بامرأة حرام أقامه الله من قبره عطشان باكيا حزينا مسودا وجهه مظلما، فى عنقه سلسلة من نار وسرابيل على جسده من قطران ولايكلمه الله ولايزكيه وله عذاب أليم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زنى بامرأة متزوجة كان عليها وعليه فى القبر عذاب نصف هذه الأمة، فاذا كان يوم القيامة يحكم الله عز وجل زوجها فى حسناته ويحمله ذنوبه ويسوقه إلى النار إذا كان ذلك بغير علمه، فإن علم زوجها أن أحدا زنى بزوجته ويسكت حرم الله عليه الجنة، لأن الله كتب على باب الجنة: أنت حرام على الديوث الذى يدرى القبيح على أهله ويسكت لايدخل الجنة أبدا، وإن السموات السبع تلعن الزانى والديوث ». وفى بعض الكتب المنزلة: أن أصحاب الفروج الزانية يحشرون

مايضر الذنوب لو أعتقتنى رحمة لى فقد علانى المشيب

وقال يحيى بن الحسن رحمه الله: سمعت معروفا الكرخى رحمة الله عليه يقول: رأيت رجلا بالبادية شابا حسن الشباب وله ذؤابتان وعلى رأسه رداء قطن وعليه قميص كتان وفى رجليه طاق نعل قال معروف فتعجبت منه فى مثل ذلك المكان فسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت له من أين أنت ؟ قال: من مدينة دمشق ، قلت له ومتى خرجت منها ؟ قال ضحوة النهار فتعجبت منه وكان بينه وبين دمشق مسافة بعيدة ومراحل كثيرة ، قلت وأين تقصد ؟ قال مكة فعلمت أنه محمول بالعناية فودعته ومضى ولم أره حتى مضت ثلاث سنين ، فلما كان ذات يوم وأنا جالس فى منزلى أتفكر وإذا بالباب يطرق فخرجت فاذا هو صاحبى فسلمت عليه ، وقلت : له أهلا ومرحبا وأدخلته المنزل فرأيته منقطعا والها حافيا حاسرا ، فقلت له: ما الخبر ؟ فقال ياأستاذ لاطفنى حتى أدخلنى الشبكة فرمانى ، فمرة يلاطفنى ومرة يهددنى ومرة يجيعنى ومرة يكرمنى فليته أوقفنى على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بى ماشاء . قال معروف فأبكانى كلامه ، فقلت حدثنى ببعض ماجرى عليك منذ فارقتنى ، فقال هيهات أن أبديه وهو يريد أن أخفيه . ثم استفرغه البكاء ، فقلت ومافعل بك ؟ فقال جوعنى ثلاثين يوما ، ثم جئت الى قرية فيها مقثأة كم أخرجت الورق فقعدت آكل من الورق فنظر نى صاحب المقثأة فأقبل يضربنى على ظهرى وعلى بطنى ، ويقول يالص ماأخرب مقثأتى غيرك وأنا منذ كم أرصدك حتى وقعت عليك . والله لأعذبنك أنواع العذاب فبينما هو يضربنى إذ أقبل فارس نحوه مسرعا وقلب السوط على رأسه . وقال له : ويلك تعمد إلى ولىّ من أولياء الله تعالى فتقول له ياالص وتضربه وتهينه ولم يأكل من مقثأتك غير الورق ، قال فأخذنى صاحب المقثأة وقبل يدى ورأسى واعتذر إلىّ وذهب بى إلى منزله وأكرمنى وأحسن إلىّ وسبل مقثأته للفقراء والمساكين من أجلى ، فقلت له أنا من أصحاب معروف ، فقال صف لى معروفا فوصفتك له فعرفك فما استتم كلامه حتى دق الباب صاحب المقثأة ودخل إلينا ، وكان موسرا فخرج عن جميع ماله وفرقه على الفقراء وصحب الشاب سنة ثم خرجا إلى الحج فحجا واعتمرا وماتا جميعا ودفنا بالمعلاة من مكة رحمهما الله تعالى :

الله حسبى فى الأكوان آيات فيها لمعرفة الرحمن إثبات
انظر إلى كل مخلوق تعاينه إذ تعتريه من التغيير حالات
جمع وفرق وصفو بعده كدر قرب وبعد وإعراض وإخبات
تصريف رب حكيم مالك صمد وكل فعل له فى اللوح ميقات
لله أيام أنس قد صحبت بها قوما همو فى سلوك الحق سادات
قوم مضوا كانت الدنيا بهم نزها والدهر كالعيد والأوقات أوقات
ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتهم ونحن فى صور الأحياء أموات
هم الأحبة إن ماتوا وإن رحلوا على مضاجعهم منا التحيات
أضحت أحاديثهم مابيننا سمرا وذكر أوقاتهم للقلب أقوات
أخى فبادر إلى زاد تحصله ولا تسوّف فللتأخير آفات
وكم سرور أتى من بعده حزن وكم أتت بعد أحزان مسرات
يارب صلّ على أعلى الورى شرفا محمد ماعلت بالذكر أصوات
وآله وعلى الأصحاب كلهم منى السلام عليهم والتحيات

يوم القيامة وفروجهم توقد نارا ، ويحشرون وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم تسحبهم الزبانية وتنادى عليهم : يامعشر الناس هؤلاء الزناة قد جاءوكم مغلولة أيديهم إلى أعناقهم توقد فروجهم نارا ، فيتفرجون عليهم فتفيح النار من فروجهم روائح منتنة ، فتقول الزبانية هذه روائح فروج الزناة الذين زنوا ولم يتوبوا فالعنوهم لعنهم الله تعالى فلا يبقى عند ذلك بارّ ولافاجر إلا قال اللهم العن الزناة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت رجالا ونساء محبوسين مع العقارب والحيات . العقارب تلدغهم والحيات تنهشهم ، فموضع كل قبلة جرت بينهما تدقهم العقارب بمقاراتها ، وفى كل مقارة من مقاراتها راوية سم تفرغ فى لحم من تقرصه يسيل من فروجهم الصديد يصيح أهل النار من نتنه وهم معلقون بشعورهم .

[ومن دعائه رضى الله عنه] : اللهم يامن وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه . وجاء رجل إلى معروف رحمه الله ، فقال ادع الله أن يلين قلبي ، فقال : قل ياملين القلوب لين قلبي قبل أن تلينه عند الموت . قال سرى السقطى رحمة الله عليه هذا الذى أنا فيه مانلته إلا ببركة معروف الكرخى رضى الله عنه . وذلك أنى انصرفت مرة من صلاة العيد فرأيت معروفا ومعه صبي أشعث وهوباك مكسور القلب ، فقلت مالى أرى معك هذا الصغير باكيا ؟ فقال لى رأيت الصبيان يلعبون وهذا الصبي واقف مكسور القلب لايلعب معهم فسألته فقال لى أنا يتيم مات أبى ولم يخلف لى شيئا وليس معى شيء أشترى به جوزا ألعب به مع الصبيان ، فأخذته معى لعلى أجمع له نوى يشترى به جوزا يلعب به . فقلت له أعطنى إياه أغير من حاله ماتشعث قال أوتفعل ؟ قلت نعم قال خذه أغنى الله قلبك بالإيمان وعرفك الطريق إليه فى السر والاعلان . قال السرى فأخذت الصبى ومضيت به إلى السوق فكسوته كسوة حسنة واشتريت له جوزا فلعب به مع الصبيان نهاره فقالوا من فعل بك هذا المعروف ؟ فقال سيدى السرى ومعروف فلما مضى الصبيان أتى إلىّ وهو فرحان فقلت له كيف كان يومك ؟ فقال ياعم كسوتنى من ملابس الاحسان وفرحتنى بين الصبيان وجبرت قلبي بعد الكسر والأحزان فالله تعالى يجبرك بين يديه ويفتح لك طريقا إليه . قال فسررت بذلك سرورا شديدا وجددت لى بالفرح عيدا جديدا .

كرر حديثهمو فما أحلاه ... وألذه عندى وما أهناه
روّح به روحى وحدّث عنهمو ... فحديثهم للقلب ما أشهاه
بالله واهتف مرة أخرى بهم ... فعسى ينال الصب منه مناه
ولنا رموز ليس يعرف شرحها ... إلا الذى نشر الهوى وطواه
ولقد تنادمنا بكل لطيفة ... سرّا ولم تتلفظ الأفواه

[قال عامر بن عبد الله الكرخى رحمه الله] كان بجوارى رجل نصرانى . فبينما أنا ذات يوم فى منزلى ، إذا به قد أتانى وقال لى يا أبا عامر إن لى عليك حق الجوار . وأنا أسألك بحق خالق الليل والنهار إلا مامضيت بى إلى ولىّ من أولياء الله الأبرار ليدعولى أن يرزقنى الله ولدا فقلبى إليه بالأشواق وفى كبدى منه لوعة واحتراق . قال فأخذته ومضيت به إلى معروف الكرخى رحمة الله عليه فأخبرته بأمره فدعاه معروف إلى الاسلام . فقال له يامعروف إنك لن تقدر على هدايتى إلا أن يهدينى العلام . وأنا أسألك الدعاء فيما جئت فيه والسلام فرفع معروف يديه وقال : اللهم إنى أسألك أن ترزقه ولدا يكون بارا بوالديه ويكون إسلامهما على يديه فاستجاب الله له ورزقه ولدا فاق بكمال عقله على أهل زمانه وعلا بنجابته على أبناء جنسه وأقرانه . فلما كبر أتى به أبوه إلى معلم دينهم ليعلمه كتابهم ويوضح له أسبابهم فأجلسه المعلم بين يديه ودفع اللوح إليه وقال له قل قال : وما أقول ؟ ولسانى عن تثليثكم معقول وقلبى بحب ربى مشغول فقال له المعلم يابنى ماعن هذا سألتك فقال عمّ سألتنى ؟ قال سألتك عما جئت إلىّ تتعلمه وأتيت تتفهمه فقال له علمنى شيئا يقبله عقلى ويدركه ذهنى ونقلى :

فقال قل يابنىّ ألف فقال الصغير: ... ألف الوصل ألفت كل قلب ... لحبيب صفاته أزليه
فقال له المعلم يابنىّ قل باء فقال: ... باء عين البقاء أحيا نفوسا ... لم يدع حبه لها من بقيه
فقال له المعلم يابنى قل تاء فقال: ... تاء توق القلب يكشف عنها ... كل شك تكون منه بريه
فقال له المعلم يابنىّ قل ثاء فقال: ... ثاء ثوب الثياب ثبت قوما ... قدثووا فى المقاعد العندليه
فقال له المعلم يابنىّ قل جيم فقال: ... جيم نور الجمال تجلى عليهم ... فى تجليه بكرة وعشيه

قلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هم الزانون والزانيات» نعوذ بالله من فعل أهل النار ومن غضب الجبار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صافح امرأة حراما : أى أجنبية جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه بسلسلة من نار ، فان زنى بها نطق فخذه بين يدى ربه يقول فعلت كذا على كذا فى موضع كذا فى شهر كذا وكذا فيقع لحم وجهه ويبقى وجهه عظما بلا لحم فيقول الله عز وجل للحم ارجع باذنى ، فيرجع باذنه ويبقى وجه الزانى أشد سوادا من القطران فيكابر الزانى ويقول : ماعصيت قط يارب . فيقول الله سبحانه وتعالى للسان اخرس فيخرس اللسان ، فعند ذلك تنطق الجوارح فتقول اليد : إلهى إنى للحرام تناولت وتقول العين وأنا للحرام نظرت وتقول الرجل وأنا للحرام مشيت ويقول الفرج وأنا للحرام فعلت ويقول

فقال له المعلم يابنيّ قل حاء فقال : حاء حمد الإله أحمى قلوبا فحماها من الخصال الدنيه
فقال له المعلم يابنيّ قل خاء فقال : خاء خوف الإله أذهب عنهم كل حزن لهم وكل رزيه

ومازال المعلم يلقنه حرفا حرفا وهو يجيبه عنها بكلام منظوم مقفى الى أن ذهل عقل المعلم ووجد فى قلبه مما سمعه منه انتعاش ، وعلم أن كل دين غير دين الاسلام لاش ، قال له المعلم شاباش لك ياموحد المحبوب شاباش :

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى إلى غير بابه وضلّ الذى يوما إلى غيره يدعى
هو القصد لاشىء سواه فمن سعى إلى غير ذاك القصد ياخيبة المسعى
هو الماجد البرّ الرحيم وغيره من الناس لايستطيع ضرّا ولا نفعا
يرى العبد يعصيه ويستر ذنبه ويرزقه من غير ما أنه يسعى
يعامل بالغفران والصفح من عصى ويوصل من يستوجب الهجر والقطعا
فسبحانه لارب فى الكون غيره يحب الذى يلقى إلى قوله السمعا

قال فلما سمع المعلم كلامه الذى ساب عقله وشجاه علم أن ما أنطقه إلا الذى خلقه وأنشاه ، فقال عند ذلك فى سر نجواه : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أخذ الصبى وأتى به إلى أبيه ، فلما رآهما أبوه قد أقبلا صار وجهه بالبشر مهللا ، فقال للمعلم كيف وجدت ولدى فى ذكائه وفطنته ، فقال له المعلم اصغ إلى مقالته ، ثم عرض عليه المقال ، فقال أبوه ولدى يغيث المضطر والملهوف مانال ولدى هذه المنزلة إلا ببركة دعوة معروف ثم قال : الحمد لله الذى أنقذنا بك يابنيّ من الضلال بعد أن كنا على أسوإ حال ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أسلمت أمّ الصبى وكل من فى الدار وكسروا الصليب وقطعوا الزنار وأنقذهم الله بدعوة معروف من النار :

مامضى لايعاد منكم فإنا قد عفونا عما مضى واصطلحنا ابشروا بالمنى فان حمانا
من أتاه ينال مايتمنى فاز من جاءنا بذل وأضحى من جميع الأنام أعلى وأغنى
والذى جاءنا بزهو وعجب خاب فى الناس سعيه وتعنى كم عزيز وافى حمانا مذلا
حجبته أيدى الشقاوة عنا والذى جاءنا باخلاص قلب حاز فضلا ونال عزا وأمنا

[قال أحمد بن العباس رحمة الله عليه] خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلنى رجل عليه أثر العبادة ، فقال لى من أين خرجت ؟ قلت من بغداد هاربا لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخسف بأهلها ، فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبور أربعة رجال من الأولياء هم حصن لهم من جميع البلايا ، قلت فمن هم ؟ قال أحمد بن حنبل ومعروف الكرخى وبشر الحافى ومنصور بن عمار فرجعت وزرت تلك القبور ، وحصل لى أمر عظيم من الفرح والسرور :

لأحمد أوصاف وبالعلم اشتهر ومعروف لاتنساه فيمن قد انحصر
وبشر ومنصور ولاسيما هما لهم أعين فى الليل ماملت السهر

[وقال أبو الفتح بن بشر رحمة الله عليه] رأيت بشرا فى منامى فى بستان وبين يديه مائدة فقلت له أبا نصر مافعل الله بك ؟ قال رحمنى وغفر لى وأباحنى الجنة بأسرها ، وقال لى كل من جميع ثمارها ، واشرب من أنهارها ، وتمتع بجميع مافيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات فى دار الدنيا قلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ قال هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن

الحافظ وأنا سمعت ويقول الآخر وأنا كتبت وتقول الأرض وأنا نظرت . فيقول الله عز وجل وأنا وعزتى وجلالى اطلعت وسترت : يامﻻئكتى خذوه وفى عذابى ألقوه ومن سخطى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه» فاستيقظ ياصاحب الزلل والعيوب ، من يستغفر عنك بعد الموت ومن يتوب ؟. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحب من عبده أن يراه متضرعا بين يديه راغبا بالدعاء إليه إن سأله أعطاه وإن دعاه لباه ألا وإن الله سبحانه وتعالى يقول : أنا حبيب التوابين وأنا ملجأ المنقطعين وأنا غياث المستغيثين من هو الذى سألنى فخيبته ، ومن ذا الذى تاب إلىّ وماقبلته ومن ذا الذى قصدنى فما أعطيته أنا الكريم ومنى الكرم ، وأنا الجواد ومنى الجود أعطى من سألنى ومن لم يسألنى ماعن بابى مهرب للخاطئين ثم قرأ

كلام الله تعالى غير مخلوق ، قلت له : فما فعل الله تعالى بمعروف الكرخى ؟ فحرك رأسه، وقال هيهات حالت بيننا وبينه الحجب : إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولاخوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه فرفعه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى ورفع الحجب بينه وبينه فمن كانت له إلى الله تعالى حاجة فليأت قبره وليدع فانه يستجاب له إن شاء الله تعالى :

معروف كل الورى لاشك تعرفه ... بالبرّ والخير والانعام توصفه
لقد أتى وله علم ومعرفة ... وخدمة فى جنان الخلد توقفه

[قال محمد بن عبد الرحمن الزهرى رحمة الله عليه] سمعت أبى يقول : قبر معروف الكرخى مجرب لقضاء الحوائج . وقال يحيى بن سليمان كانت لى حاجة ، وقد تعسرت علىّ فأتيت قبر معروف فقرأت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات ، وأهديتها له ولأموات المسلمين ثم ذكرت حاجتى فما رجعت إلا وقد قضيت حاجتى . وقال أبو بكر الخياط رحمه الله : رأيت كأنى دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الرياحين ، وإذا بمعروف قائم فيما بينهم يذهب ويجىء فقلت له يا أبا محفوظ مافعل الله بك أليس قد متّ ؟ قال بلى . ثم أنشأ يقول :

موت التقىّ حياة لانفاد لها ... قد مات قوم وهم فى الناس أحياء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
ماتوا وعشاقهم عاشوا بموتهمو ... ونحن فى صفة الأموات أحياء

[وأما تاريخ وفاته] فقال أبو بكر العجورى رحمه الله: سمعت ثعلبا يقول مات معروف الكرخى رحمه الله سنة مائتين ، قال أبو القاسم النضرى من بنى نضر بن معين قال : حدثنى أبى قال بلغنى أنه صلى على معروف ثلثمائة ألف إنسان ، قال عبد الرحمن بن محمد الوراق جاء رجل من أهل الشام إلى معروف الكرخى فسلم عليه وقال له إنى رأيت فى المنام يقال لى اذهب إلى معروف الكرخى فسلم عليه فانه معروف فى أهل الأرض معروف فى أهل السماء . وبلغنى عن بعض القدماء أنه قال مات أخ لى فرأيته فى المنام بعد عام ، فقلت له يا أخى مافعل الله بك . قال الآن أعتقت ، دفن عندنا معروف الكرخى فأعتق عن يمينه ثلاثون ألفا ، وعن شماله ثلاثون ألفا ، ومن بين يديه ثلاثون ألفا ، ومن خلفه ثلاثون ألفا :

سلكت طريق الفقر ظنا بأننى ... أوافق بشرا أو أصاحب معروفا
ودمت على حسن العبادة عاكفا ... وأصبح حسن الظن حولى معكوفا
ولم أبد يوما للخلائق قصتى ... وما زلت فى ثوب الصيانة ملفوفا
فما صح لى فقر ولاصح لى غنى ... بل ازددت فى علم التقلب تعريفا
فلم أر لى كالصالحين وسيلة ... ألذ الورى عرفا وأطيب معروفا
رجال إذا ماطبق الأرض حادث ... رموه بصدق العزم فانجاب مكشوفا
هم العروة الوثقى وهم أنجم الهدى ... بهم يذهب الله المصائب تلطيفا
إذا وجدوا فى الوقت كانوا طرازه ... وقد طرزوا من قبل ذاك التصانيفا
صفاتهمو أسنى من الشمس فى الضحى ... وأحسن من در القلائد مصفوفا
فيارب وفقنا كما قد منحتهم ... ووفقهم كى لانحاول تحريفا
وهبنا لهم ياذا الجلال فاننا ... أتيناك نخشى منك زجرا وتخويفا
وليس لنا من شافع غير سيد ... به الضر عنا عاد فى الحشر مكشوفا

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)

الباب الرابع
فى عقوبة اللواط

قال الله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وقال عليه الصلاة والسلام « من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : حدّ اللواط أن يرمى صاحبه من سطح شاهق عال ، ثم يرمى بالحجارة حتى يموت ، لأن الله تعالى قد رجم قوم لوط بالحجارة من السماء ، ولو اغتسل الذى يفعل اللواط بمياه الأرض جميعا لم يزل نجسا حتى يتوب ، لأن الشيطان إذا رأى الذكر هرب خشية العذاب ، وإذا ركب الذكر على الذكر اهتز العرش وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطراف السموات

رسول الهدى جالى الصدا كاشف الردى أنلنا به يارب فى الحشر تخفيفا
عليــه صلاة الله ماصرت الصبــا وزاد حماه من عطاياه تشريفا

المجلس الخامس والثلاثون

فى ذكرى الأولياء والأبرار والصالحين والأخيار

الحمد لله الذى خص بحسن اصطفائه خواص أوليائه الأبرار، وأسرى بأسرارهم فى ليل نيل أوطارهم إلى عالم الأسرار، قاموا بواجب حقه فجعلهم أمناء على خلقه العبيد منهم والأحرار، ترفع على أيديهم قصص السائلين وتغفر ببركاتهم للخاطئين الذنوب والأوزار، فهم بأمره متصرفون فى البلاد لمصالح العباد البادين منهم والحضار، فمنهم النقباء والأبدال، ومنهم النجبـاء والرجال، ومنهم الأقطاب الأخيار، ومنهم الغوث الذى يسقى به الغيث وتدرّ ببركته الضروع والزروع والثمار، فالنقباء سبعون وهم بمصر دون سائر الأمصـار، والأبدال أربعون: وهم بالشام كالشامة الواضحـة لذوى المعرفة والاستبصار، والنجباء ثلثمائة: استخلفهم بالغرب للقيـام بالحرب فهم لدينه حماة وأنصار، والرجال عشرة وهم بالعراق وشرابهم قد راق وصفا من الأكدار، والأقطاب سبعة أركزهم بالأقاليم السبعة لمنافع العباد فى سائر البلاد والأقطار، والغوث واحد قد أقامه بمكة المشرفة المعظمة الذكر والمقدار، فهؤلاء أمناء سره المصون، وخزان علمه المكنون، إلى حين انقضاء الأعمار، فلولا وجودهم لغاضت العيون والأنهار، ولولا ركوعهم وسجودهم لارتفعت الأمطار، وتعطلت الأرض من الزروع والثمار، فهم فى دائرة إرادته ليس لهم عن مراقبة حضرته غفـلة ولا قرار. إذا غلقت الملوك أبوابها رفعت لهم الأستار، وإذا أرخت السلاطين حجابها تجلى لهم الواحد القهار، فلو احتجب عن أحدهم طرفة عين لدكت الجبال وزلزلت الأقطار، ونادى قتيل الوجد منهم بلسان الاشتياق والاشتهار:

[كان وكان]

من ذا الذى فى الحضره يشرب بكاسات الصفا من صرف صافى المحبه ويستطيع قـرار
قوم تراهم نشـاوى من وجـدهم بحبهم وهم حيارى سكارى من غير شرب خمار
لهم حقائق رقائق على الخلائق تنعجم محلهـا من بوارق خوارق الأفكار
هبت عليهم نسيمه فاستنشقوا من نشرها طافت سحيرا ومنها تنسموا الأخبار
وحين وافت وطافت تفردوا وتجـردوا عن الوجود وولوا عن سائر الأغيار
قلوبهم معمـورة بحب مولاهم فلا يضرّهم فى الظاهر ملابس الانكار
فازوا بما قد حازوا من المكارم والنهى وأحرزوا بالعنـايه نهـاية الأوطار
نالوا المنا والحظوه بقربهم عنـد الملك وخصهم بالجـلوه فى خلوة الأسحار

فسبحان من قرّب أقواما لحضرته وحجبهم عن الأغيار، وأبعـد آخرين فضربهم بسيف البعد والانتهار، نصب فخّ المحبة للصيد فعلق بحبل حبه الجنيد، فحصل له العز والفخار، وأرسل عقبان التوفيق إلى شقيق فجذبه بزيق التمزيق والافتقار، ومنّ بالمزيد على أبى يزيد فلزم التجريد وطلب الزيادة والإكثار، وجاد بالمعروف على معروف فعمر قلبه بالمعرفة والاستبصار، وتفضل على الفضيل فشمر فى الخدمة الذيل وأدلج فى طلبه وسار، وسقى صرف المزاج للحلاج فسكر وهاج وباح بالأسرار ونادى بلسان وجده، وقد خرج عن حده ولم يطق اصطبار.

[كان وكان]

ويقرءون (قل هو الله أحد) حتى يسكن غضب الجبار، وروى عن عيسى عليه السلام أنه دخل على نار توقدت على رجل فى البرّية، فأخذ عيسى ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار غلاما وانقلب الرجل فبكى عيسى عليه السلام وقال يارب ردّهما إلى حالهما الأول حتى أرى ماذنبهما؟ فانكشفت تلك النار عنهما فإذا هما رجل وغلام. فقال الرجل ياعيسى أنا قد كنت فى دار الدنيـا مبتلى بحب هـذا الغلام، فحملتنى الشهوة إلى أن فعلت به ليلة الجمعة ثم فعلت به يوما آخر، فدخل علينا رجل فقال لنا: ياويلكم اتقوا الله فقلت له أنا لا أخاف ولا أتقى فلما مت ومات الغلام صيرنا الله عزوجل نارا فيحرقنى مرة ومرة أصير نارا فأحرقه، فهذا عذابنـا إلى يوم القيامة. نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يلعنهم

يا ذا الذى قد سقانى من صرف كاسات الهوى وقال لى لاتغنى فتهتك الأستار
ولو سقى فرد قطره مما سقانى للجبل غنى وصاح وأضحى بين الجبال غبار
القوم دارت عليهم فى الليل كاسات الصفا فأصبحوا فى البرايا سكرى بغير خمار
منها الجنيد تروّى وبشر بشر بالفرح ومن سناها الشبلى بدت له الأنوار
وكم كتم ابن أدهم حاله وذو النون اختفى فصار بين الندامى معروف بالإشهار
قوم دعوا فأجابوا وطهروا أسرارهم وأخلصوا فى المحبه لعالم الأسرار
فهم رجال الحقيقه وهم ملوك الآخره وهم شيوخ الطريقه لهم سما المقدار
يافوز من كان سالك طريقهم أو يقتدى أو يهتدى بهداهم ويتبع الآثار
بهم عن الخلق تدفع كل البلايا والمحن لولا سناهم لكانت تزلزل الأقطار
فهم طراز الدنا وهم شموس للهدى بهم ترى الأرض تنبت وتنزل الأمطار

قوله عز وجل (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) قال ابن عباس رضى الله عنهما لاخوف عليهم فى الدنيا ، ولاهم يحزنون فى الآخرة ، بل يتلقاهم مولاهم بالرحب والتكريم ، ويعطيهم النعيم المقيم . وعن أنس بن مالك رضى عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون؟ فقال : الذين نظروا إلى باطن الدنياحين نظر الناس إلى ظاهرها ، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم وتركوا منها ماعلموا أنه سيتركهم ، فما عارضهم من نائلها عارض إلارفضوه ، ولاخادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه . خلقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت فى صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها ، فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها ، فيشترون بها مايبقى لهم ، نظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المثلات فما يرون أمانا دون مايرجون ، ولاخوفا دون مايجدون » :

قوم جفوا لذة دنياهم وآثروا خدمة مولاهم
فلا قرار منهم دونه ولا جنود النوم تغشاهم
واصلهم والناس فى غفلة عنهم وقد أكرم مثواهم
فهو ولىّ لهم دائما أكرم أولاهم وأخراهم

[وقال ابن ظفر رحمة الله عليه] دخل أبو يزيد البسطامى رحمة الله عليه الكتاب وهو صغير فلما وصل إلى قوله تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) قال لأبيه طيفور بن عيسى : يا أبت من ذا الذى يقول له الحق سبحانه وتعالى هذا الخطاب؟ . فقال يابنى ذاك محمد صلى الله عليه وسلم . فقال يا أبت مالك ماتفعل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يابنى أمرخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خفف عنه فى سورة طه . فلما وصل إلى قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) قال يا أبت انى أسمع أن طائفة كانوا يقومون من الليل ، قال أبوه نعم أولئك أصحابه صلى الله عليه وسلم ، قال يا أبت فأىّ خير فى ترك شىء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ قال فكان أبوه بعد ذلك يقوم الليل كله فانتبه أبو يزيد ليلة فقال يا أبت علمنى أصلى معك . قال : يابنىّ ارقد فانك صغير بعد . فقال : يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وقال لى ربى مافعلت ؟ أفقول لربى قلت لأبى علمنى أصلى معك فقال لى ارقد فانك صغير بعد ، فقال أبوه : لا والله ما أريد أن تقول ذلك ، ثم علمه يصلى فكان بعد ذلك يقوم الليل ويصلى غالبه :

الله سبحانه وتعالى ولا ينظر لهم يوم القيامة ويقال لهم ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به فى عمل قوم لوط ، وناكح الأم وبنتها والزانى بامرأة جاره ، وناكح المرأة فى دبرها ، وناكح يده إلا أن يتوب ومؤذى جاره » قال سليمان ابن داود عليه السلام لابليس لعنه الله : أخبرنى أى الأعمال أحب إليك ؟ قال ابليس ليس لى شىء أحب إلى من اللواط ولا أبغض إلى الله عز وجل من أن يأتى الرجل الرجل والمرأة المرأة وليس شىء أحب إلى من ذلك . قال سليمان لابليس ويلك ولم ذلك ؟ قال لأنه ليس أحد يعتاده ولايكاد يصبر عنه ساعة لأن الله سبحانه وتعالى يغضب عليهم غضبا شديدا ومن اشتد غضب الله عليه يحجبه عن التوبة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللعب بالنرد من عمل قوم لوط والمسابقة بالحمير والمحارشة بين

أيها القائمون فى حندس الليـــل وقد أسدلت ذيول الظلام
قد وصلتم حمى الوصال فطيبوا وانزلوا وابشروا بكل مرام
هـذه دارنا ونحن كرام ربحت عندنا ضيوف الكرام
إن طلبتم قرى وجدتم لدينا كل ما تشتهى نفوس الأنام
قد رفعنا حجابنا فاشهدونا وادخلوا خلوة الرضى بسلام

فلله درّ أقوام مازالت نياق وجدهم تسرى فى ليل نيل قصدهم حتى بلغوا المنزل وحصلت لهم العناية . وكان عمر بن عبدالعزيز يأتى المساجد المهجورة فى الليل فيصلى فيها مايسره الله عز وجلّ فإذا دخل وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل يبكى إلى طلوع الفجر ، فلما كان بعض الليالى فعل ذلك على العادة ، فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرعه وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب عليها : هذا براءة من النار من الملك العزيز ، لعبده عمر ابن عبد العزيز :

طلعت شموس طويلع فلى الهنا وحنى علىّ محجب بالمنحنى
وحنى على فقرى إليه وذلتى متعطفا متلطفا متحننا
هبت نسيمة قربه لمحبـــه فكسا الوجود بها المهابة والسنا
رفع الحجاب عن الجمال وقال لى بتلطف أهلا بطارق حينا
وغدت علىّ لطائف من قربه وأنالنى ما أرتجيه من المنا

[وقيل] صعد بن عمار الواعظ يوما منبره بالعراق فأخذ فى المواعظ والتخويف والزجر والتعنيف ، حتى كادت النفوس تهيم قلقا وتموت فرقا ، وكان فى المجلس شاب مسرف على نفسه خائف من حلول رمسه ، فانصرف وقد أثرت المواعظ فى قلبه ، وندم على ما كان من ذنبه ، وأتى إلى أمه فقال لها يا أماه : دونك وماتريدين من كسر لهو الشيطان وما كنت أعددت لمعصية الرحمن ، وأخبرها بحضوره مجلس بن عمار وما حصل له من الندم على الذنوب والأوزار ، فقالت ياولدى : الحمد لله الذى ردّك إليه ردّا جميلا ، وأنقذك من ذنوب كنت بها عليلا ، وانى لأرجو أن يكون الله تعالى قد رحمك ببكائى عليك ، وقبلك وأحسن اليك ؛ فكيف كان حالك ياولدى عند سماع الموعظة ؟ فأنشد :

شمرت للتوبة أذيالى وصرت ذا طوع لعذالى لما دعا الواعظ قلبى إلى
طاعة ربى انحل أقفالى يا أم هل يقبلنى سيدى على الذى قد كان من حالى
واسوأتا إن ردنى خائبا أو صد عنى حين إقبالى

ثم أقبل الفتى على صيام النهار وقيام الليل حتى نحل جسمه وذاب لحمه ودق عظمه واصفر لونه فأتته أمه بقدح فيه سويق ، وقالت له : أقسمت عليك يابنى بالله إلا ما شربته فقد أجهدت نفسك . فلما صار القدح فى يده جعل يبكى ويضطرب ويذكر قوله تعالى (يتجرعه ولايكاد يسيغه) ثم صرخ صرخة عظيمة وخرّ ميتا ، هذا والله مقام الخوف ، يامن ضيع زمانه فى لعل وعسى وسوف :

على باب من أهوى يطيب التخضع وان أكثر اللوّام عذلا وأوسعوا
وفى حبه يحلو غرام ولوعة ووجد وتبريح وشوق وأدمع
ويجمل تعفير الخدود على الثرى لمرضاته إن كان ذلك ينفع
ومن لم يخاطر فى هواه بروحه فذاك برؤيا الحسن لايتمتع
ومن كان مشتاقا محبا مولها حشاشته من شوقه تتقطع

الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بين الديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص المكيال وبخس الميزان ، كل هذه أفعال قوم لوط ، ويل لمن فعلها وذنبهم الأكبر اكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال » فلما كشفوا إزار الحياء عن رؤوسهم وبارزوا الله عز وجل بالمعاصى نكسهم الله عز وجل على رؤوسهم وقلب مدائنهم : أى جعل أعلاها أسفلها ورجمهم بالحجارة من السماء . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إنه جاءه امرأتان قارئتان للقرآن ، فقالتا هل فى كتاب الله عز وجل غشيان المرأة للمرأة قال نعم كانوا على عهد تبع فأهلك الله سبحانه وتعالى قوم تبع بسبب ذلك ، فأخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه صنع لهن جلبابا من نار ودرعا من نار ونطاقا من نار وتاجا من نار وخفين من نار . وفى خبر

إذا قام فى جنح الظلام مراقبـــا رأى النور من طور الأحبة يلمع
وناداه من يهـــواه فز بجمالنا فدونك عيشا لم يكن عنه مدفع
وشاهد جمالا لايحدّ لواصف وبادر إلى رؤياه إن كنت تسرع
محب ومحبوب وساعة خلوة وقرب ووصل ليس فيه تمنع

فيا أرباب المعاملة فى ظلام الليل ، فسبحان من أقامكم وأقعدنا يامعشر التائبين ، سبحان من قرّبكم وأبعدنا (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده) .

[قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه] ضاق صدرى فى بعض الأيام فخرجت أتمشى على شط النيل : فمرّ بخاطرى العبور إلى ذلك الجانب فركبت سفينة وجعلت رأسى بين ركبتىّ فلم أرفعها حتى توسطت البحر ، فلما رفعت رأسى رأيت عن يمينى جارية ذات حسن وجمال ، وفى حجرها عود وبين يديها خمر وعن يمينها شاب حسن الشباب نقىّ الأثواب ، فقلت فى نفسى : يانفس بعد عبادة سبعين سنة وقعت فى هذه السفينة بين قوم خمارين يعصون الله بالاجهار ، فالتفتت إلىّ الجارية ؟ وقالت لى: ياشيخ تشرب شيئا ؟ فقلت : إن سقانى مولاى شيئا شربت ، فأشارت الجارية إلى الغلام أن املأ له الكأس واسقه فملأ الكأس وأعطانى . فلما حصل الكأس فى يدى لحقنى وجد ، فقالت الجارية : ياشيخ لم لاتشرب من شرابنا أتريد أن أغنى لك حتى تشرب ، أو تغنى أنت لنا حتى نشرب ؟ فقلت : بل أغنى لكم حتى تشربوا ، فقالت غنّ لنا حتى نسمع غناءك فأنشدت :

أحسن من قينة ومزمار فى ظلمة الليل نغمة القارى ياحسنه والجليل يسمعه
بحسن صوت ودمعه جارى وخده فى التراب عفره وقلبه فى محبة البارى
يقول ياسيدى ويا أملى أشغلنى عنك ثقل أوزارى اغفر ذنوبى لأنها عظمت
ولم تزل ياجليل غفارى ذاك غدا فى الجنان مسكنه بدار قدس بقرب جبار
يسكن مع زوجة تشاركه ياحسن مختارة لمختار

فلما سمعت الجارية ذلك خرّت مغشيا عليها ، فلما أفاقت خلعت ما كان عليها من الديباج وكسرت العود ورمت بالخمر إلى البحر وقالت ياشيخ إذا تبت إليه يقبلنى ؟ قال نعم ، هكذا قال فى محكم الآيات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) فكشفت رأسها وقبلت يدىّ ، وقالت : ياسيدى أنت كنت السبب فى المصالحة فاسأله لى فيما مضى العفو والمسامحة . قال ذو النون المصرى : ثم نزلنا من السفينة وتفرقنا فلم أرها بعد ذلك . فلما كان فى بعض السنين حججت إلى بيت الله الحرام فبينا أنا أطوف بالبيت وإذا أنا بجارية شعثاء وهى متعلقة بأستار الكعبة تبكى وتتضرع وتقول : إلهى بسكرى البارحة وبخمارى إلا ماغفرت اليوم أوزارى ، فقلت : مه ياجارية فى مثل هذا المقام تقولين هذا الكلام ؟ فقالت إليك عنى ياذا النون : لما بتّ البارحة بكأس الهوى مسرورة ، أصبحت اليوم بحب مولاى مخمورة ، فقلت لها : من أخبرك أنى ذوالنون ، فقالت ياشيخ : أنا الجارية التى تبت على يديك فى نيل مصر . فقلت : وأين ذلك الحسن والجمال ، فأنشدت :

ذهبت لذّة الصبا فى المعاصى وبقى بعد ذاك أخذ النواصى
ومضى الحسن والجمال ومالى عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظنى بالله وهو جميـــل فيه أخلصت غاية الاخلاص

ثم قالت ياذا النون قف مكانك حتى أعود ، فغابت لحظة ثم أقبلت ومعها طبق وعليه رطب وتين وعنب فى غير أوانه ، فوضعته بين يدىّ فاختلج فى قلبى أنى بعد عبادة سبعين سنة لم أصل إلى

آخر « أن المرأة إذا ركبت المرأة يأمر الله سبحانه وتعالى ملكا أن يصنع لهن جلبابا من نار ودرعا من نار وخفا من نار ومن فوق ذلك كله حلق من نار ملىء عقارب وإتيان المرأة فى دبرها أعظم اللواط لايفعله إلا كافر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله بيتا يدخله مخنث » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث فى قبره أكثر من ساعة ، ثم يبعث الله عز وجل إليه ملكا هيئته كهيئة الخطاف فيخطف برجله ويطرحه فى بلاد قوم لوط فيقذف معهم فى النار ويكتب على جبهته آيس من رحمة الله تعالى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس ، فيقول الله

ماوصلت إليه هذه الجارية ، فقالت لى ياشيخ : لما تبت إليه ، واعترفت بين يديه ، رزقنى صدق التوكل عليه ، ثم أنشدت :

عش غريبا ولا تذل لخلق ... واطلب الرزق فى بلاد الحبيب ثم سر فى البلاد شرقا وغربا
وتوكل على القريب المجيب ... فعسى أن تنال ماترتجيه بيد اللطف من مكان قريب

قال ذو النون : ثم التفت فلم أرها . هذه والله صفات التائبين ، وهذه علامات المقرّبين :

* إن لله عبادا ... طلقوا الدنيا وهاموا فله ذلوا فعزوا وله صلوا وصاموا
هجروا الأهل وساحوا ... وعلى الأوراد داموا فاذا مارقد النا س ونام الخلق قاموا
فلهم فى الليل أحوا ... ل إذا جن الظلام وعلى الأفواه منهم حذر اللهو لجام
تركوا الشهوة زهدا ... وسواهم مستهام فهى للعالم حلّ وعلى القوم حرام
أخلصوا فى الحب لله وعلى الخير أقاموا فعلى الدنيا إذا لم يوجدوا فيها السلام

ياهذا لاتبرح عن الجناب ولو طردت ، ولا تزل عن الباب ولو منعت :

[قيل] إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة التى نهى عنها ونسى عهد ربه سقط عنه لباس الجنة واستوحش منه كل شىء فيها ، فولى هاربا ، فجعل يستتر بورق الجنة ، فناداه ربه جل جلاله أتفر منى يا آدم ؟ قال لا يارب ، ولكن حياء منك . فقال له الله تعالى ؛ أما خلقتك بيدى ، أما أسجدت لك ملائكتى ؟ أما نفخت فيك من روحى ؟ أما أسكنتك فى جوارى ؟ أما أبحتك جنتى ، اخرج من جوارى فلا يجاورنى من عصانى ، فبكى آدم عليه السلام ماشاء الله ، ثم قال : إلهى ان لم ترحمنى أنت فمن يرحمنى؟ فأوحى الله تعالى إليه أن قل : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم ، فهذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، هذا قول مجاهد وجماعة من المفسرين :

وإنا ليرضينا رجوع وصالكم ... فردّوا لنا ذاك الوصال كما كانا
وكنا نغطى فى الدنو غرامنا ... ونكتم مانلقى فقد كان ماكانا

[وعن كعب الأحبار رضى الله عنه] قال : إذا كان يوم القيامة تخرج نار من قعر بحر عدن فتسوق الناس جميعا إلى الموقف ، فبينما هم سكارى حيارى عطاشى مروّعين من هول الموقف إذ تجلى الحق سبحانه وتعالى فتشرق الأرض من نوره فينظر الخلائق بعضهم بعضا وتنظر الوالدة إلى ولدها الذى كانت تشفق عليه فى دار الدنيا فتعرفه فتناديه : ياولدى أما كان بطنى لك وعاء ، أما كان حجرى لك وطاء ، أما كان ثدى لك سقاء ؟ فيقول : يا أماه ما الذى تريدين ؟ فتقول قد أثقلتنى ذنوبى فتحمل عنى منها ذنبا واحدا ، فيقول : هيهات كل نفس بما كسبت رهينة ، ياأماه إذا حملت عنك فمن يحمل عنى ؟ فبينما هم كذلك إذا بمناد من قبل الحق ينادى يافلان بن فلان هلمّ إلى العرض على الله سبحانه وتعالى ، فإذا سمع ذلك النداء تغير لونه واضطربت جوارحه حياء من الله تعالى ، فإذا نظرت أمه إلى ماحل به من الوجل قالت له ماحالك ياولدى ؟ فيقول يا أماه قد نوديت للعرض على الله عز وجل فكيف لى بالهرب منه ، أم كيف لى بالخلاص ؟ فبينما هما كذلك إذ أقبل ملكان يقبضان عليه ويجرانه فإذا نظرت أمه إليهما جذبته إلى صدرها وغطته بشعرها ودفعت عنه الملكين بجهدها فلم تقدر على دفعهما عنه ، فلما علمت أن لاطاقة لها بهما بكت وقالت : والذى بعثنى من مرقدى لو وجدت سبيلا لما مكنتكما منه ، ثم تودعه وهى تبكى وتقول : سألتك ياولدى بالذى استدعاك للعرض عليه والحساب بين يديه إن أنت نجوت فلا تنسنى فقد طال وقوفى وعظمت حسرتى

سبحانه وتعالى لهم وهو أعلم بهم من أنتم ؟ فيقولون نحن المظلومون . فيقول الله عز وجل لهم وهو أعلم بهم من ظلمكم ؟ فيقولون ظلمنا آباؤنا ، لأنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا فى الأدبار فيقول الله سبحانه وتعالى سوقوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمتى » فاجتنب رحمك الله الإياس من الرحمة وتب إلى الله سبحانه وتعالى من الخطايا والعصيان قبل أن تنطق الجوارح فيخرج اللسان وينادیكم بأسمائكم الملك الديان الذى لايشغله شأن عن شان . فتضرع أيها العبد العاصى اليه وتب من الذنوب بين يديه ، فانه كريم حليم غفور رحيم .

الباب الخامس
فى عقوبة آكل الربا
نعوذ بالله من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا

واشتدّ كربى وعطشى . قال فيأتى به الملكان إلى الملك الموكل بسدرة المنتهى ، فيقول له من أىّ أمة أنت ؟. فيقول أنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول له : طوبى لك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يزجه فى النور فلا يدرى أين يذهب يمينا أو شمالا أو خلفا أو أماما ، وإذا النداء من العلىّ الأعلى اثبت فأنار بك ، فسكن جوارحك وهدئ قلبك ، فوعزتى وجلالى إنى لأشفق عليك من أمك حين جذبتك اليها وضمتك الى صدرها . ثم يقول له عبدى اقرأ كتابك ، قال فيقرؤه فاذا مرّ بسيئة أخفاها وإذا مرّ بحسنة جهربها ، فيقول الله تعالى : عبدى لم تجهر بالحسنة وتخفى السيئة فيبكى ويقول يارب تعلمت منك أنك تظهر الجميل وتستر القبيح .

أنت الذى لم تزل بالعفو متصفا ... تجود حلما على العاصى وتستره
تخفى القبيح وتبدى كل صالحة ... وتغمر العبد إحسانا وتشكره

ثم يقول الله عزوجل : عبدى كيف أخفيت ذنوبك وعيوبك عن الخلائق وبارزتنى بها ، أما علمت أنى مطلع عليك وناظر اليك ، فيقول : سيدى ومولاى مر بى الى النار ، فلا طاقة لى بالتوبيخ والعار ، فيقول الله عزّ وجل : إن أمرت بك الى النار ، فأين جودى وكرمى وأين حلمى ومغفرتى ؟ يا ملائكتى انطلقوا بعبدى الى جنتى بفضلى ورحمتى :

من ذا سواك يجود قبل سؤاله ... ويجود للعاصين بالغفران
وإذا أتاه الطالبون لعفوه ... غفر الذنوب وجاد بالإحسان

ثم يقول : إلهى وسيدى إن لى والدة كانت فى الدنيا تشتاق الىّ وتشفق على وقد رأتنى اليوم واستجارت بى وطمعت أننى أجيرها ، إلهى وسيدى إن كنت قد عفوت عنى فاجعلها موضعى وهبها مكانى فلا طاقة لها بماهى فيه ، قال فيقول الله عزوجل : وعزتى وجلالى مافرقت بينكما إلا وقد رحمتكما ، يا ملائكتى انطلقوا بهما الى جنتى وأنا أرحم الراحمين .

مازلت أعرف بالاساءة دائما ... ويكون منك العفو والغفران
لم تنتقصنى إن أسأت وزدتنى ... حتى كأن إساءتى إحسان
تولى الجميل على القبيح تكرما ... أنت الكريم المنعم المنان

ياهذا قف على الباب تكتب من الأحباب ، والزم الآداب تحشر مع الطلاب :

ياخجلة العبد من إحسان سيده ... ياحسرة القلب من ألطاف معناه
فكم أسأت وبالإحسان قابلنى ... واخجلتى واحيائى حين ألقاه
بلطفه وبفضل منه عرّفنى ... فى حبه كيف أرجوه وأخشاه
يانفس كم يخفّ اللطف عاملنى ... وقد رآنى على ماليس يرضاه
يانفس كم زلة زلت بها قدمى ... وما أقال عثارى ثم إلاهو
يانفس توبى الى مولاك واجتهدى ... وصابرى فيه إيقانا برؤياه
يانفس من منقذى يوم الحساب غدا ... سواه أو مشهدى إياه إلاهو
ومن لقلب إذا لج الغرام به ... إلا الذى جملة العشاق تهواه
قم يامشوقا إذا ما الليل جنّ تجد ... قوما سكارى حيارى عند ذكراه
فى كل شىء له معنى تشاهده ... فمن لمعناه أبدى حسن معناه
وكيف يبعدنى عن بابه وإلى ... حماه قد جئت أرجو طيب لقياه
ولى شفيع إليه لايردّ وفى ... جماله الكل قد حاروا وقد تاهوا

مضاعفة . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) يعنى المرابى يحارب الله ورسوله والله يحاربه ، فويل لمن وقع الحرب بينه وبين الله عزوجلّ والحق غضبان عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى إلى السماء سمعت فوق رأسى رعدا وصواعق وبرقا ورجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت تغلى حيات وعقارب تلوح الحيات فى بطونهم ، فقلت ياأخى ياجبريل من هؤلاء ؟ قال أكلة الربا » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل من الربا ولو درهما واحدا فكأنما زنى بأمه فى الإسلام » : وقال صلى الله عليه وسلم « أكلة الربا تصرعهم الزبانية كما يصرع المحموم » وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا ومطعمه لغيره وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة والمحلل والمحلل له ومانع الزكاة »

محمد المصطفى المختار من مضر ... من طبق الأرض طيبا عرف رياه
أموت شوقا ولم أحظى برؤيته ... واحسرتى فمتى أحظى برؤياه
تالله مافى فؤادى قط جارحة ... إلا وذكراه فيها لست أنساه
صلى عليه إله العرش ماطلعت ... شمس وغابت حياء من محياه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين .

المجلس السادس والثلاثون

فى ذكر النيل المبارك

الحمد لله قاصم الجبابرة قهرا ، وكاسر الأكاسرة جبرا ؛ الذى فلق الحب وأنبت منه برا ، وأطلع الأبّ وعده للأنعام برا (وخلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) نطقت الكائنات بفضله فلاغرو أن فاهت الألسن بذكره شكرا ، (وسلكه ينابيع فى الأرض) وقسمه بحكمته مدّا وجزرا ، فالأنهار تتخرق ، والغدران تتدفق وجعل لكم نيلكم الآية الكبرى ، فهو أعجبها رفدا ، وأعذبها وردا ، وأطيبها نشرا ، وأوفرها وقرا ، جعله دالا على غريب قدرته ، وعجيب حكمته ، فسبحان من خص به مصرا ، فأعجب له من بحر هو فى الحر فى انقضاض ، وفى البرد فى انتفاض ، فاذا غاض كل ماء فاض ، وإذا أخذ الشتاء فى الإعراض ، أتى هو ببلوغ الأغراض ، وملأ القلوب فرحا وبشرا ، فكلما هاج لمفارقة خلجانه ، توحم توحم الغيور ، وماج بمحامل السرور برّا وبحرا ، فتأمل كيف أقبلت قوابل مقياسه فى يوم نفاسه ، تعالج فتح رحم انحباسه ، فكلما تنفس نفسا من أنفاسه ، ملأ الوهاد مدّا وذخرا ، وغمر البلاد بطنا وظهرا ، وعمّ العباد طيبا ونشرا ، فكم جبر بكسر خليجه كسرا ، ولكم أطلق بانطلاقه أسرى ، ولكم أبرد عند ورده كبدا حرّا :

تراه إذا هبت به نسمة الصبا ... تجعده نظما وترسله نثرا
هو النيل إلا أنه عند نيله ... ترى كل قطر قد أسال به بحرا
يجود إذا سنّ السحاب بوبله ... فتهتز منه الأرض إذ حملت وقرا
يفيض إذا غاض المياه كأنها ... بجدوله تسرى فسبحان من أسرى
حكى ملكا كل المياه رعية ... يفرقهم طورا ويجمعهم أخرى

فاذا أصبحت الرياض قفرا ، وشكت الحياض بعد غناها فقرا ، وضجت عطاشها فى الآفاق سهلا ووعرا ، وقع مغيث الإغاثة والإجابة على رقعة الإنابة : (إن مع العسر يسرا) وبعث من نيل نيله نوالا مع الجاريات يسرا ، فأصبحت هنالك الأرض باسمة ثغرا ، ووجدت بعد اليبس خضرا ، واكتسبت بعد الإفلاس حللا خضرا :

وجاد عليها النيل بالنيل فاغتدت ... بأزهارها تحكى السما أنجما زهرا
لها كل عام كسوة بعد كسوة ... فأول مايهدى لها الكسوة الخضرا

فسبحان من قدرته لاتضاهى ، وحكمته لاتباهى ، ونعمته لاتتناهى ، أوسع للمذنبين عفوا ، وأجزل للمطيعين أجرا ، ماأعرض معرض عن جنابه إلالقى فى طريقه خسرا ، ولا انحرف منحرف عن بابه إلا وجد حلو شرابه مرّا ، فيأيها الحائم حول حمى عناده لقد جئت شيئا نكرا ، ويأيها الهائم فى فلوات إلحاده لقد صبرت على مالم تحط به خبرا ، أما تخاف سطوة : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا) تالله لقد أوضح لك السبيل فما أبقى لمقصر عذرا وبين فى الدليل . فقال : (ولاتزر وازرة وزر أخرى)

وقال صلى الله عليه وسلم « يظهر فى آخر الزمان خصال أربع : أكل الربا والأيمان الكاذبة فى البيع والشراء ونقص المكيال وبخس الميزان . فاذا ظهر ذلك وقع فيهم الأمراض وابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالسيف » . قال الله عز وجلّ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) إلا المرابى فانه يقوم ويقع مجنونا متخبطا حتى تفرغ الخلائق من الحساب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكل الربا ملأ الله عزوجلّ بطنه نارا بعدد ما أكل منه وإن كسب مالا لم يقبل الله سبحانه وتعالى شيئا من عمله ولم يزل فى سخط الله عز وجلّ ولعنته مادام عنده قيراط واحد » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذهب بالذهب وزنا بوزن والفضة بالفضة وزنا بوزن والزائد والمستزيد يكوى به فى النار ، وإن الربا يحبط الحسنات ويبطل الطاعات

فلله درّ العارفين تيقظوا لخدمة مولاهم من رقدات دنياهم فأفنوا أوقاتهم تسبيحا وذكرا ، أضرم قلوبهم من محبته جمرا ، وأدار عليهم من كؤوس محبته خمرا ، فلما دارت السقاة ، وغنت الحداة ، مالوا بأصوات نغمات ذكره طربا وسكرا :

أدار عليهم من مدامة حبه ... كؤوسا من التقوى فأبدت لهم سرّا
فاكرم به بحرا جلا ظلمة الصدا ... وقد ملأ الأقطار والسهل والوعرا
له فرحة عند الوفاء بحقه ... فمن أمه يلقى التهانى والبشرى
فرؤيته تجلو عن القلب همه ... وذكراه يشفى السقم والقلب والصدرا
فمصر له فيها الفخار على الربا ... وقد أصبحت تسمو على غيرها قدرا
وأمست به الآفاق تزهو بحسنه ... كما قد كسا البلدان من نشرها عطرا

فانظر ياهذا بعين الفكرة كيف ساقته القدرة من البلاد الاسوانية ليعم نفعه البرية فهو أعجب الأشياء وأغربها وأحسنها فى المنظر وأنسبها وأحلاها فى المياه وأعذبها ، فسبحان من حقق به الظنون ، وأقربه العيون وجعله حياة للأرواح فانبسط بقدرته ، وساح فى فساح الأقطار والجهات لإحياء النبات والغصون وساق من بحر إنعامه الى خلجان اكرامه (ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فهو الذى أجراه بحكمته ، وأنشأه بقدرته ولم يخيب الظنون ، وأذن لشهود عموده عند وفاء حقوقه وحدوده بحسن النظام والقانون فى كسر سده وفتح كسره فانجبر بكسره قلب كل محزون ، وعمت بركته البرك والخلجان ، وسار بيد القدرة الى البلدان ، فروى به الظمآن وشبعت برؤيته البطون ، (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) :

قرت بحمد الله منا العيون ... مذهطلت سحب وفاضت عيون
وعم لطف الله سبحانه ... كل الورى فليحمد الحامدون
وأقبل النيل بأمواجه ... كأنه جيش السحاب الهتون
يحيا به الزرع وينمو به ... ومنه تكسى عاريات الغصون
وتكتسى الأرض به بهجة ... وتبرز الأرض بحسن الفنون
* فنسأل الرحمن نفعا به ... فهو الرجى عند حسن الظنون
وقد تشفعنا بخير الورى ... ومن له فى القلب حبّ مصون
صلى عليه الله ماغرّدت ... حمائم الأيك وأبدت شجون

[وحكى] أن فرعون كان يتمرد ويدعى الفرعنة والطغيان فى الأرض وكان يضل قومه بهذا النيل فاذا كان يوم النيروز وقد وفى النيل أجله وبلغ نهايته أمر بأن ينادى فى الناس : إن فرعون قد وفى لكم نيلكم فاسجدوا له فكان جهال القوم يعتقدون ذلك ، فلما كان فى بعض السنين قصر النيل عن وفائه ولم يأذن الله تعالى له بالطلوع فاستشعر الناس بالجوع وأحسوا بالقحط فاجتمعوا إلى فرعون وقالوا له قد هلكنا وهلكت دوابنا وأهلنا وأولادنا فان كنت إلهنا فأجر لنا نيلنا . فقال لكم ذلك ، ثم إنه عمد الى مسح وقلنسوة من شعر وكيس فيه رماد ، ومضى الى مكان المقياس الآن وكانت خربة فى الجزيرة المعروفة بالمقياس الآن فأمر أن لايتبعه أحد من قومه ولامن رعيته ودخل الخربة ونزع ثياب الملك والتاج الذى كان على رأسه ولبس المسح والقلنسوة الشعر وفرش

ويعظم الخطيئات ، فمن كان صائما وأفطر عليه لم يقبل الله صومه ومن صلى وهو فى بطنه لم يقبل الله صلاته وإن تصدق منها لم تقبل صدقته وما من ساعة تمضى على المرابى إلا والحق يلعنه يوم القيامة » فالحق عز وجل يحاربه ولاينظر إليه ولايكلمه . فانظر مع ضعفك عن محاربة الله سبحانه وتعالى من هو المغلوب الملقى فى النار ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى جهنم واديا تستغيث أهل النار من حرّه فى كل يوم خمس مرات ، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حرّه يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والمطففون فى الكيال وأهل بخس الميزان ، فويل لمن باع الجنة التى عرضها السموات والأرض بحبة أو حبتين » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذى يبخس الميزان يجىء يوم القيامة أسود الوجه ألثغ اللسان أزرق

الرماد وجعل يتمرّغ عليه ويبكى ويسجد لله عزوجل ، ويمرّغ وجهه على الرماد وهو يقول : إلهى وسيدى أعلم أنك إله السموات والأرض وإله الأوّلين والآخرين ، ولكن غلبت علىّ شقوتى وزدت فى عصيانى وطغيانى وأنت إلهى وأنا عبدك وقد حكمت علىّ بما حكمت فلا تفضحنى بين قومى وأنت أكرم الأكرمين فما استتمّ كلامه حتى أذن الله للنيل أن يوفى فى تلك الساعة وأن يسير معه حيثما سار فكان فرعون يسير بين قومه والماء يبلّ أذياله فكانوا يغمسون أكمامهم فى الماء والطين ويضربون بعضهم بعضا فرحا به فصارت فى مصر سنة الى الآن ويقولون نيروز أى طلع النيل ، فياهذا إذا كان هذا عدو الله وقد أخلص لله طرفة عين فأعطاه الله تعالى ماطلب وستره فى قومه ولم يفضحه عندهم فكيف بمن أخلص لله عزّوجل عمره كله ولم يبرح فى طاعته وخدمته ماذا يريد أن يعطيه فى الآخرة ، وكذلك العبد العاصى إذا تاب من ذنوبه واعترف بعيوبه وتضرع الى مولاه فى سرو وجهره فالله تعالى أكرم من أن يعذبه أو يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة .

[وحكى ابن مسعود رضى الله عنه] أنه إذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه كتابه جهرا وقال اقرأه سرا حتى لايفضحه بين خلقه فيقرأ كتابه سرا فلم يسمعه أحد فتقول الملائكة : إلهنا هذه عناية لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى ياملائكتى إنى أحرقته فى الدنيا بنار الجوع والعطش فى الحر الشديد فى شهر رمضان فلا أحرقه اليوم بالنيران ، وقد عفوت عنه وغفرت له ما أسلف من الذنوب والعصيان وأنا الكريم المنان :

أيها الهائم المشوق إذا ما ... شئت تبغى الرضا وتهوى لقانا
غض عن غير حسننا كل طرف ... منك واحذر أن تشتغل بسوانا
وتخضع ببابنا وتضرّع ... وتذلل لنا وقف بحمانا ✲
واعترف بالتقصير والعجز واندب ... فى المعاصى عمرا مضى وزمانا
وتوسل بجاه خير البرايا ... وتوصل به تنال رضانا
فهو نعم الشفيع فى الخلق والحشر ... ومن حوضه غدا ملآنا
فعليه الصلاة منا اليه ... ماشكت أيكة لها أشجانا

[وقيل] إنه كان سنة لفرعون إذا بدت أوحام النيل أن يأمر ببنت من بنات أهل مصر يحلونها بأنواع الحلى ويلبسونها أفخر الحلل ويزينونها بأنواع الزينة كالعروس التى تزف الى زوجها ثم يأمر بالقائها فى النيل كان دأبهم ذلك فى كل سنة ، وكان عامة الناس وجهالهم يعتقدون أن النيل مايطلع حتى يرموا فيه العروس واستمر الأمر على ذلك الى زمان خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان نائبه بمصر عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ، فلما أنكر عليهم ذلك كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب يخبره الخبر فكتب له عمر كتابا بردّ الجواب ورقعة يقول فيها : من عبدالله عمر بن الخطاب الى نيل مصر : أما بعد فان كنت تجرى من قبلك لاتجر ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة فى النيل ، وكان أهل مصر قد أيقنوا بالغلاء فأصبحوا وقد أجرى الله تبارك وتعالى النيل وطلع ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة ، كل ذلك من بركات عمر بن الخطاب وحسن إيمانه رضى الله عنه ، وأراح الله المسلمين من تلك البدعة ، وأمر عمرو بن العاص الناس بالشكر لله والثناء عليه والتوبة من المعاصى وأبطل ما كانوا يفعلونه من المنكر ورمى البنات فى الماء ، فلما رأى القبط مافعله عمر رضى الله

عنه

العينين فى عنقه ميزان من نار يقال له زن هذا الى هذا فيعذب بين الجبلين خمسين ألف سنة » .

وقال عياض : إنما تسودّ الوجوه يوم القيامة من تطفيف الكيل ، وقال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس اتقوا خمسا قبل خمس : مانقص قوم المكيال إلا ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالغلاء ونقص الثمرات ، ومانكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوّهم ، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله سبحانه وتعالى عنهم قطر المطر ولولا البهائم لم يسقوا قطرة ، وماظهرت الفاحشة فى قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون ، وماحكم قوم بغير القرآن إلا أذاقهم الله عز وجلّ جورا وأذاق بعضهم بأس بعض » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن على متن الصراط كلاليب من نار فمن تقلد درهما حراما تعلقت كلاليب النار فى رجليه فلايستطيع المرور

عنه ساءهم ذلك وأرادوا أن يقووا دينهم ويكون ذلك منسوبا إليهم فاحتالوا بحيلة الشهيد الذى يرمونه فى التابوت أوان الزيادة واتخذوه عيدا إلى الآن ، وكذلك أحدثوا الخمسة أيام التى يسمونها النسىء . قال الله تعالى (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين) فهذا فى دينهم طغيان ، ونحن بحمد الله تعالى قد خصنا الله تعالى بأشرف الأديان وأوضح لنا فيه طرق الإيمان وخصنا بشفاعة سيد الأكوان محمد المصطفى سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله السادة الأعيان ، وأزواجه وذريته صلاة دائمة فى السر والإعلان ، ولبعضهم فى هذا المعنى :

يأيها النيل المبارك إن تكن ... من عند ربك تأت فاجر بأمره
وإن تكن من عند نفسك تأتنا ... فالله يبسط بره فى برّه
كم من بلاد ليس تعرف أرضها ... ملأ الإله بيوتها من برّه
إن كان دفعك لايجىء تأدبا ... إلا بإذن مليكه فبعذره
قال الصليبى اللعين بجهله ... والكفر يركض فى جوانب صدره
ذا العام لم يرموا الشهيد فلم يفى ... ذا النيل إلا إن رموه بنحره
هون به وبشهره ونسيئه ... وشهيد مسراه وطينة بئره
نحن الذين لنا بجاه محمد ... عند الإله بحمده وبشكره
مايرتجيه غنينا بغنائه ... وفقيرنا بالالتذاذ بفقره
ندعو ونستسقى الغمام بوجهه ... فبذاك أخبر عمه فى شعره
وقد استجرنا بالنبىّ محمد ... وبآله وبصحبه وبسرّه
صلى عليه الله ماسرت الصبا ... وأتت بطيب ثنائه وبعطره

[إخوانى] تفكروا فى جريان هذا النيل كيف أمده الله تعالى بالمد الجليل ، والرزق الجزيل ، واللطف الجميل ، وجعله حياة للأرواح فى المسير والمقيل ، فلو منعه منكم مانع أو قطعه عنكم قاطع لضاقت بكم الرحاب . وتقطعت بكم الأسباب ، وحلت بكم الأمور الصعاب . ولكن ترحمون بالأطفال الرضع . والمشايخ الركع . والدواب الرتع . والحق سبحانه لم يمنعه عنكم بخلا عليكم برزقه . ولا تعجيلا لعقوبة خلقه . وإنما يرسله رحمة إليكم وإشفاقا عليكم شفقة لاتشبه شفقتكم على أبنائكم . ويفعل معكم من اللطف والتدبير ما لايفعله تدبير آبائكم . فانه سبحانه وتعالى يسوقه إليكم فى وقت احتياجكم إليه ونفعه . ويصرفه عنكم وقت حاجتكم إلى صرفه ودفعه . لينتفع كل منكم بغرسه وزرعه . فكيف يعصى من هذه ملاطفته بعباده فى سائر الدهور . أم كيف يبارز بالخطايا وهو يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . وقيل فى المعنى :

فيامن بات يخلو بالمعاصى ... وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طردا ... وتحرم دائما أبدا تراه
تبارز بالمعاصى منك مولى ... على جهل يراك ولاتراه
أتعصى الله وهو يراك جهرا ... وتنسى فى غد حقا لقاه
وتخلو بالمعاصى وهو دان ... إليك ولست تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهود ... على الإنسان تكتب ماحواه
فويل العبد من صحف وفيها ... مساويه إذا وافى مساه

على الصراط حتى يردّ ما أخذه إلى أهله من حسناته ، فان لم يكن له حسنات حمل من ذنوبهم ووقع فى النار ، فردّوا المظالم إلى أهلها قبل أن تؤخذ من الحسنات » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سرق شيئا جاء يوم القيامة وفى رقبته طوق من نار ، ومن أكل شيئا حراما أوقدت النار فى بطنه ولها صوت يرعب الخلائق ساعة مايقوم من قبره حتى يقضى الله بين الخلائق ماهو قاض » فداو أيها المسكين أمراض علتك بالتوبة من ذلك ، واسأل مولاك أن يشفيك ، ولعله يرحمك ، وفى قربه يأويك قبل أن تقع فى العذاب يخزيك ويحزنك ، ويخرس لسانك ويختم على قلبك ، فتزوّد للرحيل ، فالقليل لايكفيك :

من لقلب أقام فيه الحريق ... إن نفسى من الجوى لاتفيق

ويا حزن المسيء لشؤم ذنب ... وبعد الحزن يكفيه جواه
ويندم حسرة من بعد فوت ... ويبكي حيث لا يجزى بكاه
يعض يديه من ندم وحزن ... وينـدم حسرة ماقد عراه
فكن بالله ذا ثقة وحاذر ... هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حيّ ... لعلك أن تنال به رضاه
ولذ بالمصطفى خير البرايا ... رسول قد حباه واجتباه
عليه من الإلهين كل وقت ... سلام عطر الدنيا شذاه

إن عيني تفيض بالدمع سكبا
ورثا حالي الحميم الصديق
كثرت مني الذنوب وإني
لقليل الحيا ووجهي صفيق
ماله غير راحم يرحم الخلـ
ـق تعالى نعم الشفيق الرفيق
وغدا تنصب الموازين بالقسـ
ـط ويغشى العباد كرب وضيق
نحن نلقى من حرّ نار تلظى
قعرها بالعذاب قعر عميق
يا أهيلي أين المفرّ بجـرم
ثم إني بحملها لا أطيق

اللهم أفض علينا من بحر برّك وإحسانك ، واجبر قلوبنا بعفوك وغفرانك ، وأرو عطاش قلوبنا بنيل نيل رحمتك ورضوانك ، واكتب لنا بالأمن من الخوف توقيع أمانك برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

المجلس السابع والثلاثون

فى مناقب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

الحمد لله الذى تعزّز فى وحدانيته فهو الواحد العزيز ، وتفرّد فى أزليته وأغرق العالم فى بحر الحيرة والتعجيز ، أتقن خلق الموجودات فليس فى إتقان صنعته نقص ولا تعويز ، زين سقة حلة السماء بنعوت البهاء وطرزها بالكواكب المشرقة أحسن تطريز ، ورقم كميها برقم الشمس والقمر كالفضة النقية والذهب الإبريز ، وحرسها من استراق السمع بالشهب الثواقب أتمّ حرس وأمنع تحجيز ، وجلاها على عيون المعتبرين أولى العقل والتمييز ، وسطح الأرض على تيار الماء وأبرزها بقدرته أحسن تبريز ، وثبتها برواسى الجبال وجعلها مسكنا للرجال والأقطاب والصالحين الأنجاب ، وخلع عليهم خلع التكريم والتعزيز ، صرف عنهم الدنيا فلم يعرفوا الادّخار والتكنيز ، وجعلهم قائمين بحقه خلفاء على خلقه لمن فهم الإشارة والتلغيز ، وخص منهم من شاء بالرفق فى بلاده والنصيحة لعباده كالصحابة ومن تابعهم مثل عمر بن عبد العزيز ، رضوان الله عليهم أجمعين .

قال محمد بن سعد رحمه الله : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية ابن عبد شمس ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويكنى أبا حفص ، ولد بالمدينة فى سنة ثلاث وستين وهى السنة التى ماتت فيها ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن العباس بن راشد رحمة الله عليه قال : نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لى مولاى اخرج معه شيعه فخرجت معه فمررنا بواد فيه حية ميتة ملقاة على الطريق فنزل عمر فدفنها ثم ركب وسرنا فإذا نحن بهاتف يقول ياخرقاء ياخرقاء نسمع صوته ولا نرى شخصه . فقال عمر أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ماظهرت وأخبرتنا ما الخرقاء ؟ فقال هذه الحية التى دفنتموها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوما ياخرقاء تموتين بفلاة من الأرض فيدفنك خير مؤمنى أهل زمانه . فقال له عمر : من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا من الجن السبعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الوادى . فقال عمر : آلله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم فدمعت عينا عمر ثم انصرف . وعن مجاهد قال : إن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين سبعة مضى منهم خمسة وبقى اثنان . قال خارجة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وعمر بن عبد العزيز .

وعن زيد بن أسلم قال : كان لعمر بن عبد العزيز سفط فيه درع من شعر وغل وكان له بيت فى جوف

الباب السادس
فى عقوبة النائحة

قال الله تعالى (وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) فكما لا يحسن السخط للقصاب عند ذبح كبشه كذلك لا يحسن السخط عند إماتته لعبده . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا برىء ممن حلق - أى كذب - وخرق وسرق » أخرجه مسلم فى الصحيح . وقال الله عز وجل (والذين لا يشهدون الزور) قال هى النياحة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج النائحة

بيته يصلى فيه لايدخل فيه أحد غيره فإذا كان فى آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس ذلك الدرع ووضع الغلّ فى عنقه فلايزال يناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر ثم يعيد الدرع والغل إلى السفط فهذا دأبه مدة حياته رضى الله عنه [مفرد]

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

[وقال] الحرث بن زيد جار عمر بن عبد العزيز رحمه الله: تالله لقد سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله لمّا أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وهو يتململ تململ السقيم ، ويبكى بكاء الحزين فكأنى أسمعه وهو يقول: يادنيا إلىّ تعرضت أم إلىّ تشوّقت هيهات هيهات غرى غيرى قدطلقتك ثلاثا لارجعة لى فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كثير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ، ثم أنشد :

من العار بعد النجدتين هجوعى وغدر بهم أن لاتسح دموعى
ولى زفرات كلما هبت الصبا يقوم منهن اعوجاج ضلوعى
سلام على تلك الديار فانها ديارى التى أشتاقها وربوعى

كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذا صلى الصبح أخذ المصحف فى حجره ودموعه تبلّ لحيته فكلما مرّ بآية تخويف ردّدها فلايتجاوزها من كثرة البكاء حتى تطلع الشمس ، واشوقاه إلى تلك الوجوه ، واطرباه عند سماع أخبارهم ، وا أسفاه على محو آثارهم :

وا أسفاه من فراق قوم هم المصابيح والحصون والمزن والأمن والتمنى
والخير والعقل والسكون بعدهم العيش ليس يصفو كيف تفاجئهم المنون
فكل نار لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

[وعن يزيد بن حوشب] قال: مارأيت أكثر خوفا من الحسن ومن عمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما ، وكان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله . وروى أن عمر ابن عبد العزيز قرأ يوما قوله تعالى (وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة زوجته فجاست تبكى لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما فجاء ولده عبد الملك فدخل عليهم وهم يبكون . فقال ياأبت مايبكيك ؟ فقال يابنى ودّ أبوك لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يابنى لقد خشيت أن أكون من أهل النار . ياهذا كان عمر بن عبد العزيز يخاف مع عدله وأنت تأمن مع ظلمك وجورك . رؤى فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة ، فقال : الآن تخلصت من حسابى . اسمع يامن أمن أمن الأقدار ، وليس له عند مولاه اعتذار :

تشاغل بالدنيا أناس فأصبحوا عن الباب محجوبين قد منعوا القربا
وأهل التقى لله تسرى قلوبهم إلى غاية نالوا بها المشرب العذبا
فجالوا بنور العلم فى روضة التقى بها أنفس الأبرار قد ملئت حبا
هموا قطعوا الدنيا بخوف وعيدهم فذكرهمو للموت أورثهم كربا

[وعن عطاء رحمه الله] قال: كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة ويتذاكرون الموت والقيام والآخرة فلايزالون يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة ، وعن ابن حبان رحمة الله عليه قال: صليت الصبح خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ (وقفوهم إنهم مسئولون) فجعل يكررها ولايستطيع أن يتجاوزها من البكاء .. وعن سفيان قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتا ، وأصحابه يتحدثون

من قبرها شعثاء غبراء عليها درع من جرب وجلباب من لعنة الله وسربال من قطران وهى واضعة يدها على صدرها وهى تنادى : واويلاه ، والملك يقول آمين ، ثم تكون أجرتها على النياحة حظها من النار » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله النائحة والمستمعة » . قال بعض السادة : سألت الحسن البصرى رضى الله عنه هل كن نساء المهاجرين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يفعلن كهذا الفعل ؟ قال : لا والله لقد عبرت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قتل أبوها وولدها وأخوها فى الغزاة وهى تبكى ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم «ماالذى أصابك ؟ قالت: فقدت رجالى . قال لها اصبرى ولك الجنة » قالت: والله لاأبكى بعد هذا اليوم أبدا إذا كانت لى الجنة وإن نساء هذا الزمان خمشن الوجوه وشققن

فقالوا له: مالك لاتتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها ثم بكى. وعن شيخ من أهل خراسان قال: لما أراد أبو جعفر بيت المقدس نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس، فقال ياراهب أخبرنى بأعجب شىء رأيته من عمر بن عبد العزيز، قال نعم ياأمير المؤمنين: بينا عمر ذات ليلة على سطح غرفتى هذه. وكان السطح من رخام، وأنا مستلق على قفاى فاذا بماء يقطر من الميزاب على صدرى. فقلت: والله ماعندى ماء ولارشت السماء ماء فصعدت لأنظر فاذا هو ساجد ودموعه تنحدر من الميزاب.

وعن الحسن بن الحسن رحمهما الله قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يبكى حتى بكى الدم.

[وروى] أن عمر بن عبد العزيز منذ ولى الخلافة لم يضع لبنة على لبنة ولم يحدث له دابة ولا امرأة ولا جارية حتى لحق بالله عز وجل، وعن عمر بن مهاجر قال: قال لى عمر بن عبد العزيز إذا رأيتنى ملت عن الحق فضع يديك فى تلابيبى وهزنى، ثم قل ماذا تصنع ياعمر؟ واعجباه هذا خوف عمر مع كماله فكيف أمنك مع نقصانك، الدنيا مرآة الآخرة فما عملته فى هذه رأيته فى تلك، فأنت اليوم تعمل وغدا ترى، فإن كنت عاقلا فابك على ماجرى. وإن كنت نائما فستذهب عنك لذة الكرى:

لو بكت عيناك ياهذا دما ... ماتقدمت إلينا قدما ... كيف يصفو لك ودّ بعدما
نشر الغدر عليك العلما ... نح علينا أسفا أولاتنح ... واسكب الدمع علينا والدما
إنما يصفو وداد لامرئ ... حفظ العهد وراعى الذمما ... لوأردناك لنا مافتئنا *
ووصلنا حبلنا ما انصرما ... مارأينا منصفا عامله ... منصف فى صفقة فاختصما

[إخوانى] كانت الدنيا إذا قدمت إلى الصالحين قدموها إلى الآخرة، فأين نحن من القوم، كم بين اليقظة والنوم، كان عمر بن عبد العزيز يأتيه خراج اليمن فيدخله بيت المال ويبيت فى الظلام، وكان يقول: إذا سهرت فى أمر العامة أشعلت سراجا من بيت المال، وإذا سهرت فى أمر نفسى أسرجت على نفسى من مالى.

[وروى] أنه جاء خراج اليمن ومعه عنبر حمل على اثنى عشر بغلا فأحضر المال بين يديه ثم أمر به إلى بيت المال وأمر بالعنبر، فلما حضر بين يديه سدّ أنفه وأمر به فأدخل بيت المال فقيل له إن هذا العنبر لاينقصه ريحه، فقال إنما ينتفع منه بريحه. وروى أن ابنة لعمر بن عبد العزيز بعثت إليه بلؤلؤة، وقالت ياأمير المؤمنين إن رأيت أن تبعث لى أختها حتى أجعلهما فى أذنى فافعل. قال فأرسل إليها بجمرتين، ثم قال إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت بأخت اللؤلؤة إليك. وعن عيسى بن سنان رحمه الله قال: كان عمر بن عبد العزيز لايبنى بناء، فقيل له فى ذلك، فقال: ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. وعن أبى داود الرومى رحمه الله قال: كان لعمر بن عبد العزيز درجة يصعد عليها، وكانت تتحرك كلما نزل أوطلع يرتاع منها فعمد بعض أصحابه فشدها بطين، فلما صعد عمر رآها قد تثبتت، فسأل عنها؟ فقيل إن فلانا بناها، فقال أعيدوها إلى ما كانت عليه فإنى عاهدت الله تعالى منذ وليت أن لاأضع لبنة على لبنة ولا آجرة على آجرة. اسمع يامن أفنى فى عمارة الدنيا عمره، وقلل نفعه فيها وكثر ضرره كان السلف يخربون الدنيا فيعمرون بها الآخرة، وأنتم قد عكستم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة:

زيادة المرء فى دنياه نقصان ... وفعله غير فعل الخير خسران

الجيوب، وتتفن الشعور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبغض الأصوات عند الله سبحانه وتعالى صوتان قبيحان: صوت النائحة عند المصيبة وصوت مزامير فى فرح، لعن الله الزامر والمستمع له» قال الله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهؤلاء جعلوا أموالهم حقا للمغنية عند النعمة وحقا للنائحة عند المصيبة، يموت الميت وعليه الدين وعنده الأمانة وفى ذمته المظالم وقد لاقى الهول فى جذب روحه والمصائب عند ربه يتمنى التخفيف من أوزاره وقد أتاه الشيطان إلى قبره فيسمع الملائكة تهدده بذنوبه وتوعده بالعقوبة، فيقول له: ياثلان أتعرفنى والله لأزيدنك عذابا وعقوبة فوق عذابك حيث تحاسب بغير ذنب جرى منك فيأتى أهله فيقول ما كان أهون ميتكم عليكم ومأتمه وكأنه زبالة فعلى مثل فلان يطول الحزن، وعلى مثله يطول البكاء وعلى مثله يصلح

يا عامرا لخراب الدار مجتهدا تالله ما لخراب العمر عمران

فيامستأنسا بالمنازل والدور ، وكاسات الموت عليه تدور ، يامظلم القلب ومالقلب نور ، الباطن خراب والظاهر معمور . لو ذكرت الأجداث والقبور ، لأبطلت عمارة الدنيا أيها المغرور ، ستحاسب على الأيام والشهور ، يامن يصلى بلا حضور ، ويصوم والصوم بالغيبة مغمور كم يتلطف بك وأنت نفور ، كم ينعم عليك يا كفور ، كم تبارز بالمعاصى وأنت مستور ، ويمهلك لتتوب إليه إنه رحيم غفور ، يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور :

إلى متى تلهو بدار الغرور وفى تمادى الغىّ تفنى الدهور
ناسيا للموت ياغافلا عليه كاسات المنايا تدور
حادى السرى ناداك مستعجلا وما تزودت ليوم النشور
فانهض وتب من كل ذنب مضى تحط برضوان العزيز الغفور

[وعن الأوزاعى رحمة الله عليه] قال كان عمر بن عبد العزيز يصوم ويفطر على البقل وكان فى غالب أوقاته يغمس الخبز بالدقة ويأكله . وأهدى إليه طبق فيه تفاح وفاكهة فردّه ولم يأكل منه شيئا ، فقيل له ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ؟ قال : بلى ولكن الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وهى لنا ولمن بعدنا رشوة ، وكان رحمه الله يمنع نفسه الشهوات ويسمح بالعطايا للناس ، قال خزيمة أبو محمد العابد : إن عمر بن عبد العزيز قال ما أعطيت أحدا مالا إلا واستقللته له ، وانى لأستحى من الله أن أسأله الجنة لأخ من اخوانى وأبخل عليه بالدنيا . وعن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رحمه الله تعالى قال : ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنتين ونصفا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم . فيقول اجعلوا هذا حيث ترون من الفقراء فيقوم وماله معه لما أغنى عمر الناس بعطائه . وعن النضر بن سهل عن أبيه قال : قال عمر بن عبد العزيز لجاريته يوما روّحينى حتى أنام فروّحته فنام فغلبها النوم فنامت فلما انتبه أخذ المروحة يروّحها فلما انتبهت ورأته يروّحها صاحت فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى فأحببت أن أروّحك كما روّحتينى . فلله درّهم جعلوا التواضع لهم شعارا . والتقوى دثارا وجانبوا من الدنيا لهوا واغترارا وتزينت لهم فرفضوها لما رأوها ثوبا معارا كم كفت كفا . وكم أعمت أبصارا ، وكم بالخوف راعت راعيها ومارا عته ليلا ولانهارا ، فارحل بعزمك عنها واتخذ غيرها دارا ، واحذر لباس بأسها فكم كست لابسها عارا :

يامحب الدنيا الغرور اغترارا راكبا فى طلابها الأخطارا يبتغى وصلها فتأبى عليه
وترى أنسه فتبدى نفارا خاب من يبتغى الوصول إليها جارة لم تزل تسىء الجارا
كم محب أرته أنسا فلما طلب الوصل أبعدته مرارا فتعوّض عنها بخلة صدق
والتمس غير هذه الدار دارا فالبدار البدار بالعمل الصا لح مادمت تستطيع البدارا

[وعن هلال بن قيس رحمه الله] قال : مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذى مات فيه أول شهر رجب سنة إحدى ومائة وكانت شكواه عشرين يوما . وعن الوليد بن هشام رحمه الله قال : لقينى يهودى وكان قد أخبرنى قبل ولاية عمر أن عمر سيلى هذا الأمر ويعدل فيه ، قال فلقيت عمر فأخبرته فلما تولى عمر لقينى اليهودى بعد مدّة ، فقال لى : ألم أخبرك أن عمر سيلى الخلافة وكان الأمر كما أخبرتك فقلت بلى . فقال لى الآن هذا الرجل قد سقى السمّ فمره فليتداو ويدرك نفسه قال فلقيته فذكرت له ذلك فقال عمر : والله إنى عرفت الساعة التى سقيت فيها السمّ ولو كان شفائى فى مسّ

الندب والنوح اطلبوا لكم فلانة النائحة ورغبوها بالمال فعند ذلك يأتى أهل الميت بنائحة مستأجرة تبكى بغير شجو تبيع عبرتها بالدراهم تفتن الأحياء فى دورهم وتعذب الموتى فى قبورهم تمنعهم أجرهم وتعظم عليهم وزرهم وتعدد على الميت ، فيغضب الله سبحانه وتعالى عليهم وعلى الميت ، فيفتح عليه فى قبره سبعون طاقة من نار وتدخل عليه كلاب سود تنهشه وزبانية تدق رأسه وتضربه فيقول الميت : ياويلاه من أين جاءنى هذا العذاب ؟ فتقول الملائكة : هذا هدية أهلك إليك فيقول الميت لاجزاهم الله عنى خيرا ، اللهم عذبهم كما عذبونى فتقول الملائكة لابد لكل واحد مثل هذا فيقول هم ناحوا وعددوا ولطموا فأنا أىّ شىء ذنبى ؟ فيقول الله له ذنبك أنك ماعاهدتهم أن لايحاربونى من بعدك فمن نسى المعاهدة على الوصية للأقارب أن لا يحاربوا

شحمة أذنى لما مسستها أو لو كانت عافية بطيب أرفعه إلىّ مارفعته . وعن مجاهد قال سألنى عمر بن عبد العزيز فى مرضه : ماتقول الناس فىّ ؟ قال يقولون انه مسحور فقال ما أنا بمسحور ولكن سقيت السم ثم استدعى بغلام فقال ماحملك على أن سقيتنى السم ؟ قال : أعطيت ألف دينار ووعدت بالعتق فقال هات الألف دينار فجاء بها فألقاها فى بيت مال المسلمين وقال للغلام اذهب حيث شئت فأنت حر . وعن أبى حازم رحمة الله عليه قال شاهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقدة على أثر وجد وجده فبكى ثم ضحك فلما انتبه قال أبو حازم يا أمير المؤمنين : ما الذى اعتراك فى منامك حتى ضحكت بعد البكاء ؟ قال رأيت ذلك ؟ قلت نعم وجميع من حولك قال رأيت كأن القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرين صفا أمة محمد صلى الله عليه وسلم منهم ثمانون صفا وإذا مناد ينادى أين عبد الله ابن أبى قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عز وجل فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا وأمر به إلى ذات اليمين . ثم جىء بعمر بن الخطاب فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا ثم أمر به وبصاحبه إلى الجنة . ثم جىء بعثمان فحوسب حسابا يسيرا ثم أمر به إلى الجنة . ثم نودى بعلى بن أبى طالب فجىء به فحوسب حسابا يسيرا ثم أمر به إلى الجنة . قال عمر بن عبد العزيز فلما قرب الأمر منى نودى أين عمر ابن عبد العزيز ؟ قال فتصببت عرقا ثم أخذتنى الملائكة فأوقفونى أمام الحق سبحانه وتعالى فسألنى عن النقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها ثم غفر لى فأمر بى ذات اليمين فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة ماهذه الجيفة فقالوا سله يحبك فسألته ووكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه فقلت له من أنت ؟ فقال لى من أنت ؟ فقلت أنا عمر بن عبد العزيز فقال لى مافعل الله بك ؟ فقلت تفضل على ورحمنى وفعل بى كما فعل بمن سلف من الأئمة فقال ليهنك ما صرت إليه فقلت له من أنت ؟ فقال أنا الحجاج بن يوسف الثقفى قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب والغضب فقتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدى ربى أنتظر ماينتظره الموحدون من ربهم : إما إلى الجنة وإما إلى النار . قال أبو حازم فعاهدت الله تعالى بعد ماسمعت هذا من عمر رضى الله عنه انى لاأقطع لأحد بالنار ممن يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فالويل لأهل الظلم من الأوزار ، ذكرهم بالقبائح قد ملأ الأقطار يكفيهم أنهم قد وسموا بالأشرار ذهبت لذاتهم بما ظلموا وبقى العار داروا إلى دار العقاب وملك غيرهم الدار وحلوا بالعذاب فى بطون تلك اللحود والأحجار ، فلا راحة لهم ولاسكون ولا قرار ، دموعهم تجرى على التفريط كالأنهار ، شيدوا بنيان الأمل فإذا به قد انهار ، كم قتل الحجاج من قتيل وكم ظلم من جار ، أما علم أن الله ينتقم ممن تعدى وجار ؟ فإذا قاموا فى القيامة حشروا فى جهنم مع الفجار (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) :

ويحك يانفس البدار البدار ما هذه الدنيا لحى بدار منزلة والناس سفروكم
خانهمو صرف الليالى وجار قد نفد العمر وقل البقا إلى متى يانفس ذا الاغترار

من كان فى الدنيا يرى راحلا كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فيها لمن عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبه قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا يغفر فى الليل ذنوب النهار

[قيل] إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له يا أمير المؤمنين من توصى بأهلك ؟ فقال إذا نسيت الله فذكرنى ، ثم عاد وقال له من توصى بأهلك ؟ فقال ان ولى فهم الله وهو يتولى الصالحين . وعن رجاء بن حيوة قال : قال لى عمر بن

ربهم عذبه الله عزّ وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها بسنة لم تقبل توبتها لأن ذنبها عظيم فان ماتت غير تائبة تقوم يوم القيامة عليها ثياب من قطران ودرع من جرب ليس أحد يعذب بذنب أحد إلا الميت فانه يعذب بقدر بكاء أهله عليه إذا قالوا من لنا بعدك ياعزنا وجاهنا فيقعد فى قبره فتضربه الزبانية على كل كلمة ضربة حتى تنقطع مفاصله وتقول له الزبانية أنت كما قال أهلك هل أنت كنت رازقهم أو أميرهم أو كفيلهم فيقول لا والله يارب إنى كنت ضعيفا ، وأنت سبحانك الذى ترزقنى وترزقهم فيقول الله سبحانه وتعالى إنما عاقبتك لأنك مانهيتهم عن هذا » وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توقف النائحة يوم القيامة على طريق بين الجنة والنار وثيابها من

عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه يارجاء : كن أنت فيمن يغسلنى ويكفننى ويلحدنى فى قبرى فإذا وضعونى فى لحدى فحل العقدة وانظر إلى وجهى فانى قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا وضعته فى لحده حللت العقدة . ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو مسوّد محوّل إلى غير القبلة . قال رجاء : فلما مات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كنت ممن غسله وكفنه ودفنه فلما ألحدته حللت العقدة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يضىء كالقمر المنير متوجها إلى القبلة ففرحت له بذلك . وعن عبيدة بن حسان ، قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عنى فلا يبقينّ عندى أحد وكان عنده مسلمة بن عبد الملك فخرجوا وقعد مسلمة بن عبد الملك وفاطمة أخته زوجة عمر على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا بوجوه جن ، قال وسمعنا صوتا من ناحية البيت يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) قال ثم دخلوا عليه ، وقد مات رحمه الله ، وقد استقبل القبلة وغمض عينيه وطبق فاه . وعن الأوزاعى قال : قال عمر بن عبد العزيز . ما أحبّ أن يخفف عنى سكرات الموت فانه آخر مايدفع المؤمن من الأجر ، وفى رواية قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن يخفف عنى سكرات الموت فانه آخر مايكفر به عن المؤمن . وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ثقل مرضه قال لمسلمة بن عبد الملك خذ من مالى دينارين فاشتر لى بهما كفنا فقال يا أمير المؤمنين ان الدينارين لايحصل بهما كفن لمثلك ، فقال يامسلمة ان كان الله عنى راضيا فسيبدلنى بما هو خير منه ، وإن كان ساخطا فإنما يكون حطبا للنار . وروى أنه كفن فى ثياب سحولية ، وقيل فى يمنية ، وكان قبره بدير سمعان من أرض حمص ، وكان قد أرسل إلى صاحب الأرض يساومه على موضع قبره ، فقال له يا أمير المؤمنين والله إنى لأتبرك بقبرك ، وقد حاللتك منه فأبى عمر أن يقبله إلا بثمنه ، وفى رواية أنه بايعهم يعنى أصحاب الأرض على موضع قبره بدينارين . وقال لهم انما أريد بطن الأرض فإذا دفنت فاحرثوا أرضكم وازرعوا فيها وابنوا وانتفعوا بها فلا يضرنى ذلك . وروى أن ولاية عمر كانت ثلاثين شهرا إلا عشرة أيام . وتوفى وهو ابن خمس وأربعين سنة . وعن خالد الربعى قال مكتوب فى التوراة : إن السماء والأرض لتبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا [وروى] أن رسول عمر بن عبد العزيز كان إذا وصل البصرة تلقاه الناس بالرحب والسعة فانه كان لا يأتى إلا بزيادة عطاء وإنفاذ مال يتفقد به أحوال الفقراء ، فلما وصل الرسول بموته خرج الناس إليه على جرى عادتهم فلما أخبرهم بموته ضج الناس بالبكاء والعويل وغم ذلك أهل البصرة بأسرهم لعظم مصيبتهم به [وقيل] إن بعض الجن رثاه فقال :

عنا جزاك مليك الناس صالحة ... فى جنة الخلد والفردوس ياعمر
أنت الذى لانرى عدلا نسرّ به ... من بعده ماجرى شمس ولا قمر

ولما مات عمر بن عبد العزيز رثاه جرير فقال :

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... مفضلا حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرا عظيما فاستطعت له ... وسرت فيه بأمر الله مؤتمرا

[وقال مسلمة بن عبد الملك] رأيت عمر بن عبد العزيز بعد موته فى المنام ، فقلت له إلى أىّ الحالات صرت يا أمير المؤمنين ؟ فقال يامسلمة هذا أوان فراغى والله ما استرحت إلى الآن فقلت يا أمير المؤمنين فأين أنت ؟ فقال أنا مع أئمة الهدى فى جنات عدن وكان عمر بن عبد العزيز يأتى المساجد المهجورة فى الليل فيصلى فيها مايسر الله عزّ وجل فإذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرّغ خدّه على التراب ولم يزل يبكى إلى طلوع الفجر ، فلما كان فى بعض الليالى فعل ذلك

قطران ، وعلى وجهها غشاء من نار وتجىء الملائكة بالميت وقد رد الله روحه إلى جسده فيمد بين يديها وتقول لها الزبانية نوحى كما نحت عليه فى الدنيا فتقول إنى أستحى اليوم فتضربها الملائكة ويقولون لها ياملعونة لم لم تستحى من الله فى دار الدنيا؟ أما علمت أن الله سبحانه وتعالى يسمعك فتقول النائحة كلمة أخرى فتنقطع رجلها فتقول كلمة أخرى فتنقطع يدها فتصيح واويلاه ويقول الميت ماذنبى ؟ فتقول الزبانية ذنبك أنك مانهيتهم قبل موتك ثم تضربه الزبانية ضربة فلا يبقى معه عضو يلزم الآخر إلا وهو طائر عن جسده وكلما ضربوه ضربة يصيح صيحة تبكى منها الخلائق فلا يبرح يصيح ، وهو ينقطع سبع مرات ثم إن كان من أهل الخير يبعثه الله إلى الجنة ، وإن كان من أهل الشرّ يبعثه الله تعالى إلى النار ثم يعطى النائحة حربة من نار

على العادة ، فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرّعه وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها هذه براءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز . وقال الفرزدق لما مات عمر رضى الله عنه يرثيه :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت ياعمر
كم من شريعة حق قد بعثت لها ... كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يالهف نفسى ولهف الواجدين معى ... على الحبيب الذى يسقى به المطر
ثلاثة ما رأت عينى لهم شبها ... تضم أعظمهم فى المسجد الحفر
وأنت تتبعهم إذ كنت مجتهدا ... للحق والأمر بالمعروف تبتدر
لو كنت أملك والأقدار غالبة ... تأتى رواحا وتبيانا وتبتكر
صرفت عن عمر المرضى مصرعه ... بدير سمعان لكن يغلب القدر
فالله يكرم مثواه ويرحمه ... ما أوجب الحج بل ماسنت العمر
وفى مصاب رسول الله تسلية ... فيمن يموت وفى أنبائه عبر
هو الرسول الذى منّ الإله به ... على البرية وازدادت به السير
وخير من ولدت عدنان قاطبة ... وخير من شرفت من أجله مضر
المصطفى المرتضى للخلق ينقذهم ... من الضلال الذى فى طيه الخطر
أعطاه مولاه مالم يعطه أحدا ... خزائن الغيب منها الخير ينتظر
هو الحبيب الذى أسرى به عجلا ... إلى السماء وجنح الليل معتكر
صلى عليه إله العرش ماطلعت ... شمس وما خلفتها الأنجم الزهر

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثامن والثلاثون

فى مناقب الامام الشافعى رضى الله عنه

الحمد لله الذى رفع العلماء إلى أشرف المناصب وأعلى وأسمى ، وخفض لهم المناصب حين نصبهم لفهم أسرار صفات ذاته والأسما ، وعطفهم على حال المعرفة ونظم درّ عقولهم فى سلك التمييز بالتأكيد نظما ، نشر فى الأقاليم أعلامهم وأجرى بالحكم أقلامهم فكل بمذهبه يرقم سطر الطروس رقما ، فنعمان النعمة ملكهم علما وفهما ، وفاضلهم مالك وطأ لهم الحديث ورسم نصيبه الأحكام رسما ، وشافعى سائلهم وفر لهم من العلم نصيبا وقسما ، وأحمدهم لسيدهم مسندا إليه فلا يخشى لديه هما ، وكلهم طامع من المولى ببلوغ سؤله متأدب بما قال تعالى فى تنزيله لرسوله (وقل ربى زدنى علما) .

إذا ماشئت أن تسمو وتسمى ... وتدرك راحة روحا وجسما
فقم لطريق أهل العلم سعيا ... لتقفو معهم أثرا ورسما
فان حصلت لك الدنيا وإلا ... ظفرت بأكبر الشرفين قسما
فأكرم ماحواه المرء علم ... به يهدى ويهدى من ألما
وليس يفيد ملك الكون عبدا ... إلى العلياء يسرى وهو أعمى
فكم أبدى ضياء العلم رشدا ... وأذهب ظلمة وأزال ظلما

ويلبسها درعا من نار ، وخوذة من نار ونعلين من نار ، وتقول لها الزبانية يامعونة حاربى ربك اليوم كما حاربتيه فى الدنيا لتنظرى فى هذا اليوم من هو المغلوب الذليل الخائب الملقى فى النار فتقول النائحة واويلاه ثم تساق هى ومن حضرها ورضى بفعلها إلى النار وهم يسحبون على وجوههم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عدّدت من النياحة ولو سبع كلمات تبعث يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وجلباب من لعنة الله وهى واضعة يدها على رأسها وتقول واويلاه والملك الذى يسحبها يقول آمين حتى يسلمها إلى مالك خازن النار » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجعل الله سبحانه وتعالى النوائح صفين فى النار صفا عن يمين أهل النار وصفا عن شمالهم ينبحن كما تنبح الكلاب على أهل النار » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع

فنحمد ربنا إذ منّ لطفا به فى رشدنا وأزال غما

أحمده حمدا أنال به من الإخلاص حظا وقسما ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أمحو بها ذنبا وإثما ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أذهب الله بشريعته عن القلوب هما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين أطلع الله لهم فى سماء الفضل والشرف نجما . قال أصحاب التاريخ : ولد الامام الشافعى رضى الله عنه بغزة من بلاد فلسطين ومات عنه أبوه وهو ابن سنتين ، فحملته أمه إلى مكة شرفها الله تعالى ، فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم وفتح الله عليه من العلم مالم يفتح على غيره حتى كان مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة يحثه على الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة . وهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، ويتصل نسبه إلى عبد مناف ، وعنده يلتقى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وسافر إلى بغداد فأقام بها سنتين ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها أشهرا ، ثم خرج إلى مصر ومات بها رضى الله عنه ، وكان يقسم الليل على ثلاثة أقسام : ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم . وقال الربيع رحمه الله : كان الامام الشافعى رحمة الله عليه يختم القرآن فى كل يوم مرة ، وقال الربيع أيضا : كان الشافعى يختم القرآن فى رمضان ستين مرّة كل ذلك فى الصلاة . وقال الحسن الكرابيسى : بتّ مع الامام الشافعى رضى الله عنه غير مرة فرأيته يصلى نحوا من ثلث الليل فمارأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة ، وكان لايمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الإنابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين ، وكان الشافعى رضى الله عنه يقول : ماشبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وكان الشافعى رضى الله عنه يقول : ماحلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولا صادقا وسئل رضى الله عنه عن مسئلة فسكت ، فقيل له لم لاتجيب ؟ فقال حتى أعلم الفضل فى سكوتى أو فى جوابى . وقال المزنى ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم : جاء الشافعى إلى مالك رضى الله عنهما ، فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ ، فقال مالك امض إلى حبيب كاتبى فانه يقول قرأته فقال له الشافعى تسمع منى رضى الله عنك صفحا ، فان استحسنت قراءتى قرأته عليك وإلا تركتك ، فقال له اقرأ فقرأ صفحا ثم وقف ، فقال له مالك هيه فقرأ صفحا ثم سكت ، فقال له الامام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك ، فقال له مالك : اطلب من يقرأ لك ، فقال له الشافعى : أحب أن تسمع قراءتى فان خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لى ، فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، ثم قال اقرأ فقرأت عليه من الموطأ من أوّله إلى آخره حفظا فدعا لى وسرّ بذلك . قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى يقول : حملت عن محمد بن الحسن حمل جمل بختى ليس عليه إلا سماعى منه . وقال محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم : قال الشافعى : لم يكن لى مال وكنت أطلب العلم فى الصغر فكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور فاكتب فيها .

[إخوانى] بهذا الاجتهاد بلغوا المراد ، وبهذا الطلب حصل لهم التوفيق والسداد ، وبهذه الهمة صاروا قدوة للعباد ، ياهذا الهمم العلية تدنى إلى المراتب السنية ، وكل من تعب استراح ويحك يامضيعا عمره فى البطالة ، وقد فاز غيره بنجح المطالب ، يامهملا نظره فى العواقب ، احذر فوات الفضائل والمناقب ، أما كان فيما مضى من عمرك من اللعب ما كفاك ، ولا فيما رأيت من تغير أحوالك ما وعظك ونهاك ؟ ذهب العمر فى كسب مايضر ، وأتيت إلى الآخرة بما لايسر :

مازلت فى ضر تكابده حتى قطعت العمر خسرانا وأتيت بالأوزار تحملها

امرأة تقول أبياتا فضربها بالدرة حتى انكشف خمارها فقيل له : يا أمير المؤمنين أما لها من حرمة ؟ قال لا والله ، لأن الله عزّ وجل يأمرنا بالصبر وهى تنهى عنه وينهانا عن الجزع وهى تأمر به وتأخذ الأجرة على عبرتها . وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من الكفر بالله : شق الجيوب وحلق الشعور ، أو قال لطم الخدود ، والنياحة ، وإن الملائكة لاتصلى على نائحة ولامغنية لأنه سبحانه وتعالى لعن النائحة والمغنية والواشمة والمستوشمة ولعن اللاطمة خدّيها والصارخة بويلها ولعن النائحة والمستمعة » وقال : « ليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وقال الله سبحانه (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وقال صلى الله عليه وسلم :

لا كان ماقد كان لا كانا وركبت آثاما أسرت بها ورأيت فى عقبـــاك أحزانا
فعسى الكريم يتم نعمته ويعيد ذاك السوء إحسانا

وكان الشافعى رحمه الله يقول : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب . وأما زهده رضى الله عنه فى الدنيا وسخاؤه فروى الحميدى أن الشافعى رضى الله عنه خرج إلى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعـه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها ، وخرج يوما من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحامى ، وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين دينارا . وروى عنه أنه خاط قميصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقا لاتخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل ، فلما جاء الشافعى رأى كما ضيقا جدا والآخر متسعا جدا . فقال جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب ، وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعى بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط . فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته فى تفصيله ، فسأل عنه الخياط فقيل له هـذا الامام الشافعى فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه . وقال الربيع : تزوجت فسألنى الشافعى كم أصدقتها ؟ فقلت ثلاثين دينارا . قال كم أعطيتها ؟ قلت ستة دنانير ، فأرسل إلىّ بصرة فيها أربعة وعشرون دينارا ، وجعل لى معلوما على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين . وقال الشافعى رحمه الله : أظلم الظالمين لنفســه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخفّ بالأشراف وتكبر على ذوى الفضل ، وقرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى (هذا يوم لاينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فتغير لونه واقشعرّ جلده واضطربت مفاصله وخرّ مغشيا عليـه ، فلما أفاق قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين : اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لهيبتك نفوس المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تقصيرى بكرمك . ياهـذا إذا كان هذا خوف الشافعىّ مع علمه فكيف أمنك مع جهلك ؟ ويح الجاهلين الغـافلين أعمارهم تنهب وأيامهم تذهب وآثامهم تكتب ، أصمّ عن النصائح أم عمى والأمر واضح (فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) أهل القـلوب القاسية يخرجون من مجالس الذكر كما دخلوا (سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) المواعظ تحوم حول القلوب ولاتجد طريقا إليها (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ومع هذا فلا يقطع الرجاء فان الخمر ينقلب خـلا فى ليلة واحدة (يقلب الله الليل والنهار) خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل الاسـلام وهو أقسى قلبا من الصفا ، فأسلم ولان عند الصفا :

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر

ويحك إن اغتالك الظلام فاقتد بعلماء الاسلام . قال عبد الله بن محمد البكرى : كنت مع الامام الشافعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شابا يتوضأ ولايحسن الوضوء ، فقال له ياغـلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة ثم مضى ، فأسرع الشـاب فى وضوئه ثم لحق الامام الشافعى ولم يعرفه فالتفت إليه الامام وقال له هل من حاجة ؟ قال نعم تعلمنى مما علمك الله ، فقال له : اعلم أن من عرف الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا ، أفلا أزيدك ؟ قال نعم . قال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى عنـه ، وحافظ على حدود الله تعالى . قال

«إن الصراط ينصب على متن جهنم كما ينصب الجسر على يمينه وشماله فإن كان الانسان يصلى نصب له ستر عن يمينه وان كان صابرا على الشـدائد ينصب ستر عن يساره ، وإن كان غير مصل ولاصابر يأكل لهب النار جنبيـه وقت العبور على الصراط فاستعينوا بالصبر والصلاة ليدفع عنكم لهب النار» . وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « إذا كان يوم القيـامة ينادى مناد من له على الله دين؟ فتقول الخلائق ومن ذا الذى له على الله دين ؟ فتقول الملائكة من ابتلى بما يحزن قلبه ويبكى عينيه فصبر احتسـابا لله سبحانه وتعالى فليقم يأخذ أجره من الله فى هذا اليوم فتقوم خـلائق كثيرة من أهل البلاء فتقول الملائكة ليست الدعوى بلا بينـة أرونا صحائفكم فينظرون فى صحائفهم فمن وجـدوا فى صحيفتـه سخطا وكلاما فاحشا يقولون انعـد فما أنت من الصابرين وكذلك

أفلا

أفلا أزيدك ؟ قال بلى . قال : كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنجح مع الناجحين ثم مضى ، فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقيل له هذا الامام الشافعى رضى الله عنه ، وكان يقول رضى الله عنه : وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلىّ منه شىء ، وقال أيضا رضى الله عنه : ماناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل ، وما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالى أن يبين الله عز وجل الحق على لسانى أو على لسانه . وقال أيضا : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته ، وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى . وقال له ابنه يا أبت : أىّ رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ . فقال الامام أحمد : يابنىّ كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس ، فانظر يابنىّ هل من هذين خلف ؟ هكذا العلماء الصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس ، وليس منهما خلف ، فان بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة ، فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا . كان السلف يسخرون من الشيطان وأنتم يسخر بكم ، كم بينكم وبينهم فى المقدار ، ملكتكم الدنيا وملكوها فأنتم عبيدها والقوم أحرار ، كانت لهم أنفة فما احتملوا العار وعرفوا قدر الزمان فاتهبوا الأعمار ، لو اطلعتم عليهم فى وقت الأسحار لرأيتموهم نجوم الهدى ، لا بل هم الأقمار ، قاموا فى الدجى على قدم الاعتذار ، وأنتم فى بحر النوم والغفلة فى التيار

طال والله بالذنوب اشتغالى ... وتماديت فى قبيح الفعال
ليت شعرى إذا أتيت فريدا ... والموازين قد نصبن حوالى
والدواوين قد نشرن جميعا ... ثم لم يغننى هنالك مالى
ما احتيالى وما أقول لربى ... فى سؤالى وما يكون مقالى

[كان] الشافعى رضى الله عنه كثير الزهد فى الدنيا عفيفا عن اللغو والكلام الفاحش . ومرّ يوما برجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى رضى الله عنه إليه ، فقال نزهوا أسماعكم عن سماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل ، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شىء فى وعائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لشقى رادّها كما يشقى قائلها . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى عن مسائل فى الورع والشافعى يقبل عليه لورعه ، فقال للشافعى : أيما أفضل : الصبر أو المحنة أو التمكن ؟ فقال الشافعى رضى الله عنه التمكن درجة الأنبياء ولا يكون التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن وصبر مكن ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم آتاه ملكا عظيما ، والتمكن أفضل الدرجات .

[وقال عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى] كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعى فرأيت أحمد يعظمه ، فقال بلغنى أو قال يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها» فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة الأخرى :

[وقال هرون بن سعيد بن الهيثم الأيلى] مارأيت مثل الشافعى قط ، ولقد قدم علينا مصر فقالوا قدم رجل من قريش فقيه فجئناه وهو يصلى فما رأينا أحسن منه وجها ولا أحسن صلاة فافتتنا ،

إذا وجدوا فى صحيفة المرأة سخطا يردونها من بينهم وتأخذ الملائكة الصابرين من الرجال والنساء حتى يوصلوهم إلى تحت العرش فيقولون ياربنا هؤلاء عبادك الصابرون فيقول الله عز وجل ردوهم إلى شجرة البلوى فيردونهم لى شجرة أصلها ذهب وأغصانها حلل وظلها يسير الراكب فيه مائة عام فيجلسون تحت ظلها ، ويتجلى عليهم الحق سبحانه وتعالى واحدا بعد واحد وواحدة بعد واحدة يعتذر إليهم كما يعتذر الرجل إلى صاحبه يقول لهم ياعبادى الصابرين إنما ابتليتكم لا لهوانكم علىّ بل لكرامتكم عندى وقد أردت أن أحط عنكم البلاء فى دار الدنيا ذنوبكم وأوزاركم وأبلغكم درجات عالية ما كنتم تصلون إليها بأعمالكم فصبرتم لأجلى واستحييتم منى ولم تسخطوا قضائى فاليوم أستحى منكم لا أنصب لكم

لما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقا منه ، وكان يتكلم فى الحقيقة أيضا وفى الزهد وفى أسرار القلوب ، وكان يقول : كيف يزهد فى الدنيا من لايعرف قدر الآخرة ؟ وكيف يخلص من الدنيا من لايخلو من الطمع الكاذب ؟ وكيف يسلم من لايسلم الناس من لسانه ويده ؟ وكيف ينال الحكمة من لايريد بقوله وجه الله عز وجل ؟ وسأله بعض الناس عن الرياء ، فقال له : أنت إذا خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفى أى نعيم ترغب ، ومن أىّ عقاب ترهب ، وأىّ عافية تشكر ، وأىّ بلاء تذكر ؟ وله رضى الله عنه :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرضا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فلله در العارف الندب إنه ... تسح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه ... على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحا إذا ما كان فى ذكر ربه ... وفيما سواه فى الورى كان معجما
ويذكر أياما مضت من شبابه ... وما كان فيها بالجهالة أحرما
فصار قرين الهمّ طول نهاره ... ويخدم مولاه إذا الليل أظلما
يقول حبيبى أنت سؤلى وبغيتى ... كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذى غذيتنى وكفلتنى ... ومازلت منانا علىّ ومنعما
عسى من له الاحسان يغفر زلتى ... ويستر أوزارى وما قد تقدما

وله أيضا رضى الله عنه نظم كثير يحتوى على الحكمة والمواعظ ، وسنذكر منها ماوصل إلينا وصح عنه رضى الله عنه ، وله أيضا كلام فى الحقيقة ومعان دقيقة . فمن ذلك مارواه سويد بن سعيد رحمه الله ، قال كان الشافعى جالسا بعد صلاة الصبح فى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم إذ دخل عليه رجل ، فقال له : إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد ، فقال الامام الشافعى رضى الله عنه يامؤمن لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه ، حيث يقول (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفته به وتوحيدك ، ثم أنشد :

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا ... وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأتاح من نعم عليك مزيدا
لاتيأسن من لطف ربك فى الحشا ... فى بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا ... ماكان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه رضى الله عنه ، وله شعر كثير وأدعية ، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مروان ، قال كنت أجلس فى حلقة العلم عند الامام الشافعى رضى الله عنه وأكتب ما أفهمه منه فأتيته سحرا فوجدته فى المسجد وهو قائم يصلى فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك : اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل مايقرّبنا إليك مقرونا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين . قال فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد :

بموقف ذلى دون عزتك العظمى ... بمخفىّ سر لاأحيط به علما
بإطراق رأسى باعترافى بذلتى ... بمد يدى أستمطر الجود والرحما

ميزانا ولاأنشر لكم ديوانا (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فلا أحاسبكم ، ثم يعتذر الله سبحانه وتعالى إلى الفقراء ويقول : ياعبادى الفقراء إننى ما ابتليتكم بالفقر لهوانكم علىّ ولا لعزة الدنيا عندى ، ولكن قضيت أن من ملك من ملك الدنيا شيئا أحاسبه عليه وأسأله من أين اكتسبه ، وفى أىّ شىء أخرجه فأحببت لكم الفقر ليخفف عنكم حسابكم وتستوفوا نصيبكم موفرا فمن كان قد سقاكم فى دار الدنيا شربة أوأطعمكم لقمة أوكساكم خرقة فهو فى شفاعتكم ، ثم يعتذر الله إلى امرأة فقدت ولدها وصبرت فيقول لها يا أمتى قضيت أجل ولدك فى اللوح المحفوظ كذا ثم قبضته إلىّ فما جزع لك قلب ولا ضاق صدر فأبشرى اليوم برضاى وجمع شملك بولدك فى دار حياة لاموت فيها ، ومقام لارحيل منه ولا هم

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم بمن كان مجهولا فعلمته الأسما
أذقنا شراب الأنس يامن اذاسقى محبا شرابا لايضام ولايظما

[ومن جملة مناقبه رضى الله عنه] قال الربيع رحمه الله : سمعت الشافعىّ رضى الله عنه يقول : رأيت وأنا باليمن كأنى جالس فى فضاء الطواف إذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت اليه مسرعا وسلمت عليه فصافحته فعانقنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى ، فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر ، فقال لى أبشر ياأبا عبد الله ؛ أما رؤيتك لعلىّ بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو النجاة من النار ، وأما مصافحتك اياه فهو الأمان يوم الحساب ، وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ اسمك فى الدنيا مابلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومن جملة دعائه رضى الله عنه : اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارقا يطرق بخير . اللهم أنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ ، يامن ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراعنة ، أعوذ بجلالك وكرمك ، من خزيك وكشف سترك ، ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى ، ذكرك شعارى وثناؤك دثارى ، لاإله إلا أنت تنزيها لاسمك ، وتكريما لسبحات وجهك ، أجرنى من خزيك ، ومن شر عبادك وقنى سيئات مكرك ، واضرب علىّ سرادقات حفظك ؛ وأدخلنى فى حفظ عنايتك ، ياأرحم الراحمين .

[اخوانى] ذهب الصالحون والعلماء المجتهدون ولم تذهب آثارهم ، ومحيت رسومهم ولم تمح محاسنهم وأخبارهم . كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيرا ويثنى عليه ، وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتحب أخبار الصالحين الأخيار ، وتودّ أن ترى الشافعى لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ففرحت البنت بذلك طمعا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله ، فلما كان الليل قام لإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره والبنت ترقبه الى الفجر فقالت لأبيها رأيتك أنت تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لاصلاة ولاذكرا ولاوردا ، فبينما هم فى الحديث إذ قام الشافعى فقال له أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال مارأيت ليلة أطيب منها ولاأبرك ولا أربح . فقال كيف ذلك ؟ قال لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسئلة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ثم ودّعه ومضى ، فقال أحمد بن حنبل لابنته هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم . ياهذا كانت حركاتهم وسكناتهم لله ، وأفعالهم وأقوالهم لله ، وذكرهم وفكرهم فى الله ، فقيامهم طاعة ، ونومهم صدقة ، وذكرهم تسبيح ، وسكوتهم فكر ، وعلمهم شفاء ورحمة للأمة ، لاجرم أن الله تعالى منحهم ومدحهم وجعلهم أئمة للاسلام وقدوة للأنام ، وقيل فى المعنى :

قوم إلى الله ساروا بالعلوم على نجائب الفكر ركبانا ووحدانا
وفارقوا الأهل والأولاد واغتربوا وقد جفوا فى طلاب العلم أوطانا
حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة وذكرهم عطر الأكوان إعلانا
هم الأئمة لازالت علومهم تبدى لناشقها روحا وريحانا

[وقيل] إن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يقطع الليل بوظائف العلوم والأذكار ويجول

ولا حزن ، ثم يعتذر الله سبحانه وتعالى لأهل العمى والبرص والجذام وسائر الأمراض فيفرحون غاية الفرح بما حصل لهم من الأجر مايعقد لهم رايات كرايات الصناجق والأمراء ، فمن صبر على بلية من البلايا نصبت له راية ، ومن ابتلى بنوعين من البلاء فصبر نصبت له رايتان ، ومن صبر على ثلاثة أنواع من البلاء نصبت له ثلاث رايات ، ومن ابتلى بأكثر نصب له أكثر ، ثم تأخذهم الملائكة ركبانا على النجائب والرايات بين أيديهم وهم سائرون إلى الجنة فينظر الناس إليهم ويقولون : هؤلاء هم الشهداء والأنبياء ، فتقول لهم الملائكة : والله ليس هؤلاء شهداء ولا أنبياء ولكن هؤلاء قوم من عوامّ الناس قد صبروا على شدائد الدنيا فنجوا فى هذا اليوم ، فيقول الناس ياليتنا قد وقعنا فى أشدّ البلاء وقرضت

في روض الحقائق والأسرار ، ويتنزه في حدائق لطائف الأفكار ، فاذا هبت عليه نسمات الأسحار اضطرب كونه وتغير لونه وهاج وجده ولحقه حال لايدركه إلا أرباب الأحوال فسئل عن ذلك ، فقال لوتنشقون في السحر ماأنشق لشغلتم عن دنياكم ولهدتم لأخراكم ، ولسان حاله يقول :

لكم مهجتي والروح والجسم والقلب ... وكلي لكم ملك وإني بكم صبّ
وأنتم أحبائي على كل حالة ... فيافرحي إن صح لي فيكم الحب
نأيتم فعيني دمعها متواصل ... عليكم وقلبي لايفارقه الكرب
وكم أتمنى أن أسير اليكم ... فيمنعني حظي وماتنفع الكتب
وأشتاق وادي الرقمتين لأجلكم ... وقلبي إلى وادي قبا والنقا يصبو
متى أنظر الأعلام من نحو أرضكم ... وقد ظهرت تلك المعالم والكتب
ويطربني نوح الحمام على الربى ... وبان الحمى الأثل والمنزل الرحب
متى تجمع الأيام شملي برامة ... وأنظر من أهوى وقد زالت الحجب
وإني لمشتاق الى قبر أحمد ... نبيّ اليه ترحل العجم والعرب
هو القرشيّ الهاشمي الذي له ... مناقب فضل لاتبيد ولاتخبو
ولولاه كان الناس في الغي والعمى ... ولكن هداه قد حبانا به الرب
عليه سلام الله مالاح بارق ... وماهتفت ورق وماهطلت سحب
وعمّ جميع الآل والصحب كلهم ... سلام ففيهم دائما وجب الحب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

المجلس التاسع والثلاثون

في مناقب الإمام مالك رضي الله عنه

الحمد لله الذي جعل العلم للعلماء سببا ، وأغناهم به وإن عدموا مالا ونسبا ، ولأجله فاز إدريس عليه السلام بالجنة ورفعه الله واجتبى ، ولطلبه قام الكليم ويوشع وانتصبا فسارا إلى أن لقيا في سفرهما نصبا (إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا ، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى ، واستخرج من ذريته قبائل وشعبا ، وأجرى عليهم قلم القضاء وجعل لكل شيء سببا ، وفق أهل العلم بعنايته فقاموا في خدمته رغبا ورهبا ، وفقههم وعرفهم أحكامه فأحرزوا به مزايا ورتبا ، وجعلهم في الدنيا كالأعلام وهداة للأنام فاكتسبوا به مجدا وأدبا ، وقذف في قلوبهم أنوارا يرون بها من المشكلات ما كان بعيدا محتجبا ، وكساهم به عزا وجلالة وسمتا ومهابة فغدا كل منهم مكرما ومجتبى ، وأذاقهم حلاوة أحكامه فما وجدوا في سفر طلبه تعبا ، فاذا وفدوا اليه في القيامة ألبسهم تيجان الكرامة وناداهم أهلا وسهلا ومرحبا :

تقدّم وقدم في الهوى النفس إن ترد ... رضاهم إذا أحببت منهم تقربا
ولاتخش من طعن القنا إن أردتهم ... ورمت تلاقيهم فلاتخف الظبا
هم العلماء المخلصون لربهم ... فخذ واقتبس منهم وكن متأدبا
فان كنت أهلا حزت كل فضيلة ... ونلت مقاما في الأنام ومنصبا
وساعدك الرحمن منه بفضله ... وصار لك الدين الحنيفيّ مذهبا

لحومنا بالمقاريض فكان لنا مع هؤلاء نصيب . فاذا وصلوا الى باب الجنة قرعوا بابها فيجيء رضوان فيقول من هذا ؟ فتقول الملائكة لرضوان افتح فيقول لهم في أي وقت حوسبوا هؤلاء وخلصوا وبعض الناس قيام من التراب وإلى الآن مانشر الحق عزّ وجل ديوانا ولانصب ميزانا ؟ . فتقول الملائكة هؤلاء الصابرون ، ليس عليهم حساب افتح لهم يارضوان أبواب الجنان ليقعدوا في قصورهم آمنين ، فعند ذلك يفتح لهم رضوان الجنة فيدخلون إلى منازلهم فتتلقاهم الخدم بالفرح والسرور والتهليل والتكبير فيجلسون على شرف الجنة خمسمائة عام يتفرجون على حساب الخلق حتى يفرغوا من الحساب ، فطوبى للصابرين قالوا يارسول الله : ماالذي يثقل الميزان ؟ قال الصبر ، فكل من كان صبره أكثر كان صراطه أعرض » .

أحمده حمدا أتخذه للنجاة سببا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعتز بها طربا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته البررة النجبا ، صلاة وسلاما دائمين ماهطلت السماء بوبلها وأبدت سحبا

[روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الأنساب] أن الإمام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى رضى الله عنه : كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر ، وقام الدين واشتهر ، ومنها فتحت البلاد ، وتواصلت الأمداد ، وسمى عالم المدينة ، وانتشر علمه فى الأمصار واشتهر فى سائر الأقطار ، وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس اليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، فاحتاج أشياخه اليه وعاش قريبا من تسعين سنة ، ومكث يفتى الناس ويعلمهم نحوا من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث ، وروى عنه من الأئمة المشهورين والعلماء المذكورين محمد بن شهاب الزهرى إمام السنة ، وربيعة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وموسى بن عقبة ، وهؤلاء كلهم أشياخه ورووا عنه ، وتأول فيه التابعون وتابعوهم أنه العالم الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة » ، وفى حديث آخر « ليس على ظهر الدنيا أعلم منه ، فتضرب اليه أكباد الإبل » ، وفى حديث آخر « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » قال ابن عيينة كانوا يرونه مالكا . وقال عبد الرزاق كنا نرى أن مالكا لايعرف بهذا الاسم غيره ولاضربت أكباد الإبل الى أحد مثل ماضربت إليه . قال أبو مصعب : كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم . وقال يحيى بن شعبة . دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لايتكلم أحد منهم هيبة له ولايفتى أحد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم غمزنى أصحابه فسكت . وقال مالك رضى الله عنه : ماجلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شيخا من أهل العلم إنى مستحق لذلك . وقال حماد بن زيد لرجل جاءه فى مسئلة اختلف الناس فيها ياأخى إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واصغ الى قوله فانه حجة : مالك بن أنس إمام الناس . وقال حماد بن سلمة : لو قيل لى اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماما يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك موضعا وأهلا ورأيت ذلك صلاحا للأمة . وقال الليث بن سعد : علم مالك علم تقى ، علم مالك أمان لمن أخذ به من الأنام ، وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول إنما أقتدى فى دينى برجلين مالك فى علمه وسليمان بن القاسم فى ورعه فلله درهم نصبوا أنفسهم لنفع الناس فعبقت بأنفاسهم الأكوان واجتهدوا فى طلب العلم فوفقهم الرحمن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماسلك عبد طريقا الى العلم إلا سهل الله له طريقا الى الجنة ، ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولو أن عابدا مات فى الإسلام ماتنقص من الإسلام إلا شخصه ، ولو أن عالما مات لفقده أمة من الناس ، ومانقص عالم من الأرض إلا ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها أحد مااختلف الليل والنهار ، ألا وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، ولمداد جرت به أقلام العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء وليودن رجال قتلوا فى سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء لما يرون من فضل أهل العلم ، فمن أصاب علما فقد أصاب خيرى الدنيا والآخرة ومن آذاهم فقد بارز الله تعالى بالمحاربة » :

عليك بعلم الفقه فى الدين إنه ... سيرفع فاستدركه قبل صعوده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس كل الناس يجدون صراطا أرق من الشعرة وأحد من السيف ، مايجد الصراط على هذه الحالة إلا الهالكون إنما الناس يجدون الصراط على قدر أعمالهم منهم من يجده على عرض جزيرة ، ومنهم من يجده على عرض ذراع ، ومنهم من يجده عرض أربع أصابع على مقدار صبرهم على الشدائد وصبرهم على الطاعات . فمنهم من يجده أرق من الشعرة وأحد من السيف وذلك الذى لاصبر له ، ومن لاصبر له لادين له » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات الولد وعرجت الملائكة بروحه يقول الله عز وجل : ياملائكتى كيف تركتم أمتى وقد أخذتم ولدها وثمرة فؤادها وهو أعلم بذلك ، فيقولون ياربنا راضية ببلائك شاكرة لنعمائك ، فيقول الله سبحانه وتعالى : ابنوا لها بيتا من ذهب تحت عرشى

فمن نال منه غاية بلغ المنى وصار مجدّا فى بروج صعوده

[وقال محمد بن رمح رحمه الله] حججت مع أبى وأنا صبى لم أبلغ الحلم فنمت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج من قبره وهو متوكئ على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقمت فسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت: يارسول الله أين أنت ذاهب ؟ فقال أقيم لمالك الصراط المستقيم فانتهت فأتيت أنا وأبى فوجدت الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ ، وكان أوّل خروجه :

[وحدث محمد بن عبد الحكم] قال سمعت محمد بن أبى السرى العسقلانى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك . فقال صلى الله عليه وسلم إنى قد أوصيت الى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت له يارسول الله صلى الله عليك حدثنى بعلم أحدّث به عنك فقال إنى أوصيت الى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يارسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن السرى إنى قد أوصيت الى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطأ ، ألا وليس بعد كتاب الله ولاسنتى فى إجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به . وقال عتيق بن يعقوب الزبيرى رحمة الله عليه : قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه اليه البرمكى ، فقال أقرئه السلام وقل له يحمل الىّ الكتاب فيقرؤه علىّ ، فأتاه البرمكى فقال له أقرئه السلام وقل له إن العلم يزار ولايزور وإن العلم يؤتى ولايأتى فأتاه البرمكى فأخبره . وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت الى مالك بن أنس فى أمر فخالفك اعزم عليه فبينماهم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس ، فقال له الرشيد يا ابن أبى عامر أبعث اليك فتخالفنى ، فقال مالك : ياأمير المؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه ، قال « كنت أكتب الوحى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فكتبت (لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) ، وكان ابن أم مكتوم عند النبى صلى الله عليه وسلم . فقال يارسول الله إنى رجل ضرير ، وقد أنزل الله تعالى فى فضل الجهاد ماقد علمت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أدرى وقلمى رطب ماجف حتى ثقل فخذ النبى صلى الله عليه وسلم علىّ ثم أغمى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يازيد اكتب غير أولى الضرر » ياأمير المؤمنين حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة آلاف عام ألا ينبغى لى أن أعزه وأجله ؟ وإن الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع فلاتكن أنت أوّل من يضع عز العلم فيضع الله عزك . قال فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله ليسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمالك تقرؤه علىّ ؟ قال ياأمير المؤمنين ماقرأته على أحد منذ زمان قال الرشيد فيخرج الناس حتى أقرأه أنا عليك . فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهرون الرشيد : يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وانهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هرون الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه . وسئل مالك رضى الله عنه عن طلب العلم ؟ فقال حسن جميل ، ولكن انظر الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه . وكان رحمه الله فى تعظيم علم الدين مبالغا حتى إذا أراد أن يحدّث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدّث فقيل له فى ذلك . فقال أحبّ أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يكون تعظيم العلم ، فالعلماء إذا عظموا

وسموه بيت الصبر » ، وفى حديث آخر « سموه ببيت الحمد » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فقد واحدا من الولد وصبر على فقده كتب الله له عزّ وجل فى ميزانه من الأجر كوزن جبل أحد ، ومن فقد اثنين وصبر على فقدهما أعطاه الله نورا يسعى بين يديه ينوّر له فى ظلمة الموقف ، ومن فقد ثلاثة من الأولاد وصبر على فقدهم غلقت عنه أبواب النار إذا عبر عليها ، ومن صبر على فقد إحدى عينيه كان أوّل من ينظر إلى وجه الحق تبارك وتعالى ويخلع الله الخلع على أهل العمى وتنصب راياتهم قبل أهل البلاء جميعهم ، ومن صبر على فقد عينيه جميعا بنى الله له بيوتا تحت العرش فيها من الملك مالا يصفه الواصفون ، ومن صبر على الغسل والوضوء احتراسا على الصلاة كتب الله له بكل شعرة على جسده حسنة ويخلق الله

العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار فى قلوب الملوك ومن دونهم ، فيا أيها الطالب للعلم تواضع له ، فمن تواضع له تواضع لله ، ومن تواضع لله رفعه الله ، فان التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهورا للوجه كما قال (فامسحوا بوجوهكم منه) ياهذا دم على حضور مجلس العلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع . فاذا صار رجلا صبر على الفطام . واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنث العزم :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

فيا أيها الشاب جوهر نفسك بدراسة العلم وحلها بحلية العمل ، فان قبلت نصحى لم تصلح إلا لصدر سرير أولذروة منبر .

تعلم فليس المرء يحلق عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لاعلم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

[قيل] لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره فى البلاد حملت إليه الأموال لانتشار علمه فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها فى وجوه الخير موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول : ليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب عنه . وقال أيضا : ما كان رجل صادقا فى حديثه لايكذب إلا امتعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولاخرف . وقال عمر بن أبى سلمة رحمه الله : ماقرأت كتاب الجامع من موطأ مالك إلا أتانى آت فى المنام فقال لى هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا . وقيل إن مالكا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى متفكرا فى أى شىء يسمى به تأليفه ، قال فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال وطىء للناس هذا العلم فسمى كتابه الموطأ . وقال عبد الله بن المبارك : كنا عند مالك ، وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ، ولايقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا . قال نعم صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مصعب بن عبد الله رحمه الله : كان مالك إذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له فى ذلك ؟ فقال : لو رأيتم مارأيت لما أنكرتم ماترون . وكان يكره أن يحدث فى الطريق أووهو قائم أومستعجل ويقول : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الدراوردى رحمه الله : رأيت فى المنام أنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يعظ الناس إذ دخل عليه مالك فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال إلىّ إلىّ فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه من أصبعه فوضعه فى خنصر مالك رضى الله عنه فأولته العلم قد وضعه النبى صلى الله عليه وسلم إليه ، وكانت العلماء تقتدى بعلمه ، والأمراء تستضىء برأيه ، والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ، ويقول فلايسأل على دليل على قوله ، ويأتى بالجواب فلا يجسر أحد على مراجعته ، ولذلك قال فيه بعض محبيه :

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
لبس الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

هذه والله صفات العلماء الذين تبكى على فقدهم الأرض والسماء وترحم بهم العباد ، وتأمن بهم البلاد ؛ فهم العلماء الزهاد أهل الإخلاص والسداد حنت إليهم القلوب ، وانقادت إليهم النفوس ،

عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة وأجر تسبيحه له ، ومن صبر على أذى الناس كف الله عنه أذى جهنم ودخانها . وإن لجهنم بابا اسمه باب التشفى لايدخله إلا كل من شفى غضبه ، ومن لم يشف غضبه وترك حقه لله سبحانه وتعالى يغلق الله عنه ذلك الباب إذا عبر على الصراط وينقل الله سبحانه وتعالى حسنات من آذاه إلى كتابه وينقل ذنوبه إلى كتاب من آذاه ونعم الحاكم ، ومن صبر على فقد الأولاد الصغار وقال فى سبيل الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم تصلى عليه الملائكة ويرضى عنه الجبار جل جلاله ويجعل لله ذلك الولد الصغير ذخرا له على الحوض يسقيه يوم القيامة يوم العطش الأكبر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقوم الناس يوم القيامة من القبور جياعا عطشى ، فمن

وذلت لهم الصعاب وخضعت لهم الرؤوس ، فهم فى الأقطار كالأقمار والشموس ، لاجرم صار ذكرهم مدوّنا فى الطروس . وأما من تصنع بالرياء وعمل لأجل الدنيا وغرته أمانيه ، واشتهى أن يمدح بما ليس فيه فذاك من أهل الأذهان المعكوسة ، والأفكار المنكوسة إذا سمعوا مالاتدركه فهومهم ، وتقصر عنه علومهم فسدت أصولهم والتبس عليهم محصولهم فعملوا بالمعاصى فى صور الطاعات ، وجاءوا بالسيئات فى صفات الحسنات ، فخانوا فى العمل ، وخابوا فى الأمل ، وليس العجب من عامى بجهله قد اقترف ، وبذنبه قد اعترف ، فهو على هدف (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) وإنما العجب ممن يدعى العلوم ، ولطلب الدنيا يروم ، وهو عند الله ملوم ، وعند الناس مذموم ، ومن الأجر محروم ، فهؤلاء اتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، وجعلوا المواعظ فرجة وطربا يسمعون ولا يلقون للقول سمعا ، ويوعظون فلا يؤثر الوعظ فى قلوبهم صدعا ، ولا فى العيون دمعا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن سمعوا بدلوا وحرفوا ، وإن وزنوا أوكالوا بخسوا وطففوا ، هذا والله حرام شرعا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن تواجدوا فبغير عزم ، وإن جادلوا فبغير علم ، وإن سألوا فبغير فهم لاجرم أنهم بسيوف الجهل صرعى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) كان مالك رضى الله عنه كثير الصلاة والأذكار ، والأوراد فى الأسحار ، والدروس فى العلوم والتكرار ، فجاء مدحه على لسان النبى المختار ؛ فامدح مالك بذلك ، حتى سلك إليه أصعب المسالك ، واقتحم فى طلبه جميع المهالك ، وأنت أيها الغافل فى لجة الجهل بارك ، ولأوامر الربّ تارك :

واحرّ قلبى من العلوم ... من جاهل فى الورى ظلوم
لم يدر فيما ادعاه فرقا ... بين صحيح ولا سقيم
بذلت جهدى وحسن قصدى ... والصفو من قلبى السليم
غواص فكرى ببحر سرى ... يجتاب اللّر للفهيم *
واخيبة السعى إن لم يكن لى ... قصد سوى وجهك الكريم
وإن تكن هجرتى لشىء ... سواك ياخيبة القدوم
لله من خلقه خواص ... لهم خصوص من العموم
قد خصهم منه إذ حباهم ... بالفضل من جوده العميم
علومهم بالفهوم تقرا ... لابسطور ولا رقوم

[وعن الشافعى رضى الله عنه] قال : رأيت على باب مالك دواب من أفراس خرسان جاءته هدية ، وقيل من مصر ، مارأيت أحسن منها فقلت له ماأحسن هذه . فقال هى هدية منى إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها ؟ فقال إنى لأستحيى من الله أن أطأ تربة فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول : مالك رحمة لهذه الأمة . وقال أبو قدامة : مالك أحفظ أهل زمانه ، وقال أبو عبد الله المنتاب : حفظ مالك مائة ألف حديث . وقال الليث بن سعد : والله ماعلى وجه الأرض أحبّ إلىّ من مالك . وقال: اللهم زد من عمرى فى عمره . وكان الأوزاعى معظما لمالك ، وإذا ذكره يقول : قال عالم العلماء . قال عالم المدينة . قال مفتى الحرمين . وقال المثنى ابن سعيد القصير : سمعت مالكا يقول: مابتّ ليلة إلا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيها .

[فأما ذكر وفاته] فقال ابن القاسم رحمة الله عليه : كنا عند مالك فى مرضه الذى مات فيه فدخل ابن الدراوردى ، فقال ياأبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها منى ؟ فقال قل ، قال : رأيت رجلا ينزل من السماء عليه ثياب بيض وبيده سجل ينشره مابين السماء والأرض ثلاث مرات يقول :

كان له صيام تطوع فى أيام الحرّ فى الدنيا يبعث الله تعالى له موائد الطعام وشرابا من الجنة ويأتى صومه فيزاحم له الناس على الحوض ويملأ ويسقيه ، ومن كان له ولد وقد مات وهو دون البلوغ فيزاحم ويسقيه إن صبر على فقده ولم يسخط على الله عزّ وجل ويحاربه ، فان أطفال المسلمين كلهم حول الحوض مع الجوارى والغلمان وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأقداح من ذهب وهم يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من حارب الله عز وجل فى فقدهم لم يأذن الله لهم أن يسقوهم » ، وقد ورد فى الخبر الآخر « إن أطفال المسلمين يجتمعون فى موقف القيامة فيقول الله تعالى للملائكة : اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فتقول الخزنة مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا الجنة لاحساب عليكم ، فيقولون أين آباؤنا

هذه براءة لمالك من النار فبينا أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير ، فقال يا أبا عبد الله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا فسمعتها منه فقصّ عليه مثل ذلك ، فقال مالك : الله المستعان ماشاء الله كان ، وعن أبي زكريا قال : سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول : قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة رؤيا قلت : وماهى ؟ قالت رأيت قائلا يقول : مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذى مات فيه مالك .

[وقال يونس بن عبد الأعلى] سمعت بشر بن بكر يقول : رأيت الأوزاعى فى المنام مع جماعة من العلماء فى الجنة . فقلت له أين مالك ؟ فقيل رفع . قلت بماذا ؟ قال بصدقه . ورأى بعض الصالحين مالكا بعد موته فى المنام ، فقال له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى ، قال بماذا ؟ قال بكلمة سمعتها من عثمان أنه كان إذا رأى ميتا يقول : الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم ، سبحان الحىّ الذى لايموت ، فأدمت قولها فأدخلنى الله الجنة .

[وقال عبد العزيز] توفى مالك رضى الله عنه لعشرة أيام خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، ومرض يوم الأحد ، ومات يوم الأحد ، وعاش تسعين سنة ، وأوصى أن يكفن فى بعض ثيابه ، ويصلى عليه بموضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس ، فمن ذلك ابن عياش وهاشم وابن كنانة ، وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ، ونزل جماعة فى قبره وأنشد أبو عمار الأرجوانى فى مالك ، وفى موطئه :

لقد بان للناس الهدى غير أنهم ... غدوا بجلابيب الهوى قد تجلببوا
فلو أحدثت فى بلدة الصين بدعة ... رأيت إليها السفن فى البحر تركب
فمن رام أن ينجو بمهجة نفسه ... فلا يعد ماتحوى من العلم يثرب
أتترك دارا كان بين بيوتها ... يروح ويغدو جبرئيل المقرب
وكان رسول الله فيها وبعده ... بسنته أصحابه قد تأدبوا
وفرق سبل العلم فى تابعيهم ... فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح فى المجس وأجرب
فأبرى بتصحيح الرواية داءه ... وتصحيحها عنه دواء مجرب
ولم يؤت هذا العلم من غير أهله ... وفى قلة التمييز بالعلم معطب
أيا طالبا للعلم إن كنت طالبا ... حقيقة علم الدين محضا وترغب
فبادر موطأ مالك قبل فوته ... فما بعده إن فات للعلم مطلب
ودع للموطأ كل علم تريده ... فان الموطأ الشمس والعلم كوكب
هو الحق عند الله بعد كتابه ... وفيه لسان الصدق بالحق معرب
هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ... ولم لايطيب الفرع والأصل طيب
لقد أعربت آثاره بثباتها ... فما أنّ لها فى العالمين مكذب
ومما به أهل الحجاز تفاخروا ... بأن الموطأ فى العراق محبب
وكل كتاب بالعراق مؤلف ... تراه بآثار الموطأ يعصب
ومن لم يكن هذا الموطا ببيته ... فذاك من التوفيق بيت مخيب
ولو بالموطا يعمل الناس كلهم ... لأمسوا ومامنهم على الأرض مذنب
جزى الله عنا فى الموطأ مالكا ... بأفضل مايجزى اللبيب المهذب

وأمهاتنا؟ فتقول لهم الخزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأن عليهم ذنوبا ومطالبة وسيئات فهم يحاسبون ويطالبون بها . فيقولون قد صبروا على فقد نا رجاء للثواب عند ذلك اليوم فما تردّ عليهم الخزنة جوابا ، قال فيقفون على باب الجنة ويصيحون صيحة واحدة فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة وهو أعلم ماهذه الصيحة ؟ فيقولون : يارينا هذه أطفال المسلمين قد قالوا : لاندخل الجنة إلا مع آبائنا وأمهاتنا ، فيقول الله سبحانه وتعالى ليدخل الجميع فتأخذ الأطفال بأيدى آبائهم وأمهاتهم فيدخلون الجنة » فطوبى للصابرين ، وياخيبة للجازعين القليلين الصبر على مايفوتهم من الأجر . وفقنا الله وإياكم لمايرضيه ، وجنبنا وإياكم السخط بما يقضيه ، وجعلنا وإياكم ممن يحبه ويواليه بفضله وامتنانه (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

فقد جاد بالاحسان فى كل ماروى ... كذا فعل من يخشى الإله ويرغب
لقد رفع الرحمن بالعلم قدره ... غلاما وكهلا ثم إذ هو أشيب
لقد فاق أهل العلم شرقا ومغربا ... فأضحت به الأمثال فى الناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية ... وإذ كان يرضى فى الإله ويغضب
فلا زال يسقى قبره كل عارض ... من العفو إذا يهمى عليه ويسكب
ويسقى قبورا جاورته كسقيه ... فيصبح فيها نبتها وهو معشب
وما فيه بخل إذ سقاهم بسقيه ... ولكن حق العلم أولى وأوجب

ولما بلغ أهل العراق موت مالك ارتجت له العراق وعظمت مصيبتهم بموته ، وقال رجل لسفيان ابن عيينة يا أبا محمد رجل أراد أن يسأل عن مسألة رجلا من أهل العلم يكون له حجة بينه وبين الله تعالى . فقال مالك ممن يجعله الرجل حجة بينه وبين الله تعالى ، فقيل له قد مضى مالك ؟ فقال هيهات ذهب الناس .

[وأما زهده فى الدنيا] فقد كان زاهدا فيها راغبا فى الآخرة مجتهدا فى العلم ونصيحته المؤمنين . وسأله المهدى أمير المؤمنين ، وقال له هل لك دار ؟ فقال لا ولكن أحدّثك : سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول نسب المرء داره . وسأله الرشيد هل لك دار ؟ قال لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له اشتر لك بها دارا فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد . قال له ينبغى لك أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، لأن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم ، وقد قال رسول لله صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ، وقال « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد » وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها ، يعنى أنك إنما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدى من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فانى لا أوثر الدنيا ومافيها على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم .

[وقال بعض الصالحين] رأيت فى النوم أنى دخلت الجنة فرأيت فى وسطها عمودا من نور ورأيت أربعة يجرّونه بأربعة سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقلت بالله العجب لو جرّه هؤلاء من جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك . فقال لى هذا العمود هو دين الاسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرّونه هم أئمة الاسلام الشافعى وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضى الله عنهم أجمعين فاتفاقهم فرض ، وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين :

هم الفقهاء والعلماء حقا ... وعنهم فى البرايا فاروو ذكرا ... وهم أهل التقى والدين فاعلم
وعنهم فاستمع خبرا وخبرا ... فهم أهل الهداية حيث كانوا ... ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
بهم تحمى البلاد ومن عليها ... من أسباب الردى برّا وبحرا ... فكل منهمو فى الخلق أضحى
لقلب الحائر المسكين جبرا ... إذا وافاهم المضنى فيشفى ... وان مرّ السقيم بهم فيبرا
وان وافى الفقير إلى حماهم ... تراه بنيل فضل العلم يثرى ... وان نامت عيون الخلق قاموا
يراعون الدجى سهرا وفكرا ... فهم فى الليل فى استغراق فكر ... إذا اضطجعوا ومايخشون نكرا
وجدوا فى تصانيف اليها ... تشد رحال أهل الأرض طرا ... فذكرهمو يعطر كل أرض
ونشرهمو طيب المسك أزرى ... فان وجدوا فللدنيا ابتهاج ... وان فقدوا أعيد العيش مرا

الباب السابع
فى عقوبة مانع الزكاة
قال الله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال الله عز وجل (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المسلم إذا ملك نصابا وهو عشرون مثقالا من الذهب لزمه أن يزكيه بنصف مثقال ، ومن ملك من الفضة مائتى درهم يلزمه زكاتها حيث تبقى سنة فى يده ، فإذا دار عليها الحول وجبت فيها الزكاة ، فان لم يزكها صارت كلها مسامير من نار ، قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) »

وكلمهو

وكلهمو بدين الله حقا وسنة أحمد المختار أدرى أجل العالمين رسول صدق
به الرحمن جنح الليل أسرى هو الهادى البشير ومن هدانا لدين قد سما شرفا وقدرا
شفاعته لأرباب الخطايا رأوها عند رب العرش ذخرا
عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأقطار نشرا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المجلس الأربعون

فى مناقب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

الحمد لله الذى أوضح الطريق إلى معرفته لكل سالك ، توحد بالكبرياء والعظمة والممالك ، إله لاوزير له ولا صاحبة ولا مشارك ، صمد ليس بجسم ولاجوهر ولاعرض ولا فان ولا هالك ، يعلم ما كان ومايكون ومايخطر ومالك ، نصير يبصر أغذية الجنين من البطون فى ظلمة الأحشاء فى سواد الليل الحالك ، سميع يسمع دعاء كل داع وماتتحرك به شفتاك من ألفاظك وأقوالك ، مريد لما كان من خير وشر ومايكون بعد ذلك ، استوى على العرش كما قال لا كما يخطر ببالك ، لاينزول ولا بحركة ولا انتقال ومهما خطر فى النفس كان الله بخلاف ذلك ، فهذا اعتقاد البشر وهو الذى اتفق عليه أبو حنيفة وأحمد والشافعى ومالك ، فقم أيها العاصى ، وتذلل لمالك النواصى ، وأقبل بافتقارك واشك حالك إليه فهو أعلم بحالك ، أحمده على السراء والضراء وأشكره فى الشدة والرخاء ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ذو العزة والبقاء ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أبى بكر وعمر وعثمان وعلى السادة الأتقياء .

[قال إدريس الحداد] كان الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنه صاحب رواية فى الحديث ليس فى زمانه مثله :

وأحمد المعروف فى كل مشهد وقد رفع الله العظيم له قدرا
وآتاه علما فى الورى ومهابة وجاد عليه بالكرامة فى الأخرى

وكانت له حالة الصالحين وشعار المؤمنين . قال : وكان له على ولده عبدالله رغيف خبز وشىء من الأدم ، فلما ولى ولده القضاء امتنع عن قبول الرغيف ، وقال والله لا آكل له طعاما أبدا . وكان كما قال إلى أن مات ، وقال إدريس الحداد : مارأيت أحمد قط إلا مصليا أو يقرأ فى المصحف أو كتاب ، مارأيته فى شىء من أمور الدنيا . قال وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليوم واليومين والثلاث لايأكل شيئا إذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان .

[وقال المروزى] لما حبس أحمد بن حنبل فى سجن الواثق على أن يقول إن القرآن مخلوق جاءه السجان يوما ، فقال له : يا أبا عبد الله الحديث الذى يروى فى الظلمة وأعوانهم صحيح ؟ قال صحيح قال السجان فانى من أعوان الظلمة قال لاقال وكيف ذلك ؟ قال لأن أعوان الظلمة الذى يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك وأما أنت فمن الظلمة . قال إدريس الحداد : لما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيرا فجعل عمه إسحاق يحسب ماورده فى ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار ، فقال له أحمد يا عم أراك مشغولا بحساب مالايفيدك . فقال له قد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج إلى حبة . قال ياعم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه . وقال على بن سعيد الرازى : سرنا مع أحمد بن حنبل يوما إلى باب المتوكل ، فلما أدخلوه من باب الخاصة . قال لنا أحمد انصرفوا عافاكم الله فما مرض

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك نصابا ولم يزكه جاء يوم القيامة فى صفة ثعبان عيناه تتقدان نارا وأسنانه من حديد فيجرى خلف مانع الزكاة فيقول له أعطنى يمينك البخيلة حتى أقطعها فيهرب مانع الزكاة فيقول له وأين المهرب من الذنوب ؟ فيلحقه ويقطع يمينه بأسنانه ويلمها ثم تعود كما كانت ، ثم يقطع اليسرى ، وكلما قطع بأسنانه صاح صيحة من لوجع فيرتعد منه أهل الموقف ثم لايبرح يأكل يده ويقطعها وهى تعود حتى يقف بين يدى ربه مقطوع اليدين فيحاسبه حسابا شديدا ، ثم يأمر به إلى النار فيقول من أنت ؟ فيقول أنا مالك الذى بخلت بزكاتى صرت عدوك اليوم فأنا أعذبك إلى الأبد إلى أن يعفو الله عنك ويسامحك الفقراء فيكبه على رأسه فى النار » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده مامن أحد ملك غ

منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه. وقال هلال بن العلاء : أربعة لهم على الاسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القرآن ، وأبو عبد الله الشافعى حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة ، وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم. وقال محمد بن موسى : حمل إلى الحسين بن عبد العزيز ميراثه من مصر وكان مبلغا عظيما فحمل منه إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار . وقال له يا أبا عبد الله استعن به على عيالك ، فقال لا حاجة لى بها أنا فى كفاية من الله تعالى وردها عليه ، وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل كان أبى يقرأ كل ليلة سبع القرآن ويختم فى كل سبعة أيام ختمة ثم يقوم إلى الصباح . وكان يصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة . فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلى فى كل يوم مائة وخمسين ركعة . وكان له فى الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات . قال وكان ذات يوم جالسا عند الشافعى فمرّ بهما شيبان الراعى عليه مدرعة صوف ، فقال أحمد للشافعى يا أبا عبد الله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله ؟. فقال له الشافعى لاتفعل دعه فى شأنه . فقال أحمد لابدّ ثم إنه استحضر شيبان وقال له ياشيبان ماتقول فى رجل نسى صلاة من يوم لايدرى أىّ صلاة هى ما الواجب عليه أن يفعل ؟ فقال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل : الواجب عليه أن يؤدب حتى لايرجع إلى مثلها أبدا ، ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردّا علىّ قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف . وقال إدريس كان أحمد لايلبس ثوبا مكفوفا بل كان يشلله ويقور وسطه ويتركه فى رأسه ويقول هذا لمن يموت كثير . قال وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض ويقول هذا والله هو الحلال الذى ليس له حساب ولا تبعة . قال وكان يوما جالسا وعنده جماعة نساء من أصحابه فجاءت إليه امرأة . وقالت له ياسيدى إننا جماعة نساء نقعد على سطوحنا بقطن الغزل فيمرّ بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن نغزل فى ضوئها وشعاعها ، فقال لها أحمد من أنت ؟ فقالت له أنا أخت بشر الحافى ، فقال لها أحمد من بيتكم خرج الورع لاتغزلى فى ضوئها . وقال ادريس الحداد لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلا كان معه فدفعه إلى بعض البقالين رهنا على شىء يأخذه . فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ماكان له وطلب السطل . فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة . وقال قد اشتبه علىّ سطلك فخذ أيهما شئت . فقال أحمد وأنا أشكل علىّ أيهما لى والله لا أخذته ، فقال البقال وأنا لا أتركه أبدا فاتفقا على بيعه والتصدق به . قال وكان إذا شهد جنازة لم يفطر ذلك اليوم ولم ينم تلك الليلة وكان إذا رأى قبرا يصرخ كما تصرخ الثكلى قال وخرج يوما من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه ، فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وحلف أن لايخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحدا . وكان إذا وقعت الحادثة أو المسألة لايكتبها حتى يوردها على الفقهاء فان وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله قال وكان من زهده وورعه إذا جف القلم بيده مسحه فى رأسه ولم يمسحه فى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال ان هذا مداد أثر العلم فلا أضعه فى خرقة لعلها ترمى فى نجاسة . وقال محمد بن موسى ولد أحمد بن حنبل فى سنة أربع وستين ومائة ومات وهو ابن سبع وسبعين سنة ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة وحشر الناس لجنازته وصلى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر وحسبوا من صلى عليه ذلك اليوم وحضر جنازته فكانوا ثمانمائة ألف رجل وستين ألف امرأة ومسح الموضع الذى صلى عليه فيه فكان أربعا وستين جريبا مكسرة وجلس المتوكل ، وقيل الواثق وأمر القواد والخاصة أن يعزّوه

أو بقرا أو إبلا فلم يزكها إلا جاءت يوم القيامة أقوى ماكانت فى دار الدنيا لها قرون من نار فتنطحه بقرونها وتدوسه بأظفارها حتى تشق بطنه وتقصف ظهره وهو يستغيث فلا يغاث ، ثم تصير سباعا وذئابا تعاقبه فى النار » وقال بعض السادة : كنت فى شبابى جاهلا أمنع الزكاة فكانت لى غنم ماكنت أخرج زكاتها فجاءنى ذات يوم فقير فشكا لى من الحاجة والضرورة فأعطيته منها كبشا فنمت تلك الليلة فرأيت فى المنام كأن الغنم جميعها قد أقبلت تهمّ علىّ وتنطحنى وأنا أبكى ولا أقدر على الهرب ولا أجد مغيثا فجاء ذلك الكبش الذى تصدّقت به على الفقير فبقى يردهم عنى كلما جاء كبش منهم ينطحنى يقوم ذلك الكبش وينطحه ويرده عنى فغلبوه لكثرتهم وهو بمفرده وكادوا أن يهلكونى فانتبهت ، وقد انقطع قلبى من الفزع فقلت والله

قال وكان أحمد بن حنبل أزهد أهل زمانه وأورعهم وأفقههم وأتقاهم وأعرفهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بصحيحها من سقيمها وأعلم برجال الحديث والصادق منهم والمنتحل وقد روى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفا . وقد روى أنه لما ضرب وجرى عليه ماجرى وثبت إلى المحنة حبيبه ذلك إلى أهل الشرق والغرب ، ولم يزل أحمد بن حنبل بعد ذلك فى رفعة وعلوّ وزيادة فى أعين الناس حتى إذا رأوه كأنهم رأوا أسدا . قال ودخل عليه مجاهد فى مرضه الذى مات فيه وهو يجود بنفسه فبكى وقال له يا أبا عبد الله أوصنى فأشار إلى لسانه وقال (لمثل هذا فليعمل العاملون) ثم مات رحمة الله عليه :

وللحافظ المعروف بالحفظ والتقى ... فخار فيالله فخر ابن حنبل
هو العالم المضروب ظلما ولم يحل ... عن الحق يوما من عذاب به بلى
رأى الله رب العرش تسعين مرة ... وتسع مرار هكذا صح فانقل
وقال لئن أكملتها مائة لأسألن ... وقد كان الذى فيه يأتلى
ولم يدخر قوتا سوى قوت يومه ... وكان له فى الله خير توكل .
لقد فك منه عند ضرب لباسه ... ولم تبد عورات لما منه قد تلى
فهذا الذى قلناه من بعد ماجرى ... تلخص قولا من كلام مطول
فهم علماء المسلمين وذكرهم ... إلى آخر الدنيا بغير تحزل
سقى الله رب العرش منهم مضاجعا ... كما قمعوا عن دينه كل مبطل
وأدوا عن الله المهيمن دينه ... بأحسن أسلوب وأحلى تسلسل
إلهى كما أرشدتنا لطريقهم ... علينا إله الحق عفوك أنزل
ومن فتن الدنيا أجرنا تكرما ... ومن كل هول فى المعاد مهول

وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم تسلما .

المجلس الحادى والأربعون

فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى رفع السماء بقدرته ، وأدار دوائر الأفلاك وبسط الأرض بمشيئته ، ومهدها للسلاك ، وسخر الفلك ومهد الملك ، ودبر الأملاك ، الحىّ القيوم الذى لاتأخذه سنة ولانوم الذى خلق الموت والحياة ، وقدر النجاة والهلاك القديم الخلاق ، الذى له الخلق والأمر ، وبيده الاطلاق والإمساك ، الذى أنشأ اللوح والقلم ، وعلم الانسان مالم يعلم ، ووهب له العقل الكامل والفهم والادراك ، منقذ الغرقى من لجج البحار بعد معاينة الأخطار والهلاك ، ومنجى الهلكى بعد انقطاع الحيل والاستدراك ، ومطلق الأسرى من القيود الشديدة الوثاق ، ومسعفهم بالاطلاق والفكاك ، الغنى عن العباد بأمرهم بالطاعة والايمان ، ولايرضى لهم الكفر والاشراك ، الذى لاتنفعه الطاعة ، ولاتضره المعصية ، وانما يأمرك أيها العاصى بطاعته وعن معصيته ينهاك ، ليريك بعين يقينك ويبين لك أمر دينك ودنياك ، فراقبه واتقه واحذر من معاصيه فإن لم تكن تراه فانه يراك وحافظ على الصلوات التى بها أمرك وأوصاك ، وقف بين يديه فى الأسحار بالذلة والانكسار وقد جاد عليك بنعمه الغزار وبلغك مقصودك ومناك ، أما حفظك فى ظلمات الأحشاء وبلطفه غذاك ، أما أخرجك ضعيفا وجعل لك رزقا وقوّاك ، أما أحسن منشاك ومرباك ، أما أعزك وأكرم مثواك ، أما ألهمك رشدك وتقواك ، أما وهب لك العقل وإلى الإيمان هداك ، أما خوّلك فى نعمه وأعطاك ،

لأجعلنّ أتباعك كثيرة فتصدقت بثلثى غنمى وتبت من منع الزكاة ، ولقد رأيت عجبا من الذى تصدقت به ومن عداوة الباقى معى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مكتوب على باب الجنة أنت حرام على البخيل ومانع الزكاة والديوث ، قيل يا رسول الله وما الديوث ؟ قال الذى يعلم القبيح على أهله ويسكت » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أدّى زكاة ماله تاما وافيا بطيب نفس سمى فى سماء الدنيا كريما وفى الثانية جوادا وفى الثالثة مطيعا ، وفى الرابعة سخيا وفى الخامسة مقبولا وفى السادسة محفوظا ، وفى السابعة مغفورا له ذنوبه وعلى العرش حبيب الله ، فمن لم يؤد زكاة ماله يسمى فى سماء الدنيا بخيلا ، وفى الثانية شحيحا ، وفى الثالثة ممسكا ، وفى الرابعة مفتونا وفى الخامسة عاصيا ، وفى السادسة منوعا منزوع البركة لاحظ له فى مال ولا فى برّ وفى السابعة مطرودا

أما أمرك بطاعته ووصاك ، أما حذرك عن معصيته ونهاك ، أما دعاك إلى بابه وناداك ، أما أيقظك فى السحر بلطيف خطابه وناجاك ، أما وعدك بالفوز والجزاء فى أخراك ، أما سألته ودعوته فأجاب سؤالك ودعاك ، أما استغثت به فى الشدائد فأغاثك منها ونجاك ، أما عصيته فستر بذيل حلمه وغطاك ، أما أغضبته مرارا وأرضاك ، أفيستحق منك أن تبارزه بذنوبك وخطاياك ، ويمدك برزقه وتمد إلى معصيته خطاك ، وتستخفى من الناس ولا تستخفى من الله وقد شاهدك ورآك ، إلى متى أنت غريق فى بحر غيك وهواك ، ان أردت النجاة فاركب سفينة الندم واقلع بريح التوبة إلى مولاك ، وألق نفسك إلى ساحل الاخلاص وقد جاد عليك بالخلاص ونجاك .

[كان وكان]

يامن يعاهد وينكث ... خف من إلهك واستحى ... واذكر هجوم المنايا
فما المراد سواك ... إلى متى أنت غافل ... تنسى مصيرك فى الثرى
وأنت فى اللحد وحدك ... وقد جفاك أخاك ... إن كنت عاصى مثلى
وافق وقم وابكى معى ... على الذنوب والخطايا ... عسى تنال مناك
عند استماع الملاهى ... تحضر بنية صادقه ... وفى صلاة توسوس
قل لى فمن أغواك ... احذر مصايد ذنوبك ... فكم رمت لك من شرك
تروم صيدك وكيدك ... وشقوتك وأذاك ... ويحك تنبه لنفسك
واعمل لما تلقى غدا ... إذا أتيت القيامه ... وقامت الأملاك
وقمت تقرأ كتابك ... خجلان من قبح الزلل ... وما كفى ذاك حتى
تشهد عليك أعضاك ... وان أتيت جهنم ... استقبلك زبانيه
وقال مالك مالك ... غفلت عن مولاك ... تذكر غرور الدنيا
وتذكر الذنب الردى ... لم لاسبقت بتوبة ... هذا العذاب يداك
كم كنت تجنى وتأمن ... ولم تخف ربّ السما ... هذا الذى قد لقيته
بما جنته يداك ... كم قد سمعت المواعظ ... تتلى وما عندك خبر
ولاجرت لك دمعة ... ويحك فما أقساك ... ان كنت أضمرت توبه
فهذه أوقاتها ... فانهض بعزم صادق ... وتب إلى مولاك
وقل إلهى إنى ... أخطأت فاغفر زلتى ... فمن يجبر العاصى
من الذنوب سواك ... وليس لى من وسيله ... إليك إلا المصطفى
ومن إليك رفعته ... دون الورى ورآك ... صلى عليه وسلم
رب السموات العلى ... وآله والصحابه ... السادة النساك

سبحان من نظر بعين اصطفائه إلى خاصة عبيده ، وجعل قلوبهم بيوت توحيده ، وسرائرهم مقرا تفريده ، وصدورهم مصادر ذكره وتمجيده ، فكلما طلع لهم من أفق التوفيق طالع ، أو لمع لهم من بروق التحقيق لامع ، انشرحت القلوب لذكر المحبوب ، فطاب لها المشروب وكشف لها المحجوب قال أبو يزيد رحمه الله : مازلت أسوق نفسى إلى الله تعالى وهى تبكى إلى أن سقتها إليه وهى تضحك فمن عرف الله ذلّ له كل شىء . وقال الأصمعى رحمه الله : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينا نحن سائرون ، إذ خرج علينا أسد عظيم الخلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق . فقلت لرجل إلى جانبى : أما فى هذا الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد؟ فقال

وصلاته مردودة لا تقبل بل يضرب بها وجهه »

وروى أن شابا حسن الوجه دخل على داود عليه السلام وهو عروس ليلة عرسه وملك الموت جالس عند سيدنا داود ليسلم عليه فقال: أتعرف هذا ياداود؟ قال نعم إنه شاب مؤمن يحبنى ومايحب أن يدخل بيته إلا إن جاء ينظرنى ويسلم علىّ فقال ملك الموت ياداود قد بقى من عمره ستة أيام فاغتمّ داود لذلك فبقى الشاب سبعة أشهر بعد ذلك اليوم ولم يمت فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال لملك الموت أنت قلت إنه ما بقى من عمر ذلك الشاب إلا ستة أيام قال نعم ولكنه لما انقضت الستة أيام مددت يدى لأقبض روحه قال الله سبحانه وتعالى : ياملك الموت خلّ عبدى فلانا فانه خرج فوجد فقيرا مضطرا فأعطاه من زكاته ففرح بها فدعا له بطول العمر وأن يجعله رفيق داود عليه السلام فى الجنة فرضيت عنه ،

أما رجل فلا أعرف ، لكننى أعرف امرأة ترده بغير سيف ، فقلت وأين هى ؟ فقام وقمت معه إلى هودج قريب منا ، فنادى يابنية انزلى فردى عنا هذا الأسد ؛ فقالت ياأبت أيطيق قلبك أن ينظر إلى الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ؟ ولكن ياأبت قل للأسد ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لاتأخذه سنة ولانوم إلا ماعدلت عن طريق القوم . قال الأصمعى : فوالله ما استتم كلامها حتى رأيت الأسد ذاهبا أمامها ، هذه والله دلائل الصالحين ، وهذه أمارات العارفين .

فاز قوم رقوا سماء المعالى ... باجتهاد لهم وحسن الفعال ... فبهم تدفع الخطوب عيانا
وبهم قد بدت شموس الجمال ... كل من لم تكن دعاويه حقا ... فضحته شواهد الأحوال
ويك ياقاصر العزيمة هذا ... مورد الأسد مرتع الأشبال ... ماوصال الحبيب سهل ولكن
إن ترد فابذل العزيز الغالى ... ياضعيف السلوك هذا طريق ... فيه دون الوصال حد النصال
فتجرد عن الدنا وتفرد ... ذاك زاد من خالص الأعمال ... ثم لابد من دليل بصير
ومعين على صروف الليالى ... فإذا خفت من إلهك خافت ... منك أسد الشرى مع الأبطال

[قال سعيد بن إسحاق البصرى رحمه الله] دخلت فى السحر الى بئر زمزم ، فاذا شيخ قد أتى البئر فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا هو سويق وسكر لم أذق قط أطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد فى السحر إلى بئر زمزم فاذا الشيخ قد دخل وملأ الدلو وشرب فشربت فضلته فاذا الماء مضروب بالعسل والطيب لم أذق أطيب منه ، ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب ، ثم عدت من الغد فى السحر الى بئر زمزم فاذا الشيخ قد دخل فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا لبن مضروب بالسكر لم أذق أطيب منه ، فقلت له ياشيخ بحرمة هذا البيت عليك من أنت ؟ قال أو تكتم ذلك حتى أموت ؟ قلت نعم . قال أنا سفيان الثورى :

بذكرك يارب الورى تتنعم ... فقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
ألست الذى قربت قوما فوافقوا ... ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا
وقلت استقيموا منة وتكرما ... فأنت الذى قومتهم فتقوموا
لهم فى الدجى أنس بذكرك دائما ... فهم فى الدياجى ساجدون وقوم
نظرت إليهم نظرة بتعطف ... فعاشوا بها والخلق سكرى ونوم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله ... وسامح وسلمنا فأنت المسلم

[قال أبو يوسف الغسلونى رحمه الله] كنت يوما جالسا بمسجد بالشام فدخل علىّ إبراهيم بن أدهم ، فقال لى : ياغسلونى لقد رأيت اليوم عجبا . قلت ماهو ياأبا إسحاق ؟ قال وقفت على قبر من هذه المقابر ، فانشق لى عن شيخ خضيب . فقال لى يا إبراهيم سل فان الله عز وجل قد أحيانى من أجلك . قلت له مافعل الله بك ؟ قال أتيت الله عزوجل بعمل قبيح ، فقال لى قد غفرت لك بثلاث : لقيتنى وأنت تحبّ من أحبّ ، ولقيتنى وليس فى صدرك مثقال ذرّة من شراب حرام ، ولقيتنى وأنت خضيب وأنا أستحى من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار . قال ثم التأم القبر على الشيخ . قال الغسلونى : قلت ياأبا إسحاق ألا توافقنى فى زيارة هذا القبر . فقال ويحك ياغسلونى عامل الله يرك العجائب ، واشتغل بحبه عن جميع الأجانب .

لو يعلم الناس عمن اشتغلوا ... لما تهنوا بما به اشتغلوا ... بالأهل جادوا وكل ماملكوا
والمال فى حبه وما بخلوا ... عاشوا وفازوا هم الملوك وإن ... ذلوا وإن أملقوا وإن خملوا
لله قوم بالروح قد سمحوا ... واستصغروا قدرها وماجهلوا ... ذاقوا مدام الهيام فيه ولم

وإنى قد كتبت له تلك الستة أيام ستين سنة وزدتها عشر سنين فلا تقبض روحه إلى انقضاء المدة وقد كتبته رفيق داود فى الجنة فسبحان الكريم الوهاب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل من السماء كل يوم اثنتان وسبعون لعنة منها واحدة على اليهود وأخرى على النصار وسبعون على مانع الزكاة وكل مال تؤدى زكاته فصاحبه حبيب الرحمن ، وإذا مات صاحبه ووقع فى يد الورثة زكوه أو لم يزكوه لم تزل الملائكة يكتبون حسناته لصاحبه الى يوم القيامة ، وكان ناجيا من عذاب القبر ومن عذاب النيران داخلا إلى الجنان ، وكل مال لاتؤدّى زكاته فهو خبيث وصاحبه خبيث ولايزال وزره يجرى على صاحبه إلى يوم القيامة ، ولو وقع عند من يزكيه من بعده ومامن عبد أدى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاءه عقد من

يحل لهم منزل ولا طلل وماتفانوا عن الوجود سدى إذهم على قصدهم لقد حصلوا

[قال الليث بن سعد رحمه الله] حججت فى بعض السنين . فلما أتيت مكة صليت العصر ثم طلعت الى جبل أبى قبيس فاذا أنا برجل جالس وهو يدعو ، فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم قال ياألله ياألله حتى انقطع نفسه ، ثم قال ياحى ياقيوم حتى انقطع نفسه ، ثم قال يارحمن يارحمن حتى انقطع نفسه ، ثم قال يأرحم الراحمين حتى انقطع نفسه . فلما فرغ قال : اللهم إنى أشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلق فأكسنى . قال الليث : فوالله ماستتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض عنب يومئذ وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك . فقال ولم ؟ فقلت لأنك لما دعوت كنت أنا أؤمن . فقال لى تقدم وسمّ الله تعالى وكل ولا تدخر منه شيئا فتقدمت فأكلت فاذا عنب لاعجم فيه لم آكل قط أطيب منه ، فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئا ثم قال لى خذ أحب البردين إليك . فقلت أما البردان فأنا غنىّ عنهما ، ثم قال لى توارعنى حتى ألبسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يديه ومضى فتبعته حتى أتى المسعى فلقيه رجل . فقال له اكسنى كساك الله يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفعهما إليه فلحقت الرجل . فقلت له من هذا يرحمك الله ؟ . قال هذا جعفر بن محمد ، قال الليث فطلبته فلم أجده فتأسفت على فراقه :

أسائل الشمس عنكم كلما طلعت وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
لو من دهرى على طرفى برؤيتكم لكان أحسن إذ مابيننا جمعا
لاتحسبوا أننى بالغير مشتغل إن الفؤاد لحبّ الغير ماوسعا
مالى سوى عفوكم ياسادتى كرما فالعبد فى حبكم ثوب الهوى خلعا
منوا عليه بعفو منكمو كرما فالذنب قطع منه قلبه قطعا

[قال أبو نصر الصياد] مرّ بى بشر الحافى رحمه الله وأنا على باب الجامع وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة ، فقال مالى أراك فى هذا الوقت ؟ قلت مافى البيت دقيق ولاخبز ولادرهم ولاشىء يباع ، فقال بالله المستعان احمل شبكتك وتعال إلى الخندق . قال فحملتها وذهبت معه ، فلما وصلنا الى الخندق ، قال لى توضأ وصلّ ركعتين ففعلت ، فقال سمّ الله تعالى وألق الشبكة ، فسميت الله تعالى وألقيتها فوقع فيها شىء ثقيل ، قال فجعلت أجرّه فصعب علىّ ، فقلت له ساعدنى وأعنى فانى أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجرّ الشبكة معى فاذا فيها سمكة هائلة ، فقال لى خذها وبعها واشتر بثمنها مصالح عيالك ، قال فحملتها إلى الباب فاستقبلنى رجل ، فقال بكم هذه السمكة ؟ فقلت بعشرة دراهم ، فقال اشتريت فوزن لى عشرة دراهم فاشتريت لأهلى مايحتاجون اليه ، ثم أخذت رقاقتين وجعلت فيهما من الحلوى وأتيت بهما إليه فطرقت الباب ، فقال من ؟ فقلت أبو نصر ، فقال افتح الباب وضع مامعك فى الدهليز وادخل ، قال فدخلت إليه وحدثته بما صنعت ، فقال الحمد لله على ذلك ، فقلت إنى هيأت للبيت شيئا ، وقد أكلوا وأكلت معهم ومعى رقاقتان فيهما حلوى ، فقال ياأبا نصر لوأطعمنا أنفسنا هذا ماخرج السمك ، اذهب فكله أنت وعيالك :

حاشاك ياذا الفضل والامتنان أخاف ضيقا وبك المستعان قد سودّ العصيان وجهى وقد
رحت أسير القلب رهن اللسان فمن مجيرى من ذنوب بها قد انقضى العمر وضاع الزمان
مالى سوى عفوك ياسيدى ومن رجا عفوك نال الأمان

[قال محمد بن أبى الحوارى رحمه الله] كان بالموصل رجل موله يسمى سعدون ، وكنت

نور فى رقبته يشرق ذلك النور على المؤمنين يوم القيامة حتى يمشى فى نوره على الصراط ويدخل به إلى الجنة ، وما من عبد منع زكاته إلا جاء ماله طوقا من نار فى عنقه لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لاحترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها ويبست بحارها » نعوذ بالله من سخط الرحمن ، ونسأل الله القبول والغفران والنجاة من النار آمين .

الباب الثامن
فى عقوبة قاتل النفس وقاطع الرحم

قال الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّله عذابا عظيما) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعظم الكبائر قتل النفس ، فمن قتل نفسه بسكين لم تزل الملائكة تطعنه بتلك السكين فى أودية جهنم إلى أبد الأبد وهو خالد فى النار وهو آيس من شفاعتى .

أحسن إليه فقلت يوما أخبرنى ما كان سبب توله‌ك ؟ فقال مررت يوما فى سياحتى لعلى أصادف من يجلو قلبى ويعرّفنى الطريق إلى ربى فرأيت رجلا راكبا على أسد خفت منه فنادانى أتخاف من مخلوق مثلك ؟ ثم طرد الأسد ومشى فتبعته وسلمت عليه فردّ علىّ السلام، فقلت له بالذى أعطاك هذه المنزلة والقرب لديه إلا مادللتنى على الطريق اليه ، فقال اجعل الدنيا لك سجنا والآخرة سكنا وحصنا وعوّد عينيك البكاء والسهر والزم الخدمة فى السحر وكن منه على حذر ، قلت سيدى زدنى . قال ياسعدون أنت عاقل أم مجنون؟ والله إذا عرفك الطريق إليه سخر لك الوجود وأذلّ لك الأسود ، قلت : سيدى بالذى أطلعك على الأسرار وملأ قلبك بالأنوار إلا ماأذنت لى أن أصحبك بقية هذا النهار ، فقال على شرط أن تكتم عنى ماتراه مادمت فى الحياة . فقال سمعا وطاعة ، فقال امض معى نحضر موت بعض الرجال فسار وسرت معه حتى أتى البحر ففرش رداءه وأمسك بيدى فجلسنا عليه حتى وصلنا إلى جزيرة فى وسط البحر فوجدنا رجلا ملقى على ظهره وهو يعالج الموت ، فلما قضى نحبه غسله وكفنه وصلينا عليه ودفناه مكانه فقلت له سيدى من يكون هذا الرجل وماسمه ؟ فقال هذا عبد الوهاب وهو من السبعة الأقطاب ، وقد أعطيت مكانه فهممت أن أسأله عن نفسه وعن اسمه فنهرنى ثم سار وتركنى فبكيت بكاء شديدا إذ صرت فى الجزيرة وحيدا فسمعت قراءة القرآن على القبر وأنا لاأرى أحدا فاستأنست بذلك وجلست عند القبر وأنا بين النائم واليقظان فرأيت الشيخ فى المنام على هيئة حسنة فقلت له ياسيدى بالذى جاد عليك بخلع القبول والرضا مااسم هذا الشخص الذى تركنى فى هذه الجزيرة وحيدا ومضى فقال هذا صاحب العلم الربانى عبد الله اليونانى ، وقد أعطى مكانى وفى غد يأتيك ويبلغك أمانيك ولكن إذ اجتمعت به قل له لاتنس العهد الذى بينك وبينه . قال سعدون : ثم انتبهت ، وقد طلع الفجر فتوضأت وصليت وقرأت شيئا من القرآن ورقت فلم أشعر إلا وصاحبى ينهنى فقبلت يديه واعتذرت اليه فأخذ بيدى ومشى إلى البحر الى أن وصلنا إلى البرّ . فلما هممت بالانصراف قال وأين وصية الشيخ ؟ فقلت ياسيدى قدعلمتها وهى العهد الذى بينك وبينه ، قال لك لاتنسه . فقال ما كنت بالناسى لعهده ، فقلت ياسيدى احملنى فى هذه ما كان العهد الذى بينك وبينه ؟ قل عهد إلىّ أن أزوره فى كل يوم ، فقلت : بالذى خصك بمعرفته وشرفك بمحبته زودنى بشىء أنتفع به فى الدنيا والآخرة . فقال اسلك سبيل الهدى ، وجانب أهل الغىّ والردى ، واقنع برزق اليوم ولاتهتمّ برزق غدا ، وعامل مولاك بالرضا ، والصبر على البلاء والقضا ثم تركنى ومضى . قال سعدون فهذا كان سبب توله‌ى عليه وشوقى اليه :

من عرف الله هام وجدا ... وجاء فى حبه مجدّا ... تملك الحب منه قلبا
صيره لالله عبدا ... فدمعه فيه ليس يرقا ... وقلبه منه ليس يهدا
يحسبه الجاهلون فيما ... يرونه جاهدا مكدا ... جانب كل الورى جميعا
وعاش فى العالمين فردا ... قد ألف الوحش لاتراه ... يلهو بعلوى ولا بسعدى
لكنه للحبيب عبد ... مشمرا جاء مستعدا ... إن كنت تبغى بهم لحوقا
فابذل لمولاك منه جهدا ... ولاتكن طامعا بفوز ... ولم ير الله منك كدّا
ولذ بجاه الذى ترقى ... الى السماء ثم زاد مجدا ... محمد المصطفى رسول
الى جميع الأنام فردا ... صلى عليه الإله حقا ... ماقصد القاصدون نجدا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا :

﴿فصل﴾ الحمد لله الذى قرب بعيدا وأبعد قريبا ، وأقصى عدوّا وأدنى حبيبا ، وأذل عاصيا وأعز

وإن ألقى نفسه من مكان عال حتى يموت فلا تبرح الملائكة تلقيه من شاهق عال إلى واد فى النار إلى أبد الأبد والقاتلون محبوسون فى آبار من نار ، وإن علق نفسه بحبل فمات فلا يزال معلقا فى جذوع من نار الى أبد الأبدى آيسا من رحمته عز وجل ، وإن قتل نفسه بغير حق فذلك هو الضلال المبين لاتبرح الملائكة تذبحه بسكاكين من نار كلما ذبحوه يسيل من حلقه دم أسود من قطران ثم يعود كما كان ثم يذبح ، هكذا تكون عقوبته الى أبد الأبد والقاتلون محبوسون فى آبار من نار خالدين فيها الى أبد الأبد» نعوذ بالله من ذلك ، وكذلك المرأة إذا طرحت نفسها . قال الله سبحانه وتعالى (وإذا الموءودة سئلت بأىّ ذنب قتلت) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأتى المطروح يوم القيامة وله صوت مثل صوت الرعد وهو يستغيث انا

طائعا منيبا ، الذى مادعاه داع إلا وكان بالتلبية مجيبا ، ولاسأله سائل إلا وأعطاه سؤله ووفر له من فضله نصيبا ، فيا أيها العاصى تذكر حلول رمسك وكن على نفسك رقيبا ، واعمل ليوم عرضك ومآلك مادام غصن شبابك غضا رطيبا ، فإلى متى أنت سقيم بداء زلتك ولاتجد لعلتك شافيا ولاطبيبا ، انهض فى ظلم الدياجى وناج من لم يزل سميعا قريبا ، وتضرع بين يدى مولاك وكن فى دنياك غريبا والتجىء إلى ظل رحمته مساء وصباحا وقف على بابه تجده بابا مباحا وجنابا رحيبا ، وناد فى الأسحار بلسان الاعتذار وقل مقالة من أصبح على ذنوبه حزينا كئيبا :

أنا العبد الذى كسب الذنوبا ... وصدّته المعاصى أن يتوبا ... أنا العبد الذى أضحى حزينا
على زلاته دنفا كئيبا ... أنا العبد الذى سطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسىء عصيت ربى ... فمالى الآن لا أبدى النحيبا ... أنا العبد المفرط ضاع عمرى
ولم أرع الشبيبة والمشيبا ... أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخالف عن أناس ... حووا من كل معروف نصيبا ... أنا العبد الشريد ظلمت نفسى
وقد وافيت بابكمو منيبا ... أنا العبد الفقير مددت كفى ... اليكم فادفعوا عنى الخطوبا

أنا الغدّاركم عاهدت عهدا ... وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المهجور هل لى من شفيع ... يكلم فى الوصال لى الحبيبا
أنا المقطوع فارحمنى وصلنى ... ويسر منك لى فرجا قريبا
أنا المضطر أرجو منك عفوا ... ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فوا أسفا على عمر تقضى ... ولم أكسب به إلا ذنوبا
وأحذر أن يعاجلنى ممات ... يحير هول مصرعه اللبيبا
وواحزناه من حشرى ونشرى ... ليوم يجعل الولدان شيبا
فيامولاى جد بالعفو وارحم ... عبيدا لم يزل يشكو الذنوبا
وسامح هفوتى وأجب دعائى ... فانك لم تزل أبدا مجيبا
وشفع فىّ خير الخلق طرّا ... نبيا لم يزل أبدا حبيبا
هو الهادى المشفع فى البرايا ... وكان له رحيما مستجيبا
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة تملأ الأكوان طيبا

[إخوانى] ماأحسن حال من التجأ إلى رب العالمين ، إخوانى ماأطيب حال من انتمى الى عباده الصالحين ، إخوانى ماأحسن حديث المحبين ، إخوانى ماأطيب أخبار المتقين ، إخوانى ماأربح بضائع العاملين ، إخوانى ماأصبح وجوه المجتهدين ، إخوانى ماأعطر أنفاس الذاكرين ، إخوانى ما ألذ عتاب المشتاقين . إخوانى ماأنفع بكاء المحزونين . إخوانى ما أعذب مناجاة القائمين ، إخوانى ماأمرّ عيش المحجوبين . إخوانى ماأذل نفوس الخاطئين . إخوانى ما أسوأ حال المحرومين ، إخوانى ما أعظم حسرة الغافلين ، إخوانى ما أشنع عيش المطرودين ، إخوانى ماأعمى قلوب الظالمين ، إخوانى ما أقبح وجوه العصاة والمذنبين . كان فى زمان بنى إسرائيل رجل مذنب كلما زاد فى ذنوبه وعصيانه أمدّه الله بوافر رزقه واحسانه ، فلما سمع كلام موسى عليه السلام وتوبيخه لأهل الذنوب والآثام ، قال ياموسى ماأرى ربى إلا كلما زدت فى معصيته زادنى من فضله ونعمته فتعجب موسى من كلامه الذى أبداه ثم صعد إلى المناجاة ، فقال : إلهى أنت أعلم بما قال عبدك العاصى إنه كلما زاد فى العصيان زدته أصناف البرّ والإحسان ، فقال ياموسى أنا أعذبه

المظلوم ثم يتعلق بأمه ويقول يارب اسأل هذه لم قتلتنى ؟ فيقول الله سبحانه وتعالى لأمّ المطروح : لم قتلتيه أتظنين أنى ما أرزقه ؟ فانى قد حرّمت قتل النفس إلا بالحق ، ياملائكتى سلموا هذه المرأة إلى مالك خازن النار يحبسها فى جب الأحزان ، فتستلمها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فيضعون الطوق والسلسلة فى عنقها يسحبونها على وجهها إلى النار فيرميها مالك فى جب الأحزان ، وهو جبّ عميق فيه نار تسمى نار الآبار إذا خمدت جهنم يفتح ذلك الجب فتتقد جهنم من حره ، فيه سباع وذئاب وحيات وعقارب تنهش المعذبين وزبانية بأيديهم حراب من نار تطعن القاتلين فتبقى فى ذلك الجب خمسين ألف سنة تعذبها حتى يقضى الله فيها بما يشاء » نعوذ بالله من غضبه وعقابه

ولا يدرى ، فقال يارب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهلته ؟ فقال ياموسى عذبته ببعده عنى وتركه نصيبه منى ، أغفلته عن طاعاتى ، وأنمته عن لذة مناجاتى ، وأحرمته فى السحر لذة عتابى . وطيب منادمتى وخطابى ، فوعزتى وجلالى لأذيقنه ويل عذابى ، ولأحرمنه جزيل ثوابى ، ياهذا إذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الإمهال فلا تستعجل لهم إنما نملى لهم لقد فرحوا بما يوجب الغمّ من اللذات (أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات) بينا أرض إعراضهم قد أخذت زخرفها وازينت (جعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) يامعشر الغافلين فى لذاتهم (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) واخجلتهم يوم ينبئهم الله بما عملوا ، والله بكل شىء عليم :

واخجلة العبد من إحسان سيده ... واحسرة القلب من ألطاف معناه
وكم له من أياد غير واحدة ... عندى وأعصيه جهرا ثم أنساه
وكم أسأت وبالإحسان قابلنى ... واخجلتى واحيائى حين ألقاه
وكم عكفت على العصيان مستترا ... ممن سواه وما فى الكون إلاهو
يرعى الذمام ويولى الفضل مبتدرا ... لا كان فى الناس عبد ليس يرعاه
يانفس كم يخفّ اللطف عاملنى ... وقد رآنى على ماليس يرضاه
يانفس كم زلة زلت بها قدمى ... وما أقال عثارى ثم إلا هو
يانفس توبى إلى مولاك واجتهدى ... عسى تنالى مناكى عند لقياه

[إخوانى] تفكروا فى عواقب الذنوب ، كيف تفنى اللذات وتبقى العيوب ، بالله عليكم احذروا طلب المعاصى فبئس المطلوب ، ماأقبح آثارها فى الوجوه والقلوب ، فلله درّ من أحسن سريرته وأخلى من الذنوب صحيفته ، وأخلص لله سره وعلانيته . روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام خرج ليستسقى بالناس فأوحى الله تعالى إليه لاتستسق ومعك خطاءون فأخبرهم عيسى بذلك ونادى فيهم : ألا من كان معنا من أهل الذنوب والخطايا فليعتزل . قال فاعتزل الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى ، فقال له عيسى عليه السلام لم لاتعتزل مع الناس ؟ فقال ياروح الله إنى لم أعص الله طرفة عين ، ولقد التفت فنظرت بعينى هذه إلى قدم امرأة من غير قصد فقلعتها ولو كنت نظرت بالعين الأخرى لقلعتها . قال فبكى عيسى عليه السلام حتى ابتلت لحيته من دموعه ، ثم قال له : فادع الله لنا قال : معاذ الله أن أدعو وأنت روح الله وكلمته فرفع عيسى عليه السلام يديه ، وقال : اللهم إنك قد خلقتنا وتكفلت بأرزاقنا فأرسل السماء علينا مدرارا فما استتمّ عيسى عليه السلام دعاءه حتى نزل الغيث وعمّ العباد والبلاد .

يامن عليه مدى الأيام معتمدى ... إليك وجهت وجهى لا إلى أحد
أنت المجيب لمن يدعوك يا أملى ... ياعدتى ياشفا دائى وياسندى
يامالك الملك يامعطى الجزيل لمن ... يرجو نداه بلاحصر ولا عدد
مالى سواك ومالى غير بابك يا ... مولاى فامح بعفو ماجنته يدى
وأنعم وأمطر علينا رحمة فلنا ... عوائد منك بالإحسان والمدد
وانظر إلينا فكم أوليتنا نعما ... ما إن تمرّ على بال ولا خلد
يامن أجاب دعائى عند مسئلتى ... ومن عليه وإن أخطأت معتمدى
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ماناحت الورق فى غصن مدى الأبد

[إخوانى] لقد وعظتنا الدهور ، بمرّ الأيام والشهور ، ورأينا الحزن عقب السرور ، وعلمنا أن الزمان بأهله عثور ، وتيقنا أن آخر الأمر إلى القبور ، فالعامل بالتقى مشكور ؛ كم كسفت الدنيا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكبر الكبائر عند الله قتل النفس التى حرم الله قتلها بغير حق ولا يحل تعذيب النفس بغير حق ، وإن العصفور إذا لعب به إنسان حتى مات ولم يذبحه بغير حاجة يأتى يوم القيامة وله دوى مثل الرعد القاصف ، فيقول : يارب اسأل هذا لم عذبنى بغير حاجة ولم قتلنى ؟ فيقول الله سبحانه وتعالى : أنا آخذ حقك وعزتى وجلالى اذهب لايجاوزنى ظلم ظالم لأعذبنّ كل من عذب روحا بغير حق وإلا فأنا الظالم إذا لم أستوف للمظلوم من الظالم ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى : أنا الملك الديان لاأظلم اليوم أحدا وعزتى وجلالى لايجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكفّ أو ضربة بكف أو يد على يد لأقتصنّ من القرناء للجماء ولأسألنّ العود لم خدش العود ؟ ولأسألن الحجر لم خدش الحجر ولا يدخل الجنة من عليه مظلمة حتى يؤديها

من حسناته ، فإن لم تكن له حسنات حمل من ذنوب المظلومين ومضى إلى النار » وقال صلى الله عليه وسلم « أكبر الكبائر الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، فكما لا أشفع فى المشرك بالله عز وجل كذلك لا أشفع فى قاتل النفس » وكما أن المشرك مخلد فى النار كذلك قاتل النفس مخلد فى النار ، وكما أن غضب الله سبحانه وتعالى على المشركين شديد كذلك غضبه على قاتل النفس شديد . وكما يلعن الله سبحانه وتعالى المشرك يوم القيامة كذلك يلعن قاتل النفس ، وإذا وقعت على القاتل لعنة الحق يقتل على طبقات جهنم حتى تنخسف إلى الدرك الأسفل من النار ، وكما أعدّ الله للمشركين عذابا عظيما أعدّ الله لقاتل النفس عذابا عظيما ، لأن الله عزّ وجل قال (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب

من بدور ، وكم أخلت من أهلها من دور وقصور ، أعمى فى الأبصار أم هى عور ؟ (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) :

تصرمت الحياة بغير نافع ... فما صنعى وقد وافى نذيرى
وأعمالى وطاعاتى وبرّى ... غرور فى غرور فى غرور
وصبرى والأمانة وارتجاعى ... عسير فى عسير فى عسير
وجرمى والإساءة والتعدى ... كبير فى كبير فى كبير
وسعيى واجتهادى واعتذارى ... صغير فى صغير فى صغير
ورحمته وعفو واغتفار ... كثير فى كثير فى كثير

قيل كان بالبصرة شاب يقال له رضوان ، كثير اللهو والعصيان ، والتيه والطغيان ، يبيت الليالى بالخمر سكران ، قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان ، فبينما هو فى بعض الأيام معتكف على شرب المدام ، ومعه جماعة من أصحابه الموافقين له على الذنوب والآثام ، إذ سمع رجلا فقيرا ينشد فى الطريق :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل لحة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فبكى الشاب وقال : بالله عليك يا فقير إلا ما أعدت إلىّ قولك فأعاده فأقسم عليه الشاب أن يحضر مجلسهم فحضر فقال له : والله ياسيدى لقد سعدنا برؤياك وأعجبنا صوتك وحسن غناك ، فغنّ لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال :

تعصى الإله وأنت تأكل رزقه ... ويراك إذ من خلقه تتكتم
فاحذر فما حاولت أمرا منكرا ... إلا وينظره لديك ويعلم

فبكى الشاب وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق من غشيته كسر أوانى الخمر وأقبل على الفقير وقال : ياسيدى هل من توبة ؟ فأنشد :

هذا زمان الصلح ما أقعدك ... عن باب من للخير قد عوّدك
فإن محوت اليوم ما سطرت ... أيدى خطاياك فما أسعدك

فصرخ الشاب ورمى بنفسه إلى الأرض مغشيا عليه ، فلما أفاق قال ياسيدى هل يؤاخذنى بما مضى ؟ فأنشد وقال :

لله ما أطيب صفو الوداد ... وما ألذّ القرب بعد البعاد وما أشدّ الهجر من بعدما
قد كنت من جملة أهل الوداد ... ياناسيا للعهد عاملتنا ثم تعللت بطيب الرقاد
بمن تشاغلت وأين الذى ... حصلت كلا بل حرمت المراد
شمر من اليوم ودع مامضى ... وكن فقيرا مامضى لايعاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه ثم تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى ربه وندم على قبيح ذنبه وبات ليلته بحضرة الفقير فى بكاء ونحيب وحسرات وزفرات ، فلما كان وقت السحر ذكر ذنوبه والسيئات فصرخ وأسبل العبرات ، ثم غشى عليه فحركه الفقير فاذا به قد مات :

أجلّ ذنوبى عند عفوك سيدى ... حقير وإن كانت ذنوبى عظائما
فما زلت غفارا وما زلت راحما ... وما زلت ستارا علىّ الجرائما
لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى ... وقضيت أوطار البطالة هائما
فها أنا قد أقررت يارب بالذى ... جنيت وقد أصبحت حيران نادما

فتب واعف عنى ياإلهى تكرما وكن لى ياربّ البرية راحما

[إخوانى] إلى كم تضيعون السنن والفرائض ، إلى متى تتيممون بالتراب والماء فائض ، يا كسلان فى الطاعة وهو فى المعصية ناهض ، تالله من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ :

لاينفع الوعظ قلبا قاسيا أبدا ولايلين لوعظ الواعظ الحجر
ولا أرى أثرا للذكر فى جسدى والحبل فى الحجر القاسى له أثر

[روى أن سفيان الثورى رحمه الله] كان يعظ الناس ويشوّقهم إلى الله تعالى ويرغبهم فى ثوابه ويحذرهم من عقابه ، وكان الناس يختلفون إليه فصعد يوما منبره على عادته ، فلما استقرّ به الجلوس وأراد أن يتكلم رفعت إليه امرأة رقعة ، فلما قرأها تغير لونه وبكى بكاء شديدا ثم نزل ولم يتكلم . فسأله أصحابه ومن يعزّ عليه أن يخبرهم بما فى الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما تصح به وأنت سقيم
ونراك تلقح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى بالوعظ منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما قرأ ذلك بكى بكاء شديدا حتى أغمى عليه ، فلما أفاق قالوا له ياسيدى أنت كلامك موزون وعرضك مصون ، تشفى القلوب بوعظك وتسلى المحزون ، فكيف يؤثر فى قلبك هذا الكلام وأنت إمام وأىّ إمام ؟ فبكى وقال : أنا ما أصلح أن أتكلم على رءوس الناس فأنا أعرف بنفسى من غيرى ثم فاضت عيناه ، واشتغل بوجده وجواه ، وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمع كلامه ولا يراه ، حتى مات رحمه الله . إخوانى أفلا تنظرون إلى قلوب هؤلاء الأقوام ؟ كانت قلوبهم كالزجاجة رقيقة يؤثر فيها الكلام ، ويقدح زناد الموعظة فى إحراق قلوبهم نار الوجد والغرام ، وأنتم تسمعون المواعظ فلا تؤثر فى قلوبكم ولاتغسلون بماء الدمع درن ذنوبكم بل تتركون ماينفعكم وراء ظهوركم وتقبلون على اللهو والأباطيل كما قيل :

قلوب بذكر الوعظ تزداد قسوة فلا الوعظ يجدى لا ولا العتب ينفع
ألين مقالا فى الكلام لعلها تلين فلا تصغى ولا تتخشع
إذا قلت هذا مدرج القوم فادرجى يقول الهوى حدثت من ليس يسمع
وإن عرضت يوما إلى الناس شهوة تراها إلى مايغضب الربّ تسرع
وأن ليس للانسان إلا الذى سعى وكل مجازى بالذى كان يصنع

[إخوانى] استحوذت عليكم الغفلة وغرتكم أيام المهلة ، فيامغترّا فى ظلمه بإمهاله (فلا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون) ليست المهلة على الإطلاق (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) إذا انتهى أمدها طلبوا زيادة (أخرنا الى أجل قريب) فيقابلون بتوبيخ (أولم نعمركم) فلو رأيتهم يوم العرض ، وقد خرجوا من قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار ترجف بوادرهم يوم ترجف الراجفة ، عليهم أمارات الشقاء (يعرف المجرمون بسيماهم) اذا اشتد جوعهم (ليس لهم طعام إلا من ضريع) إذا قوى عطشهم (سقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) العرى خير من كسوتهم سرابيلهم من قطران إذا استغاثوا (يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) أتراهم لم يسمعوا (إن يوم الفصل ميقاتهم

الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما) إلا من تاب فقد قال الله عز وجلّ (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) إلى قوله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) فاذا تعمدت المرأة وأسقطت نفسها ثم اعترفت بذنبها وتضرعت إلى الله عز وجل قبلها لقوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) ودية الجنين إن كان مصوّرا ستمائة درهم للورثة أبوه وإخوته ، وتستوهب منهم ديته أو تعتق لله سبحانه وتعالى رقبة مؤمنة (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما) قال الله تعالى (أنه من قتل نفسا بغير نفس أوفساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن

أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) يعنى لو اشترك ألف نفس فى قتل واحد كان على كل واحد منهم القتل ويكون عليهم وزر من قتل الناس جميعا ومن أحسن إلى نفس مضطرة بكسرة أوطعمة أوسقاها شربة ماء فى وقت عطش أوكربة فرجها على أخيه المسلم فكأنما أحيا الناس جميعا ، وكأنما أحسن إلى خالق الله سبحانه وتعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لنسائه وأولاده ومامملكت يمينه » وقال صلى الله عليه وسلم « المحسن إلى نسائه وعياله وأولاده يعطى درجة المجاهد فى سبيل الله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة بعد الزكاة درهم تنفقه على نفسك تصونها عن مسئلة الخلق ، ودرهم تنفقه على ولدك ومامملكت يمينك تصونهم عن الحاجة إلى الناس يكتب الله له أجره مضاعفا سبعين ضعفا »

أجمعين) إذا شاهدت النار من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين (تكاد تميز من الغيظ) من أراد النجاة فليتب (من قبل أن يتاسا) :

ماحال من غلقت أبواب رحمته ... وخلدت نفسه فى سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة ... كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه إن لم يفق من قبل صرعته ... فسوف يعثر فى أذيال جفوته
يامن ينادى ولايصغى لصالحة ... كأنما قلبه فى غير جثته
إن كان جسمك لايقوى على ألم ... فالنار أعظم من آلام علته

[إخوانى] إذا كان صفاء المواعظ لايؤثر فى قلوبكم الكدرة ، ومعاول التخويف لاتقطع فى نفسكم المتحيرة ، فهذا كلام ربكم يتلى عليكم فى آياته المطهرة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ياغافلا عما نهاه وأمره ، يامضيعا فى البطالة عمره ، إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة مسطرة ، كيف حالك فى سفرك وطريقك خطرة ، وشاهدت ميزانك الذى يرجع بالذرة الحقرة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ياغافلا والموت يقفو أثره ، كيف بك إذا شاهدت السماء منفطرة . وحافظك قد أحصى ماعملت من خير وشر وحصره ، وقد تركبت عليك الحجة وتعذرت المعذرة ، فهناك يجد الإنسان من الإحسان أوالعصيان ما أحضره (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) :

يانفس توبى عن فعال منكره ... واسعى إلى دار البقا مستبصره
يانفس فاز القوم من رب العلا ... بالعفو عن زلاتهم والمغفره
يانفس قد قطعوا النهار لربهم ... صوما وفازوا بالعلا فى الآخره
يانفس ويحك للمتاب فبادرى ... من قبل أن تأتى الذنوب مسطره
يانفس إن القوم زادوا خيفة ... من مكره وقلوبهم متنكره
يانفس جدّى فى التقى وتزوّدى ... عملا وكونى للقا مستشعره
يانفس كم قوم على الدنيا احتووا ... ظلما ومالهمو إذا من آخره
يانفس كم أمم تفانوا فى البلا ... وعظامهم أضحت عظاما ناخره
يانفس توبى اليوم من قبل الردى ... فعسى تكونى من غد مستبشره
يانفس آه من الذنوب وكلها ... يوم القيامة فى الكتاب محرره
يانفس ماينجيك فى يوم اللقا ... من عظم أهوال الحساب المنكره
إلاشفاعة أحمد الهادى الذى ... يرجى لديه العفو عند المقدره
فهو النبىّ الهاشمىّ المصطفى ... والمجتبى من خلقه إذ طهره
يانفس جدّى فى المسير لقبره ... واسعى إلى أبوابه مستصغره
وتمتعى بجماله ووصاله ... كى لاتكونى فى الورى متحسره
وإذا وصلت إلى رباه فعظمى ... تلك المواقف وادخلى متوقره
فعسى تنالى الفوز من رب العلا ... وتعود زلات الذنوب مكفره
وتشاهدى ذاك الضريح وقد بدت ... أنواره للكائنات منوره
هوصفوة الرحمن من كل الورى ... وبأحسن التكوين حقا صوره
أسرى به البارى إليه جهرة ... فى جنح ليل صبحه ما أسفره

ورقى على ظهر البراق معظما والكون من أنواره قد نوره
فاستبشرت بقدومه أهل السما فلذاك أضحت من شذاه معطره
وهوالذى جليت عروس جماله فى ليلة المعراج لما أظهره
وهو الذى بالحق جاء وبالهدى وأباحنا الدين القويم ويسره
صلى عليه الله ماسرت الصبا وأتت بطيب ثنائه متعطره

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثانى والأربعون

فى فضائل يوم عاشوراء

الحمد لله الذى عزت عزته أولا وآخرا ، وكفات نعمته مؤمنا وكفورا ، وأظهرت قدرته ضياء وهيجورا ، ووسعت رحمته من ضيع زمانه تقصيرا . كم أفقر غنيا وأغنى فقيرا ، ورحم مسكينا وجبر كسيرا ، وغفر ذنوبا وعمر قلوبا وشرح صدورا ، وأباح جنابه وفتح بابه لمن كان مهجورا ، يخافه الملك فيكثر تهليلا وتكبيرا ، ويجرى بأمره الفلك فيسيره تسييرا ، كتب كتاب رحمته وسطره تسطيرا ، وأشهد على نفسه ملائكته أنه لم يزل غفورا ، معظما مقدسا مذكورا معبودا محمودا مشكورا ، يبصر ماتحت التحت ، وكان الله سميعا بصيرا ، ويعلم مايختلج فى الفكر وكان الله عليما خبيرا ، ويفنى الكل ويبقى ؟ وكان الله على ذلك قديرا ، يخرج الحى من الميت وخلق كل شىء فقدره تقديرا ، أعطاك مع علمه بذنبك (وماكان عطاء ربك محظورا) ليس عليه حجاب فيكون مستورا ، ولا هو جسم فيكون محصورا . اختار قوما قوما فكساوجوههم نورا ، وملأ قلوبهم بمحبته بهجة وسرورا ، شرفهم إذعرفهم طريق معرفته وجعل حظهم حظا موفورا ، رفعوا إليه قصة الشكوى من الهجران فكتب لهم بالأمان منشورا ، أيقظهم من بين النائمين وجعل بينهم وبين الغافلين حجابا مستورا ، نصبوا فى خدمته الأقدام وستروا وجوههم بأستار الظلام فجعلها بين الأنام شموسا وبدورا ، فقههم لخطابه ولذذهم بعتابه وسقاهم بكأس اقترابه شرابا طهورا ، وأدناهم من الجناب وفتح لهم الباب ورفع لهم حجابا مستورا ، فسبحانه من إله صرف أعواما ودهورا ، وشرف أياما وشهورا ، وفضل مواسم الطاعات على جميع الأوقات ، وخص بالفضل والبركات يوم عاشورا ، وخاطب فيه نبيه موسى وسقاه من شرابه كؤوسا ، وجعل له عند سماع مناجاته طورا ، وقربه واجتباه وخاطبه فيه وناجاه . وأعطاه فضلا غزيرا ، وافترض صيامه على بنى إسرائيل وأعد لمن صامه من الفضل الجزيل أجورا ، وفيه تاب الله على آدم ولقاه نضرة وسرورا ، وأخرج نوحا من السفينة ، وجعل له من السكينة حظا موفورا ، وقد نجى الخليل من نار النمروذ ووقاه لهيبا وسعيرا ، وفيه أخرج يوسف من السجن إذ كان صبورا ، وفيه رد بصر يعقوب وكشف ضر أيوب وغفر لداود فأصبح ذنبه مغفورا ، ولسان الاحسان يبشرهم فى القرآن بقول الملك الديان (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

لانالت مما أرتجيه سرورا إن كان قلبى عن هواك نفورا
والمرء ليس بصادق فى حبه ان لم يكن فى النائبات صبورا
أشغلتنى بهواك عن كل الورى فلذاك راح القلب فيك أسيرا
لله قوم أخلصوا فى حبه فكساوجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا دنياهمو زهدا فعوضهم بذاك أجورا

وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى تعبا من طلب الحلال ليصون نفسه عن مسألة الناس أمسى مغفورا له » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحاطت يده على شىء فليحسن إليه فقال رجل يارسول الله إننى ليس لى زوجة ولا ولد ولاعائلة سوى دجاجة فقال صلى الله عليه وسلم لو أنك قصرت فى علفها يوما واحدا لم يكتبك الله من المحسنين » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم باللطف والرفق بنسائكم لاتظلموهن ولا تضيقوا عليهن ، فان الله عز وجل يغضب للمرأة إذا ظلمت كما يغضب لليتيم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله وأناخيركم لأهلى ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول مايحاسب الرجل على صلاته ، ثم بعد ذلك على نسائه وما ملكت

قاموا يناجون الحبيب بأدمع ... تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم بأستار الدجى ... ليلا فأضحت فى النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذى ... وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت حنينهم ... وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم ... فأراحهم يوم اللقاء كثيرا
صبروا على بلواهمو فجزاهمو ... يوم القيامة جنة وحريرا
يا أيها الصبّ الكئيب إلى متى ... تفنى زمانك باطلا وغرورا
بادر فهذا يوم عاشورا الذى ... من صامه لله نال أجورا
فاضرع إلى مولاك فيه وناده ... ياواحدا فى ملكه وقديرا
إن لم أكن أهلا لعفوك سيدى ... كن أنت أهلا ساترا وغفورا
مالى سواك وأنت غاية مقصدى ... وإذا رضيت فنعمة وسرورا

[وروى أبو قتادة الأنصارى رضى الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صوم يوم عاشوراء يكفر العام الذى قبله » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل افترض على بنى إسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على عيالكم فيه فانه من وسع فيه على عياله وأهله من ماله وسع الله عليه سائر سنته » فصوموه فانه اليوم الذى تاب الله فيه على آدم فأصبح صفيا ، ورفع فيه إدريس مكانا عليا ، وأخرج نوحا من السفينة ونجى إبراهيم من النار وأنزل الله فيه التوراة على موسى ، وأخرج فيه يوسف من السجن وردّ فيه على يعقوب بصره ، وفيه كشف الضر عن أيوب وفيه أخرج يونس من بطن الحوت ، وفيه فلق البحر لبنى إسرائيل وفيه غفر لداود ذنبه وفيه أعطى الله الملك لسليمان ، وفى هذا اليوم غفر لمحمد صلى الله عليه وسلم ماتقدّم من ذنبه وماتأخر ، وهو أول يوم خلق الله فيه الدنيا وأوّل يوم نزل فيه المطر من السماء يوم عاشوراء وأوّل رحمة نزلت إلى الأرض يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الأنبياء ومن أحيا ليلة عاشوراء بالعبادة فكأنما عبد الله تعالى مثل عبادة أهل السموات السبع ومن صلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاما ، ومن سقى يوم عاشوراء شربة ماء سقاه الله يوم العطش الأكبر كأسا لم يظمأ بعدها أبدا وكأنما لم يعص الله طرفة عين ومن تصدق فيه بصدقة فكأنما لم يردّ سائلا قط ومن اغتسل وتطهر يوم عاشوراء لم يمرض فى سنته إلا مرض الموت ومن مسح فيه على رأس يتيم أو أحسن إليه فكأنما أحسن إلى أيتام ولد آدم كلهم ، ومن عاد مريضا فى يوم عاشوراء فكأنما عاد مرضى أولاد آدم كلهم هو اليوم الذى خلق فيه العرش واللوح والقلم ، وهو اليوم الذى خلق الله فيه جبريل ورفع فيه عيسى وهو اليوم الذى تقوم فيه الساعة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله عز وجل (موعدكم يوم الزينة) قال يوم عاشوراء فطوبى لمن قدم فى هذا اليوم الشريف عملا صالحا ، واتجر فيه بالخيرات للآخرة متجرا رابحا ، وتاب من ذنوبه وخطاياه وأقبل إلى مولاه صالحا واتعظ بغيره وقبل ممن أصبح له ناصحا ، وترك الكبر والدعوى ، وسلك إلى التقوى طريقا واضحا .

ياغاديا فى غفلة ورائحا ... إلى متى تستحسن القبائحا
وكم أخى كم لاتخاف موقفا ... يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا

يمينه إن أحسن عشرتهن أحسن الله إليه ، وأول ماتحاسب المرأة على صلاتها ثم عن حق زوجها وجيرانها » وجاء رجل فقال يارسول الله انى سيء الخلق أوذى زوجتى وأهل بيتى بلسانى فقال صلى الله عليه وسلم « المؤذى لأهل بيته لايقبل الله عز وجل عذره ولا حسنة من حسناته ، ولو صام الدهر وأعتق الرقاب وكان أول من يدخل النار وكذلك المرأة إذا آذت زوجها لاتقبل صلاتها ولا حسنة من حسناتها حتى ترضيه وتعاشره بالمعروف فان الله سبحانه وتعالى يسألكم عن بعضكم بعضا يوم القيامة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجب على الرجل أن يأمر أهل بيته بالصلاة ويصبرهن على تركها » . وقال صلى الله عليه وسلم « تقوا الله فى النساء فانهن أسرى فى أيديكم أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فأوسعوا عليهن

كيف

كيف تكون حين تقرا فى غد صحيفة قد حوت الفضائحا وكيف ترضى أن تكون خاسرا
يوم يفوز من يكون رابحا فاعمل لميزانك خيرا فعسى يكون فى يوم الحساب راجحا
وصم فهذا يوم عاشورا الذى مازال بالتقوى شذاه فائحا
يوم شريف خصنا الله به يافوز من قدّم فيه صالحا

[وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انفرد به مسلم . وسئل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء ؟ فقال : ماعلمت أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يطلب فضله فى الأيام إلا هذا اليوم يعنى يوم عاشوراء ، ولاشهرا إلا هذا الشهر . يعنى رمضان متفق عليه . وروى مالك بن أنس رضى الله عنه عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبى سفيان عام حج وهو على المنبر يقول : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذا يوم عاشوراء لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر » متفق عليه . وروى ابن عباس رضى الله عنه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لئن عشت إلى قابل لأصومنّ التاسع والعاشر » فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فيحتمل أن يكون أراد نقل الصيام إليه ويحتمل أن يكون أراد أن يصومه مع العاشر ، ولهذا استحب الامام الشافعى وغيره صيام اليومين احتياطا وهو مروىّ عن ابن عباس أنه قال « صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود » وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام أيام العشر إلى يوم عاشوراء ورث الفردوس الأعلى » وإلى هذا العشر أشار الله تعالى بقوله (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) . ولعشر المحرم فضائل كثيرة : وآثار غزيرة . فمن ذلك ماروى معاوية بن قرة أن نوحا عليه السلام صام هو ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء شكرا لله تعالى إذ نجاهم يوم استوت على الجودىّ وكان يوم عاشوراء . وعن طاوس فى قوله تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام فى قوله (سوف أستغفر لكم ربى) قال أخرهم إلى ليلة الجمعة فوافقت ليلة عاشوراء . قال ابن شهاب ومما بلغنا عن الصحابة والتابعين أنه كان يصوم يوم عاشوراء علىّ بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وعلى بن الحسين وسعيد بن جبير رضى الله عنهم أجمعين ، وقد ذكرنا مما يستحب من الأعمال فى يوم عاشوراء ماذكرناه فيما تقدّم ، ومنها مالم نذكره فمنه أنه يستحب أن يستعمل فيه الاغتسال ، وقد ذكر أن الله تعالى يخرق فى تلك الليلة زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذ أمن من المرض فى جميع السنة ومن ذلك الصدقة ، ومن ذلك مسح رأس اليتيم ، ومن ذلك تفطير الصائم ، ومن ذلك إسقاء الماء ومن ذلك زيارة أخ فى الله ، ومن ذلك عيادة المرضى ، ومن ذلك الصوم ، ومن ذلك التوسعة على العيال ، ومن ذلك إكرام الوالدين والبر بهما ، ومن ذلك تشييع الجنائز ، ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق ، ومن ذلك كظم الغيظ ، ومن ذلك العفو عمن ظلم ، ومن ذلك التنفل وكثرة الذكر ومن ذلك ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال « من قرأ فى يوم عاشوراء ألف مرة قل هو الله أحد نظر الرحمن إليه ، ومن نظر الرحمن إليه لايعذبه أبدا » .

[وعن ابن مسعود رضى الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « أنزل الله تعالى على موسى بن عمران فى التوراة : من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله » وعن سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أن ينادى فى الناس ألا من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يأكل فليصم فان اليوم يوم عاشوراء » . وعن ابن عباس

الكسوة والنفقة يوسع الله عليكم فى الأرزاق ويفسح لكم فى الأعمار كما تكونون يكون الله لكم » روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام : شكا إلى الله خلق سارة فأوحى الله إليه أنى خلقتها من ضلع أعوج فان جميع النساء خلقن من ضلع آدم عليه السلام الأقصر اليسار . وان الضلع لأعوج إن قوّمته كسرته فاصبر عليها وتحملها على ما فيها إلا أن ترى نقصا فى دينها . ومما جاء فى حق المرأة على زوجها قال رسول الله لى الله عليه وسلم « يلزم الرجل تعليمه لأهله وما ملكت يمينه الوضوء ونيته والتيمم والغسل من الحيض والغسل من الجنابة والغسل من النفاس وحكم الاستحاضة وفرائض الوضوء والصلاة وسننها ، واعتقاد أهل السنة وترك الغيبة والنميمة وتوقى النجاسة والصمت عما لايعنى وملازمة الذكر والآداب واجتناب الإثم

والسوء ، فان قصر عليه عن تعليمهن سأل وأخبرهن وإلا تركهن يسألن عن ذلك إذنه ولا يحل للرجل أن يمنع أهل بيته عن مقام يسمعن فيه المواعظ من قول الله وقول رسوله ليعرفن بذلك أمور دينهن ويحذرن دخول النار ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » يعنى علم فرائض الدين .

[فصل] ويلزم الرجل أيضا حسن القيام على زوجته وأولاده وما ملكت يمينه . فيلزمه إطعامهم وكسوتهم وتعليمهم أمور دينهم ويكون ذلك كله من وجه حلال ولا يحل له التفريط فى شىء من ذلك بوجه من الوجوه كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء قال لهم ماهذا ؟ فقالوا هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكرا لله ، ونحن نصومه لأجله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » . وأما الصدقة فيه فإنها مضاعفة والبر والايثار والاحسان إلى ذوى القربى وصلة الرحم والرحمة والرأفة للفقراء والمساكين . ومما روى أن فقيرا كان له عيال فى يوم عاشوراء فأصبح هو وعياله صياما ولم يكن عندهم شىء فخرج يطوف على شىء يفطرون عليه فلم يجد شيئا فدخل سوق الصرف فرأى رجلا قد فرش فى دكانه النطوع المثمنة وسكب عليها أكوام الذهب والفضة فتقدم إليه وسلم عليه ، وقال له ياسيدى أنا فقير لعل أن تقرضنى درهما واحدا أشترى به فطورا لعيالى وأدعو لك فى هذا اليوم فولى بوجهه عنه ولم يعطه شيئا فرجع الفقير وهو مكسور القلب وولى ودمعه يجرى على خده فرآه جار له صيرفى وكان يهوديا فنزل خلف الفقير وقال له أراك تكلمت مع جارى فلان ؟ فقال قصدته فى درهم واحد لأفطر به عيالى فردنى خائبا وقلت له أدعو لك فى هذا اليوم ، فقال اليهودى وما هذا اليوم ؟ فقال له الفقير هذا يوم عاشوراء وذكر له بعض فضائله فناوله اليهودى عشرة دراهم وقال له خذ هذه وأنفقها على عيالك إكراما لهذا اليوم فمضى الفقير وقد انشرح لذلك ووسع على أهله النفقة ، فلما كان الليل رأى الصيرفى فى المنام كأن القيامة قد قامت وقد اشتد العطش والكرب فنظر فاذا قصر من لؤلؤة بيضاء أبوابه من الياقوت الأحمر فرفع رأسه ، وقال يا أهل هذا القصر اسقونى شربة ماء فنودى هذا القصر كان قصرك بالأمس ، فلما رددت ذلك الفقير مكسور القلب محى اسمك من عليه وكتب باسم جارك اليهودى الذى جبره وأعطاه عشرة دراهم فأصبح الصيرفى مذعورا ينادى على نفسه بالويل والثبور فجاء إلى جاره اليهودى وقال أنت جارى ولى عليك حق ولى إليك حاجة . قال وماهى ؟ قال تبيعنى ثواب العشرة دراهم التى دفعتها بالأمس للفقير بمائة درهم . فقال والله ولا بمائة ألف دينار ولو طلبت أن تدخل من باب القصر الذى رأيته البارحة لما مكنتك من الدخول فيه . فقال ومن كشف لك عن هذا السر المصون . قال : الذى يقول للشىء كن فيكون ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

[إخوانى] كان هذا يهوديا فأحسن الظن بيوم عاشوراء وما كان يعرف فضله فأعطاه الله ما أعطاه ومن عليه بالسلام فكيف بمن يعرف فضله وثوابه ويهمل العمل فيه :

ما حال من ظل على باب الرضى مطرود ... وعن موارد ساعات اللقا مردود

وقد حكم فى القدم أن ينجز الموعود ... هذا بحكم القضا يشقى وذا مسعود

فيامن ضيع أوقات المكنة والاقتدار ، ونسى الآخرة وأنس بهذه الدار ، وجانب الصالحين وصاحب الفجار ؛ وآثر على صفاء الاخلاص كدر الأسرار ، وصار عبدا للهوى وقد كان من الأحرار ، ولم يذكر فى حلاوة الشهوات مرارة الأوزار :

ياغافلا فى نومه وسنته ... متشاغلا باللهو فى غفلاته ... لايستفيق من الذنوب وكلما

وعظوه جاز الحد فى زلاته ... قد ضل عن طرق الهداية والتقى ... والشيب وافى منذرا بوفاته

فلو استقال إلى الكريم فربما ... يعفو بفضل منه عن هفواته

[وقيل] كان بالبصرة رجل له مال وثروة وكان فى كل سنة يجمع الناس فى بيته ليلة عاشوراء يقرءون القرآن ويذكرون ويهللون ويسبحون ويحيون تلك الليلة بالقراءة والذكر ويمد لهم الطعام ويفتقد المساكين ويحسن إلى الارامل والأيتام . وكان له جار وله بنت مقعدة ، فقالت لأبيها يا أبت

مابال جارنا يجمع الناس فى كل سنة فى هذه الليلة ويحيونها بالقراءة والذكر ؟ فقال لها هذه ليلة عاشوراء ولها حرمة عند الله وفضائل كثيرة ، ثم ناموا وسهرت الصبية تسمع القرآن والذكر إلى وقت السحر ، فلما ختموا القرآن ودعوا رفعت رأسها إلى السماء وقالت سيدى ومولاى بحرمة هذه الليلة عندك وبهؤلاء الأقوام الذين باتوا يتلون ذكرك ساهرين فى طاعتك إلا ماعافيتنى ومسحت ضرى وجبرت قلبى بعد كسرى فما استتمت الكلام إلا وقد زالت عنها الأوجاع والأسقام ونهضت قائمة على الأقدام . فلما نظر أبوها إلى قيامها بعد ضرها وسقامها . قال يابنية من كشف عنك هذه الغمة والبلية ؟ قالت الذى جاد لى بالرحمة ولا يبخل بالنعمة ، يا أبت إنى توسلت بهذه الليلة إلى سيدى فأزال ضررى وعافى جسدى .

فلا تجزع لريب الدهر واصبر ... فان الصبر فى العقبى سليم ... فما جزع يمغن عنك شيئا
ولا مافات ترجعه الهموم ... إذا ضاق الخناق فكن صبورا ... كريما فالشدائد لاتدوم
فبالصبر الجميل تنال أجرا ... وتعطى بعد ذلك ماتروم ... فكم من محنة عظمت ودامت
وخان مواصل وجفا حميم ... أتى فرج الإله لها صباحا ... فما أمست وأقلعت الهموم

فسلم فالذى أبلى يعافى ... وثق بالله فهو بنا عظيم

[إخوانى] اغتنموا زمان الأرباح فأيام المواسم معدودة ، وانتهزوا الفرص فأوقات السلامة مشهودة ، وبادروا للعمل مبادرة مجتهد محق وارفضوا فضول الدنيا وتخلصوا من الرق قبل أن تلقوا ساعة حسرة تلقوا بعدها فى ظلمات حفرة كم من صحيح قبل هذا اليوم فسقم وكم مطمئن أزعجته حداة المنون فرحل ولم يقم ، وكم ركن شيد بالشهوات واللذات فهدم ، وكم موجود لم يأت عليه هذا اليوم حتى عدم ، وهذا حالك عن قريب لكن الغرور يخفيه وهذا مآلك فتدبر ما أنت فيه فكأنى بك وقد تبدلت الصحة بالسقم وعدمت العافية وجرى بالبلاء القلم وانقضى العمر كما قضى الله وحكم ، وأقبل الموت الذى قدره الله وحتم وبلغت الروح التراقى فنسيت لذة النعم وتحسر القلب لفراق الأحباب وأظهر الدمع ماكتم وماكانت إلا ساعة حتى ذهبت الروح وسكن الألم ثم تنقل إلى منزل وعر شديد الظلم فيا أسفا إن جازاك مولاك بالمعاصى وانتقم وياتعسالك إن زلت عن الصراط منك القدم ، فيامن حالته هذه إلى كم هذه الغفلة فى الهوى وكم :

تفنى اللذاذة ممن نال شهوته ... من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء فى مغبتها ... لاخير فى لذة من بعدها النار

[قيل] إنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له عطية بن خلف ، وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته . فلما كان يوم عاشوراء صلى الضبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع أن لا تدخله النساء إلا فى يوم عاشوراء لأجل الدعاء فوقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام ، فقالت ياسيدى سألتك بالله إلا مافرجت عنى وآثرتنى بشىء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهم وماترك لهم شيئا وأنا شريفة ولا أعرف أحدا أقصده وماخرجت فى هذا اليوم إلا عن ضرورة أحوجتنى إلى بذل وجهى ، وليس لى عادة بذلك . فقال الرجل فى نفسه أنا ما أملك شيئا وليس عندى غير هذا الثوب وان خلعته انكشفت عورتى وان رددتها فأىّ عذر لى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها اذهبى معى حتى أعطيك شيئا فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه وائتزر بخلق كان عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب ، فقالت ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك

وقد أمر الله عز وجل الانسان أن يحذر على نفسه من النار ويحذر على أهله منها كما يحذر على نفسه . قال النبى صلى الله عليه وسلم « كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة فالرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية فى مال زوجها وهى مسئولة عنه » وقال صلى الله عليه وسلم « لايليق الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهل بيته » ويقال : أول مايتعلق بالرجل زوجته وأولاده فيوقفون بين يدى الله سبحانه وتعالى . فيقولون يارب خذلنا حقنا من هذا الرجل فانه لم يعلمنا أمور ديننا وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيضرب على كسب الحرام حتى يتجرد لحمه ، ثم يذهب به إلى الميزان فتجىء الملائكة بحسناته مثل الجبل فيجىء هذا فيقول وزنت لى نا صا فيأخذ من حسناته ويجىء هذا فيقول له انك رابيت

باقى عمرك ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل ثم نام فرأى فى المنام حوراء لم ير الراءون أحسن منها ، وبيدها تفاحة قد عطرت مابين السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة لاتقوّم بها الدنيا بما فيها فألبسته الحلة وجلست فى حجره ، فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا عاشوراء زوجتك فى الجنة . قال بم نلت ذلك ؟ قالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس فانتبه وعنده من السرور مالا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد عبق من طيبه المكان فتوضأ وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل ثم رفع طرفه إلى السماء . وقال إلهى ان كان منامى حقا وهذه زوجتى فى الجنة فاقبضنى اليك فما استتمّ الكلام حتى عجل الله تعالى بروحه إلى دار السلام :

من عامل الله لم تخسر تجارته ... وكل ماكان منها كاسدا نفقا والله حقا يجازى المحسنين وقد
جاء الكتاب بذا المعنى وقد نطقا ... فاطلب رضا الله فيما ترتجيه وثق به تنال المنى والفوز والسبقا
وقف على الباب واطرق بالمتاب تنل ... أما ترى الباب مفتوحا لمن طرقا

[إخوانى] هذه بعض بشارات المؤمن عند الموت فأين الاستعداد ، أين من يزرع الخير فى دنياه ويحمد فى عقباه الحصاد ، ماينقص مال من صدقة بل يزداد ، أين الذين كنزوا الكنوز وعمروا البلاد ، أين الذين قادوا الجيوش واستعبدوا العباد ، أين من بنى وشاد ؟ أين الآباء والأجداد ؟.

غدا توفى النفوس ماكسبت ... ويحصد الزارعون مازرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وان أساءوا فبئس ماصنعوا

فلله درّ من عمل وبادر شهوره وسنينه ، وتدرّع الحياء والوقار والسكينة وعمل ليوم فيه (كل نفس بما كسبت رهينة) وعرف قدر هذا اليوم الشريف الذى نجى الله تعالى فيه نوحا وأخرجه من السفينة ، وذلك أن نوحا عليه السلام لما نزل من السفينة هو ومن معه شكوا الجوع وقد فرغت أزوادهم فأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم فجاء هذا بكف حنطة ، وهذا بكف عدس وهذا بكف فول ، وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبع حبوب ، وكان يوم عاشوراء فسمى نوح عليها وطبخها لهم فأكلوا جميعا وشبعوا ببركات نوح عليه السلام فذلك قوله تعالى (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك)وكان ذلك أوّل طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان فاتخذه الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين

[وقيل إن موسى عليه السلام] لما وعده الله سبحانه وتعالى أن يخاطبه ويكلمه ويلقى إليه التوراة فى الألواح أمره بصيام ثلاثين يوما فصامها وهى شهر ذى الحجة ، فلما أنكر خلوف رائحة فمه استاك بعود خروب ، وقيل زيتون ، وقيل غير ذلك فقيل له أيها الصائم عن أمرنا كيف أفطرت برأيك ؟ أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمر بصيام عشرة أيام أخر كفارة لما فعل ، قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وهى عشر المحرم ، وقيل عشر ذى الحجة ، وعلى الوجه الأول يكون آخرها يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى كلم الله فيه نبيه موسى وأنزل عليه التوراة ، وهو يوم عظيم فضيل فيه تضاعف الحسنات ويعفى عن كل ذنب ثقيل ، فيه تاب الله على آدم وأخرج نوحا من السفينة وحمله ومن معه بالزاد القليل ، وفيه نجى من النار ابراهيم الخليل ، وشفى من البلاء أيوب ، وردّ يوسف على يعقوب بعد حزنه الطويل ، وفيه أخرج يونس من بطن الحوت وفلق البحر لبنى إسرائيل وغفر لداود ذنبه ، وفيه ردّ لسليمان ملكه الردّ الجميل ، وفيه خاطب الله تعالى موسى ورفع فيه عيسى ، وفيه ينزل بالرحمة

فيأخذ من حسناته فينهبونها ، فيلتفت إلى أهله ويقول لهم : قد ثقلت المظالم فى عنقى لأجلكم ، فتنادى الملائكة هذا الذى أكل أهله حسناته ويمضى لأجلهم فى النار ، فيجب عليه أن يجتنب الحرام ويحسن إلى أهله .

ومما جاء فى صلة الرحم وقطعها . قال صلى الله عليه وسلم « صلة الرحم توسع الرزق وتزيد فى العمر ، وإن الرحم تعلقت بالعرش وقالت : اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى فقال الله سبحانه وتعالى وعزتى وجلالى لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك » وروى عن بعض الصالحين أنه قال : كان لى صداقة برجل صالح فى بلاد العجم وكان مجاورا بمكة وكان يطوف بالبيت طول الليل ويعكف على قراءة القرآن وكان له على هذه الحالة مدة سنين فأودعته ذهبا وسرت إلى بلاد اليمن ثم جئت فوجدته قد مات

جبريل ، وفيه غفر لمحمد صلى الله عليه وسلم ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وناهيك به من يوم شريف فضيل من صامه فكأنما صام الدهر ومن قام ليله فاز بالأجر الوافر والعطاء الجزيل ، ومن كسا فيه عاريا أوأجرى فيه من المعروف جاريا أجاره الله من العذاب الوبيل ، ومن جبر فيه يتيما أو أطعم جائعا عديما أوسقى فيه شربة ماء أطعمه الله من موائد الجنة وسقاه من الرحيق المختوم والسلسبيل ومن تصدق فيه بصدقة كان يوم القيامة تحت ظلها الظليل ، ومن وسع فيه على عياله وسع عليه رزقه وحسن خلقه وخلقه الجميل ، فأكثروا فيه التسبيح والتهليل وبادروا فيه بالتوبة إلى الملك الجليل وتزوّدوا فيه من الأعمال الصالحة للسفر الطويل فقد ورد فى فضله من الإنعام والاحسان مايقصر عن وصفه كل لسان ويقصر عن حصره كل فضيل .

[كان وكان]

يامن يروم الفضائل ... فى يوم عاشورا استمع ... فانه فى الحقيقه ... يوم شريف فضيل
فتب إلى الله واغنم ... صيامه تلق المنى ... وإن نويت الانابه ... بادر إلى التعجيل
وحصل الزاد واغنم ... هذى الليالى بالتقى ... وابكى بدمع هامى ... على الخدود يسيل
طوبى لعبد تيقظ ... وقام فى وقت السحر ... وقال يارب انى ... مذنب عليل ذليل
فامنن علىّ بتوبة ... فأكثر العمر انقضى ... ولا تخيب رجائى ... فالظنّ فيك جميل
وليس لى من وسيلة ... إلا النبى المصطفى ... الهاشمى المفضل ... بالوحى والتنزيل
رسول ربّ البرايا ... ماحى الخطايا والزلل ... هو النبىّ المخصص ... بالقرب والتبجيل
صلى عليه وسلم ... ربّ السموات العلى ... مادامت الورق تبدى ... على الغصون هديل

اللهم اجعلنا من المقبولين فى هذا الشهر الفضيل ، وخصنا بالأجر الوافر والعطاء الجزيل واغفر لنا فيه كل ذنب عظيم ، وخفف ظهورنا من كل وزر ثقيل ، وتقبل فيه يسير أعمالنا فانك تقبل العمل القليل ، وأجرنا فيه من عاداتك على كل حسن جميل ، واحشرنا تحت لواء من أنزلت عليه فى محكم التنزيل : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الثالث والأربعون

فى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الواحد فلا يجحد . الأحد الذى فى سرمديته توحد . الفرد الذى فى ربوبيته تفرّد الشكور الذى لايشكر غيره ولايحمد ، الغفور الذى يغفر الذنوب لمن يتوب ولايتردد ، الملك الذى أفنى الممالك والملوك وملكه سرمد ، العلى الذى إليه الكلم الطيب يصعد ، الحاكم الذى حكم بالموت على أهل الدنيا فليس فيها أحد يخلد ، أرسل الرسل ليرشدوا الناس إلى الطريق الأحمد . وجعلهم حجابا بين يدى من له الشفاعة ولواء الحمد فى القيامة يعقد ، وجعله آخر الأنبياء ليبين لهم الطريق الأرشد . فلذلك قال تعالى فى كتابه المجد (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدّقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) فنوّه بذكره تشريفا لقدره وتوقيرا ، وأطفأ به للمشركين نارهم وأظهر به للمؤمنين نورا . وأكمل به لأمته فرحا وسرورا . وأرسله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا . وجعله داعيا إليه باذنه وسراجا منيرا . وبعثه رحمة لكل موجود ونور به الوجود تنويرا . فقال فى حقه الملك العلى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) فهو سيد المرسلين وإمام المتقين ، ومن شرفه الله على جميع المخلوقين . ونبأه وآدم بين الماء والطين . وأرسله إلى كافة الخلق . فقال تعالى فى

فسألت أولاده عن الوديعة فقالوا لى والله ماندرى ماتقول ولا لنا بذلك من علم ، فوقفت حزينا فلقينى مالك بن دينار رحمه الله تعالى . فقال لى مابالك يا أخى ؟ فحدثته فقال إذا انتصف الليل وكانت ليلة الجمعة ولم يبق بالمطاف أحد فقم بين الركن والمقام وصح يافلان ، فإن كان صالحا مقبولا عند الله سبحانه وتعالى فان روحه تكلمك ، لأن أرواح المؤمنين كلهم تجتمع بين الركن والمقام . قال فلما كانت ليلة الجمعة نصف الليل وقفت بين الركن والمقام وصحت يافلان فلم يكلمنى أحد ، فلما أصبحت حدثت مالك بن دينار بذلك . فقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) كان ذلك العجمى من أهل النار ولكن امض إلى أرض اليمن ، فان فيها بئرا يسمى بئر برهوت تجتمع فيه أرواح المعذبين وهو على فم جهنم ، فقف على جانب البئر وناد يافلان فى وقت

كتابه المبين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وجعل مقامه رفيعا وحسنه بديعا ومولده للمؤمنين ربيعا ، فما برح دين الاسلام به مرفوعا ، ودين الشرك به موضوعا . نقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية فطاب أصولا وزكا فروعا ، ارتج لميلاده إيوان كسرى فانهار بنيانه وتداعى وقوعا ، شفعه الله تعالى فى العصاة من أمته تعظيما لقدره ، وجعل كلا منهم لقوله سامعا ولأمره مطيعا ، واختاره لهم فى الدنيا رسولا وفى الآخرة شفيعا ، وأمره بإظهار شرفه عليهم ، فقال له : (قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) توّجه الله بتاج الوقار ونوّر به جميع الأقطار ، وشرف به البادين والحضار ، وصفاه من جميع الأكدار ، وأخمد لنوره نار فارس وأضاء بمولده غياهب الحنادس وخلع عليه خلع الهيبة والوقار ، وختم به النبيين وتمم به المرسلين ، وأنزل عليه فى كتابه المبين ، تشريفا له ولأصحابه الأخيار (محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار) نبى بوّأه مقاما جليلا ، وأعطاه عطاء جزيلا ، بشرت بنبوته الأحبار والرهبان ، وأخبرت بظهوره الكهان ، وأظهرت له فى الأكوان وصفا حسنا وثناء جميلا ، وأوجده الله فى مثل هذا الشهر الشريف وفضله على سائر الخلق تفضيلا ، وكساه من حلل الوقار ثوبا جليلا ، وأنذر الناس برسالته ، فقال فى محكم آياته : (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا)

ربيع السرور أنار السبيلا ... وأهدى لنا كأسه السلسبيلا ... بمولد خير الأنام الذى
له الله كان وليا كفيلا ... ترى قبل موتى أزور الحمى ... وأبرى منها الفؤاد العليلا
وأنظر وادى قبا قد بدا ... لعينى وأشهد ذاك النخيلا ... ويدنو البقيع وقبر الشفيع
بمن طاب فرعا وأصلا أصيلا ... وألثم ذاك الضريح الذى ... تضمن خير الأنام الرسولا

نبى الهدى ماحيا للردى ... ويحلو الصدا وهو يهدى السبيلا
عليه من الله طول المدى ... سلام إذا رام حاد رحيلا

فياذوى العقل الراجح والذهن السليم ، انظروا ما أعدّ الله تعالى لهذا النبىّ الكريم من العطاء الجزيل والتبجيل والتكريم ، والحظ الوافر والفضل الجسيم ، فهو النبى الكريم المخصوص بالخلق العظيم الموصوف بالتبجيل والتعظيم ، المنزل عليه فى الآيات والذكر الحكيم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) إن أولى ما استفتح به الانسان ونطق به اللسان ، كلام من خلق الخلق والأنام للتفضل عليهم والاحسان إليهم ليس ذلك لحاجة ألجأته إلى إيجادهم ، ولا ضرورة أحوجته إلى انقيادهم ، إذهو الغنى على الإطلاق والذى لاتفنى خزائنه بكثرة الانفاق ، ومن أعظم احسانه وأكثر امتنانه على عباده أن أرسل إليهم صفيه الكريم ، ونبيه الجليل العظيم ، ورسوله الصادق الأمين ، الذى قال سبحانه فى صفة إبلاغه (وماهو على الغيب بضنين) فأطفأ بنور وجوده دياجى الكفر ، وأطلع فى سماء الإيمان زهر الدرارى ودرارى الزهر ، وأضاء بأنواره غياهب الحنادس ، وأخمد به نار فارس ، وشق إيوان كسرى انذارا بزوال ملكه ، ورأى قيصر رؤياه الدالة على هلكه ، فيجب على أمته التى رفعها الله به على الأمم ، وطأطأ لها بسيوف عزمه شوامخ القمم ، أن يتخذوا ليلة ولادته عيدا من أكبر الأعياد ، ويجتهدوا فى الفرح به غاية الاجتهاد ، ويتقربوا إليه بإكرام الغرباء والفقراء ، ويمتثلوا وصيته فى إسعاف اليتامى والأرامل والضعفاء ، ويتلوا قصة مولده على أسماع الأمم ، ويتحققوا عندهم ما أوجده الله بوجوده من الكرم ومحاسن الشيم ، ليتقرر فى خواطرهم ماله عند الله من المكانة والامكان ، وأنه ماخلق الله مثله من انسان وها أنا أذكر مولده مسندا عن الأئمة الصادقين وأتلو قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين)

نصف الليل فانه يكلمك قال فمضيت إلى تلك البئر فلما انتصف الليل قعدت عند البئر فإذا أنا بشخصين قد جآ ونزلا فى تلك البئر وهما يبكيان . فقال أحدهما للآخر من أنت ؟ قال أنا روح رجل ظالم كان يضمن الجهات للسلطان ويأكل الحرام فرمانى ملك الموت إلى هذه البئر أعذب فيها ، وقال الآخر أنا روح عبد الملك بن مروان قد كنت رجلا عاصيا ظالما فجئت أعذب فى هذه البئر ، فسمعت لهما صراخا فقامت كل شعرة فى جسدى من شدة الفزع قال فنظرت فى تلك البئر وصحت يافلان فجاوبنى من تحت الضرب والعقوبة : لبيك . فقلت يا أخى أين الوديعة التى أودعتك إياها فقال انها مدفونة تحت العتبة الفلانية فى الموضع الفلانى . قلت يا أخى بأى ذنب جئت إلى منازل الأشقياء ، قال بسبب أختى لأنه كان لى أخت وهى فقيرة منقطعة بأرض العجم

فقد روى عن مخزوم بن هانئ عن أبيه وكان قد بلغ من العمر مائة وخمسين سنة قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، ولاثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان ، ولثمان سنين وستة أشهر من ملك عمرو بن هند . وذلك أن عبد المطلب نام ليلة فى الأبطح فرأى كأنه خرج منه سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف : طرف بلغ مشارق الأرض ، وطرف بلغ مغاربها ، وطرف بلغ إلى عنان السماء ، وطرف رجع حتى صار شجرة خضراء ، فلما أصبح سأل عن ذلك ؟ فقالوا : إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك من يؤمن به أهل السموات والأرض . وروى كعب الأحبار رضى الله عنه قال : لما أراد الله عز وجل خلق الموجودات ، وخفض الأرض ورفع السموات قبض قبضة من نوره وقال لها كونى محمدا فصارت عمودا من نور وأشرق حتى انتهى إلى حجاب العظمة فسجد وقال : الحمد لله ، فقال الله تعالى : لهذا خلقتك وسميتك محمدا منك أبدأ الخلق ، وبك أختم الرسل . ثم إن الله عز وجل قسم نوره على أربعة أقسام : فخلق من القسم الأول اللوح ، ومن القسم الثانى القلم ، ثم قال الله تعالى للقلم اكتب ، فارتعد من الهيبة ألف سنة ، فقال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله فكتب القلم ذلك فاهتدى إلى علم الله تعالى فى خلقه فكتب : أولاد آدم لصلبه ، من أطاع الله أدخله الجنة ، ومن عصى الله أدخله النار ، أمة إبراهيم كذلك ، أمة موسى كذلك ، أمة عيسى كذلك حتى انتهى القلم إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكتب أمة محمد من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصى الله أراد أن يكتب أدخله النار ، فإذا النداء من العلى ياقلم تأدب فانشق من الهيبة وانقط بيد القدرة فصار ذلك عادة فى القلم لا يكتب إلا أن يكون مشقوقا مقطوطا ، فقال له اكتب : أمة مذنبة ورب غفور . ثم خلق الله عز وجل من القسم الثالث العرش ، ثم قسم القسم الرابع على أربعة أقسام : فخلق من القسم الأول العقل ، ومن الثانى المعرفة ، ومن الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار والنهار ، فكل هذه الأنوار من نور النبي المختار فكان هو أصل المخلوقات كلها ، ثم بقى ذلك القسم الرابع من النور مستودعا تحت العرش حتى خلق الله عز وجل آدم عليه السلام فوضع ذلك النور فى ظهره وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفوفا ينظرون إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال آدم : يارب ما لهؤلاء الملائكة يقفون صفوفا خلف ظهرى ؟ قال الله تعالى : يا آدم ينظرون إلى نور حبيبى وصفوتى من خلقى محمد خاتم الأنبياء الذى أخرجه من ظهرك ، فقال آدم : يارب اجعل هذا النور فى مقدمى حتى يستقبلونى ولا يستدبرونى فجعل الله ذلك النور فى جبهته فكانت الملائكة تقف قبالة آدم فيسلمون على نور محمد ويصلون عليه ، فقال آدم : يارب أريد أن يكون لى نصيب من هذا النور كما للملائكة فاجعله منى فى مكان أراه فنقل الله ذلك النور من جبهته إلى السبابة من يده اليمنى فكانت الملائكة تسبح فيسبح نور محمد صلى الله عليه وسلم فى أصبع آدم ، فلذلك سميت من بين الأصابع المسبحة ، ثم قال آدم : يارب هل بقى من هذا النور شىء فى ظهرى ؟ فقال بلى بقى نور بقية صحابته ، فقال يارب اجعله فى بقية أصابعى فجعل الله نور أبى بكر فى أصبعه الوسطى ، ونور عمر فى البنصر ، ونور عثمان فى الخنصر ، ونور علىّ فى الإبهام فما زالت هذه الأنوار تتلألأ فى أصابع آدم مادام فى الجنة حتى أصاب من الشجرة ما أصاب فردّ الله تلك الأنوار إلى ظهره ، ثم إن الله عزّ وجل عرّف آدم قدر ما أودعه من السر ، وقال له تطهر وسبح وقدس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها ، فانى مخرج منكما نورى ، ففعل آدم ما أمر به ربه فنقل الله ذلك النور من آدم إلى حواء فكان يرى فى جبهتها دارة كدارة الشمس ، فلما وضعت شيثا عليه السلام انتقل النور إلى جبين شيث عليه السلام ، فلما

فاشتغلت عنها بعبادة الله عز وجلّ والمجاورة بمكة وما كنت أتفقدها فى تلك المدة بشىء ولا أسأل عنها . فلما مت عاتبنى ربى عليها ، فقال لى : كيف نسيتها ، تعرى وأنت مكتس ؟ وتجوع وأنت شبعان ؟ وتظمأ وأنت مروى ؟ وعزتى وجلالى لأرحمن قاطع الرحم اذهبوا به إلى بئر برهوت فأتى بى ملك الموت إليها . وها أنا معذب يا أخى اذهب إليها واطلب لى منها المسامحة واجعلنى فى حل منها فلعل الله عز وجل أن يرحمنى لأننى ليس لى ذنب عند الله سبحانه وتعالى غير مقاطعتى للرحم وجفائى لها ، قال الرجل : فمضيت إلى الموضع الذى قال لى عليه فنبشته فوجدت الصرة وفيها وديعتى مثل ماربطتها بيدى فأخذتها ومضيت إلى بلاد العجم فسألت عنها واجتمعت بها وحدثتها بحديثه من أوله إلى آخره فبكت وجعلت أخاها فى حل وشكت إلى الله القلة والضرورة

كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ آدم عليه العهد والميثاق أن لا يودع هذا السر إلا فى المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال ، فانتقل ذلك النور من شيث إلى أنوش ، ثم إلى قينان ، ثم إلى مهلائيل ، ثم الى يرد ، ثم إلى أخنوخ ، ثم إلى متوشلخ ، ثم إلى لمك ، ثم إلى نوح عليه السلام ، ثم إلى سام ، ثم إلى أرفخشذ ، ثم إلى شالخ ، ثم إلى عابر ، ثم إلى فالع ، ثم إلى راغو ، ثم إلى ساروغ ، ثم إلى ناحور ، ثم إلى تارخ ، ثم إلى آزر ، ثم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم إلى إسمعيل ، ثم إلى قيذار ، ثم إلى نبت ، ثم إلى سلامان ، ثم إلى الهميسع ، ثم إلى اليسع ، ثم إلى أدد ، ثم إلى أدّ ، ثم إلى عدنان ، ثم إلى معد ، ثم إلى نزار ، ثم إلى مضر ، ثم إلى إلياس ، ثم إلى مدركة ، ثم إلى خزيمة ، ثم إلى كنانة ، ثم إلى النضر ، ثم إلى مالك ، ثم إلى فهر ؛ ثم إلى غالب ، ثم إلى لؤى ، ثم إلى كعب ، ثم إلى مرة ، ثم إلى كلاب ، ثم إلى قصى ، ثم إلى عبد مناف ، ثم إلى هاشم ؟ ثم إلى عبد المطلب ؛ ثم إلى عبد الله والد محمد صلى الله عليه وسلم :

مازال نور محمد متنقلا فى الطيبين الطاهرين أولى العلا
حتى لعبد الله جاء مطهرا ومكرما ومعظما ومبجلا

فلما أراد الله عز وجل إخراج تلك الوديعة من خزائن الأصلاب الرفيعة . إلى كنز أحشاء آمنة المنيعة . وظهرت لانتقال نوره الآيات . وتباشرت به جميع المخلوقات . نودى فى جميع الأرض والسموات : ياعرش تبرقع بالوقار . يا كرسى تدرع بالفخار . ياسدرة المنتهى ابتهجى . ياأنوار المهابة تبلجى . ياجنان تزخرفى . ياحور من القصور أشرفى . ياملائكة الله اصطفى وتمنطقى بالعرش وحفى . يارضوان افتح أبواب الجنان . وزين الحور والولدان . أطلق مجامر الطيب وعطر الأكوان . يامالك أغلق أبواب النيران . فان النور المكنون والسر المصون المخزون . الذى فى خزائن قدرتى فى هذه الليلة من عبد الله ينفصل . وإلى آمنة يتصل . وإلى أحشائها فى هذه الساعة ينتقل . التى فيها يتم خلقه تماما جليا . ويخرج إلى الناس بشرا سويا . فلما أذن الله سبحانه وتعالى فى انتقال نور محمد صلى الله عليه وسلم انتقل عشية الجمعة أول ليلة من شهر رجب الفرد . وقيل منتصف جمادى الآخرة وهو قول الواقدى ولم يبق فى تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور . ولا دابة إلا نطقت . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها . قالت آمنة : لما مر لى من حمله ستة أشهر مات أبوه عبد الله وأتانى آت فى المنام فوكزنى برجله ، وقال يا آمنة أبشرى فقد حملت بخير العالمين طرا . فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك . قالت : وفى مدة حملى به ماشكوت وجعا ولا ألما ولا ثقلا ولا مغصا . ولقد حملت به تسعة أشهر كملا . فلما حان وقت ولادتى أخذنى مايأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من قومى وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فمددت كف السؤال إلى من لا تخفى عليه خافية . فاذا أنا بالأخت المواسية : امرأة فرعون آسية . ثم نظرت نورا أضاء منه المكان . فاذا هى مريم ابنة عمران . ثم شاهدت وجوها كالبدور . فاذا هم جماعة من الحور . فاشتد بى الطلق فاستندت على النساء . ثم أعاننى عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة . فوضعت الحبيب معتمدا على يديه شاخصا إلى السماء بعينيه . حنت آسية عليه . بادرت مريم إليه ، قبلت الحور قدميه ، نزل الى المنزل جبريل ، حف به ميكائيل . جاء إلى خدمته إسرافيل أخفوه عن الأبصار . طافوا به جميع الأقطار . غمسوه فى الجنة فى سائر الأنهار . كتبوا اسمه على أوراق الأشجار . ثم عادوا بالمفضل على الكونين . فى أسرع من

فوهبتها شيئا من حطام الدنيا وانصرفت عنها . فينبغى لكل مؤمن أن يصل رحمه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت فى الجنة قصرا من ذهب ودر وياقوت وزبرجد يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره . قلت : لمن هذه المنازل ياأخى ياجبريل ؟ قال لمن وصل الأرحام وأفشى السلام وألان الكلام وأطعم الطعام ورفق بالأيتام وصلى بالليل والناس نيام » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صبر على خلق زوجته مع طاعة الله ورسوله أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب صلى الله عليه وسلم . ومن صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل من قتل فى سبيل الله عز وجل . ومن ظلمت زوجها وكلفته مالا يطيق وآذته لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وهى فى النار . ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله ثواب آسية

طرفة عين ، أخذته آسية تكحله فوجدته مكحولا بكحل الهدى ، أرادت مريم أن تقطع سرته فوجدته مقطوع السرة قد زال عنه الردى ، قدمت الحور العين أنواع الطيب ، طيبت به شمائل هذا الحبيب ، سارعت إلى طلعته المباركة ، ثلاثة من الملائكة ، مع أحدهم طست من الذهب الأحمر ، ومع الثانى إبريق من الجوهر ، ومع الثالث منديل من السندس الأخضر ، فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من الخرقة خاتم النبوة والتصديق ، وله لمعان وبريق ، وختموا به ظهر هذا النبى الشفيق ، فتم بذلك سعده والتوفيق ، وقيل لأمه آمنة لاتدعى أحدا من العالمين ينظر إلى محمد الصادق الأمين ، حتى تنقضى عنه زيارة الملائكة المقربين . ولما ولد صلى الله عليه وسلم وسقط اهتز العرش طربا ، وزها الكرسى عجبا ، ومنعت الجن عن السماء ، وقالوا لقد لقينا فى طريقنا نصبا ، وضجت الملائكة بالتسبيح رغبا ورهبا ، ونشرت الرياح وأبدت سحبا ، وأمالت فى الحدائق من الغصون قضبا ، ونادت الكائنات من جميع الجهات أهلا وسهلا ومرحبا :

نسيم الصبا أهلا وسهلا ومرحبا ... قدمت فأقدمت السرور إلى الربا
وجددت فى كل القلوب مسرة ... ونشرك أضحى فى الوجود مطيبا
متى أنظر الأعلام ياسعد قد بدت ... ويصبح قلبى من حماه مقربا
فقد زمزم الحادى بذكر محمد ... نبى كريم للشفاعة مجتبى
رسول عظيم مصطفى ذو مهابة ... له الله بالذكر المرفع قد حبا
فلولاه ماسار الحجيج لمكة ... ولاحن مشتاق لنجد ولا صبا

فسبحان من أطلع كواكب سعوده فى الأكوان فطلعت ، وألمع بوارق جوده فلمعت ، وبث أنوار أقمار شهوده فتلألأت وسطعت ، وقطع آمال الكفار من مرادهم فانقطعت ، وأذل ملوكهم بعزه فذلت لهيبته وخضعت ، فالإنس بقدومه قد تآنست وارتفعت ، والجن من استراق السمع قد منعت ، والأملاك فى الأفلاك قد سجدت وركعت ، وآمنة قد فازت بما حازت حين لجمال هذا الحبيب قد وضعت ، وحليمة الحليمة تشرفت إذ له أرضعت ، وألسنة المداح قد أثنت بشكره فى الآفاق وأسمعت :

قلوبنا بالغرام قد ولهت ... مافترت عنه لا ولارجعت ... وأذننا شرفت ومسمعها
من طيب أذكاره التى سمعت ... طلعته تخجل البدور إذا ... ماظهرت للعيون أوطلعت
وقده يخجل الغصون إذا ... مانظرت قده له ركعت ... كل مليح له أقر كما
جوامع الحسن فيه قد جمعت ... محمد سيد الأنام ومن ... أعناق أعدائه له خضعت
جاءت لنا رحمة بمولده ... ومذ أمدت به فما انقطعت ... وفى ربيع جاءت بشائره
فمذ أتانا أسواؤنا دفعت ... فمثله فى الأنام سائرة ... ماحملت حامل ولا وضعت
أفى الدنا غيره بمولوه ... أشرقت الأرض والسماسطعت ... وينزل الغيث والغياث به
ومن سناه البروق قد لمعت ... يامولد المصطفى جمعت لنا ... أنواع بشر فى القلب قد زرعت
ويار بيعا لنا بمربعه ... أوقات أنس بالخير قد رفعت ... ليتك لو كنت دائما أبدا
فان أعداءنا بك انقمعت ... ياسيد المرسلين خذ بيدى ... فأدمعى من جنايتى همعت
واشفع لنا فى المعاد يا أملى ... من حر نار الجحيم قد لذعت ... فمنك نرجو أن لاتخيبنا
يامن به الكائنات قد نفعت ... عليك صلى الإله ماسهرت ... عين وما فى منامها هجعت

وآلك الطهر والصحاب ومن ... تحب من أمة لك اتبعت

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فان الله يقول وهو أصدق القائلين : من وصل رحمه أزيد فى عمره وأثمر ماله وأعمر داره وأهون عليه سكرات الموت وتناديه أبواب الجنة : هلم إلينا » وقال عليه الصلاة والسلام « لاتنزل الرحمة على قاطع الرحم » نعوذ بالله من الحرمان . ونسأل الله القبول والغفران . ونسأله الأمان من النيران .

الباب التاسع

فى عقوبة عاق والديه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلو علم الله عز وجل فى الكلام شيئا أقل من أف ماقال الله عز وجل (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان فى الكلام شىء أقل من أف ماقال الله فلا تقل لهما أف » فقد بالغ الله سبحانه وتعالى فى الوصية بالوالدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عاق والديه لو صام وصلى حتى بقى مثل الوتر

المجلس الرابع والأربعون

فى التنزيه ، وذكر الصالحين

الحمد لله الذى اعترف بفضله كل حاضر وبادى ، واغترف من بحر برّه كل رائح وغادى ، وهمعت بفضل وجوده عيون السحب الغوادى ، وسبح بحمده النهار الزاهر والليل الهادى ، ونطقت بحكمته الكائنات لذوى البصائر والعقول ، والسموات تقول : سبحان من رفعنى بقدرته وأمسكنى بقوته فهو ركنى وعمادى ، والأرض تقول : سبحان من وسع كل شىء علما ، وفرش فراشه على الماء ومهد مهادى ، والجبال تقول : سبحان من قوّى أركانى وثبت بنيانى وأوتادى ، والبحار تقول : سبحان من بمشيئته أجرانى وأسال عيونى وغدرانى لورّادى وقصادى ، والعارف يقول : سبحان من دلنى عليه وجعل إليه مرجعى ومعادى ، والعالم يقول : سبحان من فتح مسامع أفهامى ووفقنى فى أحكامى واجتهادى ، والعابد يقول : سبحان من أيقظنى فى الليل لنيل أوطارى وأقامنى لأذكارى وأورادى ، والمذنب يقول : سبحان من اطلع علىّ فى المعصية ورآنى فسترنى وغطانى وتاب علىّ لما تبت وهدانى وأصلحنى بعد فسادى ، فسبحانه من إله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا وينادى : هل من تائب فأتوب عليه ؟ وأنظر إليه بعين ودادى ، هل من مستغفر فأغفر له ، وأريه طرق رشادى ، هل من داع فأستجيب له وأنجزله بالفضل ميعادى ؟ هل من سائل فأعطيه ماسأل وأجود عليه بانعامى وإرفادى ، فيا أيها الغافل إلى متى هذه الغفلة والتمادى ؟ انهض على قدم الندم والاعتذار ، وداو بمداومة الأذكار قلبك الصادى ، وقف فى الأسحار بالذلة والانكسار بين يدى الملك الجبار ونادى :

أتيت إليك يارب العباد ... بافلاسى وذلى وانفرادى ... وها أنا واقف بالباب أبكى
زمانا مابلغت به مرادى ... عسى عفو يبلغنى الأمانى ... فقد بعد الطريق وقلّ زادى
فأنت ذخيرتى وبك انتصارى ... وفيك تولهى وبك اعتمادى ... وعنك إشارتى وإليك قصدى
ومنك مسرتى ولك انقيادى ... ومالى حيلة إلا رجائى ... وفيك على المدى حسن اعتقادى
ولو أقصيتنى وقطعت حبلى ... وحقك لاأحول عن الوداد ... فجد بالعفو يامولاى وارحم
عبيدا ضل عن طرق الرشاد ... وقد وافى ببابك مستجيرا ... يخاف من القطيعة والبعاد

توسل بالنبى الطهر حقا ... شفيع الخلق فى يوم المعاد
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة ماحدا بالركب حادى

[وعن ثوبان رحمه الله] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا . أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين» فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هم الشعث رءوسا الدنسون ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم السدد أولئك أهل الله وخواصه من عباده .

رجال لهم حال مع الله صادق ... فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا
تحوم على الدنيا وتبغى تزهدا ... فلا أنت معدود هناك ولاهنا

[مرّ سرىّ السقطى رحمه الله] برجل ملقى على الأرض ، وهو سكران والخمر يطفح من فيه ، وهو يقول : الله الله فرفع السرىّ طرفه إلى السماء . وقال إلهى إنسان يذكرك لايكون هكذا ثم دعا بماء فغسل فمه ، ثم تركه ومضى . فلما أفاق الرجل قالوا : إن الشيخ السرىّ قد رآك ، وفعل

ومات ووالداه غضبانان عليه لقى الله عز وجل وهو غضبان عليه » وقال صلى الله عليه وسلم «ليس بين عاق والديه وبين إبليس فى النار إلا درجة واحدة» وقال صلى الله عليه وسلم «ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت أقواما معلقين فى جذوع من نار فقلت لأمين الوحى ياأخى ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : العاقون لوالديهم» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سب والديه نزل على رأسه فى جهنم بعدد كل قطرة نزلت من السماء إلى الأرض » نعوذ بالله من النار ، ومن غضب الجبار ومن كل عمل يدخل النار ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايتعبنى شىء مثل ما أتعب مع العاقين لآبائهم وأمهاتهم أكون فى الجنة فأسمع صراخهم من الضرب والعقوبة وأسمع بكاءهم فيوجعنى قلبى الرقيق عليهم فأسجد تحت العرش أشفع فيهم ، فيقول الله عز وجل : يامحمد ارفع رأسك فان العاقين

معك خيرا وغسل فمك فخجل واستحى ولام نفسه ووبخها . وقال ويحك يانفس إن لم تستح من الله ، ومن أوليائه فممن تستحين ؟ ثم ندم وتاب مما كان فيه وبات السرىّ فرأى فى منامه قائلا يقول له ياسرىّ أنت طهرت فمه لأجلنا ، ونحن طهرنا قلبه من أجلك ، فلما أصبح السرى سأل عن ذلك الرجل فوجده فى بعض المساجد وهو قائم يصلى ، فلما فرغ قال له السرى ياأخى كيف حالك ؟ فقال ياسيدى كيف تسأل عن حالى ، وقد أخبرك الكريم أنه طهر قلبى من أجلك وأصلح بالى ! قال ومن أعلمك بهذا ؟ قال الذى طهر قلبى من سواه ، وجاد علىّ بعفوه ورضاه :

من مثل ربك تعصيه وتهجره ... ويسبل الستر ياذا الغدر فارتدع
ياناقض العهد يامن حاله قبحت ... مع الإله بلا خوف ولاجزع
ضيعت عمرك تسويفا بلا عمل ... تمسى وتصبح بين الحرص والطمع
وتسمع الوعظ لاتنهاك زاجرة ... بل أنت فى غفلة عن ذاك فاستمع
فقم لتقرع بابا للذى كثرت ... للسائلين عطاياه وأنت معى
لعله أن يرانا تائبين له ... يمنّ بالعفو عن عصياننا الشنع

[قال ذوالنون المصرى رحمه الله تعالى] رأيت غلاما نحيفا مصفر اللون دقيق الساقين يمشى فى البرية بلا زاد ولاماء ولانعل فسلمت عليه وقلت له مالى أراك على هذه الحالة ؟ فبكى وأنشد :

ذاب مما بفؤادى بدنى ... وفؤادى ذاب مما فى البدن
اقطعوا حبلى وإن شئتم صلوا ... كل شىء منكموعندى حسن
صح عند الناس أنى واله ... غير أن لم يعلموا حبّى لمن

قال ذوالنون المصرى : ثم لاأدرى أين ذهب . ياهذا أطيب المعاملة ماطاب منهلا ، وأعذب الموارد ماراق وحلا ، ماصفا عيش القوم حتى قلبهم فى قليب الابتلا ، سكن قلوبهم بسكينة المسكنة وقطع منها أربا وأملا ، ونادى عليهم فى سوق الشوق بين الملا ، أتصبرون على البلاء قالوا بلى . فسقاهم رحيق التوفيق ختامه مسك التصديق ، فعابوا على النفس وغابوا فى فلوات التحقيق ، وتلذذوا بالفقر والفاقة فى سلوك الطريق ، فأنسوا بخلواتهم فى البرّ الأقفر ، لهم تهافت عند ذكر الحبيب الأكبر ، ولهم تواجد عند سماع « ربّ أشعث أغبر » كان أويس القرنى رحمه الله إذا جاع يأتى المزابل فأتاها يوما فاذا كلب ينبح عليه ، فقال له لاتؤذ من لايؤذيك أنت تأكل مما يليك ، وأنا آكل مما يلينى ، فان دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير منى :

ذلّ الفتى فى الحب مكرمة ... وخضوعه لحبيبه شرف
وإذا تذلل عز قدرا فى الهوى ... وأتته بعد الفاقة التحف

[وقال سرى السقطى رحمه الله] دخلت المقبرة فرأيت بهلولا المجنون على قبر يتمرغ على التراب فقلت له ماجلوسك ههنا ؟ فقال أنا عند قوم لايؤذونى ، وإن غبت عنهم لايغتابونى فقلت له الخبز قد غلا . فقال والله ماأبالى ولوحبة بدينار ، علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرقنا كما وعدنا . وقيل إن رابعة العدوية رحمها الله مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها . فقالت له ياهذا إلى متى تشتغل بالأغيار عن الواحد الجبار ؟ ويحك عليك بالجار ثم الدار . فقال لها اذهبى ياهذه مجنونة فقالت أنا لست بمجنونة ، وإنما المجنون من لم يفهم ما أقول يامسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه ، والنار بستان من كان الله مؤنسه وجليسه ، ألاترى الى آدم لما كان فى الجنة كان يرتع ويتهنى فلما تعرض للأكل من الشجرة صارت عليه سجنا ، وابراهيم الخليل لما حفظ سره لمولاه قربه واجتباه ، فلما طرح فى النار صارت عليه بردا وسلاما :

لوالديهم لأخرجهم من النار حتى يرضى عليهم آباؤهم وأمهاتهم فأرجع إلى مكانى وأشتغل عنهم ثم أعود فأسمع صراخهم وبكاءهم فأمضى وأسجد ثانى مرة تحت العرش ، فيقول الله عز وجلّ : ياحمد ارفع رأسك . فمهما طلبت أعطيتك إلا العاقين فانهم لايخرجون من النار حتى يرضى آباؤهم فأمضى إلى مكانى وأنساهم ثم أعود أسمع نحيبهم وبكاءهم ، فأقول : اللهم مر مالكا أن يفتح باب طبقتهم حتى أنظر إلى عذابهم فاننى أسمع صراخهم عظيما ، فيقول الله عز وجل إنى قد أمرته بذلك فعند ذلك أمضى إلى مالك فيفتح لى فأنظر رجالا معلقين فى جذوع من نار والزبانية تضربهم بسياط من نار على ظهورهم وأخذاهم وحيات وعقارب تسعى تحت أرجلهم فتلدغهم فأبكى رحمة لهم فأرجع فأسجد ثلاث مرات تحت العرش .

فروحى وريحانى إذا كنت حاضرا وإن غبت فالدنيا علىّ محابس
إذا لم أنافس فى هواك ولم أغر عليك ففيمن ليت شعرى أنافس

[قيل كان حبيب النجار رحمه الله] من الأولياء الأخيار الأتقياء الأبرار يقوم الليل ويصوم النهار ، ويؤثر بطعامه عند الافطار ، ويبيت طاويا فى خدمة الملك الغفار . فإذا كان وقت الأسحار ناجى ربه ، وقال بلسان الذلة والانكسار : غرقت فى بحار غفلتى ، وركضت فى ميدان صبوتى ، وعثرت بأذيال ذلتى ، وتحيرت فى بيداء شقوتى ، ومالى غيرك أعتمد عليه ، ولاأعرف بابا غير بابك فألتجىء إليه ، وها أنا عبدك الذليل المذنب العليل قد وقفت ببابك ولذت بجنابك . فان لم ترحمنى فياذلى وياشقوتى ، وإن لم تعف عنى فياطول حسرتى ، ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر ، فاذا صلى وفرغ شرع فى القراءة من أول الختمة الى آخرها بقية يومه فلما مات كان آخر آية تلاها فى سورة يسّ قوله تعالى (إنى إذا لفى ضلال مبين) فلما دفن سأله ملائكة ربه عن الإيمان . فقال (إنى آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) فلله درّهم من أقوام قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ، يتحملون أثقال الوجد والغرام ؛ ويفرحون بالليل إذا جنّ الظلام ، فهم غدا فى جنان الخلد يتنعمون ، وإلى وجه الحبيب ينظرون ، ألاإن أولياء الله لاخوف عليهم ولايحزنون :

لله قوم بذكره اشتغلوا وفى حمى قربه لقد نزلوا ليس لهم غير ذكره فرح
فهم حقيقا عليه قدحصلوا من ذاق وصل الحبيب هام ولم يحل له منزل ولا طلل
بروحهم فى وصاله سمحوا وحققوا ربحهم وماجهلوا قاموا يناجونه وقد علموا
بأنهم للمعاد قد عملوا فاستعذبوا الصعب فى هواه وقد لذّ لهم فى رضاه ماحملوا

[قال أبو بكر بن عبد الله رحمه الله] : تهت فى بادية العراق أياما فلم أجد شيئا أرتفق به فبينما أنا سائر إذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب الخيمة ستر مسبل فسلمت فردت علىّ السلام عجوز من داخل الخباء ، وقالت من أين الرجل ؟ قلت من مكة قالت وأين تريد ؟ قلت الشأم ، قالت أرى سيحك سيح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها إلى أن يأتيك اليقين ثم تنظر فى هذه الكسرة التى تأكلها إن كانت من حلال فتجوهر باطنك ثم قالت لى أتقرأ القرآن قلت نعم قالت فاقرأ علىّ آخر سورة الفرقان فقرأتها فصرخت وأغمى عليها فلما أفاقت قالت لما قرأت هذه الآيات اقشعرّ جلدى لقراءتها ثم قالت لى اقرأها ثانيا فقرأتها فلحقها مثل ماحقها فى المرة الأولى ثم مكثت طويلا فقلت فى نفسى ترى ماتت أم لا ؟ فرجعت ذاهبا مقدار نصف ميل فأشرفت على واد فيه عرب فابتدرنى غلامان ومعهما جارية . فقال لى أحد الغلامين ياهذا أتيت على الخيمة الشعر التى بالفلاة ؟ قلت نعم قال قرأت القرآن عند العجوز ؟ قلت نعم قال ماتت ورب الكعبة ، فمضيت مع الغلامين حتى أتينا الخيمة فدخلت الجارية وكشفت عن وجه العجوز فاذا هى ميتة فعجبت من خاطر الغلام ثم قلت للجارية من هذان الغلامان ؟ فقالت هما شريفان جعافرة وهذه أختهما منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس وإذا نزلوا بواد انفردت عنهم وضربت خيمتها فى الفلاة وحدها ، وكانت تأكل فى كل ثلاثة أيام مرة واحدة :

[إخوانى] إلى متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات ، بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات ، أما أيقظكم منادى الشتات ، أما هزكم حديث الصالحين

فيقول الله عز وجلّ ليس لهم خروج إلا برضا والديهم . فأقول يارب وأين والدوهم ؟ فيقول الله عز وجل فى منازلهم فى الجنة . ومنهم جماعة على الأعراف ، ومنهم جماعة فى جنة المأوى ، ومنهم جماعة فى غيرها . فأقول : إلهى وسيدى عرفنى بكل من له والد فى الجنة فيعرفنى الله سبحانه وتعالى بهم فأذهب إليهم وأقول لو رأيتم أولادكم وقد وكلت بهم زبانية تعاقبهم قد أحزن قلبى بكاؤهم وصراخهم فيذكر آباؤهم ماجرى من الأولاد فى دار الدنيا فتقول واحدة من الأمهات دعه يعذب يارسول الله لأنه كان قد أهاننى وشتمنى وكسر قلبى ، وقد كان قادرا على المال والدنيا وأنا أبيت جوعانة ويكسو زوجته المليح الغالى وأنا عرياتة ، ثم يقول الآخر دعه يعذب . فقد كان يضربنى إذا كلمته فى مصلحة حاله

والصالحات ، إذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات ، وإذا أقبل الليل ضجوا فيه بحنين الأصوات ، ليس لهم الى غير محبوبهم التفات ، فهم الأبطال والسادات :

حياتنا باطل غرور وعمرنا ذاهب قصير
والناس فى غفلة نيام وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضى وليس ندرى مثل سفين بنا تدور
يانفس ماسرّ فهو حزن لاتحسبى أنه سرور
تذكرى الموت واستعدى له فقد جاءك النذير

[قال عبد الرحمن القرشى] كنت أصحب إبراهيم بن أدهم وأسوح معه فسرنا فى طريق الحجاز ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولاشراب فقلقت فعرف مانى من الجوع فجلس ورنق وجلست إلى جانبه ، وإذا برغيف سخن قد سقط فى حجرى فرفع ابراهيم رأسه وقال لى كل . فأكلت نصفه فشبعت ثم سرنا فمررنا بقافلة قد حبسها الأسد عن المسير فتقدم ابراهيم إليه وقال له ياقسورة إن كنت قد أمرت فينا بشىء فامض لما أمرت به وإلا فاذهب فولى الأسد هاربا وسار القوم فقالوا له بالله عليك ياسيدى إلا مادعوت لنا فنحن نخاف فى السفر . فقال لهم قولوا : اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام ، واكنفنا بكنفك الذى لايضام ، وارحمنا بقدرتك علينا . لانهلك وأنت رجاؤنا . قال عبد الرحمن فلقيت رجلا من أهل القافلة بعد مدة فسألته . فقال والله مذ كنا ندعو بهذا الدعاء الذى علمنا الشيخ مامرّ بنا سبع ولالص ولامرجف ثم ركب معنا ذلك الرجل فى مركب فى البحر فعصفت الريح وهاجت الأمواج واضطرب المركب وخفنا الغرق فبكى الناس وضجوا فقال الرجل ياقوم معنا فى السفينة شيخ صالح كان من أمره كيت وكيت فسلوه أن يدعو لكم فأتيناه وهو نائم فى ناحية السفينة ملفوف رأسه فى الكساء فأيقظناه وقلنا له ياسيدى : أما ترى ما الناس فيه من الشدة فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك . قال فما استكمل كلامه حتى سكنت الريح وهدأ الموج وسارت السفينة . قال عبد الرحمن فلما نزلنا من السفينة سرنا أياما فهلكت من الجوع فشكوت اليه فأخذ المزود ورقى الى شجرة البلوط فملأ المزود ثم أتى به فاذا هو رطب جنى فما أكلت شيئا ألذ منه ولا أطيب . قال وعطشت معه فى بعض السياحات ليلا فشكوت إليه ذلك . فقال لى اشرب فنظرت فاذا دلو قد دلى من الهواء وفيه ماء لم أذق أطيب منه طعما ولا أحسن ريحا فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك أصوم فى الهواجر فلا أجوع ولا أعطش ، هؤلاء والله الأقوام صفوة الملك العلام :

قوم إذا عبث الزمان بأهله كان المفر من الزمان اليهم وإذا أتيتهمو لدفع ملمة
جادوا عليك بما يكون لديهم فإذا أتيتهمو أنخ بجنابهم أولاتنخ فاقر السلام عليهمو

فلله درّهم من رجال ماتركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم من مجال قد أسبلوا العبرات على الوجنات ووصلوا الزفرات بالحسرات ، ونادوا : يامن لاتحيط به الصفات ، أنقذنا من ظلم الآفات ، فلو تراهم وقد براهم الوجد ، وأنحلهم الشوق ولم يشكوا ألما ولاضررا ، وناجاهم الحبيب وناداهم بالترحيب سحرا ، وركبوا خيل الليل وساروا فحمدوا عند الصباح السرى :

لله درّ رجال واصلوا السهرا واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
قوم نجوم الهدى فى الليل تعرفهم هم الملوك هم السادات والأمرا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا عمن سواه وللذات قد هجرا

ويطردنى عن بيته وقد كان يفعل وكان يصنع فيبقى فى قلوبهم الحقد مما مضى فأقول لهم إن الدنيا قد مضت ، وقد مضى مامضى فاسمحوا لهم واصفحوا عنهم كرامة لمجيئى إليكم فيقول الله عزّ وجل ياحبيبى ياأحمد لاتشق عليهم فوعزتى وجلالى ماأخرج أولادهم من النار إلا برضا قلوبهم فيقول يارب مرهم أن يمشوا معى إلى جهنم لينظروا عذابهم عسى أن يرحموهم فيأمر الله عز وجل بمشيهم معى فيأتون إلى جهنم فيفتح مالك عليهم أبواب جهنم . فاذا نظروا إلى أولادهم وعذابهم يبكون ويقولون تالله ماعلمنا أنهم فى العذاب الشديد فتصيح كل واحدة من الأمهات لبنتها أولابنها ، وإن كان والدا فيصيح لولده . فاذا سمع الأولاد أصوات آبائهم وأمهاتهم يبكون ويقول كل واحد لأمه ياأماه النار أحرقت كبدى

يمسى ويصبح فى وجد وفى قلق ... مما جناه من العصيان منذعرا
يقول ياسيدى قد جئت معترفا ... بالذنب فاغفره لى ياخير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له ... ولم أطع سيدى فى كل ما أمرا
عصيته وهو يرخى ستره كرما ... ياطالما قد عفا عنى وقد سترا
ياطالما كان لى فى كل نائبة ... إذا استغثت به فى كربة نصرا
وإننى تائب مما جنيت وقد ... وافيت بابك يامولاى معتذرا
لعلّ تقبل عذرى ثم تجبرنى ... يوم الحساب إذا وافيت منكسرا
وقد أتيت بذلى راجيا كرما ... إليك ياسيد السادات مفتقرا
وقد تشفعت بالهادى البشير ومن ... فاق النبيين والأملاك دون مرا
تالله لو لم يكن فى الأرض مانبتت ... زرعا ولا أنزل البارى بها مطرا
متى أسير إلى ذاك الجناب متى ... أحظى برؤيته أقضى بها وطرا
صلى عليه إله العرش ماركضت ... نوق ومازمزم الحادى لها وسرى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

المجلس الخامس والأربعون

فى محبة الله عزّ وجلّ

الحمد لله ذاكر من كان له ذاكرا ، وشاكر من كان له شاكرا ، الذى عمت رحمته أوّلا وآخرا ، وكفلت نعمته مؤمنا وكافرا ، وأسهر عيون أهل محبته فى خدمته ، فالسعيد من بات فى طاعته ليلا ساهرا ، شغلهم بحبه ولذذهم بعتبه فأصبح شذاهم بتقواهم فى الأكوان عابقا عاطرا ، سامرهم فى خلوة التقريب عند غفلة الرقيب ، ويافوز من له الحبيب مسامرا ، سقوا بساتين أشجانهم بماء دموع أحزانهم فأصبح روض إيمانهم زاهيا زاهرا ، وخربوا ربوع هواهم زهدا فى دنياهم ورغبة فى أخراهم فأضحى وربع تقواهم بمولاهم عامرا ، دعاهم إلى مشاهدة جماله وجعل لهم من جزيل نواله وأفضاله نصيبا وافرا :

فهم الذين تمزقوا فى حبه ... وتهتكوا فرأوا جمالا باهرا
فوجوههم بضيائه قد أشرقت ... وشذاهمو فى الكون أصبح عاطرا
ركبوا نجائب شوقهم تحت الدجى ... فلأجل ذا حمدوا سراهم باكرا
قد خصهم بالقرب منه وبالرضا ... وكسا وجوههم ضياء مزهرا
مولى إذا العاصى ألمّ ببابه ... غفر الذنوب له وأضحى ساترا
وإذا أتاه الطالبون لفضله ... أعطاهمو منه نصيبا وافرا

فسبحانه من إله لم يزل عظيما قادرا حليما غافرا ، كريما ساترا حاكما على الخلائق بسطوته قاهرا ، عادلا فى حكمه لا حائفا ولا جائرا ، من عامله أربحه بعد ما كان خاسرا ، ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحما ، ولكسره جابرا ، ومن عصاه بجهله ثم تاب إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافرا ، ومن ذكره فى نفسه كان له بين ملائكة قدسه ذاكرا ، ومن تقرّب منه شبرا تقرّب منه ذراعا وافرا ، من طلبه عند شدّته ودعاه عند كربته وجده لضره كاشفا ولخذلانه ناصرا :

أنت الذى مازلت منى حاضرا ... ولناظرى يانور عينى ناظرا
ولقلبى الملهوف شغلا شاغلا ... ولمسمعى أبدا حديثا سائرا
فإذا نظرت فأنت قبلة ناظرى ... حيث اتجهت رأيت نورا باهرا

والعقوبة أهلكتنى يا أماه ما كنت يهون عليك أن أقعد فى الشمس وحرّها ساعة واحدة ولا تشكنى شوكة يا أماه كيف سمعت بعذابى وصبرت عنى أما ترحمين جلدى وعظمى فعند ذلك تبكى الآباء والأمهات فيقولون ياحبيبنا يامحمد اشفع فيهم فيقول الله عزّ وجل إنى لا أخرجهم إلا بشفاعتكم لأنى قد غضبت عليهم لأجلكم فيقولون إلهنا وسيدنا تفضل علينا بإخراج أولادنا من النار فيقول الله عز وجل للوالدة والوالد رضيتما عن أولادكما ؟ فيقولان نعم ؟ فيقول الله عز وجل كل من رسم له والده بخروجه فأخرجه ، وكل من لا يطلبه فدعه يعذب حتى أقضى ما أشاء فأخرجهم وقد صاروا فحما فيجرى عليهم الماء من نهر الحيوان فينبت عليهم اللحم والجلد والشعر ويدخلون الجنة» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوصيكم بالصلاة

وإذا سمعت فعنك أسمع دائما ... وإذا نطقت فعنك أروى ماهرا
أنت الذى مازلت لى فى وحدتى ... عند انفرادى مؤنسا ومسامرا
مارمت منك على الحقيقة نصرة ... إلا وجدتك لى معينا ناصرا
كلا ولا ناديت فى غسق الدجى ... يارب إلا كنت منى حاضرا
أبدا يناجيك الضمير وطالما ... أبدى العيان له دليلا ظاهرا
فلأنت سرى فى الفؤاد ولم تزل ... فى خاطرى فى كل وقت خاطرا
يامن غدا مأوى الطريد ومن له ... باب ينيل الوفد برّا وافرا
أنعم وجد فرضاك غاية مقصدى ... وسحاب دمعى فيك أضحى ماطرا
فامنن علىّ بتوبة أمحو بها ... وزرى وكن لى بعد كسرى جابرا

أحمده أوّلا وآخرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة مخلصة ليس فيها شك ولا مرا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من بين أصابعه وجرى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ماحدا الحادى إليه وسرى.

[إخوانى] اعلموا أن المحبة معنى يدق عن الأفكار، ويخفى عن الأسرار، فهى للخواص نور، وللعوام نار، ماعلق الحب بقلب امرئ ولاحلّ إلا تلاشى واضمحل، فالحب حرفان حاء وباء، فحاؤه حتف وباؤه بلاء، فهو فى الحقيقة داء، يستخرج لذائقه من صفو رائقه دواء وشفاء، فأوله فناء وآخره بقاء، وظاهره تعب وعناء، وباطنه سرور وهناء، هو لمن جهله شقاء، ولمن عرفه شفاء (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) فالناس فى المحبة على أنواع وأجناس. ومحبو الله هم خلاصة الناس. قال الله تعالى (والذين آمنوا أشدّ حبا لله) قال ابن عباس: أثبت وأدوم. وذلك أن المشركين كانوا إذا عبدوا صنما ورأوا شيئا أحسن منه تركوا ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن. وقال عكرمة: أشد حبا لله فى الآخرة. وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده فى وقت البلاء ويقبل على الله تعالى وذلك قوله تعالى (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) وقوله تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضلّ من تدعون إلا إياه) والمؤمن لايعرض عن الله فى السرّاء والضرّاء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه. وقال الحسن: إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة. وذلك قولهم للأصنام (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) والمؤمنون عبدوا الله تعالى بلا واسطة. وذلك قوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقيل لأن المشركين يحبون أندادا كثيرة فحبهم مشترك. وأما المؤمنون فحبهم غير مشترك لأنهم يحبون إلها واحدا. وقيل إن الكفار يتخذون معبودهم مصنوعهم، والمؤمنون يرون الله تعالى صانع كل مصنوع وخالق كل مخلوق. وقيل لأنهم أحبوا الأصنام وعاينوها، والمؤمنون يحبون الله تعالى ولم يعاينوه بل آمنوا بالغيب فلأجل ذلك وعدهم بالنظر إليه فى الآخرة؛ وقيل إنما قال الله تعالى (والذين آمنوا أشدّ حبا لله) لأن الله عز وجل أحبهم أوّلا ثم أحبوه ثانيا ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وأصح. قال الله تعالى (يحبهم ويحبونه).

[وقال سفيان الثورى] فى قول الله عزوجل (ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به) قال هو الحب وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان داود عليه السلام يقول: اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذى يبلغنى حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد».

وبرّ الوالدين فانه يزيد فى العمر، والذى نفسى بيده إن العبد يكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيحسن إلى والديه فيجعلها الله عز وجل ثلاثين سنة، ويسىء إلى والديه فيجعلها الله عزّ وجل ثلاث سنين أو ثلاثة أيام» والاحسان إلى الأهل والأقارب يزيد فى العمر، والجفاء عليهم ينقص فى العمر والرزق ويغضب الرب سبحانه وتعالى. وان لم يعاقب الله سبحانه وتعالى قاطع الرحم فى الدنيا يؤخر الله عذابه بعد الموت فيسجن روحه فى بئر برهوت على فم جهنم إلى يوم القيامة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عقّ والديه فقد عصى الله ورسوله، والعاق لوالديه إذا دفن فى قبره عصره القبر حتى تختلف أضلاعه، وأشدّ الناس عذابا يوم القيامة فى جهنم ثلاثة: العاق لوالديه والزانى والمشرك بالله» وقال بعض الصالحين

[وعن أنس بن مالك رضى الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب الله تعالى فليحبنى، ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحبّ أصحابى فليحب القرآن ومن أحبّ القرآن فليحب المساجد فانها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهى ميمونة ميمون أهلها محبوبة محبوب أهلها فهم فى صلاتهم والله تعالى فى حوائجهم، وهم فى مساجدهم والله تعالى فى نجح مقاصدهم».

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل» وفى رواية «قال لجبريل عليه السلام نادٍ فى أهل السماء والأرض أن الله عزّ وجل يحب فلانا فأحبوه فعند ذلك يلقى حبه فى الأرض ويقع فى الماء فيشربه البر والفاجر فيحبه البر والفاجر. وإذا أبغض الله عبدا أمر الله تعالى جبريل أن ينادى لمكس من ذلك فيبغضه البر والفاجر».

فى هذا الخبر حكاية عن ثابت البنانى رحمه الله أنه دخل على خليفة من الخلفاء. فقال له الخليفة ما كان يدعو صاحبك صالح اليمانى رحمه الله فى دعائه؟ فقال ثابت كان يقول فى دعائه: اللهم حببنى إلى قلوب عبادك، فقال الخليفة على سبيل الاستخفاف: وهذا كان دعاءه؟ فقال ثابت: أتستخف بهذا الدعاء وقد سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله تعالى إذا أحبّ عبدا نادى جبريل عليه السلام انى أحب فلانا فأحبوه» إلى آخره، فقال الخليفة تبت إلى الله تعالى وأنبت، قال ثابت فرجعت إليه من الغد فقام بين يدىّ وعانقنى وقبل رأسى، وقال نهنك الله كما نهنتنى، فى رأيت البارحة فى المنام كأنى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده، فقال دم على قولك: اللهم حببنى إلى قلوب العباد، فان أولياء الله لا يحبون عبدا إلا بعد أن يحبه الله، ثم سلمت عليه وانصرفت.

[وكان أبو يزيد البسطامى رحمه الله] يقول فى مناجاته: إلهى لست أعجب من حبى لك وأنا عبد حقير، وإنما أعجب من حبك لى وأنت ملك قدير. وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول فى مناجاته: إلهى ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا، بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا.

[وقال بعض العارفين] الحب حب يبذر فى أرض القلوب ويسقى بماء القبول فيثمر على قدر طيب الأرض وصفو الماء، فالبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا.

[وعن أنس بن مالك] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الاسلام: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار».

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظلّ إلا ظلى».

[وعن معاذ] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تعالى: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

[وقيل] كانت لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية. قال فكانت ذات ليلة نائمة فرأيتها قامت توضأت، ثم قامت تصلى، فلما فرغت خرت ساجدة، وهى تقول: سيدى بحبك لى إلا ما غفرت لى فقلت لها ويحك لا تقولى هكذا، ولكن قولى بحبى لك فربما هو لا يحبك. فقالت لى يا بطال لولا حبه لى لما أنامك وأوقفنى بين يديه، وبحبه لى أخرجنى من دار المشركين وكتبنى فى ديوان المؤمنين، فقلت لها: اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى، قالت يا مولاى: أسأت إلىّ كان لى أجران فصار لى أجر واحد، ثم صرخت صرخة، وقالت هذا عتق مولاى الأصغر فكيف عتق مولاى الأكبر

دخلت فى الليل بين القبور فرأيت قبرا يخرج منه دخان فنظرت إليه فانشق وخرج منه زبانى أسود فى يده عمود من حديد يضرب به حمارا فى رأسه وذلك الحمار ينهق ثم خرج الحمار بسلسلة من نار فأدخله الزبانى فى القبر ودخل خلفه وانطبق قبره فتعجبت وبقيت متفكرا فلقيت امرأة فسألتها عن ذلك فقالت هذا كان يزنى ويشرب الخمر وكانت أمه مخاصمة له فيقول لها انهنى كما ينهق الحمار، فلما مات مسخ الله حمارا فى قبره وفى كل ليلة يحرجه لزبانى من قبره ويضربه ويقول له انهق يا حمار ثم يجره بسلسلة ويرده فى القبر، ثم ينطبق عليه. نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار ومن عمل أهل النار؛ فالمؤمن يحمل نفسه المشقات والأمور الصعاب فزعا من التطبيعة والبعد والعذاب كما قال المؤلف: عسى أرى لطفك يا سيدى وساء الموقف يوم الحساب

الأكبر، ثم خرت ميتة. هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بحب رب العالمين:

الحب فيه حلاوة ومرارة ... وتنسك وتهتك ببشائر
ماشاء يصنع بالمحب فانما ... حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت أملك فى الهوى أمر الذى ... أهوى لكان مؤانسى ومسامرى
لكن قيادى فى يديه فتارة ... يجفو وطورا حين يحنو زائرى

[وقيل] لبعض المحبين كيف رأيت المحبة؟ فقال وقفت على ساحل بحر زاخر ماله من آخر فقرب منى قارب: «من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا»، فركبت موافقة له واتباعا. فأجابت الروح من دعاها: (بسم الله مجراها ومرساها)، فلما توسطت اللجة توعرت سبل المحجة فما زلت حتى جمعنى فى مجمع بحرى: (يحبهم ويحبونه) فأنا بين البقاء والفناء، حتى أصل ذلك الفناء:

حروف المحبة مرموزها ... يبشرنا ببلوغ المنى ... فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا ... فلا تطمعنّ بطيب اللقا ... وطول البقاء بدون الفنا
حمينا الوصال بحد النصال ... فإن تلق سمر القنا تلقنا ... فلا تجزعن لمرّ النكال
وحر الوصال ففيه الهنا ... ومت مثل مامات أهل الهوى ... وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

[وعن أبى سليمان الدارانى رحمه الله] أنه كان يقول فى بعض مناجاته. سيدى لئن طالبتنى بذنوبى لأطالبنك بعفوك. لئن طالبتنى ببخلى لأطالبنك بجودك وكرمك. ولئن طالبتنى باساءتى لأطالبنك باحسانك. لئن دخلتنى النار لأخبرن أهل النار أنى أحبك. فنودى أن يا أبا سليمان لا تدخلك النار بل تدخلك الجنة فتخبر أهلها بمحبتنا. ولا تخبر أهل النار بمحبتنا فإن مكان المحبين الجنة. ومكان الأعداء النار:

من ألم الهجر إليك الفرار ... ياسالبى فى الحب طيب القرار ... عذب بغير الهجر قلبى تجد
له على غير جفاك اصطبار ... النار مع أنسك لى جنة ... وروضة الجنة إن غبت نار
يهواك طرفى وفؤادى معا ... والروح من هذا وهذا تغار ... فان دخلت النار أخبرتهم
أنى محب لك لكن أغار ... عليك أن قالوا محب له ... عذابه بين الأعادى جهار

[إخوانى] المحبة عروس، مهرها النفوس، ولها تخضع الرقاب والرؤوس، فهى تجلى على الأسرار وتصفو بها الأكدار، فهى للعارف نور وللجاهل نار. إذا مزجت خمرة المحبة على أهل الصفاء حضرت قلوب أهل الوفاء، فالذكر ألحانها، والتوحيد ريحانها، والشكر ترجمانها والهيبة سلطانها؛ فأهل المحبة فتحت لهم أبواب جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال. والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب. وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب. فالذين يتلون الكتاب طوبى لهم وحسن مآب. والذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب متكئون فيها على الأرائك نعم الثواب

[كان وكان]

ما كل واصل مواصل ... ولا العنا يدنى المنى ... هذى سوابق لواحق ... لمن يشا الوهاب
كم قد رأينا عاشق ... صادق وآخر يدّعى ... هذا مجالس مؤانس ... وذاك برا الباب
لا تدّعى الحب فينا ... وفى فؤادك غيرنا ... نخاف عليك ينادى ... يامدعى كذاب
لكن إذا شئت فاصبر ... على مرارات الشقا ... واخضع إذا شئت تحسب ... من جملة الأحباب

[وعن يوسف بن الحسين رحمه الله] قال: سمعت ذا النون المصرى يقول: بينما أنا مار فى شوارع مصر، إذ رأيت جارية مسفرة بغير خمار: فقلت لها: ياجارية أما تستحين أن تمشى

والله لا زلت على بابه ... ولو ضنى جسمى فيه وذاب
وتجبر المكسور الملتجى ... ويشتفى القلب بحلو العتاب
عساك يارب تزيل الشقا ... وتجبر العبد بكشف الحجاب
ويفرح المهجور ياسيدى ... ويسمع المسكين رد الجواب

الباب العاشر

فى النهى عن المزامير والمغانى

قال صلى الله عليه وسلم «ينادى يوم القيامة من تحت العرش: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم عن اللهو والمزامير والباطل فى الدنيا؟ أسمعهم حمدى وثنائى وأخبرهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعثت بابطال المزامير وإن الله عزّ وجل لاينظر فى ليلة القدر إلى أصحاب المزامير» وأما الشبابة فحرام. روى عن نافع قال: مشيت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فسمع زمارة راع فسدّ أذنيه بأصبعيه وعدل عن الطريق وأسرع فى المشى

بغير خمار ؟ فقالت ياذا النون ، وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار ؟ فقال ذو النون : ومن أىّ شىء علاه الاصفرار ؟ قالت من محبته . فقلت ياجارية عساك تناولت شيئا من شراب القوم . فقالت : اسكت يابطال شربت بكأس ودّه ونمت مسرورة ، فأصبحت بحب مولاى مخمورة . فقلت ياجارية عسى فائدة أنتفع بها منك أو وصية أرويها عنك . فقالت : ياذا النون عليك بالسكوت حتى يتوهموا أنك مبهوت ، وارض من الله بالقوت يبن لك بيتا فى الجة من ياقوت ، ثم أنشدت :

تهتك ولا تخش فى الحب عارا ... وإياك إياك تبدى استتارا وبادر إلى الباب مع فتية
لهم فى الظلام عيون سهارى ... وإن خفت عند المسير الضلال فوجه حبيبك يهدى الحيارى

أيها العارف إذا سرى نسيم المحبة إلى مسامّ القلوب ، ارتاحت إلى لقاء المحبوب ، فسمعت المناجاة فى الأسحار لأهل القلوب والأسرار ، فكل أجاب على حسب ماحصل له من الأحوال الترجمة على لسان الحال : أيها الحزين علينا كيف وصلت إلينا ؟ قال ركبت جواد توكلى عليه واشتياقى إليه فما شعرت إلا وأنا بين يديه : أيها الخائف من الفوت كيف رأيت الموت ؟ قال استعذبت التعذيب فى رضا الحبيب ، فرأيت فضله سابقا ، وجواد عزمى لاحقا . فكيف لا أرجو أن أنجو وأنا برحمته واثق : أيها الزاهد كيف عهدك بتلك المعاهد ؟ قل سمعته يقول : فى البذل والانفاق (ماعندكم ينفد وماعند الله باق) فتركت ماعندى لما عنده وغمضت عينى على الفانى فما فتحتها إلا على الباقى : أيها المحب لنا كيف كان اتصالك بنا ؟ . قال وهل كانت إلا شربة شربتها فى حضرة : يحبهم . فسكرت بها فى خلوة : ويحبونه . فما أفقت من ذلك المشروب إلا بمشاهدة المحبوب :

لما علمت بأن قلبى فارغ ... ممن سواك ملأته بهواك
وملأت كلى منك حتى لم أدع ... منى مكانا خاليا لسواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه ... والنطق لاينفك عن ذكراك
والطرف حيث أجيله متلفتا ... فى كل شىء يجتلى معناك
والسمع لايصغى إلى متكلم ... إلا إذا ماحدّثوا بجلاك

[وروى عن الربيع بن خيثم رحمه الله] أنه كان يديم السهر فقالت له ابنته يا أبت من أفضل خلق الله عز وجل ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالت بحرمة محمد نم هذه الليلة . فقال يارب أنت تعلم أن السهر أحب إلى من النوم ولكن لأجل ما أقسمت ابنتى علىّ بمحمد أنام هذه الليلة فنام فرأى فى المنام أن فى البصرة أمة يقال لها ميمونة تكون زوجتك فى الجنة . فلما أصبح خرج الى البصرة . فلما سمع أهل البصرة بقدومه تلقوه . فلما دخل قال عندكم امرأة يقال لها ميمونة ؟ قالوا وما تصنع بميمونة المجنونة هى ترعى الغنم بالنهار وتشترى بأجرتها تمرا فتفرقه على الفقراء وتصعد فى الليل على سطح لها فلاتدع أحدا ينام من كثرة البكاء والصياح قال لهم فما تقول فى صياحها ؟ قالوا تقول

عجبا للمحب كيف ينام ... كل نوم على المحب حرام

فقال والله ما هذا كلام المجانين ، دلونى عليها ، فقالوا هى فى البرارى ترعى الأغنام فخرج إليها فوجدها قد اتخذت محرابا وهى تصلى فيه ورأى الغنم ترعى والذئاب تحرسها فتعجب من ذلك . قال الربيع فلما فرغت من صلاتها قلت : السلام عليك ياميمونة قالت وعليك السلام ياربيع ، قلت كيف عرفت اسمى ؟ قالت سبحان الله عرفنى باسمك الذى أخبرك البارحة فى المنام أنى زوجتك ولكن ليس الموعد ههنا ، الموعد بيننا غدا فى الجنة فقلت لها كيف اجتماع الذئاب بالغنم ؟ فقالت لما تعلق حبه بقلبى واحتكم ، تركت الدنيا عن قلبى فأصاح مابين الذئاب والغنم ، ثم قالت ياربيع أسمعنى شيئا من كلام

ثم قال يانافع انقطع حسّ الزمارة ؟ فقلت نعم . فأخرج أصبعيه من أذنيه ورجع إلى الطريق وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ، ماسمع مزمارا أو شبابة أبدا . (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديا) ل أهل التفسير المكاء هو الشبابة والتصدية التصفيق والغناء ، قالوا كانت الجاهلية يغنون ويصفرون فى المسجد بالشبابة إذا كان يوم عيدهم فسبهم الحق سبحانه وتعالى وذمّ فعلهم وأوعدهم على ذلك العذاب الأليم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون الزامر والمستمع » فمن سمع المطربات فى الدنيا لايسمع مطربات الجنة أبدا إلا أن يتوب ، وإن صوت داود عليه السلام يعدل تسعمائة مزمار ، وهو القرىء يوم مشاهدة الحق ، فاتركوا هذ الطرب لذلك الطرب قال الله عزّ وجل : (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد)

سيدى فقد اشتاقت نفسى إليه فقرأت (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) وهى تسمع وتبكى وتضطرب إلى أن وصلت إلى قوله تعالى (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصرخت صرخة وخرّت ميتة فتحيرت فى أمرها فجاءت جماعة من النساء فقالت نحن نغسلها ونجهزها فقلت من أين عرفتن موتها ؟ قلن كنا نسمع دعاءها وهى تقول : اللهم لا تمتنى إلا بين يدى الربيع . فلما سمعنا بحضورك إليها علمنا أن الله استجاب دعاءها . إخوانى إذا أصلح الله أرض قلب قلبها بمحراث الخوف وبذر فيها حب الحب وسقاها بماء الدمع فأنبتت زرع (يحبهم ويحبونه) سبحوا فى بحر حبه وعاموا ولازموا الخدمة على بابه وقاموا وواظبوا على امتثال أوامره وداموا وتولهوا فيه فلأجل ذلك سهروا فى الليل ولم يناموا فإذا ماتوا من حبه شوقا إليه لم يلاموا :

أهل المحبة بالمحبوب قد شغلوا ... وفى محبته أرواحهم بذلوا
وخربوا كل مايفنى وقد عمروا ... ماكان يبقى فياحسن الذى عملوا
لم تلههم زينة الدنيا وزخرفها ... ولا جناها ولا حلى ولا حلل
هاموا على الكون من وجد ومن طرب ... وما استقلّ بهم ربع ولا طلل
داعى التشوق ناداهم وأقلقهم ... فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
من أول الليل قد سارت عزائمهم ... وفى خيام حمى المحبوب قد نزلوا
وافت لهم خلع التشريف يحملها ... عرف النسيم الذى من نشره ثملوا
هم الأحبة أدناهم لأنهمو ... عن خدمة الصمد المحبوب ماغفلوا
سبحان من خصهم بالقرب حين قضوا ... فى حبه وعلى مقصودهم حصلوا

[وقال عبد الله بن الفضل رحمه الله] لما توفى يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ قال غفرلى ، قيل بماذا ؟ قال كنت أقول فى مناجاتى إلهى إن كنت مقصرا فى خدمتك ، فما كنت مقصرا فى محبتك .

[وقال ذو النون المصرى رحمه الله] سمعت برجل باليمن قد سما على المحبين وفاق على المجتهدين وعرف بالعلم والحكمة فخرجت حاجا . فلما قضيت نسكى مضيت إليه لأسمع كلامه وأنتفع بموعظته أنا وأناس معى يطلبون مثل ما أطلب ، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين وشعار المحبين ، فخرج الشيخ إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام والكلام ؟ فصافحه الشيخ ، وأقبل عليه . فقال له الشاب ياسيدى قد جعلك الله طبيبا لأسقام القلوب وبى جرح قد أعيا الأطباء ، فان رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل . فقال الشيخ عما بدا لك فاسأل . فقال ماعلامة الحب لله ؟ قال أن تنزل نفسك منزلة السقيم ألا تراه يحتمى عن الطعام حذارا من السقام ، فصاح الفتى صيحة ظننا روحه قد خرجت فلما أفاق قال : يرحمك الله فما علامة المحبين ؟ قال إن درجة المحبين رفيعة . فقال صفها لى ، فقال إن المحبين لله تعالى نظروا إلى نور جلال الله فصارت أبدانهم روحانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة بالعيان ، وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم لاطمعا فى جنته ولا خوفا من ناره . قال فشهق الفتى شهقة خرجت فيها روحه فجعل الشيخ يبكى ويقبله ويقول : هذا والله مصرع الخائفين ، وهذه درجة المحبين :

يامالك القلب رفقا رفقا بعبدك رفقا ... قد لذ فيك وجدى فلست بالوجد أشقى
فلا أرى للتشكى بما أنا منك ألقى ... فان أمت فسرورى بأن أموت وتبقى

[وعن الحسن البصرى] قال : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن ياداود أحبنى وأحب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح وينادى مناد يا أهل الجنة أشرفوا ويا أهل النار أشرفوا فيشرفون كلهم فيقال لهم أتعرفون هذا ؟ فيقولون بلى ، فيقال لهم هذا هو الموت فيذبح بين الجنة والنار وينادى مناد ياأهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، فعند ذلك تعظم حسرات أهل النار ويرجعون باكين ويشتد فرح أهل الجنة ويرجعون إلى قصورهم فيبعث الله سبحانه وتعالى لهم مغانى من الحور العين فيجلسون فى رياض الجنة فى إيوان من درة بيضاء طوله مائة عام وعرضه خمسون عاما والنساء كلهن عند فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، والرجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فى إيوان آخر ، وتنصب لهم

من يحبنى وحببنى إلى عبادى . فقال يارب أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك ؟ قال : ذكرهم آلائى ونعمائى فانهم لم يعرفوا منى إلا الحسن الجميل :

يامن له فضل علىّ جميل ... هل لى إليك إذا اعتذرت قبول
فأنا المقرّ بسوء فعلى سيدى ... وبحسن ظنى عندك المقبول

[وقيل] إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام : انك لى خليل ، وأنا لك خليل فاحذر أن أطلع على لبك فأجده مشتغلا بغيرى فأقطع حبك منى فانى إنما أختار لحبى من لو أحرقته بالنار لم يلتفت قلبه عنى ولم يشتغل بغيرى ، فإذا كان لى كذلك أسكنت محبتى فى قلبه فتواترت عليه ألطافى فقربته منى ووهبت له محبتى فأىّ نعيم يعدل ذلك عندى وأىّ شرف أشرف منه عندى فوعزتى وجلالى لأشفينّ صدره من النظر إلىّ وذلك أنى محب لمن أحبنى .

[إخوانى] إذا كانت محبته سقت للعبد بالعناية القديمة كيف لايسلك العبد الطريق المستقيمة ؟ ياجبريل أنم فلانا وأقم فلانا ، فالحب بين يدى محبوبه قائم ، ولخدمته ملازم ، وفى حبه هائم فما عليه من عتب العاذل واللائم :

ياعاذل القلب فى صبابته ... ولائم الصب فى تصابيه
اترك ملامى وصدّ عن عذلى ... فالحب معنى ولست تدريه
وفى ضميرى من لا أبوح به ... وفى فؤادى من لا أسميه
قد أدهش الطرف فى محاسنه ... وحير القلب فى معانيه
محجب والقلوب تشهده ... مغيب والعرام يدنيه
ووجهه حيث قمت واجهنى ... لاشىء يخفيه أو يواريه
إن قلت يابغيتى ويا أملى ... يقول لبيك فى تعاليه
ها أنا دان إليك مقترب ... فخذ من الوصل صرف صافيه
واغنم زمان الرضا فما أحد ... يدرى الذى فى غد يلاقيه

[وقال أبو حمان رحمه الله] حضرت مجلس ذى النون رحمه الله فى ملاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعين ألفا ، فتكلم فى محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم ، فمات فى مجلسه أحد عشر نفسا ، وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع إلى الأرض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار ، فناداه بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر محبة الخالق وأورثتها الأحزان والنيران ، فلو بردت القلوب بذكر محبة المخلوقين ، فتأوه ذوالنون تأوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال آه ثم أواه علقت قلوبهم واستعبرت عيونهم ، وحالفوا السهاد وخالفوا الرقاد ، فليلهم طويل ونومهم قليل ، أحزانهم لاتنفد وهمومهم لاتفقد ، أسورهم عسيرة ودموعهم غزيرة ، باكية عيونهم قريحة جفونهم ، قد عاداهم الزمان وجفاهم الأهل والجيران ، قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكدر مشروبهم ، لاجرم أنهم بشروا بالهنا وبلوغ المنى :

فلله قوم أخلصوا لحبيبهم ... فأوسعهم فضلا وأتحفهم منا
هنيئا لهم لما تملوا بحبه ... وفازوا من الرضوان بالمنزل الأسنى
وذو العرش فى فردوسه يستزيدهم ... فياحبذا المولى وياحبذا المغنى
يقول عبادى هل رضيتم بنعمتى ... فهانا مكم اب قوسين أو أدنى
تملوا بوجهى وانظروا مامنحتكم ... فمن نال منى نظرة فقد استغنى

[إخوانى] للمحبة رجال ، ماتركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال ، فما فى الحب عضو ولا جارحة إلا وعليه شواهد المحبة لائحة فالألسن قد شغلها أنيس : (فاذكرونى أذكركم) والأسماع منصتة لاستماع كلام الحبيب بألحان (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب) والأبصار شاخصة لانتظار (وجوه يومئذ

المراتب والمساند ثم يتقدّم الحور العين تغنى لهم بتحميد الحق بأصوات لم يسمع السامعون أحسن منها ، وفى ذلك الميدان أشجار تحمل الزامير فى كل غصن من أغصان الشجرة تسعون مزمارا فتصب الملائكة تلك الأشجار أمام الحور ويقول الله سبحانه وتعالى للحور أسمعن عبادى الذين زهوا أسماعهم عن المطربات فى الدنيا لأجلى ولذذوا فى الدنيا بسماع كلامى وأحاديث رسولى لله صلى الله عليه وسلم فاليوم لهم الفرح والكرامات عندى فتغنى لهم الحور العين بتسبيح الحق وتحميده وتمجيده وتوحيده وتهب ريح من تحت العرش على تلك الزامير فيطرب القوم طربا عظيما فرحا بالوصال ويهيجون فتقدّم إليهم الملائكة كراسى من ذهب عليها مراتب منسوجة بالذهب وهى من السندس الأخضر بطائنها من إستبرق فيجلسون على

ناضرة إلى ربها ناظرة) والأبدان قائمة بوظيفة (إياك نعبد وإياك نستعين) ، والقلوب مرتبطة برابطة (يحبهم ويحبونه) ، والأسرار مستغرقة في مشاهدة حضرة (شاهد ومشهود) ، والأرواح ترتاح لأذكار (فروح وريحان) ، فما للعارف غفلة عن مشهوده ، ولا للعابد غفلة عن معبوده :

لما علمت بأن قلبي فارغ ... ممن سواك ملأته بهواك
وملأت كلي منك حتى لم أدع ... مني مكانا خاليا لسواك

قال ذو النون : رأيت فتى ظاهره الجنون ، وباطنه الفنون ، فعلمت أنه يحب مولاه مفتون ، فسمعته يبكي ويقول في مناجاته : مولاي قربت المحبين وطردتني فما ذنبي ، وخصصتهم بالوصال منك وهجرتني فواكربي . أيقظتهم للقيام بين يديك وأنمتني فوا ندمي ، لذذتهم في السحر بمناجاتك وما لذذتني فوا ألمي ، ثم أخذ في البكاء . قال ذو النون فحركني منه ما كان ساكنا ، وهيج من شوقي ما كان كامنا ، فقلت له يافتى ماهذا البكاء ؟ فقال ياذا النون أخبرني سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب بماذا يزول ؟ فقلت والله أنا في طلب ما أنت فيه ، وما وقعت منه إلا في الحيرة والتيه :

رأى سوادي فقلت ويلي ... أشد منه سواد قلبي طلبت منه لذاك غسلا
فقال لي ليس ذا بصعب ... كذاك قلبي به سواد فازددت كربا لعظم كربي

[إخواني] إذا سكنت المحبة في القلوب أثارت بأنوار المحبوب فأثرت وأثمرت في القلب سبعة أشياء لايتم مصباح معرفة الرب إلا بها : إخلاص النية لله ، والخوف من الله ، ورجاء ثواب الله ، والصدق مع الله ، والتوكل على الله ، وحسن الظن بالله ، والشوق إلى الله . فهذه السبعة لايتم مصباح معرفة ربك إلا بها : كما أن المصباح لايوقد إلا بسبعة أشياء لابدّ منها : الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه الأشياء لاسبيل إلى إيقاد المصباح ، فإن أردت ياهذا إيقاد مصباح قلبك لمشاهدة ربك فلابد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الأشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الفكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرّع إلى ربك عند ذلك يتوقد نوره في قلبك ، فتشاهد جمال ربك :

كشف الحجاب وزالت الأستار ... وصفا العتاب وطابت الأسمار
وأتى النسيم مبشرا ومخبرا ... فصفا النعيم وزالت الأكدار
وروت حديثا عن شذاك معطرا ... فصفت بلطف صفاتك الأسرار
شهدت معانيك القلوب بصفوها ... فتحيرت في حسنك الأفكار
وتولهت أهل الهوى وتحيروا ... مذ شاهدوك وكيف لايتحاروا

[وحكى] عن محمد بن أحمد المفيد . قال : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : كنت نائما عند سريّ رحمه الله فأيقظني وقال ياجنيد رأيت كأني وقفت بين يدي الله عزّ وجل ، وقال لي ياسريّ : خلقت الخلق وكلهم ادّعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي العشر ، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقين لا لدنيا أردتم ، ولا للجنة طلبتم ، ولا من البلاء هربتم فما الذي تريدون وما الذي تطلبون ؟ قالوا أنت المراد ، لوقطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم إني مسلط عليكم من البلاء والأهوال مالا تقوم بحمله الجبال أتصبرون على البلاء ؟ قالوا بلى : إذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ماشئت بنا ، فهؤلاء عبادي حقا وأحبابي صدقا :

بما شئتمو في الهوى عذبوا ... فتعذيبكم عندنا يعذب ومهما أردتم بنا فافعلوا

تلك الكراسي وتقول الملائكة : الحق يقول لكم لاتزعجوا أعضاءكم بالرقص فقد كفى ماتعبتم في الدنيا بالصلاة والعبادة اجلسوا على هذه الكراسي وهي تتميل بكم على مقدار طرفة عين فيها روح وأجنحة فيطلعون على تلك الكراسي تدور بهم على مقدار طرفة عين إن خففوا مغاني الجنة خفت وإن ثقلوا ثقلت فيغيبون عن وجودهم من الطرب فيعطيهم الحق سبحانه وتعالى على مقدار درجاتهم عنده ويخلع عليهم خلعا مصقولة مطوّسة بنور الرحمن طرازها بالذهب مكتوب في وسط الطراز بسم الله الرحمن الرحيم هذه الخلعة نسجت برسم فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان ، فإذا وقعت الخلع عليهم هللوا وكبروا فيسلم عليهم الحق رجلا رجلا وامرأة امرأة ويقول لهم : مرحبا بعبادي وأهل طاعتي رضيت عنكم فهل رضيتم عني ؟ فيقولون ياربنا لك الحمد والشكر كيف لانرضى وقد أكرمتنا غاية الكرامة فيقول الله عزّ وجل

وفينا فدونكما جربوا فمن كان فينا محبا لكم فقد فاز منكم بما يطلب

[إخواني] البلاء موكل بالمحبين قد أضنى منهم الأجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى المحبوب. قال ابراهيم الخوّاص: كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص وكان يزورني في بعض الليالي وكان صائم الدهر فبات عندي ليلة فقدمت له عشاء ليفطر عليه فلم يفطر إلا على الماء، فلما صلى العشاء الأخيرة تحزم وقام يصلي الى وقت السحر فسمعته يقول في مناجاته: سيدي إن تعذبني فاني لك محب وإن ترحمني فاني لك محب، ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخرّ مغشيا عليه، فلما أفاق قلت له ياعتبة كيف كانت ليلتك؟ فصرخ صرخة ثم قال: يا إبراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين، قطع أوصال المحبين، ثم غشي عليه، فلما أفاق رفع رأسه وقال ياسيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران، أو تبتلي قلبه بالهجران، فسمع هاتفا يقول حاشا أن يعذب من أحبه واجتباه، واختاره واصطفاه:

في وصف حبك مايغني عن العذل ... وفي حديثك مايلهي عن الغزل
ملكت فاحكم فكل منك محتمل ... الأمر أمرك ليس الأمر من قبلي
وحق حبك ماقلبي بمنقلب ... إلى سواك ولا حبي بمرتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب ... لكان أهنا من الاغضاء للقلل
أنا الذي مالقلبي عنك من عوض ... كلا ولا لولائي فيك من بدل
من خان عهدك أو ألوى على بدل ... واضيعة العمر بل ياخيبة الأمل
من لي سواك إذا أدرجت في كفني ... ومن أنيسي إذا أفردت عن خولي
مالي سوى حسن ظني عند منقلبي ... فلا تلمني على المنقوص من عملي
ولي شفيع إذا حان اللقاء غدا ... هو المشفع في جرمي وفي زللي
خير الورى نسبا أزكاهمو حسبا ... أصفاهمو عربا في السهل والجبل
أقواهمو سببا أو فهمو أدبا ... أعلاهمو رتبا في العلم والعمل
بحقه يا إلهي جد بمغفرة ... على عبيد غدا بالذنب في خجل
واسمح له منك يوما بالمسير الى ... جنابه الرحب من قبل انقضا الأجل
يارب بالمصطفى المختار من مضر ... اغفر لنا سائر الزلات والخطل
يارب بالمصطفى خير الأنام ومن ... له الشفاعة أنقذنا من الوجل
يارب شفعه فينا يوم تبعثنا ... فنحن من خوفنا في غاية الخجل
يارب واغفر كل الذنوب به ... وامنن وسامح فهذا غاية الأمل
يارب بلغه عنا أننا أبدا ... نحبه بدليل في الأنام جلي
يارب صلّ عليه كلما طلعت ... شمس النهار وما لاحت على جبل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السادس والأربعون

في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي خير ألباب أرباب العقول بالذهول عن الوصول الى تحقيق تدقيق معرفته وأغرق سفن الأفهام في تيار بحار الاستفهام عن دوام سرمديته، وقص أجنحة أطيار الأفكار عن الطيار إلى أوكار معرفة صمديته، وهدم أساس مقياس الحواس بفأس الإياس فلا سبيل إلى

اجتنبتم ما حرمت عليكم وفعلتم ما أمرتكم به وصمتم لأجلي وصليتم لأجلي وبكيتم خوفا من قطيعتي ولم تخالفوني فوعزتي وجلالي أرى أني لو أعطيتكم مهما أعطيتكم ماوفيتكم، يا أحبابي وأهل طاعتي ومودتي ارجعوا إلى قصوركم فيفتحونها فيجد كل واحد له دارا لها سبعون ألف باب على كل باب سبعون ألف شجرة في كل شجرة سبعون ألف غصن في كل غصن سبعون ألف نوع من الثمر، كل ثمرة لها لون لايشبه الآخر، وساق كل شجرة من ذهب وأوراقها حلل، كل ثمرة قدر الراوية، وبين كل صفين من الشجرة سبعون سريرا من ذهب، طول كل سرير ثلثمائة ذراع. فاذا أرادوا أن يطلعوا فوقه تقاصر حتى يبقى قدر ذراع فاذا استووا فوقه طال حتى يبقى شاهقا في الهواء فان خطر لهم أن يمشي بهم مشى بهم في أرض الجنة،

قياس تحديد صفاته وقدرته ، وأوقع أطيار الأذهان فى شباك معرفة ذاته فعجزت الأفلاك والأملاك عن إدراك أحديته ، وحجب العقول عن الوصول إلى حصول سرّ فرديته ، فهو الأوّل الذى لا أول لأوليته ، الآخر الذى لا آخر لآخريته ، الظاهر بالدليل لأهل ودّه ومحبته ، الباطن الذى لا يكيفه الخاطر بفكرته ، السميع الذى يسمع أنين الجنين تحت غشاء الحشا وأغطيته ، البصير الذى يبصر أثر دبيب النمل على الصخر إذا أخفاه الليل بسواده وظلمته ، العليم بما يخفيه العبد فى سريرته ، الجبار الذى خضع كل متجبر لعظيم هيبته ، القهار الذى قهر كل متكبر بسلطان سطوته ، تقدسه الكائنات وتمجده جميع المخلوقات ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته :

تعالى المهيمن فى عزته وجلّ عن النقص فى قدرته إله تعزز فى ملكه
فكل الخلائق فى قبضته تفرد فى ملكه بالبقا وحذرهم من سطا نقمته
له الخلق والأمر سبحانه فكل يخافون من سطوته

فيا أيها السالك إلى المطلب الأعلى كم فى الطريق من مهالك صعبة المسالك ، فان حصلت بتوفيقه هنالك فزت بوصالك ونلت غاية آمالك وشهدت جمالا لا يتمثل فى خيالك ، وسمعت جوابا لا يخطر ببالك وشربت شرابا يرويك ويغنيك عن أهلك ومالك ، وإن أردت الوصول إليه بقياسك ومثالك تقطعت أوصالك دون وصالك وحظيت بخيبتك ونكالك ، فاقصر عن كشفك وسؤالك واكفف عن بحثك وجدالك ، واعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك :

طريق الحب كم فيها مهالك ومافيها لباغى الوصل سالك فان رمت النجاة سلمت حقا
وإلا كنت يامغرور هالك وإن وحدت حزت طريق وصل فيابشراك إذ تمشى هنالك
مطالب وصله جلت وعزت فكم فيها لطالبها مهالك

كم سارت قفول العقول ، الى بيداء معرفة ذاته فتاهت ولم تحصل على الوصول ، كم قصدت الألباب الدخول ، فى هذا الباب وهو لا يزال مقفول ، كم بعث العقل من رسول ، فرجع وهو بالحيرة مفصول فالعقل واقف على الباب لا يحول ، والفكر ملازم لهذا الجناب لا يزول ، والفهم حائر فى إدراك الصمدية لا يفارقه الذهول ، حير العقول فلا يعرف بالمعقول ، وأذهل الأذهان فلا يدرك بالمنقول :

تحيرت البصائر والعقول فما يدرى المحدّث مايقول
تحجب عزة وعلا اقتدارا وجلّ فلا يصاب له مثيل

فسبحانه من إله كيف الكيف وتنزه عن الكيفية ، وأين الأين وتقدّس عن الأينية ، أول كل شىء وليس له أولية ، وآخر كل شىء وليس له آخرية ، لا يقاس بمثل ولا يوصف بجوهرية ، ولا يعرف بجسمية خلق الشر وقضاه ، وخلق الخير وارتضاه ، ورحم من أطاعه وعذب من عصاه ، ولا يسئل عن قضية . لا يحتجب عن أحبابه ، ولا يحجبهم بحجابه ، وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) :

ألف الوصل ألفت كل قلب لحبيب صفاته أزليه وبباء البقاء أفنى نفوسا
لم يدع حبه لها من بقيه ثم تمت له بتاء التعالى كل ماشاء من أمور عليه
قسما صادقا بباء يقينى ليس لى فى سواه ماعشت نيه

فسبحان ذى الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، وهو الحى الذى لا يموت ، يعلم خفيات السرائر . وحركات الخواطر ، واختلاج الضمائر ، أغرق العقول فى معرفته ببحر زاخر ، ليس له أول ولا آخر ، سار بريد الأفكار ، فانقطع وحار فى طريق معرفته فهو أبدا سائر ، جاء جاسوس الحس

وإن أرادوا أن يطير بهم طار بين الأشجار فيقطفون ما أرادوا من فوق رؤوسهم ، وعلى كل سرير سبعون ألف فراش ومخدة ومساند من السندس والإستبرق ، وحول كل سرير سبعون خادما ، فى يد كل خادم قدح من ذهب مكلل بسبعين ألف لؤلؤة ، فى كل قدح لون من الشراب ، ولكل ولىّ سبعون جارية من الحور العين سراري ، على كل حورية سبعون حلة يكاد نور تلك الحلل يخطف بالأبصار ، وسبعون ألف نوع من الحلى مكلل بالدر واللؤلؤ يتمتع ولىّ الله بمن أراد منهم قال الله سبحانه وتعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان وقت الصبح يأتى ملك

ليدرك بعض صفاته فناداه القدر الى أين ياحائر ، الأبواب مردودة والطريق مسدودة ، ليس الى إدراكه سبيل ، وليس له شبيه ولامثيل ، بحر لايتمكن منه غواص لاستخراج الجواهر ، وليل لايتبين للعين فيه كوكب زاهر :

تحيرت فى أمر الوصول إليكم ... وهددنى التعجيزمن كل جانب
وعدت وماأدركت ما كنت أبتغى ... وما نلت مما أرتجيه مآربى

فسبحان من كوّن الأكوان ، ودبر الزمان ، وخلق الإنسان وعلمه البيان ، وأنزل القرآن ، وقدّر الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، لايمرّ عليه النسيان ، ولايشغله شأن عن شان ، لاتغيره الدهور ، ولاتختلف عليه تصاريف الأمور ، مقدر المقدور ، ومالك يوم النشور ، له المثل الأعلى وله الأسماء الحسنى والصفات العليا (خلق السموات والأرض وما بينهما ـ الرحمن على العرش استوى) لاتبليه الأعصار ، ولاينهيه المقدار ، ولاتحويه الأقطار ، ولاتدركه الأبصار (يكوّر الليل على النهار ، وكل شيء عنده بمقدار) ذاته لاكالذوات ، وصفاته لاكالصفات ، رفيع الدرجات مميت الأحياء ، ومحيي الأموات ، لاتشتبه عليه اللغات ، ولاتختلف عليه الأصوات ، لايقاس بمقياس الحواس ، ولايأخذه نوم ولانعاس ، الأولياء فى حذر من مكره ، والملائكة من خيفته لايفترون عن ذكره ، والإنس والجن فى دائرة قهره ، والجنة والنار تحت نهيه وأمره ، لايصفه الواصفون ، ولا تكيفه الظنون ، ولايلحقه المنون ولا تراه العيون ، وإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون . فالخلائق فى قبضة إرادته محصورون ، خلقهم وما يعملون وهو يعلم بما يفعلون (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) :

عز فليس تراه العيون ... وجلّ فلا يعتريه المنون ... تفرد فى ملكه بالبقا
وكل الورى بالفناذاهبون ... ويفعل فى خلقه مايشا ... بغيراعتراض وهم يسئلون

فسبحان من وعر طرائق الحقائق ، الى معرفة ذاته فوقع السالكون فى التيه ، وحير إدراك الخلائق ، فحارت الخلائق فيه ، فأوقدوا مصابيح العرفان ، بأدهان الأذهان ، واستدلوا بنور برق الإيمان (كلما أضاء لهم مشوا فيه) فانقلبوا إلى القلوب . فقالت إنما نحن بيوت التنزيه ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه ، فتعلقوا ، بالصفات فقالت لانطيق نبديه ، فأشاروا إلى العقل فناداهم من سكرة تغاشيه ، وحيرة تلاشيه ، أنا مثلكم متحير فيه ؟ لست بالمدرك له فأحكيه ، ولا بالواصف له فأصفه وأسميه ، ولا أعرف من أى جهة آتيه فقد سألتم عن أمر لا أدريه ، وكشفتم عن سر مابرحت أستمليه وأستقريه ، فما وقفت منه إلا على الحيرة والتوليه ، ولكن أيها الكئيب المتحير فيه ، السليب فى حسن معانيه ، إن أردت معرفته فاسلك طريق التوفيق به بغير تمويه فهو القريب الذى متى شئت تلاقيه ، البعيد الذى لابالمسافة توافيه ، فان صافيته سقاك من كأس صفوة صافيه ، وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه ، وإن أردت أن تسمع ألحان ذكره ومثانيه ، فقل بلسان التوحيد والتنزيه ، وإياك إياك والتشبيه :

تبارك الله فى علياء عزته ... وجل معنى فليس الوهم يحويه
وجوده سابق لاشيء يشبهه ... ولاشريك له لاشك لى فيه
لاكون يحصره لاعون ينصره ... لاكشف يظهره لاجهر يبديه
لادهر يخلقه لانقص يلحقه ... لانقل يسبقه لاعقل يدريه
حارت جميع الورى فى كنه قدرته ... وليس تدرك معنى من معانيه
سبحانه وتعالى فى جلالته ... وجل لطفا وعز فى تعاليه

يدق باب القصر فيقول الخادم من هذا ؟ فيقول ملك من عندالله عز وجل قد جئت لسيدكم أو لسيدتكم بهدية صلاة الصبح فى الدنيا ، فيفتح الباب ويدخل عليهم الملك ويقول لهم : السلام يقرئكم السلام ، ويقول لكم إنكم كنتم فى دار الدنيا ترفعون إلىّ صلاتكم فأقبلها منكم ولا أرى لكم جزاء ، وهذه الهدية قد أرسلها الله عزّ وجل إليكم جزاء صلاة الصبح ثم يحط ذلك الملك سفرة من الذهب وعليها سبعون زبدية : عشرة من الذهب وعشرة من الفضة ، وعشرة من الياقوت ، وعشرة من الزمرد ، وعشرة من الدر ، وعشرة من المرجان ، وعشرة من العقيق ، فى كل زبدية لون من الطعام لايشبه

فسبحانه من إله خلق آدم بيد قدرته ، وأسجد له جميع ملائكته ، وأسكنه فسيح جنته ، ثم حكم عليه بالموت وعلى ذريته ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم يخبره بقضيته (كل نفس ذائقة الموت) فأبلغ فى تسليته ، ونجى نوحا من الطوفان ، وأغرق أهل مخالفته صيانة لأهل الإيمان ، وقضى عليه بالموت المكتوب على الإنس والجان ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (كل من عليها فان) واتخذ إبراهيم خليلا ووفقه وسدده ، وأراه ملكوت السموات والأرض وأشهده ، وفوّق إليه سهام الموت المرصدة ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إذ أعلمه بحاله وأيده (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) واختار موسى نجيا وأسمعه كلامه وبلغه من لذيذ خطابه قصده ومرامه ، وأنفذ فيه من الموت سهامه ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) وخلق عيسى من غير أب بلا شك ولاعىّ فأبرأ الأكمه والأبرص باذنه وأعاد الميت فى قبره وهو حىّ ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إخبارا عن عيسى عليه السلام (إنى متوفيك ورافعك إلىّ) واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم النبى العربى الأمين المأمون ، صاحب الجاه العريض والعرض المصون ، ومع هذا القرب والمنزلة التى لايصل إليها الواصلون ، نعى إليه نفسه الكريمة ، وأنذره بريب المنون ، وسلاه بمن مات قبله من الأنبياء والمرسلين ، فقال فى كتابه المكنون (إنك ميت وإنهم ميتون):

لما نعى المختار خير الورى ... من بعده كل مصاب يهون ... مازلت أبكى بعده حسرة
حتى جرت من جفن عينى عيون ... وقلت لما أن قضى نحبه ... ياليتنى لاقيت ريب المنون
لاتطمعى من بعده بالبقا ... يانفس هذا أبدا لايكون ... أبعد موت المصطفى خالد
أم فى البقا نطمع أم فى السكون ... صلى عليه الله ماغرّدت ... حمائم الأيك وأبدت شجون

[روى عن ابن عباس رضى الله عنهما] قال : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وكانت مدة مرضه اثنى عشر يوما . وكان مرضه بالصداع ، وقال ابن أبى يزيد رضى الله عنه : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، وخرج من مكة يوم الاثنين . ودخل المدينة يوم الاثنين . وتوفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار لإحدى عشرة سنة مضت من الهجرة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعيت إلىّ نفسى» فأقبل إلى منزل عائشة رضى الله عنها والحمى عليه . قال بلال : فلما أصبحت أتيت الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فناديت : السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها : مرى بلالا يقرئ أبا بكر السلام ويقول له يصلى بالناس. قال بلال فرجعت باكيا وأنا أطوف فى أزقة المدينة وأنادى : واسيداه وانبياه واسوء منقلباه ليت بلالا لم تلده أمه . قال ثم أتيت المسجد فوجدته غاصا بالناس فلقيت أبا بكر فبلغته السلام والرسالة ، ثم ناديت : الصلاة رحمكم الله فأقمت الصلاة فلما قلت : الله أكبر الله أكبر ، قال المسلمون : كبرناه تكبيرا وعظمناه تعظيما . فلما قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال المسلمون : شهدنا بها مع كل شاهد . فلما قلت : أشهد أن محمدا رسول الله غلبنى البكاء فبكيت وبكى الناس . فتقدم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فأمّ

الآخر ، وعليها خبز أبيض من الثلج بقدرة من يقول للشىء كن فيكون ، مجللة بمناديل من السندس الأخضر ، ويدخل ملك آخر ومعه طبق آخر من الذهب فيه فواكه من عند الحق جل وعلا وتيجان وعقود وأساور وخلاخيل وخواتم فيعطى لكل إنسان عشرة خواتم من ذهب مكتوب على فصوصها بالنور الأخضر على الفص الذى فى خاتم الإبهام : ياعبادى أنا عنكم راض ، وعلى فص السبابة : أنتم لى وأنا لكم ، وعلى الفص الثالث : لابراح لكم من جوارى ، وعلى الفص الرابع : تلذذوا بقربى فى دار قرارى ، وعلى الفص الخامس : زرعتم فى الدنيا وحصدتم فى الآخرة ، وعلى الفص السادس : طالما

بالناس فلما قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) ونظر إلى موضع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ضجة الناس . قال لفاطمة : ماهذه الضجة التى فى المسجد ؟ قالت : إن المسلمين فقدوك وقت الصلاة فرفع النبيّ صلى الله عليه وسلم رأسه وقال : اللهم مر ملك الحمى أن يخفف عن نبيك حتى أخرج وأصلى بالناس وأودّع أصحابى قبل فراق الدنيا . قال فوجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة فى بدنه فتوضأ وخرج متوكئا على الفضل بن العباس وأسامة بن زيد وعليّ رضى الله عنهم . فلما رأى المسلمون أنوار النبي صلى الله عليه وسلم تخترق فى المسجد وأحسوا بمجيئه جعلوا يتفرجون صفا صفا والنبي صلى الله عليه وسلم يخترق الصفوف حتى وصل إلى محرابه فوقف بازاء أبى بكر الصديق فصلى بالناس ، فلما فرغ رقى المنبر يخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كالمودّع لهم . فقال أيها الناس : ألم أبلغكم الرسالة وأؤدّ لكم الأمانة والنصيحة ؟ قالوا بلى يارسول الله قد بلغت الرسالة وأدّيت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا أفضل ماجزى به نبيا عن أمته ، ثم نزل فودّع أصحابه وصافحهم وهم يبكون ، ثم أقبل الى منزل عائشة ، ولم يزل متمرضا حتى أتى إليه ملك الموت فى زىّ رجل أعرابى فوقف بباب حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نادى : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لى فى الدخول على الرسول ؟ فقالت فاطمة يا أعرابى : إن نبى الله بنفسه عنك مشغول ، ثم نادى الثانية فرمق النبي صلى الله عليه وسلم الباب فنظر إلى ملك الموت . فقال لفاطمة : أتدرين من يخاطبك ؟ قالت ياأبت رجل أعرابى ، فقال هذا ملك الموت هذا هاذم اللذات ائذنى له فدخل فسلم ، وقال يارسول الله : إن الله عزّ وجل أرسلنى وأمرنى أن لاأقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ؟ فقال اكفف حتى يأتينى جبريل فهذه ساعته . قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا له جواب وكأنا ضربنا بصاخة ولم يتكلم أحد من البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا . قالت : فجاء جبريل . فقال إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول كيف تجدك ، وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا . فقال ياجبريل : إن ملك الموت استأذن علىّ ، وأخبره الخبر . فقال جبريل : يامحمد إن ربك إليك مشتاق . أما أعلمك ملك الموت بالذى يريد منك ؟ والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط إلا أن الله متم شرفك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاتبرح إذا حتى يجىء ، وأذن للنساء ، ثم قال ادنى منى يافاطمة فأكبت عليه فناجاها طويلا فرفعت رأسها وعيناها تدمعان وماتطيق الكلام ، ثم قال ادنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها ، وهى تضحك وماتطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك ، فقالت قال لى إنى ميت اليوم فبكيت ، ثم قال دعوت الله تعالى أن يلحقك بى أول أهلى وأن يجعلك معى فأضحكنى . قالت : ثم جاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له . فقال الملك : ماتأمرنى يامحمد . قال ألحقنى بربى الآن . قال بلى من يومك هذا ، ولكن ساعتك أمامك ، ثم خرج وخرج جبريل . فقال يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض قد طوى الوحى ، وطويت الدنيا ، وما كانت لى فى الدنيا حاجة غيرك ولالى فيها حاجة إلامودتك . قالت عائشة فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يجيب فى ذلك بكلمة ، ولايبعث إلى أحد من رجاله لعظم ماسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا . قالت : فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين يدى ، وأمسك بصدره فجعل يغمى عليه حتى يغلب ، وجبهته ترشح رشحا مارأيته من انسان قط فجعلت أرسل ذلك العرق وماوجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبى وأمى

سجدتم لى والناس غافلون ، وعلى الفص السابع : اليوم أبحث لكم مشاهدتى ، وعلى الفص الثامن (لمثل هذا فليعمل العاملون) وعلى الفص التاسع (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وعلى الفص العاشر (سلام قولا من رب رحيم) فيلبس جبريل عليه السلام كل رجل وامرأة منهم عشرة خواتم وثلاث أساور واحدة من ذهب وواحدة من فضة وواحدة من لؤلؤ ، مكتوب بالنور الأخضر على كل سوار : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، أنا الله ارفعوا إلىّ حوائجكم بلا حاجب ولا وزير ، ياعبادى (طبتم فادخلوها خالدين) ثم يضع على رءوسهم تيجان الكرامة ، وليس لحلىّ

ونفسى وأهلى ومالى ماتلقيه جبهتك من الرشح ، فقال ياعائشة : إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ، ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه إلىّ أبى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد ، وإنما صدّهم الله عنه لأنه ولى أمره جبريل وميكائيل وإسرافيل فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أغمى عليه قال : الرفيق الأعلى . قالت عائشة رضى الله عنها : وكان قد دخل علىّ أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك . فقلت آخذه لك ؟ فأومأ إلىّ برأسه أن نعم فناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتدّ عليه فقلت : ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم فلينته له ، وكان بين يدى ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : لاإله إلا الله إن للموت لسكرات ، ثم نصب يده ، وهو يقول : اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى . قالت : حتى قضى نحبه صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى ، وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فكان أول من أعلم الناس بموته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو أول من دخل عليه ، وهو مسجى ببردة يمنية فكشف عن وجهه وقبله ، وقال وهو يبكى بأبى وأمى أنت يارسول الله طبت حيا ، وطبت ميتا . أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد متها فجزاك الله عن نصيحتك للاسلام خيرا ، ثم خرج إلى الناس فأخبرهم بوفاته . قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته : من لأمتى من بعدى ؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لاأخذله فى أمته ، وبشره أنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فقال الآن قرّت عينى ، وطاب قلبى . ودخل عليه أبو بكر رضى الله عنه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : سل ياأبا بكر . فقال أبو بكر يارسول الله دنا الأجل ؟ قال قد دنا وتدلى . فقال ليهنك يانبى الله ما أعد الله لك فليت شعرى أين منقلبنا ؟ فقال إلى الله تعالى ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى والرفيق الأعلى والعيش الأهنى ، والحدّ الأوفى . فقال يانبى الله من يلى غسلك ؟ قال رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى . قال ففيم نكفنك ؟ قال فى ثيابى هذه ، وفى حلة يمنية ، وفى بياض مصر . قال كيف الصلاة عليك ؟ ثم بكى وبكينا ، ثم قال مهلا غفر الله لكم ، وجزاكم الله عن نبيكم خيرا ، إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنى ساعة فأول من يصلى علىّ الله عزّ وجلّ ، وهو قوله (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ثم يأذن للملائكة فى الصلاة علىّ . فأول من يدخل علىّ من خلق الله تعالى ويصلى علىّ جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل مع جنود كثيرة من الملائكة ، ثم أنتم فادخلوا علىّ أفواجا أفواجا وزمرا زمرا وسلموا تسليما ، ولاتؤذونى بصيحة ولاضجة ولارنة ، وليبدأ منكم بالصلاة الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان . قال فمن يدخل القبر ؟ قال أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لاترونهم وهم يرونكم ثم قوموا فأدّوا عنى السلام إلى من بعدى من أمتى . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الناس فى المسجد وضجوا بالبكاء والنحيب ، وأظلمت الدنيا ونادى بلال : وانبياه ، ونادت فاطمة : وا أبتاه ، ونادى الحسن والحسين : واجداه ، ونادى كل من المسلمين : واحزناه وأول من بكاه ورثاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه . ولسان حاله يقول :

كيف تلتذ جفونى بالمنام ... بعد شرب المصطفى كأس الحمام

الجنه تقل مثل حلىّ الدنيا فحلىّ الدنيا يشخشخ وحلى الجنة يسبح الله سبحانه وتعالى بصوت خفى وحنين يطرب السامعين ، ثم يقول الله تعالى : مرحبا بعبادى وأهل طاعتى ياملائكتى أطربوهم فتمشى الملائكة وتأتى لهم بمغانى الجنة وهى من الحور العين . وتأتى لهم الملائكة بشبابات ناتئة فى الأغصان وفى الأشجار ، كل شجرة تحمل فى كل غصن سبعين ألف مزمار وتهب ريح من تحت العرش فتدخل فى تلك المزامير فيسمع لها نغمات لم يسمع السامعون أحسن منها ، ثم يقول الله تعالى للحور العين : أطربوا عبادى كما نزهوا أسماعهم عن المطربات فى الدنيا لأجلى وتلذذوا

أم لقلبي راحة من بعده ... وجفوني بالبكا سحت دوام
إن يكن غاب عن الدنيا ففي ... جنة الخلد له أعلى مقام
لكن المقدور حتم لازم ... مالنا من بأسه من اعتصام
ليس في الدنيا بكاء لامرئ ... بعد موت المصطفى خير الأنام
أحمد الهادي الشفيع المرتضى ... في البرايا سيد الرسل الكرام
فعليه الله صلى كلما ... بكت السحب بأجفان الغمام

وبكاه عمر بن الخطاب ورثاه . وقال بلسان حاله وجواه :

ليس البكاء وإن أطيل بمقنعي ... الخطب أعظم قيمة من أدمعي
يا للرجال بحادث لم يحتسب ... ولنازل ما كان بالمتوقع
تالله ماجار الزمان ولااعتدى ... باشدّ من هذا المصاب وأوجع
خطب يبرح بالخطوب وفادح ... من لم يكن جزعا له لم يجزع
فقد الرسول فأظلمت كل الدنا ... والحزن عمّ لكل قلب موجع
مازال بالمعروف فينا آمرا ... يهدى الأنام بنوره المتشعشع
صلى عليه الله جلّ جلاله ... مالاح نور في البروق اللمع

ورثاه عثمان بن عفان رضى الله عنه وزاد في البكاء وأطال وناداه بلسان حاله وقال:

ويحك يانفس البدار البدار ... ماهذه الدنيا لحيّ بدار ... كم كدرت صفوا وكم ألبست
من تاه عزا ثوب ذلّ وعار ... أيطمئنّ المرء في منزل ... يرى كؤوس الموت فيه تدار
قد نفد العمر وقلّ البقا ... إلى متى يانفس ذا الاغترار ... مابعد موت المصطفى خالد
وليس في الدنيا لحى قرار ... صلى عليه الله ما أشرقت ... كواكب الصبح وناح الهزار

ورثاه علي بن أبي طالب رضى الله عنه وبكى بالدمع الهمول ، ونادى بلسان حاله يقول :

لو جرى الدمع على قدر المصاب ... شابهت أجفاننا سح السحاب
ولوأن الدمع يشفي من بكا ... لم نزل بين رحاب الانتحاب
ياصروف الدهر قد كان الذي ... كنت أخشى من عواديك الصعاب
لم أزل أحسب ما أخلده ... فأتى الدهر بما لا في حساب
مات خير الخلق من قد خصه ... ربه بالصحب من خير صحاب
كل حي ذائق كأس الفنا ... هكذا المسطور في أمّ الكتاب
أيها الناس لكم بالمصطفى ... أسوة فالموت يدنى للذهاب
فثقوا بالله وارضوا وخذوا ... ماقضى الله بصبر واحتساب
واعلموا أن النبي المصطفى ... ذخرنا الشافع في يوم المآب
فعليه الله صلى دائما ... كلما أمطر قطر من سحاب

[إخواني] كيف يطمع بالبقاء في هذه الدار ، وقد فقد النبي المختار ، فالأحشاء عليه محترقة والأجفان بالدمع غرقة ، والصبر زائل والدمع سائل ، مصابه هون جميع المصائب ، وفقده نغص عيش الحبائب ، وفض عقد الدموع وشب النار بين الضلوع ، وأذاب الدموع الجامدة وأثار الهموم الخامدة ، فيا أيها الحزين ، أتطمع في البقاء بعد موت سيد المرسلين ؟ أمالك عبرة فيمن قرضتهم الشهور والدهور ، في الماضي من السنين ، أمالك فكرة فيمن صرع قبلك من الأنام ، من شيخ

بذكرى وسماع كلامي فأسمعوهم بأصواتكم حمدي وثنائي فتغنى لهم الحور العين وتجاوبهم تلك المزامير فيطرب القوم فرحا بذلك السماع في حضرة الوصال ، فاذا أفاقوا من الوجد وشبعوا من الطرب يقولون : يارينا إنا كنا في دار الدنيا نحب ذكرك وكلامك العزيز ، فيقول الله عزّ وجل لهم : نعم إن لكم عندي ماتشتهي أنفسكم في الجنة وأنتم فيها خالدون . ثم يقول الله عز وجل : ياداود فيقول لبيك يارب العالمين ، فيقول : قد أمرتك ياداود أن تقوم على المنبر وتسمع عبادي وأحبائي عشر سور من الزبور ، فيرتقي داود عليه السلام على المنبر ويقرأ العشر من الزبور فيطرب القوم

وكهل وشاب وطفل وجنين ، أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشفيق ، وخليل وقرين ، إلى متى تلتفت إلى العلائق ، كأنك ما أنت من الموت على يقين ، أغرّتك المهلة أم جاد الزمان لك بيقين بالله عليك اقبل نصحى ، قبل أن يعرق منك الجبين ، ويشتدّ نزعك والأنين ، ويبكى عليك بماء الدمع المعين ، وتحصل فى قبر مظلم لايظهرفيه النور ولايبين ، ويبقى فيه كل امرىء بما كسب رهين أما سمعت آيات الله المبينة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أما أنذرك ماجاء فى القرآن : (كل من عليها فان) ، أما وعظك الدهر ، وأسمعك الصوت (كل نفس ذائقة الموت) فإذا كان قد مات صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود واللواء المعقود ، ومن له الشفاعة فى اليوم الموعود فكيف بك وكيف حالك أيها المطرود ، المتخلف المذود الذى كل صحائفه سود ، وعمله عليه مردود ، يامن يغتر بدهر لايدوم ، يامصرّا على المظالم والظلم والله شوم ، يامن يروع الناس بظلمه وعند الله تجتمع الخصوم :

[إخوانى] شوقتم فما رغبتم ، وخوفتم فما رهبتم ، وأيقظكم الموت بمن أخذ قبلكم ، فما انتبهتم ووعظكم القرآن فما ازجرتم ولا اتعظتم ، كأنكم بمنادى الرحيل يناديكم فى ناديكم ، انتبهوا يانيام فقد طلبتم ، أما كان لكم فى موت المصطفى عبرة ، أما أجرى لكم عظيم مصابه عبرة ، أما أيقظكم فقده من هذه السكرة ، أماجالت لكم فى قرب آجالكم فكرة ، أما اعتبرتم بمن مضى قبلكم من السادات ، أماتحسرتم على من دفنتم من الآباء والأمهات ، والبنين والبنات ؟ كيف تلتذون باللذات وقد قال صاحب المعجزات « ان للموت لسكرات » أما تمرّر حلو عيشكم والحياة ، حين قال عند الموت واكرباه ، أما أبكاكم توجع فاطمة البتول ، حين قالت لأبيها الرسول ، واكربى لكربك يا أبتاه ؟ فأين أرباب العقول ، أين من هو بما يعنيه مشغول ، أين من اغترّ بالبقاء فى هذه الدار الفانية . وقد فقد الرسول ؟:

أسفى على فقد الرسول طويل ... أسف مدى الأيام ليس يزول
رزء تكاد الأرض منه والسما ... هذى تميد له وتلك تميل
غمر القلوب بحزنه وبوجده ... فلكل قلب لوعة وغليل
وبكل ناد نادب متحسر ... وبكل ناحية عليه عويل
بأبى وأمى من ثوى فى تربة ... والحزن فى قلبى عليه يجول
والأرض بدّل صفوها بتكدر ... وجرت بحار بالبكا وسيول
والجوّ أظلم بعد موت المصطفى ... والسحب أدمعها عليه همول
أسفا على من جاءنا بهداية ... وعليه حقا أنزل التنزيل
وله الإله أتى بتأييد له ... وعليه منه شاهد ودليل
يانفسُ لا بالموت تعتبرى ولا ... تصغى لقول الدهر حين يقول
يانفس بعد المصطفى أفتطمعى ... فى الخلد كلا ما اليه سبيل
يانفس كم تعصى إلهك جهرة ... والقلب منى بالذنوب عليل
يانفس توبى من ذنوبك انه ... من يعص رب العرش فهوذليل
يانفس كم تعصى وربك ناظر ... ويرى فعالك والدجى مسدول
يانفس قدأوقعت فى شرك الردى ... حقا ومالك للخلاص وصول
يانفس لاترجى البقاء فانه ... سيف المنايا فى الورى مسلول

من صوت داود عليه السلام أعظم من طربهم على مغانى الجنة ويسكرون من الطرب ، وصوت داود يعدل تسعين مزمارا فإذا أفاقوا يقول الله سبحانه وتعالى : ياعبادى هل سمعتم صوتا أطيب من هذا قط؟ فيقولون لا والله ياربنا ماطرق أسماعنا مثل صوت نبيك داود عليه السلام ولاأطيب منه ، فيقول الله عزوجل : وعزتى وجلالى لأسمعنكم صوتا أطيب من هذا ، ياحبيبى يامحمد ارق المنبر واقرأ طه ويس فيقرأ النبى صلى الله عليه وسلم فيزيد فى الحسن على صوت داود عليه السلام بسبعين ضعفا ، فيطرب القوم وتطرب الكراسى من تحتهم وقناديل العرش والملائكة تموج من الطرب والحور العين والغلمان

كيف الطريق إلى النجاة وانني بقيود ذنبي دائما مغلول
ماحيلتي إلا البكاء وقد عدا حزني على قبح الذنوب يطول من بعد موت المصطفى هل لامرئ
في الدهر يوما للبقاء سبيل وهو النبيّ المصطفى والمجتبى ونبيّ حق للورى ورسول
صلى عليه الله جل جلاله ماحنّ مشتاق وسار دليل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السابع والأربعون

في مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين ، وفيه قصة أبي يزيد البسطامي

الحمد لله الذى اختار لخدمته من اصطفاه من عباده ، وجذب إلى جنابه من أحبّ فأسرع إليه في انجذابه وانقياده ، حرك سواكن همم المريد فكان ذلك سببا لحصول مراده ، وأخذه منه وسلبه عنه وقربه بعد إبعاده ، ونادمه في الأسحار ، وأطلعه على الأسرار ، وما نال ذلك بحرصه ولا اجتهاده وأوصله إلى مايوصل إليه وسلك به سبيل رشاده ، وملأ قلبه بحبه ووده لما رآه حافظا لعهده ووداده ، وتجلى عليه بافضاله وإنعامه ، والغافل مشغول بطيب منامه ورقاده ، وقال له ياعبدى ها أنا متجلّ عليك وناظر إليك ، ومن حصلت له فقد ظفر بقصده وإسعاده :

ما لجفني ورقاده هو راض بسهاده أنا صب قد تجافى جفنا طيب رقاده
ياخليّ القلب دع من ذاب من طول بعاده أنت ماتدرى بوجد وغرام في فؤاده
ان ترى هذا ضلالا إنه عين رشاده

لو علم الغافل مافاته لأكثر من نوحه وتعداده ، ولو سمع الحبيب وهو يخاطب أحبابه لم تخرج تلك الحسرة من فؤاده ، ولو شاهد جمال الحبيب لاعتزل عن العالم بانفراده ، سبقت السابقة وقضى الأمر ، والله يختص برحمته من يشاء من عباده :

قف بباب الحبيب ليلا وناده وتشكى من هجره وبعاده وعلى الباب عفر الخد ذلا
ولتكن حافظا قديم وداده ثم قل طالت القطيعة والهجـ ـر وجفنى لم يكتحل برقاده
فالحبيب الذى ترجيه أضحى جوده فائضا على قصاده

[روى أبو هريرة رضى الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » :

فهم خواص الله أين تيمموا والذاكرون الله في الآصال القانتون المخلصون لربهم
الناطقون بأصدق الأقوال لم تخل أرض منهمو قد حكموا ذات اليمين بها وذات شمال

[وروى رافع بن عبد الله] قال قال لى هشام بن يحيى الكنانى : ألا أحدثك حديثا رأيته بعيني ، وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسى أن ينفعك ؟ قلت حدثني يا أبا الوليد . قال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين ، وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن . وان أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت أنا وإياس نحرس ، ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة . وصبره على النصب ماتعجبت منه . فلما طلع الفجر قلت له رحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو أرحتها فبكى وقال : يا أخى انما هى أنفاس تعد ، وعمر يفنى وأيام تنقضى

والولدان ولايبقى في الجنة شيء إلا طرب لحسن صوت النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة طه ويس فيقول الله سبحانه وتعالى يا أحبائى هل سمعتم أطيب من هذا ؟ فيقولون ياربنا وعزتك وجلالك ماسمعنا منذ خلقتنا صوتا أحسن ولا أطيب ولا أحلى من صوت حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول الله سبحانه وتعالى : وعزتى وجلالى لأسمعنكم أطيب من هذا ، فيقرأ الحق سبحانه وتعالى سورة الأنعام ، فإذا سمعوا كلام الحق سبحانه وتعالى غابوا من الطرب والوجد واضطربت الأملاك والحجب والستور والقصور والأشجار والحور وبحار النور وماجت الجنان واهتزت

وأنا رجل أرتقب الموت ، وأنتظر خروج نفسى ، قال فأبكانى ذلك . فقلت له أقسمت عليك بالله إلا مادخلت الحباء واسترحت ، فدخل فنام وأنا جالس ظاهر الحباء فسمعت كلاما فى الحباء . فقلت مافيه أحد سواه فتقدمت قليلا فإذا به يضحك فى نومه ويتكلم فحفظت من كلامه وهو يقول ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ، ثم ردها ردّا رفيقا وهو يضحك ، ثم وثب من نومه وهو ينتفض فاحتضنته إلى صدرى مليا ، وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر . فقلت ما الخبر ؟. قال خير ، قلت حدّثنى فقد سمعتك تقول ماأحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ، ثم رددتها ردا خفيفا . فقال لا أخبرك فأقسمت عليه ، قال أوتكتم عنى ماحييت ؟ قلت بلى ، قال رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتانى رجلان لم أر أحسن منهما وجها فسلما علىّ فرددت عليهما السلام . فقالا لى ياسعيد أبشر فقد غفر ذنبك ، وشكر سعيك ، وقبل عملك واستجيب دعاؤك ، وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم . قال فانطلقت معهما حتى أخرجانى عن جملة الموقف ، وإذا بخيل لاتشبه خيل الدنيا إنما هى كالبرق الخاطف أوكهبوب الريح فركبنا وسرنا فانتهينا إلى قصر شاهق مايبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لايبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم ، فلما رأونا أخذوا فى ألوان من القول الحسن بأنغام مختلفة يقولون هذا ولىّ الله قد جاء فمرحبا وأهلا . فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرّة من ذهب مكللة بالجواهر محفوفة بكراسى من ذهب وعلى كل سرير منها جارية لايستطيع أحد من خلق الله تعالى أن يصفها ، وفى وسطهن واحدة عالية عليهن فى طولها وكمالها وجمالها . فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقيلك ، ثم انصرفا عنى فوثب الجوارى إلىّ بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهنّ ، ثم حملونى حتى أجلسونى على السرير الأوسط إلى جانب الجارية وقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ، وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتنى فقلت أين أنا ؟. فقالت فى جنة المأوى فقلت من أنت ؟ قالت أنا زوجتك الخالدة ، قلت فأين الأخرى ؟ قالت فى قصرك الآخر فقلت أقيم اليوم عندك وأتحول فى غد إلى الأخرى ، ثم مددت يدى إليها فردتها ردّا رفيقا ، وقالت أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثا . فقلت ما أحب أن أرجع . فقالت لابدّ من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ، ثم نهضت من مجلسها فنهضت لوداعها فاستيقظت . قال هشام فغلبنى البكاء ، وقلت هنيئا لك ياسعيد جدد لله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك . فقال هل رأى أحد غيرك مارأيت ؟ قلت لا . فقال بالله عليك اكتم عنى مادمت فى الحياة . ثم قام فتطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ، ثم انصرف فتحدّث الناس بقتاله وقالوا ما رأيناه فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو يعلمون شأنه لتنافسوا فى مثل عمله . ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشدّ من اليوم الأول ، ثم مكث قائما إلى آخر الليل ، ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ من كل يوم . قال أبو الوليد فانطلقت معه لأنظر ماذا يكون منه ، فلم يزل يلقى نفسه فى المهالك غالب النهار ولايصل إليه شىء حتى إذا دنا غروب الشمس جاءه سهم فى نحره فخر صريعا وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له هنيئا لك ياسعيد فيما تفطر عليه الليلة ياليتنى كنت معك . قال فعض على شفته السفلى وهو يضحك ، ثم قال الحمد لله الذى صدقنا وعده .

الأشجار والأنهار طربا لكلام العزيز الغفار وتواجدت الجنة ودارت أركانها من الطرب واهتز العرش والكرسى والملائكة الروحانيون واهتزت الجنة بجميع مافيها حبا واشتياقا ثم يكشف الحجاب عن وجهه الكريم وينادى : ياعبادى من أنا ؟ فيقولون أنت الله مالك رزقنا . ياعبادى أنا السلام وأنتم المسلمون ، وأنا المؤمن وأنتم المؤمنون ، وأنا الحبيب وأنتم المحبون هذا كلامى فاسمعوه وهذا نورى فانظروه ، وهذا وجهى فانظروه ، فعند ذلك ينظرون إلى وجه الحق جل وعلا بلا واسطة

ثم مات قال هشام فصحت : ياعباد الله (لمثل هذا فليعمل العاملون) واسمعوا ما أخبركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس نحدثهم بالحديث على وجهه وما كان منه . فما رأيت باكيا كالساعة . ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث ، وبلغ الخبر إلى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلى عليه . فقلت صل عليه أيها الأمير . فقال بل يصلى عليه الذى عرف من أمره ماعرف . قال فصلينا عليه ودفناه فى موضعه وبات الناس يتحدثون به . فلما طلع الصباح تذاكرنا حديثه فصاحوا صيحة واحدة وحملوا على العدو ففتح الله الحصن فى ذلك النهار ببركته رحمه الله تعالى :

بالروح جد فى هواهم وكرما ... وادخل حماهم تجد حمى حرما
واخلع عذار الوقار مطرحا ... للهم واحذر بأن ترى سئما
وغب عن الكون إن أردت بأن ... تحظى فهذا به الهوى رسما
واشرب بكاس الغرام إن ترد السكر وتبقى من جملة الندما
ولا تبالى من العذول إذا ... قال بجهل هذا الغرام لما
وكن محبا يرى الوجود إذا ... شاهد محبوب قلبه عدما
يرضى بما يرتضى الحبيب له ... فى حكمه حيث صح أو سقما
يستعذب الموت حين بان له ... ما قد رآه فى حبه كرما

[وعن أبى يعقوب الطبرى] قال خرجت فى سفر أريد الشام فوقعت فى التيه أياما حتى أشرفت على الهلاك ، فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين سائرين كأنهما قد خرجا من مكان يريدان ديرا لهما قريبا فملت إليهما وقلت لهما أين تريدان ؟ قالا لاندرى قلت فمن أين أقبلتما ؟ قالا لاندرى قلت أو تدريان أين أنتما ؟ قالا نعم نحن فى ملكه وبين يديه فقلت فى نفسى راهبان يتحققان التوكل دونك فقلت لهما أتأذنان لى فى الصحبة قالا ذاك إليك فسرنا . فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيممت وصليت فنظر إلىّ وقد تيممت وصليت فتعجبا من ذلك . فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما فى الأرض فانفجرت عين ماء وإلى جانبها طعام موضوع فتعجبت من ذلك . فقالا لى ادن وكل واشرب فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء وقاما إلى صلاتهما وأنا أصلى وحدى حتى أصبحنا وصليت الفجر . ثم قاما وسارا إلى الليل وأنا معهما . فلما أمسينا تقدم أحدهما فصلى برفيقه إلى ناحية ديرهما ، ثم دعا بدعوات وبحث فى الأرض فظهر الماء وحضر الطعام فقالا ادن وكل فدنوت فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء . فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يامسلم الليلة نوبتك . قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلنى هم شديد وأمر غريب فقلت فى نفسى اللهم إن ذنوبى لم تدع لى عندك جاها ولكنى أسألك بجاه محمد عندك أن لاتفضحنى عندهما ولاتشمتهما بى ولا بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فإذا بعين ماء قد انفجرت وطعام كثير فأكلنا وشربنا ولم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبنى البكاء فلم أملك رده وأصابهما مثل ما أصابنى وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما أفقت قالا مايبكيك ؟ فقلت أنا رجل مسرف على نفسى ، وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة مايبلغ هذه الكرامة ، قالا فكيف ظهر لك هذا ؟ قلت : توسلت إليه بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وقلت : رب أنا مسرف على نفسى وهذان عدوان لدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشمتهما بدينه فظهر ما رأيتما فكانت الكرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم لا لى . فقالا والله ونحن كذلك لما رأيناك عجبنا من حالك . فلما جاء وقت الوضوء والأكل فكلفنا دعونا بدعواتك وقلنا : اللهم إن كان دين هذا حقا ونبيه حقا فبحرمة نبيه

ولا حجاب ، فإذا وقع على وجوههم نور وجه الحق أشرقت وجوههم بالنور وتمتعوا بالنظر إلى وجه العزيز الغفور فتبقى الخلائق ثلثمائة عام شاخصين إلى وجه الحق سبحانه وتعالى ولا يطيق أحد منهم أن يطبق جفنا على جفن من شدة لذة النظر إلى وجه الحق سبحانه وتعالى فمن لذة نظرهم يغيبون فى جماله وتشخص أبصارهم فى كماله فيخاطبهم الحق سبحانه وتعالى بلذيذ الخطاب ويناديهم : السلام عليكم يامعشر الأحباب تمنوا علىّ ماشئتم واشتهيتم فقد كشف لكم عن وجهى الحجاب ، ثم يعطى

عندك

عندك أظهر لنا ماء وأحضر لنا طعاما فحضر ما رأيته وكل ذلك ببركة نبيك ، وقد عرفنا أن دينه الحق ، وهو عند الله عظيم فامدد يدك فإنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال فأسلما وخرجنا جميعا إلى مكة فأقمنا بها مدة وخرجنا إلى الشام فتفرقنا : فوالله ماذكرتهما إلا وهانت علىّ الدنيا وصغرت فى عينى :

لما رأيتك حاضرا ... فى القلب زاد بى الخمار ... وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار ... فامزج كؤوسا بالرضا ... جهرا فما عنها اصطبار
دارت على أحبابه ... فإليهم ابدا يشار ... لطفت فلما ذاقها الأحبا
ب نحو الحب طاروا ... بذلوا إليه نفوسهم ... وعلى نفوس القوم غاروا
وإليه فى بحر الهوى ... ركبوا وبالأرواح ساروا ... طلبوه حقا بالقلو
ب وعندما نظروه حاروا ... هاموا به حتى لقد ... أنست بقربهم الديار
ورأوا إشارات الهدى ... لاحت لديهم فاستناروا

[إخوانى] هذان كانا من جملة الرهبان ، فلاح لهما قدر خرم الابرة من الايمان ، فرأيا الطريق وسلكا منهج التصديق ، وأنت يامسكين عمرك قد مضى فى العصيان ، وزمانك قد ذهب فى الخسران ، وأنت فى بحر الغفلة غريق ، وقد ذهبت نسمات القبول وأنت سكران بخمر المعاصى لاتفيق ، فبادر إلينا بالاخلاص والتصديق ، فقد فتحنا لك الطريق : وهديناك إلى التوفيق .

[كان وكان]

يامن زمانه يذهب ... فى كل ما لاينفعه ... إلى متى ذا التوانى ... والهجر والتعويق
انهض فهيىء زادك ... قبل أن تسير القافله ... وانهض فحصل لنفسك ... على الطريق رفيق
وإن منعت فنادى ... ياواصلين بحقكم ... عطفا على من أضحى ... من الذنوب غريق
ياراحلين بقلبى ... ونازلين بمهجتى ... حملتمونى بضعفى ... فى الحب مالا أطيق
وحقكم لست أنسى ... ماعشت عقد ودكم ... وعندكم ميثاق ... مدى الزمان وثيق

[وقال أبو يزيد البسطامى رحمة الله عليه] كنت يوما فى بعض سياحتى متلذذا بخلوتى وراحتى مستغرقا بفكرى مستأنسا بذكرى إذ نوديت فى سرى : يا أبا يزيد امض إلى دير سمعان واحضر مع الرهبان فى يوم عيدهم والقربان ، فلنا فى ذلك نبأ وشان . قال فاستعذت بالله من هذا الخاطر ، وقلت لست أخاطر ، فلما كان الليل أتانى الهاتف فى المنام ، وأعاد علىّ ذلك الكلام فانتبهت وأنا أرجف وأرعد وعندى من هذا الكلام مايقيم المقعد فنوديت فى سرى لابأس عليك أنت عندنا من الأولياء الأخيار ، ومكتوب فى ديوان الأبرار ، ولكن البس زىّ الرهبان واشدد من أجلنا الزنار وماعليك فى ذلك جناح ولا إنكار . قال أبو يزيد فقمت من باكر وبادرت إلى امتثال الأوامر ، ولبست زىّ الرهبان وحضرت معهم فى دير سمعان ، فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا إليه ليسمعوا ارتج عليه المقام فلم يطق الكلام كأن فى فمه لجام . فقال له القسيسون والرهبان : ما الذى يمنعك من الكلام أيها الربان ؟ فنحن بقولك نهتدى وبعلمك نقتدى . فقال مايمنعنى أن أتكلم وأبتدى ، إلا أن بينكم رجلا محمدى ، وقد جاء لدينكم ممتحنا وعليكم معتدى ، فقالوا أرنا إياه نقتله الآن ؟ فقال لاتقتلوه إلا بدليل وبرهان ، فانى أريد أن أمتحنه وأسأله عن مسائل فى علم الأديان فإن أجاب عنها وأبان تركناه ، وإن عجز عن تفسيرها قتلناه ، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان ، فقالوا له افعل ماتريد فنحن ماحضرنا إلا لنستفيد فقام كبيرهم على قدميه ونادى يامحمدى بحق محمد

الحق سبحانه وتعالى لكل واحد وواحدة رمانة قشرها من ذهب ، وفى وسطها حلل ملوّنة عدد مافى الرمانة حلة خضراء وحلة صفراء وحلة بيضاء وحلة مقصبة بالذهب على ألوان مختلفة ، ثم يرخى الحجاب ويقول لهم : ياعبادى ارجعوا إلى منازلكم فانى راض عنكم وقد زدت فى حسنكم سبعين ضعفا ، وبين جميع الرجال والنساء حصن واحد ، ولكن بين الرجال والنساء حجاب من نور حتى لاينظروا حريم بعضهم وجلّ مايتم للرجال يتمّ للنساء ، فإذا تجلى الحق شاهده الرجال والنساء

عليك إلا ما نهضت قائما على قدميك لتنظر العيون إليك فقام أبو يزيد ولسانه لا يفتر عن التقديس والتمجيد. فقال له البطرك يا محمدى أريد أن أسألك عن مسائل فإن أجبت عنها وفسرتها اتبعناك وإن عجزت عن تفسيرها قتلناك. فقال له أبو يزيد سل عما تريد من المنقول والمعقول والله شاهد على ما تقول. فقال له البطرك أخبرنى عن واحد لا ثانى له، وعن اثنين لا ثالث لهما، وعن ثلاثة لا رابع لهم، وعن أربعة لا خامس لهم، وعن خمسة لا سادس لهم، وعن ستة لا سابع لهم، وعن سبعة لا ثامن لهم، وعن ثمانية لا تاسع لهم، وعن تسعة لا عاشر لهم، وعن عشرة كاملة، وعن أحد عشر، وعن اثنى عشر، وعن ثلاثة عشر، وعن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة، وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأين مستقر اسمك من جسمك، وعن الذاريات ذروا، وعن الحاملات وقرا، وعن الجاريات يسرا، وعن المقسمات أمرا، وعن شىء تنفس بغير روح ونسألك عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين، وعن قبر مشى بصاحبه، وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض. وعن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم. وعن أوّل دم أهريق على وجه الأرض. ونسألك عن شىء خلقه الله ثم اشتراه. ونسألك عن شىء خلقه الله ثم أنكره ونسالك عن شىء خلقه الله واستعظمه. وعن شىء خلقه الله وسأل عنه، وعن أفضل النساء، وعن أفضل البحار. وعن أفضل الجبال. وعن أفضل الدواب. وعن أفضل الشهور. وعن أفضل الليالى وعن الطامة. وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة وفى كل ورقة خمس زهرات اثنتان فى الشمس وثلاثة فى الظل. وعن شىء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة. وكم من نبى خلقه الله. وكم منهم مرسل وغير مرسل. وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها. والأصل واحد. وعن النقير والقطمير والفتيل. وعن السبد واللبد وعن الطم والرم. وأخبرنا ما يقول الكلب فى نبيحه. وما يقول الحمار فى نهيقه. وما يقول الثور فى نعيره وما يقول الفرس فى صهيله. وما يقول البعير فى رغائه. وما يقول الطاوس فى صياحه. وما يقول الدرّاج فى صفيره، وما يقول البلبل فى تغريده. وما يقول الضفدع فى تسبيحه. وما يقول الناقوس فى نقيره. وأخبرنا عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة وأخبرنا أين يكون الليل إذا جاء النهار. وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ فقال أبو يزيد هل بقى أسئلة غير هذه؟. قال لا فإن فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله؟ قالوا نعم. قال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون. ثم قال: أما سؤالكم عن واحد لا ثانى له فهو الله الواحد القهار، وأما سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار. لقوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وأما سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لهم فهم العرش والكرسى والقلم. وعن أربعة لا خامس لهم فهم الكتب المنزلة التوراة والانجيل والزبور والفرقان. وأما سؤالكم عن خمسة لا سادس لهم فهم الصلوات الخمس المفروضة على كل مسلم ومسلمة. وأما سؤالكم عن ستة لا سابع لهم فهم الستة أيام التى ذكرها الله فى قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) وأما سؤالكم عن سبعة لا ثامن لهم فهم السبع سموات لقوله تعالى (سبع سموات طباقا) وأما سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وأما سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط المفسدون لقوله تعالى (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وأما سؤالكم عن عشرة كاملة فهى العشرة أيام يصومها المتمتع عند فقد الهدى لقوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) وأما سؤالكم عن أحد عشر فهم إخوة يوسف لقوله تعالى حكاية عنه (إنى رأيت أحد عشر كوكبا) وأما سؤالكم عن اثنى عشر

جملة واحدة كما إذا طلعت الشمس نظرها الخلق جملة واحدة، جلّ الله عن التشبيه فليس لله مثل ولا شبيه، ثم يقول الله عز وجل: يا ملائكتى قدموا لعبادى تجائب غير التى قدموا عليها فتقدم إليهم الملائكة خيلا من ياقوت أحمر سروجها منها وأجنحتها خضر مكللة بحلل خضر، ثم يقول الله عزّ وجل لهم: يا عبادى اعبروا سوق المعرفة فيعبرون فيقول بعضهم لبعض ويقول هذا لهذا أين أنت يا أخى ساكن فى أى الأماكن من الجنان. فيقول أنا ساكن فى الجنة الفلانية فى الموضع الفلانى

فهى عدة الشهور لقوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) وأما سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤيا يوسف لقوله تعالى (إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) وأما سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم إخوة يوسف لقوله تعالى (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب) فكذبوا وأدخلوا الجنة ، وأما سؤالكم عن قوم صدّقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) فصدقوا وأدخلوا النار ، وأما سؤالكم أين مستقر اسمك من جسمك فمستقره أذناك : وأما سؤالكم عن الذاريات ذروا فهى الرياح الأربع وأما سؤالكم عن الحاملات وقرا فهى السحب لقوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) وأما سؤالكم عن الجاريات يسرا فهى السفن الجاريات فى البحر . وأما سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم من نصف شعبان إلى نصف شعبان ، وأما سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهم السبع سموات والسبع أرضين لقوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين) وأما سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام ، وأما سؤالكم عن شىء تنفس بلا روح فهو الصبح لقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) وأما سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض فهو الماء الذى بعثته بلقيس فى قارورة من عرق الخيل إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وأما سؤالكم عن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم فهم كبش إسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء ، وأما سؤالكم عن أول دم أهريق على وجه الأرض فهو دم هابيل لما قتله قابيل ، وأما سؤالكم عن شىء خلقه الله ثم اشتراه فهو نفس المؤمن لقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأما سؤالكم عن شىء خلقه الله وأنكره فهى صوت الحمار لقوله تعالى (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) وأما سؤالكم عن شىء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى (إن كيدكن عظيم) وأما سؤالكم عن شىء خلقه الله وسأل عنه فهى عصا موسى لقوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى) وأما سؤالكم عن أفضل النساء فهى حوّاء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران رضى الله عنهن أجمعين ، وأما سؤالكم عن أفضل البحار فهو سيحون وجيحون والدجلة والفرات ونيل مصر ، وأما سؤالكم عن أفضل الجبال فهو جبل الطور ، وأما سؤالكم عن أفضل الدواب فهى الخيل ، وأما سؤالكم عن أفضل الشهور فهو شهر رمضان لقوله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) وأما سؤالكم عن أفضل الليالى فهى ليلة القدر لقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وأما سؤالكم عن الطامّة فهى يوم القيامة ، وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة فى كل ورقة خمس زهرات اثنان فى الشمس وثلاثة فى الظل : أما الشجرة فهى السنة ، وأما الأغصان فهى الشهور ، وأما الأوراق فهى الأيام ، وأما الخمس زهرات فهى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ثلاثة فى الظل المغرب والعشاء والصبح واثنتان فى الشمس وهما الظهر والعصر ، وأما سؤالكم عن شىء حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة فهى سفينة نوح عليه السلام ، وأما سؤالكم كم خلق الله من نبىّ وكم منهم مرسل فأما الأنبياء فهم مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى ، وأما المرسلون منهم فثلثمائة وثلاثة عشر ، وأما سؤالكم عن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد فهى العينان والأنف والفم والأذنان ، فماء العينين مالح وماء الفم حلو وماء الأنف حامض ،

منها فيتعارفون ، ثم تقول لهم الملائكة انكم قد كنتم فى دار الدنيا تعبرون فى أسواقكم فتعجبكم القطعة القماش أو غير ذلك فما تصح لكم إلا بثمن ، وربكم عزّ وجل قد وضع لكم فى هذا السوق كل شىء فمن اشتهى منكم شيئا فليأخذه بلا ثمن . قال فينظرون إلى مساند وفرش ووسائد ذات ألوان وحلل وأوان فكل من أراد شيئا ينظر إليه بعينه فتحمله الملائكة له من خلفه ، ثم يعبرون على صورة بنى آدم ، فكل صورة يراها فى عينه أحسن من صورته فلا ينظر إليها إلا وقد صار مثلها ، فكل من أراد صورة نظر

وماء الأذنين مرّ . وأما سؤالكم عن النقير فهى النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير هى القشرة البيضاء ، والفتيل الذى يكون فى بطن النواة . وأما سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز ، وأما سؤالكم عن الطمّ والرمّ فهم الأمم الماضية قبل أبينا آدم عليه السلام ، وأما سؤالكم عما يقول الحمار فى نهيقه فانه يرى الشيطان فيقول لعن الله العشار وهو المكاس ، وأما سؤالكم عما يقول الكلب فى نبيحه فانه يقول : ويل لأهل النار من غضب الجبار ، وأما سؤالكم عما يقول الثور فى نعيره فانه يقول : سبحان الله وبحمده ، وأما سؤالكم عما يقول الفرس فى صهيله فانه يقول سبحان حافظى إذا التقت الأبطال واشتغلت الرجال بالرجال ، وأما سؤالكم عما يقول البعير فى رغائه فانه يقول حسبى الله وكفى بالله وكيلا ، وأما سؤالكم عما يقول الطاوس فى صياحه فانه يقول (الرحمن على العرش استوى) ، وأما سؤالكم عما يقول البلبل فى تغريده فانه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وأما سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود فى البرارى والقفار سبحان الملك الجبار وأما سؤالكم عما يقول الناقوس فى نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم فى هذه الدنيا غربا وشرقا ماترى فيها أحدا يبقى ، وأما سؤالكم عن قوم أوحى الله إليهم لا من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة فهم النحل لقوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وأما سؤالكم عن الليل أين يكون إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فإنهما يكونان فى غامض علم الله تعالى ما أظهر عليه نبى مرسل ولا ملك مقرّب ، بل كل ذلك فى غامض علم الله تعالى ، ثم قال أبو يزيد هل بقى لكم سؤال ؟ قالوا لا ، قال فأخبرنى أنت عن مفتاح السموات ومفتاح الجنة ماهو ؟ فسكت كبيرهم فقالوا له أنت سألته عن مسائل كثيرة فأجاب عنها جميعها ، وقد سألك عن مسألة واحدة فعجزت عن جوابها ؟ فقال ماعجزت ولكنى أخاف أن أجيبه عن سؤاله فلا توافقونى . فقالوا بلى نوافقك إذ أنت كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه . فقال مفتاح السموات والجنة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما سمعوا ذلك منه أسلموا عن آخرهم وأخربوا الدير وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى أبو يزيد فى سره : يا أبا يزيد أنت شددت من أجلنا زنارا واحدا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار :

يارب إنى راض ماشئت فضلا وعدلا سيرتنى تحت أمر رضيته لم أقل لا
هديت قوما وكانوا نصبوا الى الشرك جهلا قوّمتهم فاستقاموا جمعت للقوم شملا
حول الجناب تراهم قد عفروا الخدّ ذلا أصواتهم زينوها بقوله أشهد أن لا
وشاهدوا الحق جهرا لما بدا وتجلى

[إخوانى] هؤلاء كانوا كفارا فى ظلمات العمى فأنقذهم الله بنور الهدى وحماهم من الردى ، كل ذلك ببركة قول لا إله إلا الله ، فانظروا إلى كلمة الاخلاص ماأعظم بركاتها وأنجح حاجاتها فرطبوا ألسنتكم بها لتنالوا بركة إحسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا حرم أمانها ، فإنها حصن منيع ودرع رفيع ، وقد قال تعالى فى بعض كتبه المنزلة : أكثروا من قول لا إله إلا الله ، فانها حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى . وقال بعض الصحابة : من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب . فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة

إليها وبقيت صورته فى صفتها وزيها وحسنها وتزول تلك الصورة عنه بقدرة الله تعالى ثم ينظرون فيجدون فى ذلك السوق حللا وأجنحة فتقول الملائكة كل من اشتهى أن يطير فليأخذ من هذه الأجنحة والحلل ويلبس فيطير فيلبسونها فتطير بهم أجنحتهم حيث أرادوا ، ثم يسيرون إلى منازلهم فيدخلون القصور فتقول المرأة لزوجها ما أشد حسنك اليوم وما أكثر نورك ، فيقول لها إنى قد نظرت إلى وجه ربى فوقع نوره على وجهى وأنت أيضا والله العظيم لقد عظم نور

وحروف لاإله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا ، فمن قال لاإله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلايبقى عليه ذنب إذا قالها فى كل يوم مرة ، فكيف بمن يكثر من قول لاإله إلا الله ويجعلها شغله ؟ .

[إخوانى] إن كنتم عاصين فقولوا لاإله إلا الله فانها تكفر الذنوب والعصيان ، وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لاإله إلا الله ، فانها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان :

ماضلّ عبد وأنت ترشده ... وكيف يشقى من أنت تسعده ... أم كيف يطفى اللهيب من كبدى
والشوق منى إليك يوقده ... عليك لاولم فى مهاجرتى ... الذنب ذنبى فلا أعدده
من أين لى الصبر عنك ياأملى ... فصبرى اليوم فيك أفقده ... والله ماخاب فى توجهه
من أنت من ذا الوجود مقصده ... كلا ولاضل عن طريق هدى ... من كان بالمصطفى تقيده

المجتبى المرتضى الذى سعدت ... زوّاره منه حين تقصده
عليه منا الصلاة دائمة ... ومن إله ماخاب قاصده

المجلس الثامن والأربعون

فى زواج على بن أبى طالب بفاطمة رضى الله تعالى عنهما وشفعهما فينا

الحمد لله العظيم المحمود ، الكريم المقصود القديم الموجود ، الذى أطلع من آفاق التوفيق لأهل التحقيق نجوم السعود ، وجلى عرائس الوجود فى مرآة الشهود ، فمن فهم المطلوب بلغ المقصود زين زمان الربيع بعروس غروس الأشجار تخطر فى حلل البهاء والبهار بقدود كل غصن أملود وأقام فى غرسها خطباء الأطيار على منابر الأشجار تثنى فى الأسحار بحمد الملك المعبود ، وجعل العقل حاكما على الجوارح والعينين من جملة الشهود ، وأمرهم بالتفكر فى عجائب مصنوعاته فشهدوا عقد حبات السنبل والعنقود ، فاعجب لصانع القدرة بعد النظر والفكرة كيف كوّن هذه الأكوان المختلفة الأعيان القاطعة لأهل الطغيان والجحود ؛ فسبحان مفجر الأنهار من صم صخر الجلمود ومطلع الأزهار من خلال الأشجار ومخرج ثمرها من عود ، زين السماء بالنيرين ، والبطحاء بالعمرين والزهراء بالسبطين ، وجعل جدها أشرف الجدود ، فكم مشتاق اليه لهفان عليه كدحت نجائب الشوق اليه بالسوق الكدود ، فقطعت به مفاوز الهجر والصدود ؛ فاذا وصلت إلى ذلك النادى تراها تنود وإذا حدا لها الحادى أرخت الدموع على الخدود :

عج على الوادى ونجد وزرود ... أيها الحادى وأنجز بالوعود ... ثم عرّج بالمطايا فلها
بين وادى الشيح والرند ورود ... خلها ترعى بكثبان الحمى ... فلها فيها هبوط وصعود
لاتسقها أيها الحادى فما ... ترك الشوق بها إلا الجلود ... لو تشاهدها إذا ماستنشقت
نسمات الحى بالنفس تجود ... وإذا لاحت لها دار المنى ... مدت الأعناق بالسعى الكدود

للنبى الهاشمى المصطفى ... صفوة الرحمن من كل الوجود
فعليه الله صلى كلما ... صدحت قمرية من فوق عود

[روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاطمة بضعة منى فاطمة حوراء إنسية » وروى عن بعض الرواة الكرام أن خديجة الكبرى رضى الله عنها تمنت يوما من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السلام ، فأتى جبريل الى المفضل على

وجهك وحسنك فتقول له كيف لايشرق وجهى بالنور ؟ وقد وقع عليه نور ربه ، فتشرق وجوههم بالأنوار ويدوم نعيمهم فى دار القرار ، قال الله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن طوبى شجرة فى الجنة أصلها فى دارى وأغصانها مظلة على قصور الجنة ، وليس فى الجنة قصر ولادار إلا وعليها غصن من أغصانها يحمل كل غصن منها كل ثمرة كانت فى الدنيا ، وكل زهر كان فى الدنيا ينبت فى ذلك الغصن إلا أنه أكثر وأخر

الكونين من الجنة بتفاحتين وقال يامحمد يقول لك من جعل لكل شيء قدرا كل واحدة وأطعم الأخرى لخديجة الكبرى ، واغشها فانى خالق منكما فاطمة الزهرا ؛ ففعل المختار ماأشار به الأمين وأمر ، فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر ، وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ، قالت خديجة واخيبة من كذب محمدا وهو خير رسول ونبي ، فنادت فاطمة من بطنها ياأماه لاتحزنى ولاترهبي فان الله مع أبي ، فلما تمّ أمد حملها وانقضى وضعت فاطمة فأشرق بنور وجهها الفضاء وكان المختار كلما اشتاق الى الجنة ونعيمها قبل فاطمة وشم طيب نسيمها . فيقول حين ينشق نسماتها القدسية إن فاطمة لحوراء إنسية ، فلما استنارت فى سماء الرسالة شمس جمالها وتمّ فى أفق الجلالة بدر كمالها امتدت إليها مطالع الأفكار وتمت النظر الى حسنها أبصار الأخيار وخطبها سادات المهاجرين والأنصار ، ردهم المخصوص من الله بالرضا ، وقال إنى أنتظر بها القضا :

من مثل فاطمة الزهراء فى نسب ... وفى فخار وفى فضل وفى حسب

والله فضلها حقا وشرفها ... إذ كانت ابنة خير العجم والعرب

ولقد خطبها أبو بكر وعمر ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمرها الى الله تعالى ؛ ثم إن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا جلوسا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتذاكروا أمر فاطمة رضى الله عنها . فقال أبو بكر قدخطبها الأشراف ، فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال إن أمرها إلى الله عز وجل ، وإن عليا لم يخطبها ولم يذكرها ولا أرى مايمنعه من ذلك إلا قلة ذات اليد وإنه ليقع فى نفسى أن الله تعالى ورسوله إنما يحبسانها لأجله ، ثم أقبل أبو بكر على عمر وعلى سعد ، وقال لهما : هل لكما فى القيام الى علي كرّم الله وجهه فنذكر له أمرها فان منعه من ذلك قلة ذات اليد واسيناه . فقال سعد وفقك الله ياأبا بكر فخرجوا من المسجد والتمسوا عليا فى مسجده فلم يجدوه ، وكان ينضح الماء ببعير على نخل لرجل من الأنصار بأجرة فانطلقوا نحوه فلما رآهم قال ماوراءكم ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : ياأبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة وفضل وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان الذى عرفت من القرابة ، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ، فردّهم وقال إن أمرها إلى الله تعالى فما يمنعك أن تذكرها وتخطبها فانى أرجو أن يكون الله عز وجلّ ورسوله يحبسانها لك ؟ قال فتغرغرت عينا عليّ بالدموع . وقال ياأبا بكر لقد هيجت عليّ ما كان ساكنا وأيقظتنى لأمر كنت عنه غافلا والله إن لى فى السيدة لرغبة ، ومامثلى من يقعد عن مثلها ولكن يمنعنى من ذلك قلة ذات اليد . فقال أبو بكر لاتقل كذا ياأبا الحسن فان الدنيا ومافيها عندالله ورسوله كهباء منثور . ثم إن عليا كرّم الله وجهه حلّ عن ناضحه وقاده الى منزله فشده فيه وأخذ نعله وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة فطرق الباب فقالت من بالباب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قومى وافتحى الباب له ، هذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما ، فقالت . فداك أبى وأمى ومن هذا ؟ فقال هذا أخى وأحبّ الخلق الىّ . قالت أم سلمة فقمت مبادرة أكاد أعثر فى مرطى ففتحت الباب . فاذا أنا بعلى بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، فوالله ما دخل حتى علم أنى قد رجعت إلى خدرى فدخل وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم السلام ، ثم قال له اجلس فجلس بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يطرق الى الأرض كأنه قاصد حاجة يستحى منه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياعلى كأنك قاصد حاجة فابدأ بما فى نفسك فكل حاجتك عندى مقضية . فقال على رضى الله عنه فداك أبى وأمى يارسول الله إنك لتعلم أنك أخذتنى من عمك

من ثمر الدنيا وأحسن من زهر الدنيا ، وتحمل شجرة طوبى عنبا ، كل عنقود طوله مسيرة شهر ، كل عنبة بقدر القربة إذا ملئت ماء . فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله إن العنبة الواحدة تكفيني وتكفى أهلى وبيتى وعشيرتى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العنبة الواحدة تكفيك وتكفى أهل بيتك وعشرة من قومك وإن فيها أيضا تمرا كل تمرة بقدر الراوية وكل تمرتين حمل جمل لها برق مثل الشمس ، وذكر أن فى طوبى أيضا سفرجلا

أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي لا أعقل شيئا ، فهديتني وأدبتني وهذبتني فكنت لي أفضل من أبي طالب وفاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة وإن الله عز وجلّ هداني بك واستنقذني عما كان عليه آبائي وأعمامي من الشرك ، وإنك يارسول الله ذخري ووسيلتي في الدنيا والآخرة وقد أحببت مع ماشدّ الله عزوجلّ بك من عضدي أن يكون لي بيت وزوجة أسكن إليها وقد أتيتك خاطبا ابنتك فاطمة فهل تزوّجني يارسول الله ؟ قالت أم سلمة فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تهلل فرحا وسرورا ثم تبسم في وجه عليّ ، وقال : ياعليّ هل معك شيء تصدقها إياه ؟ قال والله مايخفى عليك حالي ولاشيء من أمري ماأملك غير درعي وسيفي وناضحي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما سيفك فلاغنى لك عنه تجاهد به في سبيل الله ، وأما ناضحك فتنضح عليه لأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكني زوّجتك على درعك ورضيت به منك وأبشر ياأبا الحسن فان الله عز وجلّ قد زوّجك بها في السماء قبل أن أزوّجك بها في الأرض ، ولقد هبط عليّ ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أر قبله من الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى . فقال لي : السلام عليك يارسول الله أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فقلت : وما ذاك ، أيها الملك ؟ فقال ياأحمد أنا سبطائيل الموكل باحدى قوائم العرش سألت الله تعالى أن يأذن لي ببشارتك وهذا جبريل عليه السلام آت على أثري يخبرك عن ربك بكرامة الله عز وجلّ . قال النبي صلى الله عليه وسلم فما استتم الملك كلامه حتى هبط جبريل عليه السلام ، فقال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع في يدي حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور فقلت حبيبي جبريل ماهذه الخطوط ؟ قال إن الله عزوجلّ اطلع على الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع إليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وحبيبا فزوّجه ابنتك فاطمة ، قلت حبيبي جبريل ومن هذا الرجل ؟ فقال أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وإن الله تعالى أوحى الى الجنان أن تزخرفي وإلى الحور أن تزيني وإلى شجرة طوبى أن احملي الحلى والحلل وأمر الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور فهبطت ملائكة الصفيح الأعلى وأمر الله تعالى رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وهو المنبر الذي خطب عليه آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء وأمر الله عزوجلّ ملكا من ملائكة الحجب يقال له راحيل فعلا ذلك المنبر وحمد الله بجميع محامده وأثنى عليه بماهو أهله فارتجت السموات فرحا وسرورا . قال جبريل وأوحى الله تعالى الليّ أن أعقد عقدة النكاح فاني زوّجت عليا ولي بفاطمة أمتي بنت رسولي وصفوتي من خلقي محمد صلى الله عليه وسلم فعقدت عقدة النكاح وأشهدت على ذلك الملائكة ؛ وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة ، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم من مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان . ثم إن الله تعالى لما أشهد على تزويج فاطمة ملائكته أمر شجرة طوبى أن تنثر مافيها من الحلى والحلل فنثرت ذلك والتقطته الحور العين والملائكة وإن الحور العين ليتهادونه الى يوم القيامة ، وقد أمرني أن آمرك بتزويجها عليا في الأرض وأن أبشرها بغلامين ذكيين نجيبين فاضلين طاهرين خيرين في الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعرج الملك ياأبا الحسن حتى طرقت الباب ، ألا وإني منفذ فيك أمر ربي فامض ياأبا الحسن أمامي فاني ذاهب إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس ، وذاكر من فضلك ماتقرّ به عينك . قال عليّ كرم الله وجهه فخرجت من عنده مسرعا وأنا لا أعقل من شدة الفرح فاستقبلني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا لي ماوراءك ياأبا الحسن ، قلت زوّجني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأخبرني

وتفاحا ورمانا وخوخا ومشمشا ، كل ثمرتين قدر حمل جمل ولايعلم وصف شجرة طوبى غير الذي خلقها ، ولكل مؤمن في الجنة غصن من أغصانها واسمه مكتوب على ذلك الغصن يحمل ذلك الغصن كل نوع من أنواع الثمر حتى الخيول بسروجها ، والنوق بأزمتها ، والجواري والغلمان ، ويحمل الغصن والعنقود الأساور والخواتم والتيجان والحلل وكل ذلك من ورق

أن الله تعالى زوّجنى بها فى السماء وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم آت على أثرى الى المسجد فيقول ذلك فى محضر من الناس ، ففرحا بذلك ودخلا المسجد : فوالله ماتوسطاه حتى لحق بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل سرورا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابلال اجمع المهاجرين والأنصار فانطلق بلال لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس النبى صلى الله عليه وسلم قريبا من منبره حتى اجتمع الناس ثم قام فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يامعشر المسلمين إن جبريل أتانى آنفا فأخبرنى أن الله عزوجل استشهد الملائكة عند البيت المعمور أنه زوج أمته فاطمة ابنتى من عبده على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأمرنى أن أزوجه فى الأرض وأشهدكم على أنى زوّجته بها . ثم جلس وقال لعلىّ قم ياعلى واخطب لنفسك فقام على رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه . فقال الحمد لله وشكرا لأنعمه وأياديه : وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له ولاشبيه ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله نبيه النبيه ورسوله الوجيه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وبنيه صلاة دائمة ترضيه . وبعد ، فان النكاح سنة أمر الله به وأذن فيه وقد زوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وجعل صداقها درعى هذا وقد رضيت ورضى فاسألوه واشهدوا . فقال المسلمون بارك الله فيكما وعليكما وجمع شملكما . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فأمرهن أن يدففن لفاطمة رضى الله عنها فضرب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالدفوف على رأس فاطمة ، قال على رضى الله عنه فأخذت درعى ومضيت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم من عثمان ابن عفان رضى الله عنه . فلما قبضت الدراهم وقبض الدرع قال لى ياأبا الحسن ألست الآن أولى منك بالدرع وأنت أولى منى بالدراهم ؟ قلت بلى قال فان الدرع هدية منى إليك . قال على فأخذت الدرع والدراهم وأتيت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من عثمان فدعا له بخير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الدراهم . ثم دعا بأبى بكر رضى الله عنه . فقال ياأبابكر اشتر بهذه الدراهم مايصلح لفاطمة وأرسل معه سلمان وبلالا يعينانه على حمل مايشتريه . قال أبو بكر رضى الله عنه كانت الدراهم التى دفعها إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين درهما فاشتريت فراشا من خيش محشوا بالصوف ونطعا من أديم ووسادة من أديم حشوها من ليف النخل وقربة للماء وكيزانا وستر صوف رقيق فحملت أنا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه وأقبلنا فوضعناه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نظر اليه بكى . ثم رفع رأسه الى السماء . وقال : اللهم بارك لقوم شعارهم الخوف منك قال علىّ ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقى ثمن الدرع الى أم سلمة . وقال ارفعى هذه الدراهم عندك فمكثت بعد ذلك شهرا لاأعاود رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه غير أنى كنت إذا خلوت برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى ياأبا الحسن زوّجتك سيدة نساء العالمين . قال علىّ فلما كان بعد شهر دخل على أخى عقيل بن أبى طالب . فقال ياأخى مافرحت قط بشىء كفرحى بتزوّجك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تدخل عليها قرّت أعيننا باجتماع شملكما ، فقلت والله إنى لأحب ذلك ومايمنعنى إلا الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أقسمت عليك إلا مقمت معى فقمت معه نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيتنا فى طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا لها ذلك فقالت أمهلا ودعانا نحن نكلمه فى أمرها فان كلام النساء أوقع فى النفس من كلام الرجال . ثم انثنت راجعة إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعت أمهات المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى بيت عائشة ، فأحدقن به وقلن : يارسول الله صلى الله عليك وسلم فديناك بآبائنا

وأمهاتنا

الغصن ، وكلما قطع المؤمن حلة نبت موضعها حلتان ، وإن قطع ثمرة نبت موضعها ثمرتان وتحت شجرة طوبى ميادين يسير الراكب تحت ظلها مائة عام لايقطعها ، وفى تلك الميادين أنهار الخمر وأنهار العسل وأنهار اللبن ، وفى تلك الأنهار سمك وحيتان ، جلد تلك الحيتان من الفضة . وقشرها من الذهب مثل الدنانير ، ولحمها أبيض من الثلج وأنعم من الزبد ، وهو

وأمهاتنا إنا قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة فى الأحياء لقرّت عيناها بذلك قالت أم سلمة : فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : وأين مثل خديجة صدّقتنى حين كذبنى الناس وأعانتنى على دينى ودنياى بمالها . فقالت أم سلمة يارسول الله إن خديجة كانت كذلك غير أنها مضت الى ربها فالله تعالى يجمع بيننا وبينها فى درجات الجنة ، وهذا أخوك فى الدين وابن عمك فى النسب على بن أبى طالب يحب أن يدخل على زوجته فاطمة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة أرسلى إلى أم أيمن وأمريها أن تنطلق الى علىّ فتأتينى به فخرجت أم أيمن فاذا علىّ ينتظرها . فقالت له أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال على فانطلقت معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حجرة عائشة رضى الله عنها فقامت أزواجه . فدخلن البيت فجلست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرقا . فقال أتحب أن تدخل على زوجتك ؟ فقلت نعم فداك أبى وأمى . فقال حبا وكرامة تدخل علينا فى ليلتنا هذه إن شاء الله تعالى . قال على ثم قمت من عنده فرحا مسرورا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزين فاطمة وتطيب ويفرش لها ودفع النبى صلى الله عليه وسلم لعلى عشرة دراهم من الدراهم التى كانت عند أم سلمة وقال له اشتر بهذه تمرا وسمنا وأقطا . قال على فاشتريت ذلك وأتيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم فجعل يشدخ التمر بالسمن ويخلطه بالأقط حتى جعله حيسا . ثم قال ياعلى ادع من أحببت فخرجت الى المسجد فوجدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام القوم بأجمعهم فأقبلوا نحوه فأخبرته أن القوم كثير فجلل السفرة بمنديل . ثم قال ليدخلن عشرة عشرة ففعلت ذلك فجعلوا يأكلون ويخرجون والسفرة لاتنقص حتى أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل ببركة النبى صلى الله عليه وسلم ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاطمة وعلى فأخذ عليا بيمينه وفاطمة بشماله وجمعهما إلى صدره وقبلهما بين عينيهما ، ثم دفعها اليه . وقال ياأبا الحسن نعم الزوجة زوجتك ثم قام يمشى معهما الى البيت الذى لهما ، ثم خرج وأخذ بعضادتى الباب ، وقال جمع الله شملكما استودعتكما الله واستخلفته عليكما فأقبل على رضى الله عنه على فاطمة يلاطفها بالكلام حتى جن الظلام فأخذت فى البكاء . فقال مايبكيك ياسيدة النساء ألم ترضى أن أكون لك بعلا وتكونى لى أهلا ؟ . فقالت يا ابن العم كيف لا أرضى وأنت الرضا وفوق الرضا ، وإنما فكرت فى أمرى وحالى عند ذهاب عمرى ونزولى فى قبرى فشبهت دخولى الى فراش عزى وفخرى بدخولى الى لحدى وقبرى ، وأنا أسألك ياابن العم بحق أبى إلا ما بلغتنى قصدى وأربى وقمت بنا الى محرابنا نتعبد فى هذه الليلة فهو أحق وأحرى بنا فنهضا الى المحراب ، وقاما الى التهجد فى خدمة رب الأرباب .

[إخوانى] ماكانت هم القوم فى الدنيا ولذاتها ، ولا فى راحة النفس وشهواتها ، ولا كانت تسموهممهم العالية إلا إلى الدار الباقية لاجرم جعل ذكرهم فى الكتاب مسطورا ، وكتب لهم بالبشارة منشورا (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فتركا فراش لذاتهما واشتغلا بعبادتهما فكانا يقطعان الليل بالقيام والنهار بالصيام حتى مضت ثلاثة أيام ، ثم رقدا على فراشهما ، فهبط الأمين جبريل عليه السلام فى اليوم الرابع على سيد الأنام وقال له ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إن عليا وفاطمة الكرام ، تركا فراشهما وهجرا المنام فى هذه الثلاثة أيام ، وأقبلا على الصيام والقيام ، فامض اليهما وسل عنهما وقل لهما إن الله تعالى قد باهى بكما الملائكة المقربين ، وإنكما تشفعان يوم القيامة فى العصاة والمذنبين ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم

بغير عظم ولاشوك ، وفى تلك الأنهار مراكب من الياقوت الأحمر يركب الأولياء فيها فيسيرون الى قصورهم فى تلك الميادين ، وحائط القصر الأوّل أخضر ، والقصر الثانى أصفر ، والقصر الثالث أحمر ، والقصر الرابع أبيض فاذا كان وقت الضحى رجعت القصور كلها لوناواحدا ، وقد كان كل قصر فيه لون من الألوان التى ذكرت ، فاذا كان وقت

وأتى إلى منزلهما ودخل فصادف فى البيت أسماء بنت عميس ، فقال لها مايوقفك ههنا وفى البيت رجل ؟ فقالت فداك أبى وأمى يارسول الله إن البنت إذا زفت إلى زوجها احتاجت إلى امرأة تتعهدها وتقوم بأمرها وبحوائجها فقمت ههنا لأقضى حوائج فاطمة فتغرغرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدموع ، وقال : يا أسماء قضى الله لك كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة . قال علىّ رضى الله عنه وكانت غداة قرّ وبرد شديد ، وكنت أنا وفاطمة تحت العباءة ، فلما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم همنا أن نقوم فنظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سألتكما بحقى عليكما لاتتفرقا حتى أدخل عليكما فرجع كل واحد إلى صاحبه ودخل النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عند رءوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا فأخذت رجله اليمنى وضممتها إلى صدرى وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمتها إلى صدرها ، وجعلنا ندفئ رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البرد حتى دفئنا ثم دعا لنا بخير ، ثم أمر علينا بالخروج فخرج . فقال لفاطمة كيف رأيت بعلك يابنية ؟ فقالت إنه خير بعل ياأبت ثم دعا بعلىّ . فقال له ارفق بزوجتك والطف بها فان فاطمة بضعة منى يؤلمنى مايؤلمها ويسرنى مايسرها استودعتكما الله واستخلفته عليكما ، وأذهب عنكما الرجس وطهركما تطهيرا . قال على كرم الله وجهه فوالله ماأغضبتها ولاأكرهتها بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله تعالى إليه ، ولاأغضبتنى ولاعصت لى أمرا ، ولقد كانت تكشف عنى الهموم والأحزان كلما نظرت إليها ، رحمة الله عليها :

من مثل فاطمة البتول وبعلها ... أعنى عليا سيد الفرسان
نالا من المختار أعلى رتبة ... فلأجل ذا فاقا على الأقران
تركا فراشهما وقاما فى الدجى ... يتلذذان بطاعة الرحمن
قد آثرا الأخرى على الدنيا وما ... فيها من العيش اليسير الفانى
والله قد باهى ملائكة السما ... بهما وخصهما بكل أمان
هم آل بيت المصطفى والعروة الـ ... ـوثقى لمن يبغى سنا الإيمان
وبهم يزول الهم عنا والأذى ... وبهم تزول غواية الشيطان
ماذا يقول المادحون لوصفهم ... ومديحهم قد جاء فى الفرقان
يافوز من أضحى به متمسكا ... وغدا له نور من المنان
فبهم غدا أرجو النجاة وأتقى ... سوء العذاب وزفرة النيران
هم آل طه الطاهرون ومن لهم ... شأن عظيم ياله من شان
قاموا وصاموا فى الهواجر والدجى ... وترنموا فى الليل بالقرآن
فاليهم تسعى الوفود وترتجى ... منهم قرى الإكرام للضيفان
آل النبى ورهطه وصحابه ... والتابعون له على الإحسان
هم آل بيت المصطفى علم الهدى ... خير الورى المبعوث من عدنان
صلى عليه الله ماسرت الصبا ... وتناغت الأطيار فى الأغصان

المجلس التاسع والأربعون

فى ذكر الموت والتفكر فيه

الحمد لله المتوحد بأنواع المصنوعات ، المتفرد باختراع المخلوقات ، المنزه عن التجسيم والتقسيم والسمات ، المتعالى عن الأشكال والأمثال والأماكن والجهات ، المقدس عن الأعيان والألوان

والكيفيات

الظهر رجع بناء تلك القصور طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من در فاذا كان وقت العصر يرجع حائط أصفر وحائط أبيض تتلوّن تلك القصور بقدرة من يقول للشىء كن فيكون فيفرحون بها فرحا عظيما ، وكل مؤمن فى الجنة له مساكن وديار وأملاك عظيمة واسمه مكتوب عليها وعلى أبوابها وفيها له خدم وجوار وغلمان فيتلقونه بتهليل

والكيفيات ، الموصوف بقدم الأسماء والصفات ، القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات ، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات ، الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، العالم بمكنون الأسرار ومصون الأفكار والخفيات ، الخبير فلا يخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات ، السميع فلا يعزب عن سمعه اختلاف الأصوات ، البصير فلا يعزب عنه دبيب النمل على الرمل فى الظلمات ، الواحد الأحد فلا ثانى له فى الكائنات ، الفرد الصمد المنزه عن البنين والبنات ، الباقى على الأبد ويفنى كل أحد ويقضى عليه بالممات ، فسبحان مميت الأحياء ومحيى الأموات . بينما المرء يغترّ فى دنياه بلذيذ الشهوات ، غرق فى بحار الغفلات ، إذ أتاه الموت فجرّعه من مرّه كاسات ، وألقى عليه من غمه غمرات ، فغشيته من كربه سكرات ، وأورثه من شدته حسرات ، فرحل عما كان فيه من اللذات ، وأبكى الآباء والأمهات ، وأيتم البنين والبنات ، وجرت على مصائبه العبرات ، وحمل على الأعناق إلى الفلوات ، وصار فى قبره من جملة الرفات ، وخلا بعمله من الحسنات والسيئات ، ولم ينفعه فى لحده من بعده غير التقوى والطاعات ، وما قدم من برّ وصدقات ، وأسلف من صلوات ودعوات ، أفلا يعتبر العاقل بمصرع من قد مات ، وقد حوته القبور الدارسات ، أين العبيد والسادات ، فكيف يطمع فى البقاء ، وقد قال صاحب الدلائل والمعجزات ، «إن للموت سكرات» فانتبه مما أنت فيه يا أسير الغفلات ، وتزوّد للسفر الطويل فقد بقى القليل وضربت للرحيل الكاسات :

قد مضى العمر وفات ... يا أسير الغفلات ... حصل الزاد وبادر ... مسرعا قبل الفوات
فالى كم ذا التعامى ... عن أمور واضحات ... وإلى كم أنت غارق ... فى بحار الظلمات
لم يلن قلبك أصلا ... بالزواجر والعظات ... بينما الإنسان يسأل ... عن أخيه قيل مات
وتراه حملوه ... سرعة للفلوات ... أهله يبكوا عليه ... حسرة بالعبرات
أين من قد كان يفخر ... بالجياد الصافنات ... وله مال جزيل ... كالجبال الراسيات
سار عنها رغم أنف ... للقبور الموحشات ... كم بها من طول مكث ... من عظام ناخرات
فاغنم العمر وبادر ... بالتقى قبل الممات ... وأنب وارجع وأقلع ... من عظيم السيئات
واطلب الغفران ممن ... ترتجى منه الهبات ... ثم نادى فى الدياجى ... يا مجيب الدعوات
اعف عنا يا رحيما ... وأقلنا العثرات ... ما وجدنا من شفيع ... فى مضيق الكربات
غير جاه المصطفى الها ... دى بهىّ المعجزات ... فعليه صلوات ... زاكيات طيبات
وعلى الآل جميعا ... وصحاب طاهرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصف ثواب المجاهدين ، وما أعد الله لهم من الأجر والفضل فى الجنة . فقلت يارسول الله أيكون لغير المجاهدين من أمتك مثل أجرهم ؟ فقال نعم : من يذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة» . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مامن بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات : فاذا وجد الإنسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غم الموت ، فغشيته كرباته وغمرته سكراته . فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها . فيقول ملك الموت : ويلكم ممّ الفزع وفيم الجزع ؟ فما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قرّبت له أجلا ، ولا أتيته حتى أمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت . وإن لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فوالذى نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون

وتكبير وفرح لقدومه ويأتى رضوان ويحلى للأولياء لكل ولى منهم قبة مع عروس عليها الحلل والحلىّ . فتقول للولىّ : يا ولى الله قد طال شوقى إليك فالحمد لله الذى قد جمع بينى وبينك . فيقول المؤمن : يا أمة الله من أين تعرفينى وأنت ما رأيتينى قبل هذا اليوم أبدا ؟ فتقول العروس : إن الله سبحانه وتعالى خلقنى لك وكتب اسمك على صدرى وخلق هذه المنازل لك

كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ، وهو ينادى : ياأهلى وياولدى لاتلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيرى فالمال لكم والتبعة علىّ فاحذروا مثل ماحلّ بى » :

لو كلم الميت من يشيعه ... لقال لاتغترر فأنت أنا
قد كنت أرجو وغرنى أملى ... عاجلنى الموت مابلغت منى
مالى لغيرى جمعته وبقى ... علىّ من وزره شقا وعنا
وهو بما قد جمعت فى رغد ... يأكله لذة له وهنا
فاعتبروا ياذوى العقول فقد ... شرحت حالى لكم وفيه غنى

[وقيل] إن الموت له ألم لايعلمه إلا الذى يعالجه ويذوقه ، وهو أشدّ من الضرب بالسيوف وأعظم ألما من النشر بالمناشير والقرض بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوّة فى البدن فلذلك يستغيث المضروب ويصيح بخلاف الموت فان الميت ينقطع صوته وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب ، فان الموت قد هدّ كل جزء من أجزاء البدن وأضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة للاستغاثة . أما العقل فقد غشيته وسوسة ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد أضعفها ويودّ لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح ولكنه مايقدر على ذلك فان بقيت له قوة سمع له عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما وتصفرّ أنامله ويموت كل عضو منه على حدته . فأول مايموت قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى تبلغ روحه إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وتحيط به الحسرة والندامة . وروى «أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض ، فقال : إنى لأعلم مايلقى ليس فيه عرق إلا وهو يتألم بالموت على حدته» . وروى «أنه صلى الله عليه وسلم لما احتضر كان عنده قدح من ماء يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت لسكرات» وفى رواية كان يقول : «اللهم هوّن علىّ سكرات الموت» وفى رواية «أعنى على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول : واكرباه لكربك ياأبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم» ذكره البخارى ومسلم ، وكان علىّ رضى الله عنه يحرض على القتال ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش . وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمنين وهو أشدّ ألما من نشر المناشير وقرض المقاريض وغليان القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم . وروى أن موسى عليه السلام حين مات وصارت روحه إلى الله عز وجل قال الله عز وجل : ياموسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى وهو حى فلا هو يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وفى رواية قال : وجدت نفسى كشاة تسلخ وهى حية وقال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أى بالحق من أمر الآخرة حين ينتبه ويراه عيانا ، وأما مشاهدة ملك الموت ومايدخل على القلب منه من الروع والفزع فهو أمر قصرت عن كنهه عبارة كل فصيح وضاق عن سعة هوله كل فسيح ولم يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتراءى له فى تلك الحال ، كما روى أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ فقال لاتطيق ذلك . قال بلى قال له فأعرض بوجهك عنى

وكتب اسمك على أبوابها ، وخلق هذه الغلمان والجوارى جميعهن لك واسمك مكتوب على خدودهن أحسن من الشامة على الخد ، وأنت قد كنت فى دار الدنيا تعبد الله سبحانه وتعالى وتصلى وتصوم فى طول الأيام ، وقد كان الله عز وجل يأمر رضوان فيحملنا على جناحه فنشرف عليك وعلى أفعالك المليحة ويقول لنا هذا سيدكن فرأيناك وعرفناك ، وكلما اشتقنا

فأعرض بوجهه عنه ثم التفت فاذا هو رجل أسود مهول ثيابه سود قائم الشعر منتن الريح يخرج لهيب النار من فيه ومن مناخره كالدخان ، فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال ياملك الموت لولم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكفاه . ونظر إبراهيم عليه السلام إلى أناس يبكون على ميت لهم . فقال لو بكيتم على أنفسكم لكان خيرا لكم فان ميتكم قد نجا من ثلاثة أهوال : وجه ملك الموت وقد رآه ، ومرارة الموت وقد ذاقها ، وخوف الخاتمة وقد أمنها ، فينبغى للعاقل أن يبكى على نفسه فهو أولى به ويعلم أن الموت خلفه وفى طلابه :

ليبك على نفسه العاقل ... لينتبه النائم الغافل ... يؤمل ذو الجهل آماله
فيفجؤه موته العاجل ... علام الجدال وهذا المآل ... وفيم القتال ولا طائل

ودنيا كمو هى معشوقة ... ولكن حقيقتها باطل
وبرق ولكنه خلب ... وودق ولكنه ماحل ... وطيف ولكنه هاجر
وشهد ولكنه قاتل ... منام وأضغاث أحلامها ... أمانى يؤملها الجاهل
فأين الشريف وأين الضعيف ... وأين المفضل والفاضل ... وأين الشجاع وأين الجبان
وأين المهذب والعاقل ... فكل سيشرب كأس الفنا ... وكل بهذا الفنا نازل

[إخوانى] لاواعظ كالموت وما تتعظون ، وهو طالب لكم وأنتم عنه غافلون ، أتظنون أنكم فى الدنيا مخلدون ، ولابد من ورود كأس المنون ، تزوّدوا للرحيل فقد سارت القافلة ولاتغتروا بزهرة الدنيا فانها زائلة ، وإياكم والآمال الباطلة ، فان سمومها قاتلة ، إلى متى أنت مقيم على غفلتك وجهلك ، إلى متى تغترّ بمالك وأهلك ، إلى متى تؤثر الدنيا الدنيئة وهى تسعى فى قتلك ، إلى متى تنسى لحاقك بمن كان من قبلك ، إلى متى لايؤثر فيك كثير عتابك وعذلك ، إلى متى لاتذكر رحيلك عن جميع ماتملك ؟ حتى متى لاتفهم المواعظ ؟ وقد قيلت من أجلك تيقظ ياغافل فكم لعب الهوى بمثلك :

يانفس مالك عن حمامك غافله ... وأراك فى ثوب الأمانى رافله
دنياك منزلة أقمت بظلها ... فتزوّدى منها فانك راحله
إن لم يزل عنك الذى تحوينه ... منها وإلا كنت عنه زائله

قوله تعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) يعنى شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للموت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استعيذوا بالله من عذاب القبر» (كلا سوف تعلمون) عند سكرات الموت وأهواله (ثم كلا سوف تعلمون) بعد الموت معاينة منكر ونكير فى القبر .

[وروى] عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن المؤمن إذا وضع فى القبر وسع عليه قبره سبعين ذراعا طولا ومثله عرضا وتنثر عليه الرياحين ويستر بالحرير فان كان معه شىء من القرآن كفاه نوره فى قبره ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه فيقوم من نومته كأن لم يشبع منها ، وإن الفاجر والفاسق والكافر يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلاعه فى جوفه ويرسل عليه حيات كأعناق الإبل فتأكل لحمه حتى لاتذر على عظمه لحما وترسل عليه شياطين صم بكم عمى معهم مطارق من حديد فيضربونه بها لايسمعون صوته فيرحمونه ولايبصرون ماهو فيه فيرقون له ويعرض على النار بكرة وعشيا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ماغرّك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ؟ ماغرّك بى إذ كنت تمرّ بى ، وإن كان صالحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول : أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إذا أتحول عليه روضة من رياض الجنة ويعود جسمه نورا وتصعد روحه إلى

إليك نخرج من أبواب القصور. فنقول له : والله ماندخل فى قصورنا حتى ترينا سادتنا فيحملنا رضوان إلى الدنيا فتنظر كل حوراء سيدها وهو لايعلم ، فان وجدته فى ظلام الليل يصلى تفرح وتقول له : اخدم تخدم وازرع تحصد ، ياسيدى رفع الله درجتك وتقبل طاعتك وجمع بينى وبينك بعد أن تعيش عمرا طويلا وتفنى بعد ذلك فى خدمة الملك الجليل ونبلّ أشواقنا

الله عز وجل » . وعن كعب رضى الله عنه أنه قال : مامن يوم إلا والقبر ينادى خمس مرات بهذه الكلمات : يا ابن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك فى بطنى ، يا ابن آدم تضحك على ظهرى ثم تبكى فى بطنى ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهرى وتأكلك الديدان فى بطنى ، يا ابن آدم تفرح على ظهرى وتحزن فى بطنى .

[وسئل] بعض الزهاد كيف حالك ؟ فقال : كيف يكون حال من يريد سفرا بلا زاد ويقدم على ملك الموت غدا بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس :

أيامن غدا فى باطن الأرض نازلا ... أتأنس بالدنيا وأنت غريب
وما الدهر إلا مثل يوم وليلة ... وما الموت إلا نازل وقريب
كأنك والأيام مابين أن ترى ... تساء بمال أو يبين حبيب

[وروى] أن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقف على قبر فبكى فقيل له : إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » :

حق على من يكون الموت مورده ... وظلمة القبر بعد الموت ملحده
أن لايرى قط إلا خائفا وجلا ... طوى السرور وأقصاه وأبعده
يبكى لماقد جنى فى الدهر من زلل ... بكاء من كان جسر النار مرصده

ياهذا احذر أن تصبح عن طريق الهدى حائرا ، أو أن تعاهد على التوبة فتضحى غادرا ، وقم إلى إخلاص نفسك مبادرا ، وكن لعواقب الأمور فى كل حال ذاكرا ، ولازم خدمة مولاك حامدا له شاكرا ، واحذر أن تكون عند ربح المتقين خاسرا ، فكأنى بك وقد أقبل إليك الموت متسلطا قاهرا :

آه للموت زائرا ... قد أباد العشائرا ... كم سعى الدهر باطنا ... ورأيناه ظاهرا
ومحا من محاسن ... قد طواهن سائرا ... كم جمال بقهره ... قد أحل المقابرا
ثم أفنى أوائلا ... وأباد الأواخرا ... آه للناعم النضير طوى ... منه ناظرا
آه للغصن إذ سما ... حله الموت كاسرا ... كم أتى من أكابر ... وأباد الأصاغرا
فازمن كان خائفا ... منه فى الأمن حاذرا ... واتقى الله حيثما ... منه قد كان حاضرا

وجاء فى الأثر : إن الروح إذا خرجت من الجسد ومضى عليها سبعة أيام تقول : يارب ائذن لى حتى أنظر إلى جسدى ماحاله ؟ فيقال لها اذهبى فتأتى الروح إلى القبر فتنظر إليه من بعيد فتراه متغيرا يسيل من منخره ماء ، ومن فمه ماء ، ومن عينيه ماء ، ومن أذنيه ماء ، فكأنه فى وسط لجة فتقول له صرت إلى هذا الحال بعد نضارة جسمك ثم تمضى حتى إذا كان بعد سبعة أيام أخر تقول : يارب ائذن لى حتى أنظر إلى جسدى ماحاله ؟ فيقول الله تعالى اذهبى فتأتى إلى القبر فتنظر إليه من بعيد فتراه قد تغير ، وقد صار الماء الذى فى فيه صديدا والذى فى عينيه قيحا والذى فى أنفه دما ، فتقول له صرت إلى هذا الحال ثم تمضى حتى إذا كان بعد سبعة أيام قالت يارب ائذن لى حتى أنظر إليه هذه المرة ماحاله ؟ فيقول لها اذهبى فتأتيه فتنظر إليه من بعيد فتراه وقد صار الصديد دودا وقد سقطت حدقتاه على وجهه والدود يدخل فى فيه ويخرج من منخره ، فتقول صرت إلى هذا الحال بعد النعيم والدلال .

منكم ونرجع بعد ذلك إلى منازلنا فى الجنة وأنتم فى الدنيا لاتعلمون ، ومامن مؤمن فى الدنيا إلا وله فى الجنة خدم وغلمان وجوار يرونه وهو لايعلم ، فاذا وجدوه فى الخدمة يفرحون ، وإذا وجدوه غافلا حزنوا ، ثم يؤتون بفواكه البساتين التى لهم ويدخل ملك آخر ومعه بقجة فيها ألف من الحلل بطراز من الذهب مكتوب عليها من أسمائه العظيمة ، فيقول ذلك

[إخوانى] انظروا إلى أحوالكم كيف تصيرون بعد الموت ، وكيف تطلبون العود وقد حصل الفوت ، فأنتم عما يراد بكم غافلون ، وفى بحار الأمل غارقون ، أصم فى الآذان عن النصائح ، أعمى فى القلوب عن جميع المصالح ؟ تالله ماينفع المرء فى قبره غير التقى والعمل الصالح :

الموت بحر موجه طافح ... يحار فيه العائم السابح ... يانفس إنى ناصح فاقبلى
منى فانى مشفق ناصح ... لاينفع الانسان فى قبره ... إلا التقى والعمل الصالح

[وقيل] لإبراهيم عليه السلام عظنا بما ينفعنا . فقال : إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة ، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم ، وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا أنتم بعمارة القبور ، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم ، وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة الخالق رب الخلائق أجمعين ، فتيقظ ياهذا لنفسك قبل أن يناديك المنادى ، وتدرّع دروع الصبر وجاهد الأعادى ، وشمر فى طلب خلاصك واقطع علق التمادى ، وعليك بما يفيدك وما تنجو به يوم التنادى :

فمالك ليس يعمل فيك وعظ ... ولا زجر كأنك من جماد ... ستندم إن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المنادى ... فلا تأمن لدى الدنيا صلاحا ... فان صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه ... فانك فيه معكوس المداد ... وتب مما جنيت وأنت حى
وكن متنبها قبل الرقاد ... أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرم المرء ويشبّ معه اثنان الحرص وطول الأمل » فالحرص أحد المهلكات . وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولايملأ عين ابن آدم إلا التراب » وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل وعدّ نفسك من أصحاب القبور » ياحريصا على ارتكاب الآثام وعن هجوم الموت غافل ، وقد تحققت مفاجأة الأجل فما الحرص على المال والزلل فعل عاقل ، تعجل الذنب نقدا وتؤخر التوبة إلى قابل ، أما علمت أن مطل الغنى ظلم وقد أغناك الله بالشباب والصحة والفراغ وأنت بالتوبة تماطل ؟ أين من ملك الدنيا ودوّخ الجبابرة وقاد الجحافل ، أين التائه المعجب على العباد كبرا ، أين القاتل أين الصائل ؟ رشقتهم والله المنون بسهامها فأصابت المقاتل ، وصرعتهم بعد الفرش والنمارق بين الصفائح والجنادل :

ياعاشق الدنيا أما ... فى حادث الأيام عاذل ... أنت القتيل صبابة
بحطامها والحب قاتل ... خيمت فى ظل المنى ... والعمر يامغرور راحل
وركنت للدنيا وكم ... غدرت بذى ودّ مواصل ... أمع التنغص والأذى
يلتذ فى دنياه عاقل ... قف واعتبر بمنازل ... درست وقد كانت أواهل
أين الذين تدبروا الد ... دنيا وما فازوا بطائل ... قادوا الجيوش وذللوا
أسد الشرى بظبى النواصل ... فجرت عليهم حادثا ... ت الدهر فانقلبوا كلائل
قد فصلت أوصالهم ... بين الصفائح والجنادل

قوله عزّ وجل (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أى معالجة سكرات الموت ورؤية ملك الموت وأن يكشف للعبد عن مقعده فى الجنة أو النار فهذه أمور مهولة ، وذلك عند مجىء سكرات الموت وهو الحق الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالغيب ، ثم بعده سؤال منكر ونكير ، وهو أوّل مايلقى الميت إذا لحد ، وأما سكرة الموت فهى ماتقدم ذكره

الملك ياولىّ الله انظر إلى هذه الحلل ، فان أعجبك شكلها وإلا انقلبت إلى الشكل الذى تريده أنت وتشتهيه ، ثم يدخل ملك آخر ومعه أصناف الحلى ، وحلى الدنيا يشخشخ وحلى الآخرة يسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحا يطرب السامعين فيسجد

لأن للموت سكرات ، وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل فى دار الدنيا ؛ وسميت سكرة لأنها تذهل العقول وتغيب الذهن كحال السكران فى سكرته ، وذلك أن العبد تظهر له أعماله عند الموت من الحسن والقبيح وجزاء عمله ؛ فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار ، والسامع للغيبة يسلك فى أذنيه نار جهنم ، والظالم تتفرق روحه بكل مظلوم ، وآكل الحرام يقدّم له الزقوم كذلك إلى آخر أفعال العبد كل هذه الحالات تظهر عند سكرات الموت ، فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة وعند آخرها تقبض روحه ، وقوله تعالى (ذلك ما كنت منه تحيد) يعنى تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء فى الدنيا . وروى عن عيسى عليه السلام أنه مرّ على قبر سام بن نوح ، فقال له بنو إسرائيل ياروح الله : ادع الله أن يحيي لنا صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت ، فصلى عيسى عليه السلام عند قبره ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيي سام بن نوح فأحياه الله تعالى فقام سام ينفض التراب عن رأسه وقد شاب رأسه ولحيته ، فقال له عيسى عليه السلام ماهذا الشيب الذى لم يكن فى زمانك ؟ قال يانبيّ الله سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة . فقال له عيسى عليه السلام منذكم أنت ميت ؟ قال منذ أربعة آلاف سنة وإلى الآن ماذهبت عنى سكرة الموت ولا مرارتها :

[إخوانى] ماهذه الغفلة وإلى البلى المصير ؟ وما هذا التوانى والعمر قصير ، وإلى متى هذا التمادى فى البطالة والتقصير ، وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير ، خلفك والله عن باب الحبيب سوء التدبير ، فإلى متى تتبهرج والناقد بصير :

هى المنيات والقبور ثم إلى ربنا المصير والناس فى غفلة نيام
أضغاث أحلامهم غرور والعمر يمضى ولست تدرى مثل سفين بنا تسير
يانفس ماسرّ فهو حزن لاتحسبى أنه سرور
تذكرى الموت واستعدى له فقد جاءك النذير

[إخوانى] تذكروا القيامة فالأمر شديد ، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لايفيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد ، وتأهبوا للموت فكأنكم به وقد أخذ الأحرار والعبيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أين أحبابكم الذين سلفوا ، أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا ، أين أرباب الأموال وماخلفوا ؟ ندموا على التفريط فياليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) واعجبا كيف دعيت إلى الله فتوانيت ، وكلما دعتك المواعظ إلى الله أبيت وتماديت ، وكم نهاك مولاك عن غيك فما انتهيت ، يامن جسده حيّ وقلبه ميت ، ستعاين عند الحسرات والسكرات مالاتريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ياهذا كم أزعج الموت نفوسا من ديارها ، وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها ، وكم نقل إلى الحفائر أرواحا بذنوبها وأوزارها . وكم أذل فى التراب خدودا بعد نضارتها واحمرارها . فابك ياهذا على نفسك قبل أن تبكى فلا يفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فانتبه ياهذا فالدنيا أضغاث أحلام ، واعلم أنها دار فناء لاتصلح للمقام . ستفهم قولى بعد قليل من الأيام وماغاب عنك ستراه على التمام ، إذا انكشف الغطاء وتحقق الوعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ويحك أما علمت أنك ترحل كل يوم مرحلة . أما علمت أنه يحصى عليك من أعمالك الخردلة ، وكم من مؤمل خانه فى الحساب ما أمله ولم يبلغ من المقاصد مايريد (وجاءت

المؤمن شكرا لله سبحانه وتعالى ثم تسلم عليه الملائكة الذين جاءوا بهدية صلاة الصبح وهدية صلاة الظهر وهدية صلاة العصر وهدية صلاة المغرب وهدية صلاة العشاء الأخيرة كذلك فيجمع المؤمن الأطباق والأوانى إذا فرغت ويسلمها للملائكة فتضحك

سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامضيعا عمره فى الخسران ، يامطفئا بهواه نور الايمان . متى تفيق من خمار الهوى أيها السكران ، أما آن لك الرجوع إلى الله أما آن ، كأنك قد أخذت بالأمان منه التقليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامعرضا عن المولى إلى متى هذا الإعراض ، ذهب شبابك وولى فى طلب الأغراض ، أما علمت ويحك أن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى انتقاض ، فتزوّد لسفرك فالسفر والله بعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامن يحضر مجالس الوعظ بجسده وقلبه فى الأسباب ، يامن مضى أكثر عمره وماتاب ، يامن كسته المعاصى ظلمة الحجاب ، يامن أغلق الهوى فى وجهه من التقوى كل باب ، نح على نفسك وعدّد فربما ينفعك النوح والتعديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أما علمت أن الموت لك بالمرصاد ، أما صاد غيرك ولك سيصطاد ، أما بلغك مافعل بسائر الفصاد ، أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد ، أما سمعت قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فيامقبلا على مايضرّه ومعرضا عما يفيد ، ويامضيعا عمره ، وهو يحصى عليه برقيب وعتيد ، أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد ، أين المتكبرون من كل جبار عنيد ؟ أما أخرجهم الموت من قصورهم ، وقطع حبل أملهم المديد ، أما أصبح منهم ذو الشدّة والباس فى ظلمة الأرماس وحيد ، أما سمعوا قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[كان وكان]

اغنم وجودك بجودك ... وازرع عنى تحصد غدا ... فالموت يأتى بغتة ... وليس عنه محيد
من لك إذا ماملك ... من كان يهوى صحبتك ... وحزت لحدك وحدك ... مفلس غريب وحيد
إن كنت ياصاح نائم ... يوم القيامة تتنبه ... إذا رأيت الخلائق ... فى موقف التهديد
يقال اقرأ كتابك ... كفى بنفسك شاهده ... وقد أتيت الموقف ... بسائق وشهيد
فدع دموعك تجرى ... قبل أن يقال لمن عصى ... ألم تكن قبل تدرى ... أن الحساب شديد
ترى الخلائق حيارى ... من هول ماقد شاهدوا ... وليس يعلم من هو ... منهم شقى وسعيد
فمن أطاع المولى ... فذاك منه قد قرب ... ومن عصاه وخالف ... فذاك منه بعيد
كل القلوب قد لانت ... لكن قلبك قد قسا ... كأن قلبك أضحى ... بين القلوب حديد
ويحك فنبه قلبك ... واسمع كلامى واتعظ ... عسى قساوة قلبك ... تلين بالتشديد
وإن تخف فى القيامه ... من شؤم ذنبك والزلل ... فلذ بجاه الهادى ... وصاحب التأييد
فهو النبىّ المشفع ... فيمن عصى من أمته ... فى يوم يسجد وتظهر ... بدائع التحميد
يقال ارفع رأسك ... واشفع تشفع ثم قل ... يسمع وسل تعط عندى ... ماتشتهى وتريد
صلى عليه وسلم ... رب السموات العلا ... ماسارت النوق تطلب ... قطع الفلا والبيد

اللهم كن لنا إذا أودعنا الألحاد ، وجفانا الأهل والعوّاد ، وتخلت عنا أهل الصفا والوداد ، ولم يبق إلا عفوك ياكريم ياجواد ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الخمسون

فى ذكر الصالحات التائبات الصابرات من النساء

الحمد لله الذى تعزز فى ربوبيته أزلا وأبدا ، وتقدّس فى سرمديته فلم يزل فردا صمدا ، الذى

الملائكة وتقول له تحسبون أنفسكم فى دار الدنيا تأكلون الهدايا وتردون الأوانى إلى صاحب الهدية لأن صاحب الهدية فى دار الدنيا مقل يحتاج إلى الذى بعث لكم فيه، وهذه الأوانى من عند الرب العظيم الغنى الكريم الذى لاينقص ملكه ولا تفنى

لاتدرك سرمديته أبدا ، ولاتحصى الأفكار لفرديته عددا ، جل عن الأضداد والأنداد ، والصاحبة والأولاد (تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) فمن شبهه أو مثله فقد استحق عذابا رصدا . ومن ألحد فى وصفه فلن تجد له من دونه ملتحدا . ومن نظر إلى ساحل بحر التوحيد بعين التشبيه والتحديد مات حسرة وكمدا . ومن نظر بعين التنزيه والتحميد اطلع على غوامض الحقائق وحاز حكما وزبدا ، فالعارفون طاشوا فى بيداء معرفته فعاشوا عيش السعداء . والخائفون ذابوا بنار قهر سطوته فماتوا موت الشهداء . والمحبون قد أدير عليهم راح الارتياح فى زجاجات المناجاة فعاشوا عيشا رغدا . فلو رأيتهم وعليهم آثار القبول وقد كساهم التحول أثوابا جددا . وسقاهم الذهول كأسا لايستعذبون بعده موردا . فعيونهم دامعة . وقلوبهم خاشعة . وأكبادهم تذوب كمدا . أولئك قوم أراد بهم ربهم رشدا . نظروا إلى الدنيا بعين اليقين فعلموا أن الانسان لن يترك سدى . ففتحوا سمع اليقظة فسمعوا حادى الرحيل قد حدا . فخرجوا من ناديهم وعرجوا على حاديهم فإذا الدليل يناديهم : (إن علينا للهدى) . فأوّل قدم فى سلوكهم أن خلع على صعلوكهم خلعة شرفوا بها على ملوكهم فخرا وسؤددا حصلوا الزاد للسفر وحثوا رواحل السهر فلما هبت عليهم نسمات السحر أدركوا أربا ومقصدا :

قد لاح نور الهدى من حيهم وبدا ... وقد تغنى حمام المنحنى وشدا
وقد تعطر عرف البان حين سرى ... من الحمى ورأى المشتاق ماقصدا
فيا رعى الله صبا هام من حرق ... ومغرما بات يقضى ليله سهدا
يدعو إلى الله والأبصار هاجعة ... عساه يمنح من إرشاده رشدا
من قد أطاع النبى الهاشمى ومن ... رأى سنا هديه الوضاح حين بدا
هو البشير النذير المستضاء به ... من جود إحسانه عمّ الوجود ندى
صلى عليه إله العرش ماطلعت ... شمس وماسار سار فى الفلا وحدا

قوله عزّ وجلّ (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما : فالصالحات قانتات : أى مطيعات حافظات للغيب : أى للفروج غيبة الأزواج . وقيل حافظات لسرهم بما حفظ الله . والمرأة إذا حفظت فرجها وصانت نفسها لزوجها ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه فقد وجبت لها الجنة والكرامة على الله عزّ وجلّ لقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) إلى قوله (أولئك فى جنات مكرمون) .

[وروى] عن بعض الصالحين أنه رأى جارية فى البادية وهى تمشى وتعرج ، وليس عندها ولامعها أحد ، فقال لها من أين أقبلت ؟ فقالت من عند الحبيب . فقال وإلى أين ؟ قالت إلى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك فى هذه البادية والفلاة ؟ فرفعت صوتها ونادت بأعلاه (يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ومايزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) ثم قالت يابطال من استأنس بالله استوحش ممن سواه ، ومن طاب رضاه صبر على قضاه :

يامؤنس الأبرار فى خلواتها ... ياخير من حطت به النزال ... من ذاق حبك لم يزل متلهجا
أنت الحبيب وما سواك محال ... أنشأتنى ورحمتنى وسترتنى ... أحسن فأنت المحسن المفضال
مالى سواك وأنت غاية مقصدى ... والكل أنت وما عداك ضلال
آنست قلبى ياحبيبى والمنى ... يامن له الإنعام والإفضال

[وعن عثمان الجرجانى] قال خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت فى الطريق امرأة عليها جبة صوف وخمار من شعر وهى تمشى وتقول : إلهى وسيدى ما أبعد الطريق على من لم تكن

خزائنه وهو الذى يقول للشىء كن فيكون وإن هذه الأوانى والذى فيها لكم لأنكم كنتم فى دار الدنيا ترفعون إلى الله فى كل يوم وليلة خمس صلوات والآن خذوا لكم جزاء من الله سبحانه وتعالى فى كل يوم وليلة خمس هدايا ومن كان فى الدنيا يرفع له

له دليلا ، وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا ، قال : فدنوت منها وسلمت عليها فردت علىّ السلام ، وقالت : من أنت يرحمك الله ؟ فقلت عثمان الجرجانى . فقالت حياك الله ياعثمان أين تريد؟ قلت البصرة ، قالت وماتصنع فيها ؟ قلت حاجة لى فقالت ياعثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة يوجه بها إليك ولا يتعبك ؟ . قلت ليس بينى وبينه تلك المعرفة ، قالت ياعثمان وما الذى قطعك عن معرفته ؟ قلت كثرة الذنوب ، قالت بئس والله ماصنعت أما والله لو وصلت حبالك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب ، فلما سمعت منها ذلك بكيت وقلت أريد منك الدعاء ؟ فقالت أعانك الله على طاعته وجنبك عن معصيته ، فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبى دراهم كانت معى فقسمتها بينى وبينها . وقلت استعينى بهذه على حالك ، فقالت من أين لك هذه الدراهم ؟ قلت أنا رجل أصعد إلى الجبل فأحتطب منه حطبا وأحمله على عنق وأبيعه فى أسواق المسلمين وأرتفق بثمنه ؟ قالت نعم الكسب الحلال أحلّ ما أكل المرء من مكسب يده لكن ياعثمان لو صحت معاملة ذى الجلال ، واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك مؤنة حمل الحطب من رؤوس الجبال . قلت فإذا لم يكن لى سبب فمن أين المطعم والمشرب ؟ قالت ياعثمان أتريد أن أريك كيف صحت مع سيدى عقد التوكل عليه ؟ قلت بلى ، فمدت يديها وهمهمت بشفتيها . فإذا يدها مملوءة دنانير ، ثم قالت خذ هذه ياعثمان ، فوالله ماطبع عليها اسم ملك ولاسلطان ، واعلم أنك لو أحببت مولاك لأغناك عن سائر الخلق وكفاك .

توكل على الله الكريم فانه ... سيأتيك بالرزق الكفاف وبالجزل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه ... سيكفيك أسباب الكريهة والنقل
ومن يتوكل فى الأمور جميعها ... على الله يحظى بالتباشر والفضل
ويلقى جميع الناس بالرحب والرضا ... ويحنو على الجيران والصحب والأهل
فذاك الذى قد أذهب الله همه ... وجازاه بالاحسان فى القول والفعل
فلله درّ القوم فازوا بقصدهم ... من الله رب العرش فى العقد والحلّ
إذا كان حقا راضيا بعذابهم ... فذلك أحلى عندهم من جنى النحل
فسبحانه من عالم بصلاحهم ... ومن خالق فرد ومن حاكم عدل

فلله درّهم من قوّام ، قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ، بادبار النهار وإقبال الظلام ، ويجتهدون فى خدمة الملك العلام ، فلا جرم جاء مدحهم فى الكتاب العزيز البديع الأحكام . فقال تعالى فى محكم الآيات (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) قيل كان فى البصرة جارية يقال لها أسماء العابدة ، وكانت ذات حسن بديع وقدر رفيع حسنة العينين حلوة اللسان ، وكان مولاها ذا نعمة ويسار ، وسطوة واقتدار ، فمرت الجارية يوما بمجلس صالح المرّى وهو يعظ الناس فوقفت إلى جانب النساء تسمع وعظه وكان لموافقة الأقدار ، يتكلم فى أهوال القيامة وصفة النار ، وما أعدّ الله فيها لأهلها من الأهوال والأنكال ، والسلاسل والأغلال ، فنظرت الجارية إلى الرجال والنساء وهم يتصارخون ويبكون فرقّ قلبها وطاش عقلها ولبها فأجرت الدموع وتزايد بها القلق والولوع ، فالتفت صالح المرّى إليها فرأى دموعها جارية فسأل عنها ، فقالوا هذه أسماء الجارية فالتفت إليها بوجهه وقصدها برشق سهام وعظه ، وناداها أيتها الصارخة برخيم صوتها أرى عليك خوفا من الآزفة كأنك بعظيم جرمك عارفة ، وأنت من ذلك خائفة ، فقد اتعبت الحفاظ والكتبة سنين وسهرت فى المعاصى حينا بعد حين ، فكم من فتى برخيم صوتك فضحتيه ، وبحسنك وجمالك قد فتنتيه

إلى الله عز وجل أكثر من الفرائض والنوافل يبعث له الحق أكثر من خمس هدايا على قدر مايعمل ، ياحبيبى من خدم يخدم ، ومن زرع حصد ، ومن خسر ندم ، قالت الصحابة يارسول الله هل فى الجنة ليل ونهار ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم

وبعملك القبيح أسهرتيه ، وعن طاعة ربه وصلاته شغلتيه ، فحفاظك بسوء فعلك يشهدون ، ومن قبيح آثامك يضجون ، فبادرى بالتوبة قبل حلول الندم ، والخوف قبل زلة القدم ، وابكى على نفسك ومصابك ، لقد كانت السبحة والمحراب أولى بك ، فقالت ياصالح إنى كنت فيما مضى جاهلة غافلة ، وعن صلاح حالى ذاهلة ، ولم أعلم أن الأمر يكون هكذا ، بل كان سيدى يحب منى الغناء واختلاف الألحان على طول المدى ، وإنى تائبة إلى الله عز وجل لم أنطق منها بشىء أبدا. فقال صالح : يا أسماء اعلمى أنه من رفع صوته بالغناء ، وأصر على معصية المولى كان مأواه نارا سوداء ، تذيب الأجسام والقوى وتورثه الذل والعنا ، فنادت ياصالح قد برح الخفا وذهب الباطل واختفى ، وجاء الحق وقرب الوفا ثم ذهبت إلى منزلها فلقيت غلاما كان لمولاها ، فقالت له ياغلام أنت تعلم أنى كنت عليك مشفقة فاكتم علىّ أمرى وخذ ثيابى هذه وأعطنى جبتك ولاتكشف لأحد سرى فخلعت ماكان عليها ولبست جبة الغلام وقطعت شعرها ودخلت منزلا خفيا من منازل مولاها فصارت تقوم الليل وتصوم النهار وتتضرع فى الأسحار بالبكاء والاستغفار . هذا ومولاها يطوف عليها الأماكن وهو حزين على فراقها فلما خالطها الاصفرار والذبول واكتست أثواب النحول أقبلت إلى مولاها وقد أثقلها الصيام والقيام وأطفأ حسنها الوجد والغرام فسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها من أنت ؟ فقالت أنا سرور قلبك وراحة سرك ولبك ، أنا جاريتك أسماء . فقال لها وما الذى بلغ بك إلى هذا الحال ؟ قالت شؤم المعصية والخوف من جهنم ومافيها من الأهوال . فقال والله لئن لم ترجعى عن هذا الأمر وتلبسى ثيابك وتتركى التشويه بنفسك لأوثقنك كتافا ولأذيقنك أنواع العذاب . فقالت ياسيدى إن ضربك يفنى وعذاب مولاى لاينقطع ولايفنى أبدا فاصنع ماشئت ، فلما سمع ذلك من مقالها أمر الغلمان فشدوا وثاقها وضربها بالسوط ضربا شديدا فرفعت رأسها إلى السماء ونادت : ياعظيم العظماء ، يامن له الأسماء الحسنى ، ويامولى كل مولى أغثنى وأجرنى ياجير الهلكى ، ومغيث المكروبين فى السر والنجوى ، فلما رفع السوط ليضربها خدرت يده وأحس بمن جذبه من ورائه فالتفت فلم ير أحدا ، وإذا بمناد ينادى ياعدو الله خل عن ولية الله فخر مغشيا عليه ، والدم يسيل على يديه ، فقامت أسماء تمسح الدم عن يديه ، وتقول له يامسكين عليك بطاعة مولاك وتب من ذنوبك وخطاياك ، فلما أفاق قال لها يامنية النفس ماظننت أنك وصلت إلى هذه المنزلة فوالله لاخالفت لك طريقا ولابرحت لك ماعشت رفيقا ، ثم اتفقا على العبادة والطاعة ورضيا من دنياهما بالقناعة :

* لله در السادة العباد ... فى كل كهف قد ثووا ووادى
ألوانهم تنبيك عن أحوالهم ... ودموعهم عن حرقة الأكباد
كتموا الضنى حفظا لهم وتحملوا ... سقم الهوى ومشقة الأجساد
هجروا المراقد فى الظلام لربهم ... واستبدلوا سهرا بطيب رقاد
ورأوا علامات الرحيل فبادروا ... تحصيل ما التمسوا من الأزواد
فإذا استمال قلوبهم داعى الهوى ... ذكروا البلى فى ظلمة الألحاد
نظروا إلى الدنيا تغر بأهلها ... بوصالها وتكر بالإبعاد
فتجنبوها عفة وتزهدا ... واستهونوا بالأهل والأولاد
ومضوا على منهاج صحب نبيهم ... فنجوا غدا من هول يوم معاد

[إخوانى] إذا كان النساء عمان لهن همة كالرجال ، وقصدن باب ذى الجلال ، وظهر منهن

ليس فى الجنة ظلمة أبدا وإن العرش سقف الجنة كما أن السماء سقف الدنيا والعرش يتلألأ لأنوار هو مخلوق من نور أخضر ، ومن نور أحمر ، ومن نور أصفر ، ومن نور أبيض ؛ فمن ألوان نور العرش اتصفت الأنوار جميعها بالأخضر والأصفر والأحمر

صالح الأعمال حتى حسنت منهن الأحوال ، وبلغن المقاصد والآمال ، فكيف حالك أيها البطال ، المصر على قبائح الأفعال ، المسوف بالتوبة بكثرة الإهمال . قال السرى السقطى : أرقت ليلة فلم أستطع الغمض فيها . فقلت فى نفسى : أخرج إلى المقابر لعل برؤية القبور والتفكر فى البعث والنشور ، يزول همى وغمى : فخرجت إليها فما وجدت قلبى منشرحا إليها . فقلت أدخل الأسواق لعل باختلاط الناس يزول عنى الباس ، ففعلت ذلك فما انشرح قلبى هنالك ؟ فقلت أدخل إلى البيمارستان وأنظر إلى المجانين وإلى أفعالهم لعلى أعتبر بأحوالهم فدخلت إليه فوجدت قلبى مقبلا عليه فقلت : إلهى وسيدى إلى ههنا سيرتنى ولأجل منامى أيقظتنى فنوديت فى سرى ما أتينا بك إلى هذا المكان إلا ولنا فيه نبأ وشان . قال السرى فتقدمت إلى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون ويدها إلى عنقها مغلولة ، وهى بذكر الله مشغولة . فسمعتها تنشد وتقول :

أعيذك أن تغل يدى بغير جناية سبقت تغل يدى إلى عنقى وما خانت ولاسرقت
وبين جوانحى كبد أحس بها قداحترقت وحقك يامنى قلبى يمينا برة صدقت
لئن قطعتها قطعا غراما فيك مانطقت

قال السرى فقلت للقيم على المجانين : ماهذه الجارية ؟ فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشأت تقول :

معشر الناس ماجننت ولكن أنا سكرانة وقلبى صاحى قد غللتم يدى ولم آت ذنبا
غير هتكى فى حبه وافتضاحى أنا مفتونة بحب حبيب لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى رأيتم فسادى وفسادى الذى رأيتم صلاحى

قال السرى فلما سمعت كلامها أبكانى وأقلقنى وأشجانى ، فلما رأت دموعى تنحدر على وجهى قالت ياسرى هذا بكاؤك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ؟ فقلت يالله العجب من أين تعرفنى هذه الجارية ؟ ولم يكن بينى وبينها معرفة سابقة . فقالت ياسرى ماجهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ، ولاقطعت منذ وصلت ، ولاحجبت منذ وقفت ، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا ثم أنشأت تقول :

تحقق حق الحق فى نور باطنى فأصبح قلبى للحبيب مصافيا
فدمت على وصف وصفت لسيدى وهل ينعت العبد الضعيف الموالیا

فقلت ياجارية أراك للمحبة تذكرين ، وللوجد تظهرين ، فلمن تحبين ؟ فقالت لمن تعرف إلينا بآلائه ، وتحبب إلينا بنعمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ، فهو قريب إلى القلوب ، مفرج للكروب حليم على من عصاه ، قال فقلت لها من حبسك فى هذا المكان ، فقالت حاسدون ومبغضون تعاونوا علىّ ورمونى بالجنون ، وهم أحق بهذا الاسم منى ثم أنشدت تقول :

يامن رأى وحشتى فآنسنى بالقرب من وصله فأنعشنى
ياساكنى لاخلوت من سكنى دهرى وياعدتى على الزمن
أوحشنى ماافقدت منه فقد عاد باحسانه يقربنى *
وعاد أيضا وجاد منعطفا كذاك مذ كنت حين عودنى
حسبى من الكون من شغفت به أصحبه مؤنسا ويصحبنى
وكنت فى غفلة فنبهنى وكنت فى رقدة فأيقظنى

فقلت لها ما الاسم ؟ فقالت دع الاسم عنك يكفيك فما سمعت يغنيك ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل

والأبيض فى الدنيا والآخرة والشمس فيها قدر خردلة من نور العرش ، ولكن علامة الليل والنهار فى الجنة إذا مضى النهار وأتى الليل ترد أبواب القصور وترخى الستور ويختلى المؤمن مع الحور العين فى الخدور مع نسائهم الآدميات ، ومنهم

سيدها ، فقال للموكل بها أين تحفة ؟ فقال قد دخل عندها الشيخ السرى فكلمها بكلام أصغت إليه فدخل سيدها فرأى السرى عندها فعظمه وقبل يده ، وقال ياسيدى لقد رحمت بركتك ، فقال له السرى أى شىء أنكرته منها ؟ فقال ياسيدى هذه جارية تضرب بالعود فأعجبتنى فاشتريتها بجميع مالى ، وهو عشرون ألف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود وأملت أنى أربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها فى بعض الأيام والعود فى حجرها وهى تغنى وتنشد وتقول :

وحقك لانقضت الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا فكيف أقر أو أسلو أو اهدا
فيامن ليس لى مولى سواهُ تراك رضيتنى فى الناس عبدا

فلما فرغت من غنائها بكت طويلا وضربت العود فى الأرض فكسرته وجعلت تهم وتصيح وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا ، فقال لها السرى ياجارية أهكذا جرى ؟ فأنشأت تقول :

خاطبنى الحق من جنانى فكان وعظى على لسانى قربنى منه بعد بعد
وخصنى منه واصطفانى أجبت لما دعيت طوعا ملبيا للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدما فوقع الحب بالأمانى

قال السرى لسيدها أطلقها وعلىّ ثمنها أنا أزنه لك فصاح سيدها وقال وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية فقلت لاتعجل تكون فى هذا المكان حتى أزن لك ثمنها . قال السرى فمضيت إلى منزلى وعيناى تذرفان بالدموع وقلبى بسببها موجوع وبتّ ليلتى أتضرع إلى الله عز وجل وأتوجه إليه وأتوكل فى قضاء حاجتى عليه ، فلما كان وقت السحر إذا بقارع يقرع الباب فقلت من بالباب ؟ فقال حبيب من الأحباب ، جاء فى سبب من الأسباب ، من عند الملك الوهاب ، ففتحت له الباب فإذا هو شاب حسن الثياب نقىّ الأثواب ، ومعه خادم وشمعة وخمس بدر على رأس جمال . فقلت من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا أحمد بن المثنى قد أعطانى الجبار ومابخل على بالعطاء ورزقنى من الأموال مايعجز عن حمله الرجال فبينما أنا نائم إذ هتف بى هاتف من قبل الحق تعالى . فقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا ؟ قلت وقد زال النوم عنى : ومن أولى بذلك منى ؟ فقال احمل إلى الشيخ السرى خمس بدر يعطيها لمولى تحفة ليفك أسرها من الرق ، وتحظى منا بالعتق ، فلنا بها عناية ، ولطف ورعاية ، فحملت إليك المال وأطلعتك على الحال ، قال السرى فسجدت شكرا لله عز وجل ، فلما صلينا الصبح وأضاء النهار أخذت بيد أحمد ومضينا إلى البيمارستان ، وإذا الموكل بها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآنى ، قال مرحبا بك ادخل إليها فإنها عليك لهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة ، فانه البارحة أتانى هاتف وقال لى :

إنها منى ببال ليس تخلو عن نوالى قربت ثم تسامت وعلت فى كل حال

فانتبهت وحفظت ماقاله الهاتف ، وكررته حتى رأيتكم . قال فدخلنا عليها فسمعناها تنشد وتقول :

قد تصبرت إلى أن عيل فى حبك صبرى قد كتمت الوجد لكن ليس يخفى عنك أمرى
ضاق من قيدى وغلى وامتهان فيك صبرى إن تكن عنى راض لا أبالى طول دهرى
أنت لى خير أنيس يامنى سؤلى وذخرى من ترى يعتق رقى ويفك اليوم أسرى
غيرك اللهم ربى أنت لى كاشف ضرى

من يختلى بمشاهدة الملك الغفور . فإذا طلع النهار تفتح أبواب القصور ، وترفع الستور ، وتسبح الطيور ، وتسلم عليهم الملائكة وتأتيهم بالهدايا بأمر الحق سبحانه وتعالى كما ذكرنا وأولادهم وأخواتهم وأقاربهم يزورونهم ، فياويل من

قال السرى فبينما هى تنشد إذ أقبل مولاها ، وهو يبكى وينتحب فقلت له لابأس عليك قد أتيناك بمالك الذى وزنته فى الجارية وتربح خمسة آلاف درهم . فقال لا والله ، فقلت تربح عشرة ، فقال لا والله ، فقلت تربح المثل . فقال لا والله ولو أعطيتنى الدنيا بمافيها لما قبلت منها شيئا هى حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له أخبرنى ما الخبر ؟ فقال ياأستاذ أتانى آت البارحة فى المنام فوبخنى فى الملام ، وأغلظ علىّ فى الكلام ، وقال تهين ولية الله ياعدوّ الله فانتبهت مرعوبا مذعورا قد هانت علىّ الدنيا وخرجت عن جميع ماأملكه وأنا هارب إلى ربى . ثم بكى وخرج على وجهه هائما . قال السرىّ فالتفتّ إلى ابن المثنى فرأيته يبكى وينتحب ودموعه تجرى على وجنتيه ، وقد ظهرت آثار القبول عليه . فقلت له مايبكيك ؟ ، فقال مارضينى مولاى لما ندبنى اليه ولاوجدت لمالى قبولا بين يديه ، أشهدك أنى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله البديع ولجلاله الرفيع ، فقلت ماكان أعظم بركات تحفة على الجميع . ثم قامت تحفة فنزعت ماعليها ولبست جبة صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهى تنشد وتقول :

هربت منه إليه بكيت منه عليه وحقه وهو مولى لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى ما أرتجيه لديه

فمازلنا نتبعها حتى خرجت إلى ظاهر المدينة وهى تنشد وتقول :

ياسرور السرور أنت سرورى ياحياة النفوس أنت حبورى
أنت نارى وجنتى ونعيمى وأنيسى وأنت نور النور
كم ترى يصير المحبّ على البعد وكم يلبث الهوى فى الصدور

قال السرىّ : ثم مضت حتى غابت عنا . ثم أتى مولاها وصحبنى ، وكذلك ابن المثنى برهة من الزمان إلى أن توفى سيدها وقضى نحبه وبقيت أنا وابن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة ، وإذا بصوت مقروح من كبد مجروح ، وهو ينشد ويقول :

قد تهتكت بحبك كيف لى منك بقربك فترفق بفؤاد يشتكى شدة بعدك
خبت يانفس إذا آ خذك الله بذنبك فسلى العفو جهرا والرضا من عند ربك

قال السرىّ ، فاتبعت الصوت فاذا امرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال . فلما رأتنى قالت : السلام عليك ياسرّى ، فقلت وعليك السلام من أنت ؟ فقالت : لاإله إلا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنت إلى الآن محجوب وقلبك غير مسلوب . ثم قالت : أنا تحفة . فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق ؟ فقالت :

أفادنى كل المنى وخصّ قلبى بالغنى وقد أزال سيدى عن باطنى ثقل العنا
إن لم يدارکنى بما أرجو وإلا من أنا

فلما فرغت من إنشادها بكت وانتحبت وهاجت واضطربت . ثم رفعت رأسها وقالت سيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى ، وخاب من كان حظه الطرد والشقا ، فاسألك ياسيدى إلا ماقربت الوصل واللقا ، فقد تولهت عليك فخذنى إليك فلا حاجة لى فى البقا . ثم صرخت ووقعت على الأرض فحركناها فإذا هى ميتة فنظر إليها أحمد بن المثنى فطار قلبه وحار لبه . ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب وصعد الزفرات ، وأظهر الحسرات . ثم صرخ ووقع على الأرض فحركته فإذا به قد مات . قال السرى فجهزتهما وصليت عليهما ودفنتهما ورجعت ، وقد عجبت من حالهما وقرب آجالهما ، رحمة الله عليهما :

دخل النار والجحيم ، وحرم من هذا النعيم المقيم ، وإذا أراد المؤمن أن يرى صاحبه يمشى به السرير الذى هو أسرع من البرق الخاطف ، وإذا خطر للآخر أن يرى صاحبه مشى سريره كالفرس الجواد فيلتقيان فى ميادين الجنة فيتحدثان

لله رجال قد صبروا وبسعدهم سبق القدر قاموا لله بأمر الله
ولولا الله لما قدروا كسروا بالذلّ نفوسهم جبروا والله وما كسروا
بحديثهم وبذكرهم المسك يفوح وينتشر وبقاع الأرض لفقدهمو
تبكي فيرقّ لها الحجر ناحوا أسفا صاحوا لهفا باحوا وبحبهم اشتهروا
رفعوا قصصا وشكوا غصصا ورسول القوم بها السحر لو تسمع فرط أنينهم
فى ليلهم لما اعتذروا صدقوا والله بما وعدوا ووفوا والله بما نذروا
جادوا بالروح فما أبقوا وكذا بالمال فلم يذروا
نظروا ذهلوا ويحق لهم من مثلهمو وبه ظفروا

فلله درّهم من أقوام امتثلوا ما به أمروا ، ونظروا إلى الوجود بعين الاعتبار وتفكروا ، وتذكروا ما فعلوا من الزلل فتدبروا ، واعتبروا فأبصروا ، فهم الذين بمحبوبهم اتصلوا . وعلى مطلوبهم حصلوا :

على أبوابكم عبد ذليل قليل الصبر ناصره قليل له أسف على ما كان منه
وحزن من صدودكمو طويل يمدّ إليكمو كف افتقار ودمع العين من أسف يسيل
يرى الأحباب قد وردوا جميعا وليس له إلى ورد سبيل وكيف يضام جاركمو وأنتم
كرام لا يضام لكم نزيل فان يرضيكمو طردى وبعدى فصبرى فى محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقى سلوّى عن هواكم مستحيل قطعت بحبكم أيام عمرى
فلا أسلو وقد بقى القليل يحدثنى الصبا عنكم حديثا يصح بنشره الجسم العليل
فأسكر من شذاها حين هبت وأنظر حيثما مالت أميل وتروى عن شفيع الخلق طرّا
حديثا فيه للمضنى دليل هو المختار من كل البرايا هو الهادى البشير هو الرسول
عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائما فيها القبول

وصلاة الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

المجلس الحادى والخمسون

فى ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأوسع مما تقدم

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه فى وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود ، المقدس فى ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود ، البصير بحركات الذر فى البحر والبر تحت ظلام حنادس الليالى السود . الحكيم الذى فجر الأنهار من صم الجلمود ، وأخرج رطب الثمار من يابس العود ، لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار ، ولا ينهيه المقدار ، ولا تفنيه الأعصار ، ولا تدركه الأبصار ، وهو الواحد المعبود ، المعطى الذى لا مانع لما أعطى ، ولا دافع لما قضى ، الكريم الذى جاد لعبده ، بجزيل رفده وثوابه ، وكم رآه عن بابه معرضا ، الحليم الذى يستر العاصى برحمته ، وقد رآه لمعصيته متعرضا ، الغفار الذى يغفر الذنوب ، ويستر العيوب ويعفو عما مضى ، القهار الذى قهر الجبابرة ، وكسر الأكاسرة ، وضرب بسهم بعاده من سل سيف عناده وانتضى ، حير الأفكار فى مدارك سبحات جماله العظيم ، وأذهل العقول عن الوصول إلى أصول كنه جلاله القديم ، وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سر أفعاله بعد الفصاحة والتكليم ،

ويتفرجان فى تلك البساتين ثم يرجع كل واحد منهما إلى مكانه وإلى قصره ولكل قصر غرف مشرفة لكل غرفة سبعون بابا لكل باب مصراعان من الذهب على كل باب شجرة ساقها من المرجان الأحمر فيها سبعون ألف غصن يحمل كل غصن سبعين ألف لؤلؤة بعضها مثل البيض وبعضها

وأدهش الخواطر عن الإحاطة به فلا يرام بالتوهيم ، فهو القديم الماجد ، الكريم الواحد ، المنزه عن الولد والوالد ، المقدس عن المشارك والمساعد ، المتعالى عن المشابه والمماثل ، والمضادد والمعاند ، المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد ، الذى أسبل ستره الجميل على عبده الذليل ، العاصى وهو ناظر إليه ومشاهد ، فهو المعروف بالربوبية ، الموصوف بالإلهية ، المتفرد بحقيقة الوحدانية ، تنزه عن الأوهام الخيالية ، وتعزز فى بقائه عن الفناء والمثلية عالم بكل خفية وجلية ، حارت العقول فى عظمته فما عرفت له أينية ، وكلت الأفكار عن إحصار صمديته فلا يعرف بالعلوم العقلية ، تعالى عن المماثل والمناسب وجل عن المشارك والمصاحب يقبل التائب ويحب الآيب ، وليس على بابه بواب ولا حاجب ، من أمل سواه ، فهو الشقى الخائب ، ومن أناخ بباب كرمه ظفر بنيل المآرب ، ومن ذاق حلاوة أنسه رأى العجائب والغرائب ، ومن أعرض عمن سواه رفعه ورقاه الى أرفع المراتب يزيل الضرر ، ويتجلى فى وقت السحر ، وينادى : هل من مستغفر ، هل من تائب ، ويستعرض حوائج السائلين ، ويجود على التائبين بخلع الجود والمواهب :

إله جلّ عن شبه ومثل ... وعن ندّ يعد وعن مصاحب ... تفرد فى علاه فلا شريك
ينازعه عليه ولا محارب ... تحجب حيث شاء فلا يدانى ... وجلّ عن المماثل والمناسب
تجلّى للقلوب فليس يخفى ... وهل يخفى الحبيب على الحبائب

فسبحانه من إله شهدت بوحدانيته السموات وما فيها من العجائب ، وأقرّت بربوبيته الأرضون فى مشارقها والمغارب ، واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المبعوث بالدين الواصب الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب ، الذى شرف الله به الوجود ، وكمل به السعود ، وبلغه أسنى المراتب ، أوجده فى مثل هذا الشهر الشريف . وأخرجه مطهرا سالما من جميع المعايب ، خمدت لولادته النيران ، وخرت لمبعثه الأوثان ، وارتج إيوان كسرى ورمى بالمحن والمصائب ، ومنعت الشياطين من الصعود الى السما ، وصمت آذانهم عن خطاب العلا (لا يسمعون الى الملأ الأعلى ، ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب) فهو النبىّ الكريم والرسول العظيم المنزل عليه فى الآيات والذكر الحكيم (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) نبىّ استخرجه الله من عنصر لؤى بن غالب ، وفضله على أهل المشارق والمغارب ، سمعه يسمع صرير القلم ، بصره الى السبع الطباق ثاقب ، لسانه ما نطق بالهوى ، ولا تحدث قط بحديث كاذب ، يداه بركاتها فى المطاعم والمشارب ، قلبه لا يغفل ولا ينام ، ولكن للخدمة على الدوام مراقب ، قدمه قبلها البعير فزال عنه ما شكاه من المخاوف والمعاطب ، آمن به الضبّ وسلمت عليه الأشجار ، وخاطبته الأحجار وحنّ إليه الجذع حنين حزين نادب :

حداة العيس رفقا بالنجائب ... فقلبى سار فى إثر الركائب ... وجسمى ذاب من سقم ووجد
ومن شوق إلى لقيا الحبائب ... فهل لى من سبيل للتلاقى ... فدمعى قد غدا مثل السحائب
لئن سمح الزمان بطيب وصل ... وبلغت المقاصد والمآرب ... لألتثمن هذا الترب جهرا
وأرويه بأدمعى السواكب ... وأحظى بالعقيق وساكنيه ... ومن قد حلّ فى تلك المضارب
قباب قد حوت بدرا منيرا ... إذا ما ماس فى تلك الذوائب ... تخرّ له بدور الحسن طوعا
سجودا فى المشارق والمغارب ... فقل ما شئت عمن ليس تحصى ... فضائله بحصر أو بكاتب

فمن ذا يستطيع له انحصارا ... أيحصى القطر أو رمل الكثائب
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة ما بدا نور الكواكب
وخص الآل والاصحاب جهرا ... جميعهم وعترته الأطايب

مثل الحمص وبعضها أصغر من ذلك ، فان شاءوا أخذوا من الكبار ، وإن شاءوا أخذوا من الصغار ، ولا يأخذون لؤلؤة إلا نبت مكانها لؤلؤتان ، وشجرة تحمل زمردا ، وشجرة تحمل ياقوتا ، فمهما أرادوا أخذوا ولبسوا وفوق تلك الأشجار

[روى] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وذكر أبو محمد المكى ، وأبو الليث السمرقندى رحمهما الله : أن آدم عليه السلام لما أهبط من من الجنة قال : اللهم بحق محمد اغفرلى خطيئتى ، وتقبل توبتى . فقال له الحق جل جلاله : من أين عرفت محمدا ؟ قال إلهى لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فإذا عليه مكتوب : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا منه عندك . فتوسلت إليك به . فلما دعا آدم تاب الله عليه وغفر له ببركة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

دمعى على وجنتى من أجلكم يسفح ... وناظرى لسواكم قط مايطمح
إن كنت أذنبت من لى غيركم يصفح ... فالصلح عند اللقا بعد الجفا أصلح

ثم إن الله تعالى أودع نور محمد صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته ، ثم عرّفه قدر ما أودعه من السر . ثم قال له يا آدم تطهر وسبح وقدّس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها فانى مخرج منكما نورى ، ففعل آدم ماأمره به ربه فنقل الله نور محمد صلى الله عليه وسلم الى حوّاء وكان ذلك ليلة الجمعة لاثنتى عشرة ليلة من رجب فكان يرى فى وجه حوّاء دارة كدارة الشمس ، فلما وضعت شيثا عليه السلام انتقل النور إلى جبينه ، فلما كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ عليه آدم العهد والميثاق أن لايضع هذا السر إلا فى المطهرات من النساء ، ليصل الى المطهرين من الرجال ، فما زالت تلك الأنوار تنتقل من أصلاب الأخيار إلى المحصنات من النساء الأطهار وتدنو وتقترب إلى أن وصلت إلى عبد الله بن عبد المطلب :

مازال نور محمد متنقلا ... فى الطيبين الطاهرين ذوى العلا
حتى لعبد الله جاء مطهرا ... وبوجه آمنة بدا متهللا

ولما انتقل النور إلى آمنة ، أمنت به من المخاوف الكامنة ، ظهرت لانتقال نوره الآيات ، تباشرت بقدومه جميع المخلوقات ، نودى فى جميع أقطار الأرض والسموات ، ياعرش تبرقع بالوقار ، ياكرسى تدرّع بالفخار ، ياسدرة المنتهى ابتهجى ، ويا أنوار المهابة تبلجى ، ياجنان تزخرفى ، ياحور من القصور أشرفى ، يامعشر الملائكة تمنطقى واصطفى وبالعرش حفى ، يارضوان افتح أبواب الجنان ، يامالك أغلق أبواب النيران ، فان النور المخزون والسر المكنون الذى هو فى خزائن قدرتى من الأزل ، فى هذه الليلة الى بطن آمنة قد انتقل ، ظهر عند ذلك صفاء يقينها ، انطوت الأحشاء على جنينها . فأول شهر من شهور حملها تزلزل قصر كسرى . الشهر الثانى امتلأت الأكوان بالبشرى . الشهر الثالث غاضت بحيرة ساوه . الشهر الرابع انقطع وادى سماوه . الشهر الخامس وقفت بحيرة طبرية . الشهر السادس مات أبوه عبد الله للأسرار الخفية . الشهر السابع خمدت النيران . الشهر الثامن انشق الايوان ، وذل كسرى وهان . الشهر التاسع سقط عن رأس كسرى التاج ، وعظم كربه وهاج ، فسأل عن ذلك الكهان والرهبان . فقيل له قد آن مولد سيد ولد عدنان ، وهو نبىّ آخر الزمان ، المبعوث بالدليل والبرهان ، المنعوت فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، الذى يظهر دينه على سائر الأديان :

شهر ربيع فاق كل الزمان ... إذ جاءنا فيه الهدى والأمان ... لأن فيه مولد المصطفى
المجتبى الهادى لطرق البيان ... محمد المبعوث من هاشم ... إلى جميع الخلق إنس وجان
صلى عليه الله رب العلا ... ماسار ركب منه يطلب أمان

طيور خضر كل طير بقدر الناقة يسبح الله تعالى على تلك الأغصان ويقول ياولىّ الله أكلت من ثمار الجنة وشربت من أنهارها فكل منى فيقع على المائدة بقدرة الله تعالى بعضه مشوىّ وبعضه مقلىّ وبعضه مطبوخ بحلو وبعضه مطبوخ بحامض على ألوان

[وقال ابن أبي زيد] ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، فابتهجت الأكوان لقدوم هذا النبي الجليل . ففي أول ليلة منه حصل لآمنة السرور والهنا ، وفي الليلة الثانية بشرت بنيل المنى ، وفي الليلة الثالثة قيل لها قد حملت بمن يقوم بحمدنا وشكرنا ، وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنا ، وفي الليلة الخامسة رأت في منامها الخليل وقال لها أبشري بهذا النبي الجليل صاحب النور والسنا ، وفي الليلة السادسة دام السرور والفرح وما فتر ولا ونى ، وفي الليلة السابعة سطع نور الرضا وعمّ ذلك القنا ، وفي الليلة الثامنة طافت الملائكة ببيت آمنة لما قرب وضعها ودنا ، وفي الليلة التاسعة بدا سعدها والغنى ، وفي الليلة العاشرة زال عنها التعب والنصب والعنا ، وفي الليلة الحادية عشرة وضعت الحبيب المصطفى ، فأشرق البيت وصفا ، وزال عنها الشك وانتفى ، وابتهجت المروة والصفا . وخرّ عند وضعها ساجدا للعليّ الأعلى ، رافعا أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل لمولاه ، وفاح في الكون عطره وشذاه ، ضجت الملائكة بالتكبير والتهليل وأشرق الكون بنور وجهه الجليل . قالت آمنة : ورأيت سحابة بيضاء قد نزلت من السماء فغيبته عني ، وسمعت قائلا يقول : طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها ، ومرّوا به على أهل البحار كلها ، وعلى الوحوش في فلواتها ، والجن في خلواتها ، واعرضوه على كل روحاني ليعرفوه باسمه وصفته ، وطوفوا به على موالد الأنبياء لتعمهم آثار بركته . قالت آمنة : ثم تجلت عنه السحابة فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء ، تسارع إلى خدمته ثلاثة أنفس : مع أحدهم طشت من ذهب أحمر ، ومع الثاني إبريق من الجوهر ، ومع الثالث منديل من سندس أخضر ؛ فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من المنديل خاتم التصديق ، ختموا به على ظهر النبي الشفيق ، فتمّ بذلك سعده والتوفيق ، وقائل يقول : خذوه عن أعين الناظرين ، وأعطوه صفوة آدم ، ومعرفة شيث ، ورقة نوح ، وخلة ابراهيم ، واستسلام إسمعيل ، وصبر أيوب ، وحلم يعقوب وجمال يوسف ، وصوت داود وأمر سليمان ، وحكمة لقمان ، وقوة موسى ، وزهد يحيى ، وبشر عيسى ، وأغمروه في أخلاق النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . فسبحان من جعل هذا النبي الكريم سلطان الأنبياء ، ونشر له ذكرا ، ورفع له قدرا ، خمدت لولادته النيران ، وأضاءت قصور بصرى وخرّت الأصنام له والأوثان وارتج إيوان كسرى ، فهو صاحب الشفاعة الكبرى ، وبه شرف الله الوجود وجعله رحمة لكل موجود دنيا وأخرى :

لشهر ربيع آية لم تزل كبرى ... به أطلع الرحمن في ليله بدرا
تبدى ونور الحسن فوق جبينه ... فنوّر منه الأرض والسهل والوعرا
وأظهر جبريل البشارة معلنا ... يقول لأهل الأرض جاءتكم البشرى
وقد وضعته أمه وهو ساجد ... وقد ملأ الأكوان من نشره عطرا
فكم ملك من حول منزل أمه ... يعظمه سرا ويشكره جهرا
وطاف به جبريل شرقا ومغربا ... بخير فيه العقل والذهن والفكرا
وزفوه والأملاك قد أحدقت به ... وقد ملئوا برّا كما ملئوا بحرا
فياليت كل الدهر عندي مولد ... لخير الورى والخلق أجمعهم طرا

[وعن أنس بن مالك رضي الله عنه] قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس ، وأجود الناس ، وأحلم الناس ، وأكرم الناس ، وأزهد الناس ، وأفصح الناس ،

مختلفة فيأكل منها المؤمنون والمؤمنات والحور العين حتى تبقى عظامه ، ثم يعود كما كان بقدرة الله عزّ وجل ويقعد ذلك الطير على الغصن يسبح الله تعالى ، وتلك الحلل تشتاق إلى أولياء الله سبحانه وتعالى متى يلبسونها ، وإن القصور

وأكثر الناس تواضعا ، وأصحهم إيمانا ، وأكثرهم إنصافا ، وأوسعهم صدرا ، يشكر يسيرا ، ويرحم أسيرا ، ويوقر كبيرا ، ويبدى بشرا وسرورا ، ويصوم هجيرا ، ويقوم دجورا ، وناداه العلىّ الأعلى (ياأيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) :

أهدى النسيم إلى الوجود عبيرا لما أتانا بالنذير بشيرا وافى بمولد أحمد الهادى الذى
أهدى إلينا فرحة وسرورا لما بدا وجه النبىّ تهللت كل البقاع وقد نطقن شكورا

وانشق إيوان وغاضت ساوة وانكف كسرى فى الأنام كسيرا
وتساقط الأصنام عند ولاده وتصاعد الكهان منه زفيرا
خمدت له نار المجوس تذللا وغدا به صوب الغمام مطيرا
كم آية فى حمله ظهرت فما تخفى وزادت فى الزمان ظهورا
ورأته آمنة يسبح ساجدا عند الولاد إلى السماء مشيرا

قالت رأيت عجائبا فى وضعه ويظل فيها ذو الحساب حسيرا آيات أحمد لاتحدّ لواصف
ولو أنه أملى وعاش دهورا بشرا كمو ياأمة المختار فى يوم القيامة جنة وحريرا

فضلتمو حقا بأشرف مرسل خير البرية باديا وحضورا
صلى عليه الله ربى دائما مادامت الدنيا وزاد كثيرا

[إخوانى] لما ولد المصطفى راق العيش وصفا ، وزهق الباطل واختفى ، وظهر مصباح الإيمان وما انطفا ، وهب نسيم مولده فى جميع الأقطار فاكتست من نوره عزّا وشرفا ، فلما هب بأرض فارس أطفأ النيران . فأول من نشقه سلمان ، فجاء مسرعا إلى الإيمان يقطع المراحل والكثبان ، حتى فاز برؤية سيد الأكوان ، وأقر بالوحدانية للرحمن ، وأدرك من المختار ماتمنى ، وماخاب سعيه ولا تعنى ، وفاز من المصطفى بقوله صلى الله عليه وسلم «سلمان منا» .

سواك فى الكون لايسمى ولايكنى لما تجلى لقلبى حسنك الأسنى
من هند من دعد من علوى ومن لبنى الكل عنك رووا يا كامل المعنى

ولما هب ذلك النسيم بأرض الروم ، نشقه المزكوم ، ورحم به المرحوم . فأول من نشقه بلا شك ولاريب ، سيد أهل الروم صهيب ، فجاء منقاد الزمام إلى الإسلام ، وفاز برؤية خير الأنام ، ونال بصحبته كل القصد والمرام :

ما أومض بارق وما فاح خزام إلا وهاج لى إلى الحب غرام
يانسمة حيهم خذى لى خبرا قالت لى قد أتيت منهم بسلام

ولما هب ذلك النسيم بأرض اليمن أول من نشقه أويس القرنى فى السر والعلن ، فبذل نفسه المصطفى من غير ثمن ، وآمن به على بعد الوطن ، وأثنى عليه الرسول المؤتمن ، بقوله عليه السلام «إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» وما كفاه هذا الوصف الحسن حتى خرج له المنشور ببلوغ الوطر بقول المصطفى سيد البشر لعمر رضى الله عنه « ياعمر إذا رأيت أويسا فسلم عليه واطلب منه أن يستغفر لك فانه يشفع فى مثل ربيعة ومضر » :

هذه نسمة حب من سحيق المسك أعطر ما لمزكوم هواها من شذاها قط مخبر
أنا مجنون هواه والله فيه محير أنا عبد لحبيب هو فى العبد مخير
دائما أرجو لقاه فعسى بالوصل أظفر هكذا قد قال حقا سيد الكون وبشر
كل من يهوى حبيبا فمع المحبوب يحشر

والحجر كلها صناعة من
يقول للشىء كن فيكون
ليس فيها قطع ولا وصل
فيدخل المؤمن ويتفرّج
فيها ويسكن فيها سبعين
عاما وهو يتنعم ويتفرج
من قصر إلى قصر ومن
بستان إلى بستان، وخيول
الفردوس ياقوت أحمر
سروجها زمرد أخضر

ولما هبّ ذلك النسيم على بلاد الحبشة وجال ، فأول من نشقه بلال ، فجذبته عناية التوفيق بالتصديق إلى الإيمان فأعلن بالأذان وصار شاويشا لدين الإسلام ، ونشر للمصطفى الرايات والأعلام ، فخصه النبيّ التهامى بالمدح السامى بأن قال يابلال : أنت تنشر بالذكر أعلامى وترفع به قدرى ومقامى فلأجل ذلك مادخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك قدامى :

عبد دعاه لقربه مولاه جهرا فباح بسرّ ما أولاه لاغرو أن خلع العذار ممزقا
أطماره فرحا بما آتاه إن المحب إذا دعى لوصال من يهوى ويأبى كذبت دعواه
قف وقفة العبد الذليل عساه أن يرضى ويرفع حجبه لتراه وإذا سئلت وقيل من هذا الذى
يشكو على أبوابنا بلواه فقل الفقير المستجير بعفوكم يرجو رضاكم كى ينال مناه

[إخوانى] سبقت العناية للعبد الحبشى ، وغلبت الشقاوة على العم القرشى ، واستنشق صهيب بالروم ريح المعرفة ، فراح سائحا فى القفار هائما بحب المختار ، وهبت نسمات القبول والإيمان على سلمان ، فهجر الأهل والأوطان ، وجاء من فارس لرؤية سيد الأكوان ، وسبق لأويس وصفه الحسن بقول الصادق المؤتمن : إنى «لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن » وينشد مفردا :

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

ولما مرّ باليمن ذاك النسيم الغامر نشقه عامر ، فاهتدى إلى الإسلام بعد عبادة الأصنام ، وفاز بتقبيل أقدام سيد الأنام ، ومات على محبته موت الكرام ، وقصته تحير العقول والأفهام . وذلك أن عامرا كان يعبد صنما من الأصنام ، وكانت له ابنة مبتلاة بالفالج والجذام ، وكانت مقعدة لاتستطيع النهوض ولا القيام ، وكان عامر ينصب الصنم ويضع ابنته أمامه ويقول له : هذه ابنتى سقيمة فداوها ، وإن كان عندك لها شفاء فاشفها من بلائها وعافها ، وأقام على ذلك سنين وهو لايطلب لها من الصنم حاجة فيقضيها ، فلما هبت عليه نسمات العناية بالتوفيق والهداية قال لزوجته : إلى متى نعبد هذا الحجر الأصم الأبكم الذى لاينطق ولايتكلم وماأظنه على دين أقوم ؟ فقالت له زوجته : اسلك بنا سبيلا عسى نرى إلى الحق دليلا ، فلا بد لهذه المغارب والمشارق من إله خالق ، فبينما هو على سطح داره معتكف على صنم اغتراره إذا شاهد نورا قد طبق الآفاق وملأ الوجود بالضياء والإشراق ، ثم كشف الله عن عين بصيرته لينتبه من نوم غفلته ، فرأى الملائكة قد اصطفت وبالبيت قد حفت ، ورأى الجبال ساجدة والأرض هامدة والأشجار قد تمايلت والأفراح قد تكاملت ، وسمع مناديا ينادى : قد ولد النبى الهادى . ثم أتى إلى الصنم فاذا هو منكوس وقد علته الذلة ووافت إليه العكوس . فقال لزوجته : ما الخبر ؟ ثم حدق إلى الصنم بالنظر فسمعه يقول : ألا إن النبأ العظيم قد ظهر ، وولد من تشرف به الكون وافتخر ، وهو النبى المنتظر الذى يخاطبه الحجر والشجر ، وينشق له القمر ، وهو سيد ربيعة ومضر . فقال لزوجته : أتسمعين مايقول هذا الحجر ؟ فقالت له سله ماسم هذا المولود الذى شرف الله به الوجود ؟ فقال أيها الهاتف المتكلم على لسان هذا الحجر الجلمود بالذى أنطقك كما أنطق الجلود فى اليوم المشهود ما اسم هذا المولود ؟ فقال : محمد المصطفى ابن زمزم والصفا ، أرضه تهامة ، بين كتفيه علامة ، تظله من الهجير غمامة . فقال لزوجته اخرجى فى طلبه لنهتدى إلى الحق بسببه وكانت ابنته السقيمة فى أسفل دار مقيمة ، فلم يشعر إلا وهى معهما على سطح الدار قائمة . فقال لها يابنية وأين ألمك الذى كنت تجدينه وسقمك الذى كنت تكابدينه ، وسهرك الذى كنت تواصلينه ؟ فقالت ياأبت بينما أنا نائمة فى طيب أحلامى إذ رأيت نورا أمامى وشخصا قد أتانى . فقلت ماهذا النور الذى أراه

لها جناحان من ذهب خفذاها من فضة ولهايدان ورجلان ، فتقول اركبنى ياولىّ الله إن أراد أن تمشى مشت وإن أراد أن تطير طارت ، وفيها نوق وهجان كذلك ، فيركب المؤمن على واحدة من تلك الخيول فتفتخر على الباقى ويركب معه من أراد من نسائه

والشخص الذى أشرق علىّ نوره وسناه ؟ فقيل لى : هذا نور سيد ولد عدنان الذى تعطرت بمولده الأكوان . قلت أخبرنى عن اسمه ؟ فقال اسمه محمد وأحمد ، يرحم العانى ويعفو عن الجانى ، فقلت فما دينه ؟ قال حنيف ربانى . قلت فما نسبه ؟ قال قرشى عدنانى . قلت فمن يعبد ؟ قال المهيمن الوحدانى ، قلت فمن أنت أيها المخاطب الروحانى ؟ قال أنا من الملائكة الذين بشروا بجماله الدانى . قلت فما تشاهد ما أنا فيه من الألم وترانى ؟ قال توسلى بجاهه فقد قال ربه القريب الدانى : قد أودعته سرى وبرهانى . فلأجيبن من به دعانى ، ولأشفعنه يوم القيامة فيمن عصانى ، فمددت يدى وبنانى ، ودعوت الله بجاهه كما بصرنى وهدانى ، ثم مررت بيدى على جسدى وجسمانى . فاستيقظت وأنا صحيحة كما ترانى :

لما دعوت بجاهه رب العلا ... سمع الدعا منى به وشفانى ... وعلمت أنى قد شفيت بنوره

لما تبدى سيد الأكوان ... وبجاهه قد زال عنى كل ما ... أشكوه من ألم ومن أحزان

فقال عامر لزوجته : إن لهذا المولود لسرا ونبا . ولقد سمعنا ورأينا من آياته عجبا ، فلأقطعن فى محبته أودية وربا ، ولأجدن فى رؤيته طلبا فساروا مجدين ولمكة قاصدين إلى أن وصلوا إليها وقدموا عليها ثم سألوا عن دار آمنة فطرقوا عليها الباب . فبادرت بالجواب . فقالوا لها أرينا هذا المولود الذى نور الله به الوجود ، وشرف به الآباء والجدود . فقالت لن أخرجه لكم فانى أخاف عليه من اليهود . فقالوا نحن قد فارقنا فى حبه أوطاننا وتركنا أديارنا وأتعبنا أبداننا لنرى جمال هذا الحبيب الذى من قصده لا يخيب . فقالت إذا كان ولابد من رؤياه فأمهلوا واصبروا قليلا ولا تعجلوا . ثم غابت ساعة وقالت لهم ادخلوا فلما دخلوا وفى البيت حصلوا ، رأوا أنوار الحبيب فذهلوا وكبروا وهللوا . ثم كشف عن وجهه الغطاء فأشرق نور ضيائه وأضاء وطلع عمود نور من وجهه إلى السماء فصاحوا وشهقوا وكادوا أن يصعقوا ، ثم قبلوا أقدامه وأكبوا عليه وأسلموا على يديه . ثم قالت لهم أسرعوا فان جده عبد المطلب قلدنى الأمانة أن أخفيه عن الناس وأكتم شانه . فخرجوا من عند الحبيب وفى قلوبهم من الشوق نار ولهيب . ثم وضع عامر يده على قلبه وقد غاب عن عقله ولبه . ثم صاح وقال ردونى إلى بيت آمنة واسألوها أن ترينى جماله ثانية فرجعوا إلى المنزل . فلما رآه بادر إليه وأكب على قدميه ثم شهق شهقة ومات فى شهقته وعجل الله بروحه إلى جنته . هذه والله أحوال المحبين العاشقين وصفات الصادقين . فيا أيها اللبيب اسمع هذا صفات الحبيب الذى قد ملأ الكون عزا وجمالا . وأضحى نوره فى الآفاق يتلالا ، وكساه الإله من ملابس فضله هيبة وجلالا ، وخفف عن آمنة بركته من الكروب أثقالا . وعطر بمولده الأقطار فتعطرت يمينا وشمالا :

يامولد المصطفى قد حزت إقبالا ... بذكره يبلغ المشتاق آمالا ... يامدعى الحب فيه وهو ذو وله

وفى هواه جفا أهلا وأطلالا ... مت فى محبته إن كنت تعشقه ... موله القلب مشتاقا وإلا لا

فالنوق تعشقه وجدا وتقصده ... شوقا وتطلب من نعماه إفضالا ... أما تراها إذا لاحت قباب قبا

تحط عنها حداة العيس أثقالا ... بحقه يا إلهى جد لنا كرما ... بالعفو والصفح إكراما وإجلالا

فقد لجأنا إلى باب الكريم ومن ... يلجأ إليه يرى رحبا وإقبالا ... هو النبى الذى ضاء الوجود به

وفيه خالفت لوما وعذالا ... صلى عليه إله العرش ثم على ... أهليه والصحب آبادا وآزالا

ثم إن آمنة حصل لها على أثر النفاس ضعف وألم شغلها عن رضاع هذا النبى المحتشم ، فسأل رضاعه الوحش والطير والريح كل يقول رب دعنى أرضع صفوتك من خلقك وأكرم خلقك عليك وقالت الملائكة : ربنا أنت تعلم أننا نحبه فمرنا بتربيته لنتشرف بنور طلعته ونحظى ببركته ، فقال الله تعالى : أنا قادر على أن أربيه من غير رضاع ولا سبب ، ولكن سبقت كلمتى وتمت حكمتى وكتبت

وخدمه فتسير بهم مسيرة سبعين عاما فى ساعة واحدة إلى وسط جنته فينظر إلى قصر من ذهب ودرّ فيه شجرة من جوهر حاملة حللا وورقها حلل ، وفيها ثمر كل ثمرة قدر شقة الراوية وهى أحلى من العسل ، فاذا أكلوا تلك الثمرة بقيت حبتها فيخرج

على نفسى أنى إذا أعطيت أحدا شيئا فلا أعود فيه ، وقد كتبت فى الأزل من الحكمة القديمة أنه لايرضع هذه الدرة اليتيمة والنفس الكريمة غير حليمة الحكيمة ، وكانت حليمة فى بلدها مقيمة ولسان القدر يناجيها فى ناديها ، وقد حدا بسعدها حاديها :

سيرى حليمة وارضعى هذا الفدى ... هذا الذى فى حسنه مازال فردا
هذا الذى لولاه ماعشق الحمى ... كلا ولا كان السرور إليه يهدى
هذا الذى فى الحسن أضحى مفردا ... وله قطعنا فى السرى عنقا ووخدا
هذا الذى لولاه ماكان الهوى ... يهوى ولا كان المحب يهيم وجدا
وإذا تبدى ياحليمة فابشرى ... بالقرب لاتلقين بعد اليوم صدّا
فلك الهنا برضاعه فهو الذى ... عن وجهه قمر الملاحة ماتعدى
واذا رأيت شمس طلعة وجهه ... ورأيت خدا قد حكى خزا ووردا
ورأيت ثغرا باللجين مرصعا ... ورأيت معنى من معانى الحسن فردا
قولى لبعلك لاتخف هذا الذى ... نلقى به فى كل مانبغيه قصدا

وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا بالأطفال إلى المراضع . قالت حليمة فأصابتنا سنة لم يأت الغيث فيها ولم تنبت الأرض شيئا فجئنا فى أربعين امرأة نلتمس الرضاع ليواسونا بالرفد . فدخلنا مكة وأتى أهل مكة بأولادهم عند الكعبة ، فوقف كل والد إلى جانب ابنه ، فتقدمت كل امرأة فأخذت مولودا فنظرت أنا فلم أر بقى غير مولود ، وليس إلى جانبه أحد . فسألت عن أبيه فقيل لى إنه يتيم مات أبوه وأمه حامل به وهى الآن ضعيفة . فقلت لبعلى لم يبق إلا هذا المولود وهو يتيم لاأب له . فقال ويحك خذيه ولا نرجع خائبين ، فلعل الله تعالى أن يرزقنا بأجره وثوابه ، وكان الأمر كذلك . قالت حليمة فأخذته وإنى لضعيفة على أثر نفاسى ، وليس فى ثدىى قطرة لبن من الضعف والجوع ، قالت : فلما حملته قوى ضعفى واشتدت قوتى . ثم وضعت ثدىى فى فمه ، فسال اللبن وتدفق فشرب حتى روى وسمعت قائلا يقول : طوبى لك أيتها السعدية بهذه النسمة الهاشمية . قالت ثم ركبت الدابة وكانت ضعيفة لاتستطيع المشى . فجعلت تسبق الدواب فى القافلة ، فعجب الناس من ذلك . قالت وكنا إذا نزلنا به تحت شجرة يابسة اخضرت لوقتها ، وإذا جعلناه فى البيت المظلم أضاء وجهه كالمصباح حتى يغلب نوره نور السراج ، فقلت لبعلى أرأيت ما أرى . فقال أو ماأخبرتك أنه نسمة مباركة . قالت فلما وصلنا به إلى المنزل كان عندنا شياه عجاف ، فأخذنا يده ومررنا بها عليها فدرت لوقتها ، قالت وكثر الرزق والخير علينا ببركته حتى حسدتنا عليه جميع المراضع ، قالت وكنت إذا أعطيته ثديه أخذه ، وإذا أعطيته ثدى أخيه لم يأخذه ، فعلمت أنه منصف عادل ، قالت وانقطع عنا الغيث ، فقالوا ياحليمة : إن هذا المولود الذى عندك على وجهه نور ، فلو أخذته معك حتى نستسقى به الغيث لكان خيرا لنا ، قالت فأخرجته لهم ، فأخذوه وحملوه على أيديهم وخرجوا إلى ظاهر البلد فدعوا به ، وإذا السحب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق ، قالت ولم يزل عندنا حتى قضيت رضاعه ، فعزمنا على الرحيل به إلى أمه ، فقال لى بعلى كيف نرده ، وقد وجدنا الخير والبركة على وجهه ، قالت فأتينا به إلى أمه فقلت لها إنا وجدنا الخير والبركة على وجه ولدك ، ونحن نسألك أن تدعيه لنا سنة أخرى . فقالت خذاه ، فأخذناه وفرحنا به ، وكان يخرج هو وأخوه لرعى الأغنام ، فكان أخوه يقول لحليمة يا أماه : إن أخى الحجازى إذا وقف بقدميه على الوادى اليابس يخضر لوقته ، وإذا جاء الى البئر لسقى الأغنام يعلو الماء إلى فم البئر ، وإذا نام فى الشمس جاءت غمامة

من وسط كل حبة جارية أو غلام مكتوب على خدها اسم صاحبها أحسن من الشامة على الخد وتقول : السلام عليك ياولىّ الله قد طال شوقى إليك ، ثم ينظرون بين تلك القصور إلى أنهار من لبن وأنهار من عسل مصفى ، وعلى تلك الأنهار قباب من ياقوت

فظللته من حر الشمس ، وتأتى إليه الوحوش وهو نائم فتقبل أقدامه . فقالت له توصّ بأخيك . فلما كان فى بعض الأيام خرجا على عادتهما يلعبان . فجاء أخوه وهو مصفر اللون وقال : يا أماه أدركى أخى الحجازى فقد أصيب . فقلنا وما شأنه ؟ قال بينما أنا وأخى نلعب إذ جاء ثلاثة نفر كأن وجوههم القمر عليهم ثياب خضر معهم طست وإبريق من الذهب والفضة فاختطفوه ، ثم أضجعوه وشقوا فؤاده فأدركاه . قالت فقمنا إليه مسرعين فوجدناه سالما آمنا فرحا مسرورا ليس به ألم ولا بفؤاده أثر . قال ابن عباس رضى الله عنهما . وكان الله سبحانه وتعالى قد بعث إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام . ومعهم طست وإبريق . وماء من الجنة . وماء من الرحيق المختوم ومنديل من السندس الأخضر فأضجعه جبريل فشق صدره بأمر الملك الجليل . وشق قلبه وأخرج منه علقة سوداء وقال : هذا حظ الشيطان منك ياسيد المرسلين ثم صب عليه الماء وأتمّ غسله . ثم أعاد فؤاده كما كان أول مرة فكان يرى أثر المخيط فى صدره حتى مات صلى الله عليه وسلم . وهو أحد الأقوال فى قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) ثم قال جبريل لميكائيل زنه بعشرة من أمته فوزنه فرجحهم . ثم قال له زنه بعشرين فوزنه فرجحهم . فقال له زنه بأهل الأرض كلهم فوزنه فرجحهم فهو بدر الكمال وتاج الجمال وواسطة العقد وهلال الشرف ودرة تاج الكون فجميع الفضائل والمفاخر منسوبة إليه وهو المشفع غدا فيمن يصلى ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم :

هذا ربيع أتى بالبشر مبتسم ... لأجل طـه الذى بالله يعتصم
خير الأنام حبيب الله شافعنا ... غيث وعون له الإحسان والكرم
فى يوم الاثنين أنوار الحبيب بدت ... من مكة وانجلت حقا به الظلم
وأصبح الكون مسرورا ومبتهجا ... والأرض تزهو به والبيت والحرم
تقول آمنة فى يوم مولده : ... جاء السرور لنا والفضل والنعم
سميت أحمد والبارى الكريم كذا ... سماه من قبل مايجرى به القلم
فى لوح قدرته باسم الحبيب جرى ... محمد صفوة البارى له الذمم
وعند وضعى رأيت الطير عاكفة ... حولى وقد أقبلت للبيت تلتثم
وجاءنى طائر أرخى بأجنحة ... على فؤادى فزال السقم والألم
وما لقيت بحملى فيه من ألم ... مثل النساء التى أودى بها السقم
وخرّ فوق الثرى لله خالقه ... مثل اللبيب الذى للأجر يغتنم
أصنام مكة خرت عند مولده ... وأخمد النار جهرا وهى تضطرم
وقد غدا هاربا إبليس منذعرا ... وجنده بسهام الله تنهزم
مانال فخر النبى المصطفى أحد ... من الأنام له البرهان والحكم
ماذا أقول بوصفى فى الرسول وقد ... أثنى عليه إله واحد حكم
صلى عليه إله العرش ماطلعت ... شمس ومالاح ثغر البرق يبتسم

وقباب من درّ وقباب من مرجان ، فيها من الخدم والحور والولدان شىء كثير . فيقولون كلهم ياولىّ الله قد طال شوقنا إليك ، فيمكث المؤمن فى نعيم ولذة مع كل زوجة من زوجاته يتمتع بجمالها وتتمتع بجماله ، مكتوب اسمه على صدرها واسمها

اللهم إننا قد حضرنا مولد نبيك الكريم . فأفض علينا ببركته لباس العز وأسكنا بجواره فى دار النعيم ومتعنا فى الجنة بالنعيم المقيم . اللهم إنا نسالك بجاه هذا النبى المصطفى وبآله أهل الصدق والوفا كن لنا معينا ومسعفا وبوّئنا من الجنة غرفا وارزقنا ببركته قبولا وعزا وشرفا . اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار كفر عنا الذنوب والأوزار واحرسنا من جميع المخاوف والأخطار ومتعنا برؤيته فى دار القرار وتقبل منا ماقدمناه من يسير أعمالنا فى السر والاجهار

وارحمنا بقدرتك واغفر لنا إنك عفوّ غفار ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما :

المجلس الثانى والخمسون

فى زيارة النبىّ صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذى دعا عباده الأبرار ، إلى أشرف بيت وأعظم مزار ، يسر لهم الطريق ، وجعل دليلهم التوفيق، فبلغوا المقاصد والأوطار . أقامهم على بابه وقرّبهم من جنابه فحصل لهم العز والفخار وعدهم بالضيافة والقرى ، فقطعوا المفاوز إلى أم القرى ، ولذّ لهم قطع القفار ، كتب فى قلوبهم الإيمان وعاملهم بالرضوان ، فطافوا بالبيت والأركان والأستار . بشرهم فى منى بنيل المنى وأراحهم فى الخيف من الخوف والعنا وسائر الأخطار . رقاهم إلى عرفان عرفات ، ليكفر عنهم السيئات والأوزار ، نفروا من ذنوبهم إليه، وثابوا بالمزدلفة بين يديه فى فرح واستبشار ، كتب لهم رضوان الإنعام ، عند المشعر الحرام ، بالنجاة من النار . كشفوا رءوسهم وحلقوا شعورهم ، وأكثروا تسبيحهم وتقديسهم للكريم الغفار . قربوا هداياهم ونحروا ضحاياهم فوعدهم بالأجور الغزار ومحا عنهم صحائف الذنوب وأراحهم من الكروب عند رمى الجمار فإذا طافوا للوداع وعزموا على الارتجاع حثوا نجائب الشوق بسرعة السوق إلى النبى المختار يا له من نبى أرسله الله تعالى بالمعجزات والدلائل واستخرجه من أشرف القبائل وشرف به مضر ونزار وجعل دينه الأقوم وشرعه المعلم فكل حرف من حروف المعجم يشهد له برفيع الرتبة والمقدار قوّم ألف قامته فأشرقت بباء بهجته الشموس والأقمار حرسته بتاء التأييد من كل شيطان مريد وثبته فى سائر الحركات بثاء الثبات فعدل وماجار توّجه بجيم الجود والوفاء وحباه بحاء الحلم والاصطفاء . وخصه بخاء الاختصاص والصفاء من سائر الأكدار داواه بدال دوام الاحسان . فخرت لهيبته الأصنام والأوثان . وأصبحت بذال الذل والهوان فى انتكاس واحتقار أرسله براء الرحمة وزاى الزهادة والقناعة . وميزه بسين السيادة وشين الشفاعة فى أهل الذنوب والأوزار . صانه بصاد الصيانة . وقلده بسيف الأمانة . وأتحفه بضاد الضياء والأنوار . فتح له طاء طريق الإقبال وأنقذ أمته به من ظاء الظلم والضلال . فأصبحت مسرورة بفاء الفرح والاستبشار وشرفه بقاف قاب قوسين . وأكرمه بكاف كلامه المنزه عن الريب والمين . ولاطفه بلام لطفه المقدس عن الشك والشين . ومنّ عليه بميم منه فأطلعه على الأسرار . أخمد لنوره نار فارس وأذل لهاء هيبته الفرسان العوابس . وتوجه بواو الوقار وميزه فى العالمين بياء اليقين . وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين . وأنزل عليه فى كتابه المبين . بالفضل والفخار (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) :

ياحاديا يحدو لخير الورى	هيجت فى قلبى من الشوق نار	سر بى رعاك الله مع فتية
مالى عنهم منذ ساروا اصطبار	ياجيرة حلوا بوادى قبا	رميتمو فى القلب منكم جمار
أنتم كرام ياعريب النقا	وجاركم من كل جور يجار	نلت بكم كل المنى فى منى
وليس لى ماعشت عنكم قرار	فى عرفات قد عرفت الهوى	وقد غدا سر التدانى جهار
متى أرى الأحباب قد واصلوا	ويجمع الشمل بقرب المزار	ويبعد البعد ويدنو اللقا
ويفرح القلب وتدنو الديار	وأعزم السير إلى من به	تمحى الخطايا وتقال العثار
المصطفى المختار خير الورى	وخير من تطوى إليه القفار	وخير من تأتى ملوك الورى

على صدره أحسن من الشامة ، يرى وجهه فى نور وجهها وفى صدرها وترى وجهها فى نور وجهه وصدره من كثرة الأنوار التى عليهم، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الهدايا من ربهم وهم يقولون : السلام عليكم ياأولياء الله هذه هدية من عند ربكم

لبابه بالذل والانكسار صلى عليه الله مارنمت حمامة الأيك وغنى الهزار

[روى] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » رواه الدارقطنى رحمه الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى » رواه الإمام علىّ كرم الله وجهه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارنى فى قبرى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين ، وإن بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارنى بعد وفاتى وسلم علىّ رددت عليه السلام عشرا وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه ، ومن سلم علىّ فى بيته رد الله تعالى علىّ روحى حتى أسلم عليه » وقال صلى الله عليه وسلم « من حج وزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . وفى المعنى :

زر من تحب وإن شطت بك الدار وحال من دونه ترب وأحجار
لايمنعنك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوّار

[وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه] قال : قدم علينا أعرابى بعد مادفنا النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، ثم قال يارسول الله السلام عليك صلى الله عليك قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسى وجئتك لتستغفر لى فنودى من داخل القبر ياهذا قد غفر لك :

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد آتاك من المهيمن عفوه وأباحك الإيمان والتوحيدا

[وعن أبى الحسن الصوفى رحمه الله] قال وقف حاتم الأصم على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارب إنا قد زرنا قبر نبيك فلاتردنا خائبين ، فنودى ياهذا ماأذنا لك فى زيارة قبر نبينا إلا وقد طهرناك ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فإن الله عز وجل قد رضى عنك وعمن زار قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

[وعن أبى الفضل رحمه الله] أن أعرابيا أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : اللهم إنك أمرت بعتق العبيد على رؤوس قبور الأحباب ، وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى على رأس قبر حبيبك من النار ، قال فهتف بى هاتف تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق لأعتقهم على رأس قبر هذا الحبيب ، اذهب فقد أعتقناك ياأعرابى :

أستغفر الله مما كان من زللى ومن ذنوبى وإفراطى وإصرارى
يارب هب لى ذنوبى يا كريم فقد أحكمت حبل الرجا ياخير غفار
ان الملوك إذا شابت عبيدهم فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدى أولى بذا كرما قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

[وعن أبى عبد الله محمد بن العلاء رحمه الله] قال : دخلت المدينة وقد غلب علىّ الجوع فزرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وعلى الشيخين رضى الله عنهما ، وقلت يارسول الله جئت وبى من الفاقة والجوع مالا يعلمه إلا الله عز وجل وأنا ضيفك فى هذه الليلة ، ثم غلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) فيحمل الخدم الموائد بعضها من الدرّ وبعضها من الياقوت وبعضها من الذهب وعليها أوان فيها ألوان من الأطعمة (ولحم طير مما يشتهون) وفوقها مناديل خضر مكللة باللؤلؤ فيأكل هو وزوجته الآدمية معه

فى المنام فأعطانى رغيفا فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفى يدى نصفه الآخر فتحقق عندى قول النبى صلى الله عليه وسلم « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى » ثم نوديت ياعبد الله لايزور قبرى أحد إلا قد غفر له ونال شفاعتى غدا :

من زار قبر محمـــد نال الشفاعة فى غد بالله كرر ذكره وحديثه يامنشـدى
واجعل صلاتك دائما جهرا عليه تهتدى فهو الرسول المصطفى ذوالجود والكف الندى
وهو المشفع فى الورى من هول يوم الموعد والحوض مخصوص به فى الحشر يوم الموعد
صلى عليـه ربنا مالاح نجم الفرقد

[وعن أبى الفضل محمد بن نعيم رحمه الله] قال كان محمد بن يعلى الكنانى رحمه الله يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ويراه فى المنام كثيرا فخرج لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم يوما فاندقت رجله فتعوق عن زيارته فخرج الحاج ، فكتب الكنانى رقعة وناولها لبعض الحجاج وقال له إذا وصلت إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فارم بهذه الرقعة إلى القبر وقل يارسول الله إن الكنانى يقرئك السلام ويقول لك قد عرفت العذر الذى عاقه عنك ، فلما فعل الرجل ذلك رأى الكنانى فى نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : كنانى قد وصلت رقعتك وعذرناك :

ياحبيب القلوب ياخـير ذخرى ضاق من أجل عاقنى عنك صدرى
عوقتنى الأعذار عنك فيـامن هو قصدى وعساك تقبل عذرى

[وحكى العتبى رحمه الله] قال : كنت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت أعرابيا قد أقبل على بعير له فنزل عنه ثم أتى قبر النبى صلى الله عليـه وسلم ، فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياصفوة الله أنت الذى أنزل الله عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسى وها أنا قد أتيتك أستغفر من ذنبى فاشفع لى عند ربى ، ثم أنشأ يقول :

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبى الذى ترجى شفاعتـه عند الصراط إذا مازلت القدم
أنت البشير النـذير المستضاء به وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم
تخصـــهم بنعـــيم لانفـاد له والحور فى جنة المأوى لهم خدم
تعطى الوسيلة يوم العرض مغتبطا عند المهيمن إذ ماتحشر الأمم
والحوض قدخصك الله الكريم به يوما عليه جميع الخلق تزدحم
تسقى لمن شئت ياخير الأنام وكم قوم لعظم الشقا والبعد قدحرموا
صلى عليك إله العرش ما طلعت شمس وحنّ إليك الضال والسلم

قال العتبى ثم غلبنى النوم فرأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم . فقال ياعتبى أدرك الأعرابى وبشره أن الله قد غفر له :

ســلام على قبر النبى محمـــد نبى الهدى والمصطفى والمؤيد
وكان رسول الله أفضل من مشى على الأرض إلا أنه لم يخلد
شهدت على أن لانبوّة بعـده وأن ليس حى بعده بمخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه وخير الورى الهادى المشفع فى غد

لأن نصف الهدية له ونصفها لها بما جاهدت فى طاعة الله عز وجل وهم يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم ، فيكتفى الولى وزوجته والحور والولدان والخدم ولم تنقص تلك الموائد ولم تتغير ، وتلك الأطيار على الأغصان من فوق رؤوسهم يتجاوبون

وأكوابه مثل النجوم وحوضه لوراده فازوا بأعذب مورد
فياخير مبعوث إلى خير أمة ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك ياخير الأنام شفاعة بها أرتجى سؤلى وأبلغ مقصدى
عليك سلام الله ياخير مرسل وأشرف مخلوق وأكرم سيد

[وقال بعضهم] رأيت أنس بن مالك رضى الله عنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرف رضى الله عنه . وروى ابن وهب رضى الله عنه عن مالك رضى الله عنه أنه كان إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يدنو من القبر ويوجه وجهه إلى القبر ويسلم ويدعو ولايمس القبر بيده . ولزائر قبر النبي صلى الله عليه وسلم عشر كرامات : إحداهنّ يعطى أرفع المراتب ، الثانية يبلغ أسنى المطالب ، الثالثة قضاء المآرب ، الرابعة بذل المواهب ، الخامسة الأمن من المعاطب ، السادسة التطهير من المعايب ، السابعة تسهيل المصائب ، الثامنة كفاية النوائب ، التاسعة حسن العواقب ، العاشرة رحمة رب المشارق والمغارب . وقال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت له يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك يعنى الحجاج وغيرهم أتفقه قولهم ؟ قال نعم وأردّ عليهم . فيا أيها الكئيب انظر ما أجمل صفات هذا الحبيب ، وما أكرمه على القريب المجيب ، تسلم عليه من البعيد الأقصى فيردّ عليك السلام ، وتطلب شفاعته فيشفع لك عند الملك العلام ، وتنقطع عن زيارة قبره فيتشوق إليك على الدوام ، وتقعد عن المسير إليه لاشتغالك بالدنيا وجمع الحطام ، فيأتى إليك زائرا فى المنام ، فإن عزمت على المسير إليه ركبت ظهور الأنعام ، ولو أنصفت لسعيت على الرأس لاعلى الأقدام ، وهو ساترك فى الدنيا من الذنوب والآثام وشافعك غدا وقائدك إلى دار السلام ، فهل رأيت حبيبا يعامل أحبابه بهذه الأوصاف ، أو يلاطفهم بمثل هذه الألطاف ؟ تالله إنك مارأيت مثله ، ولاترى فكيف تطيق منه مصطبرا ، أم كيف لاتظهر عليه تلهفا وتحسرا ؟ هذا وقد بصرك بالكتاب والسنة فأصبحت متبصرا ، ووعدك بالجنة وكان لك مبشرا ، فيامن يدّعى حبه وقد كذب فى دعواه وافترى ، أين موافقتك لأفعاله ، أين اتباعك لأعماله وأقواله ؟ إنك والله لن تقفو من أثره أثرا ، أما بلغك أنه كان يبيت من الجوع طاويا ويصبح من التهجد ذاويا ، ومن الصيام خاويا ؟ وقد عرضت عليه الكنوز فلم يعرها نظرا . كان يقطع الليل سهرا ويبسط لمولاه كفا مفتقرا ، وينكس رأسا معتذرا ، ويسأل فى خلواته لأمته أن تدخل الجنة زمرا :

ياسائقا يطوى السباسب والثرى مهلا فان الخير فى أم القرى
لاتنزلن بغير طيبة إنها سطعت بأنوار الرسول كما ترى
عجبا لتربتها تداس ولو درى الماشى بها ماداس مسكا أذفرا
شوقى لتلك الأرض شوق موله ولع البكاء بطرفه فاستعبرا
ذو صبوة ماهبّ ريح هواكمو إلا وحنّ لطيبة وتذكرا
يهوى الضريح ويشتهى لوزاره ويودّ ذلك أنه لو قدرا *
ياعيشنا الماضى القديم بيثرب خلفت عندى حسرة وتفكرا
أترى يساعدنا الزمان ونلتقى ويعود غض العيش غصنا أخضرا
وأفوز بالحرم الشريف فانه حرم ضياء صباحه قد أسفرا
وأمرغ الخدّين فى الأرض التى اختار مدفنه بها وتخيرا
هى خير أرض شرفت وتقدست بحلول من هو فى الورى خير الورى

بتحميد الحق وتمجيده بأصوات تطرب الوجود لم يسمع السامعون أحسن منها والملائكة يحدثونهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ويبشرونهم ببشائر من ربهم ، فإذا أكلوا يأكلون أكلهم من غير جوع وإذا شبعوا لا يبولون ولا يتغوطون بل إذا شبعوا

المصطفى المختار أكرم مرسل ... للعالمين وخير من وطئ الثرى
هذا الذى ظهرت معاجزه فقل ... ماشئت عنه محدثا ومخبرا
من كفه نبع الزلال وعاد من ... بين الأصابع سائلا متفجرا
وكذاك عين قتادة قد ردها ... بعد العمى فرأى بها وتبصرا
وأتى لأخمصه البعير مقبلا ... وشكا إليه وقد أطال وأكثرا
نسجت عليه العنكبوت فبابه ... من بعد ذلك للبرية لايرى
وكذاك أشجار الفلاة أتت له ... سعيا وإنكارا على من أنكرا
وجريدة رجعت بكف محمد ... سيفا وعاد كما علمت مجوهرا
ورفاعة نقل الحديث منعنعا ... وبكل ما أخبرته لك أخبرا
وعليه سلمت الغزالة مثل ما ... أبدى البعير له السلام بلا مرا
والشاة لما أعجفت وهزالها ... للجسم أصبح مسقما ومغيرا
عجزت عن المرعى فلم ترعى وقد ... طوت الفؤاد من الطوى فتضمرا
وأمرّ راحته على ضرع لها ... فجرى وسحّ كمزنة وتحدرا
وله حنين الجذع أعظم شاهد ... فاشهد ودع من قال زورا وافترى
وكذا ذراع الشاة خاطبه فان ... أنكرت ذاك فقد فعلت المنكرا
والذئب جاء إلى النبى محمد ... قصدا ومرغ خده فوق الثرى
وبتفله فى البئر بعد ملوحة ... من ذاق منها ذاق حلوا سكرا
وانشق فى أفق السماء لأحمد ... قمر وخرّ من الثريا الثرى
والغار فيه عجائب مشهورة ... ظهرت وحق لمثلها أن يظهرا
وأتاه جبريل الأمين باذن من ... خلق الخلائق كيف شاء وصورا
ناداه قم وارق فى البراق باذن من ... رفع الطباق فأنت أكرم من سرى
وإذا الصباح تبلجت أنواره ... فلتحمدنّ هناك عاقبة السرى
فرقى على متن البراق وجال فى الملكوت ليلا والضحى ما أسفرا
وبسائر الأملاك صلى قائما ... شكرا وسبح ربه واستغفرا
ثم انتهى للمنتهى من سدرة ... والصدر حيث أقام زاد تصدّرا
ولاحمد جبريل قام مخاطبا ... سر آمنا سيرا سريعا أكبرا
فتقدّم المختار وهو مقدم ... دون الأنام ومن عداه تأخرا
قطع المسافة والمقامات التى ... وقف التفكر دونها وتحيرا
مازال إذ سمع الخطاب فلاتكن ... فيما سمعت مقدما ومؤخرا
والله خص محمدا بسلامه ... لما رقى ولقد رقى أعلى الذرا
فهو البشير الشاهد العلم الذى ... للناس أنذر حين جاء وبشرا
قسما لقد أعطى مواهب لم تكن ... لسواه فافهم سرّها وتدبرا
الله أعطاه الفضائل كلها ... وأناله ماقد أنال وأكثرا
فى حضرة الملكوت بان محله ... ولقد حوى قدرا هناك ومفخرا
وعليه قد دارت كؤوس محبة ... وبها تخصص وحده دون الورى

عرقوا عرقا أطيب رائحة من المسك تشربه الحلل التى عليهم ولا تتسخ ثيابهم ولا يفنى شبابهم ولا يفرغ نعيمهم بل هو دائم أبد الآبدين ، ثم يدعوهم الحق تبارك وتعالى إلى زيارته كل يوم جمعة مرة ، ومن القوم من يدعوهم فى كل سنة مرة ، ومن القوم

هبت على الأكوان منها نفحة فتمايلت طربا وخرّ لها حرا
من كان ساقيه الحبيب فكيف لا يزداد سكرا فى الوجود لما يرى
طوبى لمن قد ذاق منها قطرة ولو أنها بالكون أجمع تشترى
هى خمرة العهد القديم فمن سقى منها تكامل عقله وتجوهرا
قوموا ندامى الراح فى غسق الدجى فحبيبكم كشف الحجاب لمن يرى
ولحانها جدّوا المسير وشمروا فلقد يفوز بشربها من شمرا
للسكر أقوام له صلحوا لقد نالوا نصيبا من رضاه موفرا
قطعوا العلائق من سواه تلذذا بهواه حتى العسر صار ميسرا
باعوا الذى يفنى بما يبقى فقد ربحت تجارتهم فنعم المشترى
وجميع ما نالوا بجاه محمد وبجاهه محى الذى قد سطرا
صلى عليه الله ما اخترق العلا ركب تنجد فى المسير وغوّرا
وعليه صلى الله جل جلاله ما أم ركب فى الدجى أمّ القرى
وعليه صلى الله مالمع الضيا وأضاء قنديل الصباح ونورا

من يدعوهم فى كل شهر مرة، ومنهم من يشاهده كل ثلاث سنين، ومن القوم من يراه فى المدة كلها مرة واحدة وذلك على قدر منازلهم عند الله ومحبته وخدمتهم فى الدنيا لربهم وأما الذين يشاهدونه فى كل جمعة فالقوم الذين كسروا شبابهم وأفنوا

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : اللهم ارزقنا فى الدنيا زيارته وفى الآخرة شفاعته، وأحينا على محبته، وأمتنا على سنته، واحشرنا فى زمرته، وأرنا وجهه، واسقنا من حوضه، واجعلنا ممن فاز بصحبته ولا تخالف بنا عن طريقته وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المجلس الثالث والخمسون

فى مناقب الخلفاء الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الكريم الغفار، الحليم الستار، مكوّر الليل على النهار . وكل شىء عنده بمقدار، حارت فى قضاياه العقول والأفكار، وتاه فى بيداء أبديته أولو البصائر والاعتبار، قهر الجبابرة بقهر عزته فهو الواحد القهار، وكسر الأكاسرة بقوّة سطوته فهو العظيم الجبار . كوّن الأكوان ودبر الزمان فلا يحتاج إلى أعوان وأنصار، لا يقادر قدره ولا يستحق العبادة غيره، قد عم إحسانه سائر الأماكن وجميع الأقطار، يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء، ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، ولا فى قرار البحار . يعلم سر العبد عند مآله ومنقلبه، ويطلع على ضميره عند قصده وطلبه (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) فسبحانه من إله اصطفى واجتبى وانتقى وارتضى واختار (وربك يخلق ما يشاء ويختار) واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المنتخب ورسوله المختار، واجتبى أبا بكر الصديق وخصه بالتصديق والهيبة والوقار ؛ وانتقى للصواب عمر بن الخطاب فملأ ذكره وطاب للبادين والحضار ؛ وارتضى عثمان بن عفان لجمع القرآن فجمعه ما بين أخماس وأعشار ؛ واختار على بن أبى طالب لتفريق الكتائب وإظهار العجائب وإشهار ذى الفقار، فهم الذين نزل فى حقهم على لسان رسوله المختار (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) فأبو بكر مؤنسه فى الغار، وعمر وزيره وأمينه على الأسرار، وعثمان المقتول بيد العدوان شهيد الدار، وعلى بن أبى طالب ابن عمه ووارث علمه الفارس الكرار فهؤلاء خلفاؤه ووزراؤه

الأئمة الأبرار ، الذين وفوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم بعهودهم وقد جرت بسعودهم الأقدار ، وتابعوه وبايعوه على مايحب ويختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار ، وفى المعنى :

الطرف فى معناك حار ... يامن له أبدا يشار ... وحياة حبك لاسلو ... ت وإن سلوت على عار
كيف السلوّ وأنت فى ... قلبى وإن نأت الديار ... ياأيها الهادى البشي ... ر الهاشمى المستنار
قد خصك الله الكري ... م بصحبة الشيخ الوقار ... وكذاك فى عمر الذى ... عمر الشريعة باشتهار
والبرّ عثمان الذى ... نال الشهادة والفخار ... وعلىّ البطل الرضا ... مردى الطغاة بذى الفقار
فهم صحاب المصطفى ... ماخاب من بهم استجار ... فعليه صلى ربنا ... ماناح فى الصبح الهزار
وعلى الصحابة بعده ... مازمزم الحادى وسار

[وروى أبوذر رضى الله عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أدخل السرور على أصحابى فقد أدخل السرور علىّ ، ومن أدخل السرور علىّ فقد سرّ الله ، ومن سر الله كان حقا على الله أن يسره ويدخله الجنة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا فى قلب مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى » رضى الله عنهم أجمعين . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أجىء يوم القيامة وأبو بكر عن يمينى وعمر عن شمالى وعثمان من ورائى ، وعلى بين يدى ومعه لواء الحمد وعليه شقتان شقة من السندس وشقة من الإستبرق ، فقام إليه أعرابى فقال فداك أبى وأمى يارسول الله علىّ يستطيع أن يحمل لواء الحمد ؟ قال كيف لايستطيع حمله ، وقد أعطى خصالا : صبرا كصبرى وحسنا كحسن يوسف وقوة كقوة جبريل ، وإن لواء الحمد بيد على بن أبى طالب وجميع الخلائق يومئذ تحت لوائى » . روى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أبا بكر زوّجنى ابنته وحملنى على ناقته الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا ، رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار » . وفى المعنى :

همو صحابة خير الخلق أيدهم ... رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفى السقيم به ... فمن أحبهمو ينجو من النار

[وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم] أنه قال لأبى بكر رضى الله عنه « ياأبا بكر خلقنى الله عز وجلّ من جوهرة من نور ، فنظر إليها الربّ جلّ جلاله وتقدست أسماؤه ، فأوقفنى بين يديه فاستحييت منه فعرقت فسقط منى أربع نقط فخلقك ياأبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق عليا من الرابعة فنورك ياأبا بكر ونور عمر وعثمان وعلىّ من نورى » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، فاختار من أصحابى أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلىّ بن أبى طالب » رضى الله عنهم أجمعين . وروى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عزّ وجل افترض عليكم حبّ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أبغض واحدا منهم لم يقبل الله له صلاة ولازكاة ولاصوما ولاحجا ويحشر من قبره إلى النار » . وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لحوضى أربعة أركان فاول ركن منها فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد علىّ ، فمن أحبّ أبابكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحبّ عمر وأبغض عثمان لم يسقه عمر ومن أحبّ عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أبغض عثمان وأحبّ عليا لم يسقه علىّ ، فمن أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحبّ

أعمارهم فى خدمته من البلوغ إلى يوم الرحيل ، والذين يشاهدونه فى كل شهر مرة واحدة فهم القوم الذين أطاعوه وفيهم رمق الشباب ، والقوم الذين يرونه فى كل سنة مرة واحدة فهم الذين خدموا ربهم فى آخر عمرهم ، والقوم الذين يرونه فى المدة كلها

عمر فقد كتب من المؤمنين ، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بالنور المبين ، ومن أحبّ عليا فقد أحسن والله يحبّ المحسنين ، ومن أحسن الظن فيهم فهو مؤمن ، ومن أساء الظن فهو منافق» . وفى المعنى :

من أحسن الظن فى الله الكريم وفى رسوله كان مكتوبا من الشرفا
ومن أحبّ صحاب المصطفى فله جنات عدن يرى فى ظلها غرفا
ومن يكن باغضا فيهم فان له نار الجحيم ويضحى باكيا أسفا
فهم نجوم الهدى فى كل مظلمة والله حسبى فيما قلته وكفى

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] قال « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر الصديق رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مرحبا بالمواسى بماله مرحبا بالمؤثر على نفسه . ثم أقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال : مرحبا بالمفرّق بين الحق والباطل مرحبا بمن أكمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين . ثم أقبل عثمان بن عفان رضى الله عنه . فقال : مرحبا بصهرى وزوج ابنتى التى جمع به نورى ، السعيد فى حياته الشهيد فى مماته ، ويل لقاتله من النار . ثم أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال : مرحبا بأخى وابن عمى والذى خلقت أنا وهو من نور واحد» معاشر المسلمين هؤلاء لايتفق حبهم إلا فى قلب مؤمن ولايتفرق إلا فى قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله . وفى المعنى أيضا :

حب النبى على الإنسان مفترض وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه لايرمينّ أبا بكر بهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه ولا الخليفة عثمان بن عفان
ولا عليا أبا السبطين نعم فتى وصى به الله فى سر وإعلان
ركن الشريعة بحر العلم منتخب والبيت لايستوى إلا بأركان
شاعت مناقبه فى الناس كلهم مابين علم وأحكام وتبيان
لاتستطيع العدا منه محاربة ولو أتوه بأبطال وشجعان
فهم صحابة خير الخلق خصهم رب العباد بجنات ورضوان
فمن أحبهم قد نال منزلة عند الإله وجازاه باحسان
عليهم من سلام الله أطيبه ماناحت الورق فى أوراق أغصان

[وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « دخلت الجنة فبينا أنا أطوف فى رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت بيدى إلى ثمرة فأخذتها فانفلقت فى يدى على أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والأرض ولو أخرجت كفها لغلب ضوؤها ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت مابين السماء والأرض مسكا من رائحتها . فقلت للأولى لمن أنت ؟ قالت لأبى بكر الصديق . فقلت امضى إلى قصر بعلك فمضت . وقلت للثانية لمن أنت ؟ فقالت لعمر بن الخطاب فقلت امضى إلى قصر بعلك فمضت . وقلت للثالثة لمن أنت ؟ قالت للمختضب بدمه المقتول ظلما عثمان بن عفان فقلت لها امضى الى قصر بعلك فمضت . وقلت للرابعة لمن أنت ؟ فسكتت . ثم قالت ، والله يارسول الله إن الله تعالى خلقنى على حسن فاطمة : ولقد سمانى على اسمها وإن الله تعالى زوجنى من على بن أبى طالب رضى الله عنه قبل أن يتزوج فاطمة بألفى عام » ، فهم خلفاء النبى صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأصحابه ، وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة :

مرة واحدة فهم الذين قد أفنوا أعمارهم فى المعاصى ما أحبهم ربهم ولكن لما تابوا لم يخيبهم فهم أقل درجة أهل الجنة ؛ فبادروا أيام شبابكم بالطاعة واخدموا شوقا إلى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لأوليائه ، وذلك أنه إذا كان يوم الجمعة واسمه عند أهل الجنة المزيد يبعث

فهم صحاب المصطفى وهم الخواص من الأمم أهل المآثر والمفا خر والفتوة والكرم
وبعدلهم سادوا الورى وبنورهم تجلى الظلم خلفاء أفضل شافع للخلق فى يوم الندم
صلى عليه ربنا ماسحّ دمع وانسجم وعلى صحابته الكرا م الطاهرين أولى الشيم

وقيل إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانا فى بعض أشغال النبى صلى الله عليه وسلم فأدركتهما صلاة العصر . فقال عمر بن الخطاب لعثمان رضى الله عنهما تقدم فصلّ بنا . فقال عثمان رضى الله عنه : أنت أولى منى بالتقدم ياعمر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمك وأثنى عليك . فقال عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نورى» . فقال عثمان رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عمر أكمل الله به الإسلام» . فقال عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «عثمان تستحى منه الملائكة» . فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «عمر كمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين»، فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن» . فقال عثمان رضى الله عنه: أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام» . فقال عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك : « غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة » . فقال عثمان رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك : «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل» ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض :

طوبى لمن قلبه بالله مشتغل يبكى النهار وطول الليل يبتهل
خوف الوعيد وذكر النار أذهله والدمع منه على الخدين ينهمل
يهوى صحابة خير الخلق كلهم فحبهم واجب يرجى به الأمل
الله فضلهم حقا وشرّفهم بالمصطفى وبه قد ضاءت السبل
صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب ماحست له الإبل

[وروى أبو هريرة رضى الله عنه] أن أبا بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما قدما يوما إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألحّ عليه . فقال أبو بكر تقدم أنت ياعلى . فقال على رضى الله عنه ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : «ماطلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق» . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما كنت بالذى يتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خير النساء لخير الرجال» . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبى بكر الصديق» . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أراد أن ينظر الى آدم عليه السلام

الله عز وجل إلى أبواب المقابر تفاحا من عنده فيسلمون الى كل ولى تفاحة، فإذا أمسكها الولى فى يده انشقت نصفين ويخرج من وسطها جارية معها كتاب مختوم . فتقول : السلام يقرئك السلام ، وهذا كتابه إليك فيفتحه فإذا فيه مكتوب هذا كتاب من

والى يوسف وحسنه والى موسى وصلاته والى عيسى وزهده والى محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه فلينظر الى على» . فقال على رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا اجتمع العالم فى عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عزوجلّ يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوبك الجنة» . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخيبر وقد أهدى اليه تمر ولبن : « هذه هدية من الطالب الغالب إلى على بن أبى طالب» . فقال على رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنت ياأبا بكر عينى» . فقال أبو بكر أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يجىء علىّ كرم الله وجهه على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد يامحمد كان لك فى الدنيا والد حسن وأخ حسن . أما الوالد الحسن فأبوك ابراهيم الخليل . وأما الأخ فعلىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه» . فقال علىّ رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان يوم القيامة يجىء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول : ياأبا بكر الربّ جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار . ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت الى النار» . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن جبريل عليه السلام أتانى فقال لى يامحمد إن الله عزوجلّ يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا فسجدت شكرا ، وأحب فاطمة فسجدت شكرا ، وأحبّ حسنا وحسينا فسجدت شكرا » . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « لووزن إيمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح عليهم » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن عليا يجىء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن ، فيقول أهل القيامة : أى نبى هذا ؟ فينادى مناد ، هذا حبيب الله ، هذا علىّ بن أبى طالب » . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «غدا يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين قصرى وقصر ابراهيم الخليل قصر علىّ بن أبى طالب» . فقال علىّ رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل السموات من الكروبيين والروحانيين والملأ الأعلى لينظرون فى كل يوم إلى أبى بكر الصديق» . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه وحق أهل بيته (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) فقال علىّ رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه (والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون) فنزل جبريل عليه السلام الى الصادق الأمين ، من عند رب العالمين. وقال يامحمد العلىّ الأعلى يقرئك السلام ، ويقول لك إن ملائكة السبع السموات لينظرون فى هذه الساعة إلى أبى بكر الصديق وإلى على بن أبى طالب ويستمعون ماجرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض فقم اليهما وكن ثالثهما فان الله تعالى قد حفهما بالرحمة والرضوان ، وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم إليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم وجه كل واحد منهما . وقال :

الله العزيز العليم إلى فلان ابن فلان : إنى قد اشتقت إليك فزرنى إن كنت تشتاق إلىّ ، فيقول ومن أنا حتى يسأل عنى إنما ذلك من تفضله سبحانه ، فاذا كان سيدى ومولاى يشتاق إلىّ فأنا إليه أشد شوقا ، فيركب الرجال النجائب والنساء الهوادج وتسير جميع الرجال إلى

وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مدادا ، والأشجار أقلاما ، وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما :

من ذا يطيق بأن يحصى الثناء على ... محمد وعلى الصدّيق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة ... وحاز عزا وفخرا فى مراتبه
وحاز عثمان فضلا بالنبى وقد ... أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار علىّ المرتضى فله ... بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا ... ضاقت عليه أمور فى مذاهبه
عليهم صلوات الله مالمعت ... فى الليل أنوار برق فى غياهبه

[وروى عن محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه] قال : رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة . فقلت ماالذى رغبك عن دين آبائك ؟ فقال بدلت خيرا منه . قلت : فكيف كان ذلك ؟ فحكى لى أنه ركب فى البحر . قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب بنا فتعلقت على لوح فما زالت الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب . قال فقلت الحمد لله على ذلك ، فها أنا آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتى الله بالفرج ، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسى من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن منها ، فلما كان فى وسط الليل إذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى ، وتقول بلسان فصيح : لاإله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبى المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار ، عمر الفاروق فاتح الأمصار ، عثمان القتيل فى الدار ، على سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ، ومأواه النار وبئس القرار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر ، فلما طلع الفجر قالت : لاإله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادى الرشيد ، أبو بكر الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان الفضيل الشهيد ، على بن أبى طالب ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد ، فلما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسى الهلكة فهربت منها ، فالتفتت إلى وقالت قف وإلا تهلك ، فوقفت . فقالت لى مادينك ؟ فقلت النصرانية ! فقالت ويحك ياخاسر ارجع إلى الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن لاينجو منهم إلا من كان مسلما ! فقلت وكيف الإسلام ؟ قالت تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها ! فقالت كمل إسلامك بالترضى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . قلت ومن أتاكم بذلك ؟ قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول « إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق : إلهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى ؟ فيقول الجليل جل جلاله : قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وزينتك بالحسن والحسين » ثم قالت لى الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت الرجوع إلى أهلى ، فقالت امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكانى ونزلت الدابة البحر فما غابت عن عينى حتى مرّ علىّ مركب وفيها ركاب ، فأشرت إليهم فحملونى فاذا فى المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فأخبرتهم خبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم ، فعلمت أن لهؤلاء الأقوام سرا عند الملك العلام ، إذ ببركتهم حصل لى الإسلام ونلت أعلى مقام :

قوم لهم عند رب العرش منزلة ... وحرمة وبشارات وإكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا ... بوصفه فهمو للناس أعلام

سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والنساء عند فاطمة الزهراء ؛ ويركب النبى صلى الله عليه وسلم البراق ويعقد له لواء الحمد وهو أربعة آلاف شقة من السندس الأخضر مكتوب عليه بالنور : أمة مذنبة ورب غفور ، ويعقد اللواء فترفعه الملائكة على أعمدة من نور فوق رأس

فى أبى بكر الصديق قد وردت آثار فضل لها فى الذكر أحكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه به تكمل فى الآفاق إسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له فى الليل ورد وبالقرآن قوام
وللامام على المرتضى منح له احترام وإعزاز وإكرام
هم الصحابة للهادى بهم وضحت طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سلام الله أطيبه ماأفطر الناس يوم الشك أوصاموا

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الرابع والخمسون

فى ذكر الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذى أنشق أهل صفوته من طيب محبته نسيما ، ونادمهم فى الأسحار بلذيذ الأذكار فأصبح لهم نديما ، وسقاهم من الكؤوس المصفاة فى خلوة المناجاة شرابا صرفا قديما ، وتجلى عليهم فهاموا وجدا به وحق لواجدهم أن يكون لهيامه عليما ، وبصرهم بهداهم وآتاهم تقواهم وهداهم صراطا مستقيما ، وأرسل إليهم رسولا كريما ، ونبيا مبجلا عظيما ، وأنزل عليه فى كتابه العزيز تفضيلا له وتكريما (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) ياله من نبى شرف الله به زمزم وحطيما ، وخصه باجتبائه واصطفائه سماه اسمين من أسمائه رءوفا رحيما ، فمن تمسك بشريعته نال فضلا جسيما ، وحاز فى الجنة نضرة ونعيما ، كم أطلق أسيرا وآثر مسكينا عديما ، وكم جبر كسيرا وأغنى فقيرا ورحم يتيما ، توسل به آدم فألهم الصلاة عليه فعاد عزيزا كريما ، ودعا به نوح فأضحى من الغرق سليما ، واستغاث به الخليل فصارت النار عليه بردا وسلاما ، لما أكثر عليه صلاة وتسليما ، واستجار به إسمعيل فأغيث بالفداء وكان للنعم بعد الردى مستديما ، وصلى عليه موسى فأضحى مخاطبا وكليما ، وبشر به عيسى فنال رفعة وتقديما ، وسلمت عليه الأشجار والأحجار وصلت عليه الملائكة الأبرار فحصل لهم الفخار عند من لم يزل عظيما ، فيامعشر العصاة ماأغفلكم عن الصلاة عليه فانها تكفر ذنبا عظيما ، وتورث عزا وتكريما ، فأكثروا من الصلاة عليه وافعلوا ماندبكم مولاكم إليه تلقوا جنة ونعيما وتجنبوا عذابا وجحيما . فقد قال فى حقه من جمع بين خلقه وخلقه (وكان بالمؤمنين رحيما) وبشر من صلى عليه من أمته بالفضل فى جنته . فقال تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) فأكثروا من الصلاة عليه فانها تجلو هموما وتشفى سقيما ، وقد أمركم الله تعالى بالصلاة عليه تنبيها لكم وتفهيما ، وتذكيرا لكم وتعليما (إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) :

جل الذى بعث الرسول رحيما ليردّ عنا فى المعاد جحيما وبه نرجى جنة ونعيما
أضحى على البارى الكريم كريما صلوا عليه وسلموا تسليما

ماضل عن وحى الإله وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى الصادق الثقة الأمين بما روى
قد نال من رب السماء علوما صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى له الروح الأمين مبشرا نادى به ياخير من وطىء الثرى أجب المهيمن يامحمد كى ترى
ملكا كبيرا فى السماء عظيما صلوا عليه وسلموا تسليما

النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تسير خلفه السادات من أمته صلى الله عليه وسلم وهو عسكر عظيم على خيولهم بأيديهم رايات الوصال فيسيرون حتى يصلوا إلى قصر آدم عليه السلام . فيقول آدم ماهذا ؟ فتقول الملائكة هذا ولدك محمد صلى الله عليه وسلم وأمته دعاهم الله تعالى إلى زيارته

فأجابه

فأجابه المختار حين دعا به رب السموات العلى لخطابه ركب البراق وقد أتى لجنابه
أمسى له الروح الأمين نديما صلوا عليه وسلموا تسليما
فمتى أرى الحادى يبشر باللقا ويضمنا بان المحصب والنقا وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا
مولى رحيما لن يزال حليما صلوا عليه وسلموا تسليما
وأقول للزوار فزتم بالمنى يهنا كمو طيب المسرة والهنا فاستبشروا من بعد فقر بالغنى
فالله زادكمو به تكريما صلوا عليه وسلموا تسليما
ثم الرضا عن آله الكرماء وكذاك عن أصحابه الخلفاء فهواهمو دينى وعقد ولائى
قوم تراهم فى المعاد نجوما صلوا عليه وسلموا تسليما

[وروى أبو طلحة رضى الله عنه] قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق فقلت يارسول الله مارأيتك كاليوم أطيب نفسا ولاأظهر منك بشرا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومالى لاتطيب نفسى وقد جاءنى جبريل عليه السلام الساعة فقال يارسول الله من صلى عليك صلاة من أمتك كتبت له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات وقال له الملك مثل ماقال». وفى لفظ آخر «وردّ الله تعالى عليه مثل قوله».

[وروى عن عائشة رضى الله عنها] قالت: «كنت أخيط شيئا فى وقت السحر فسقطت الإبرة منى والطفأ المصباح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الإبرة فقلت ماأضوأ وجهك يارسول الله صلى الله عليك؟ فقال ياعائشة الويل لمن لم يرنى يوم القيامة. قالت فقلت: ومن الذى لم يرك يوم القيامة؟ قال البخيل. فقلت ومن هو البخيل يارسول الله؟ قال الذى إذا ذكرت عنده لم يصلّ علىّ».

[وروى أبوهريرة رضى الله عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلوا علىّ فان صلاتكم علىّ زكاة لكم، وسلوا الله تعالى لى الوسيلة. قالوا يارسول الله وما الوسيلة؟ قال: أعلى درجة فى الجنة لاينالها إلارجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»:

أحمد المصطفى سراج منير خاتم الرسل صادق الأنباء خص بالحوض والشفاعة فى الحشـ
ـر لكل الورى ورفع اللواء والمقام المحمود والسبق للنا س دخولا فى الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة وهى أعلى درجات الجنان دار البقاء
فعليه الصلاة فى كل وقت وزمان يبقى على الآناء

[وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على عشية الخميس نزلت الملائكة وبأيديهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب يكتبون عشية الخميس ليلة الجمعة ويوم الجمعة وعشية الجمعة صلاة من يصلى على فأكثروا من الصلاة على يوم الجمعة». وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على صلاة واحدة ليلة الجمعة أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ويبعث إلى ملكا يدخل على فى قبرى ويخبرنى باسمه ونسبه وعشيرته فأكتبه عندى فى صحيفة بيضاء» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملائكة سياحين يبلغون إلىّ صلاة من يصلى على فى مشارق الأرض ومغاربها فمن صلى على كل يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تباهوا بالصلاة علىّ فانها تبلغنى». وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال

فيقول آدم ياحبيبى يامحمد قف حتى أجىء، فان الله سبحانه وتعالى قد دعانى فينزل آدم عليه السلام وتركب أولاده شيث وهابيل وإدريس والصالحون تلك الخيول ثم يسيرون إلى موسى فيسمع موسى عليه السلام صهيل الخيل وخفض أجنحة الملائكة، فيقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة ، وماجلس قوم مجلسا ولم يصلوا فيه علىّ إلا كانت عليهم حجة يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وإن شاء آخذهم بها » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة تحت ظل عرش الرحمن عز وجل يوم لاظل إلاظله، قيل من هم يارسول الله ؟ قال: من فرّج عن مكروب من أمتى ، ومن أحيا سنتى ، ومن أكثر الصلاة علىّ » .

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » .

صلوا على هذا النبي الكريم تحظوا من الله بأجر عظيم وتظفروا بالفوز من ربكم
وجنه فيها نعيم مقيم طوبى لعبد مخلص فى الورى صلى على ذاك الجناب الكريم
وقد غدا من فرط أشواقه يحبه فى كل واد يهيم

[وروى] أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علىّ تعظيما لحقى خلق الله تعالى من ذلك الفول ملكا أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الأرض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى: صلّ على عبدى كما صلى على نبيي فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عندالاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لاإله إلاالله رجح ميزانه ، ومن صلى علىّ كنت شفيعه يوم القيامة » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى وكل بقبرى ملكين فلاأذكر عند مسلم فيصلى علىّ إلا قال الملكان مجيبان له : غفر الله لك . فيقول حملة العرش والملائكة جوابا للملكين آمين ، ولاأذكر عند أحد فلايصلى علىّ إلاقال الملكان له : لاغفر الله لك ، ويقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ماجلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير الصلاة على إلا تفرقوا على أنتن من جيفة الحمار ومامن مجلس يصلى على فيه إلافاحت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على محمد صلى الله عليه وسلم » وإن للصلاة عليه رائحة تفوق روائح جميع الطيب تعرفها الملائكة فتميزها من سائر الطيب :

إن الصلاة على المختار إن ذكرت فى مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا
فأسكر القوم رياه فتعرفه الأملاك لما تبدى النور واضحا
والقوم فى حضرة بالذكر طيبة هذا ومحبوبهم فى القلب مابرحا
محمد أحمد المختار من مضر أزكى الخلائق جمعا أفصح الفصحا
صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب نعم السادة النصحا

[وروى أنه صلى الله عليه وسلم] قال « لن يلج النار من صلى على » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على مائة مرة تزحزحت النار عنه مائة عام » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « أكثركم على صلاة أكثركم فى الجنة أزواجا » ، وروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تبارك وتعالى يامحمد من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » :

سلام على نور هدينا بنوره وعزّ سموّا قدره عن مناله سلام على من لم أذق صد بعده
ولم أرتقب فى النوم طيف خياله سلام على من عمنا لطف فضله ولم نخل من إكماله وجماله
عليه سلام الله ماذر شارق وما لاح برق مخبرا عن وصاله

ماهذا ؟ فتقول الملائكة هذا أخوك محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول ياحبيبي يامحمد قف حتى أجيء ، فان الله تعالى قد دعانى ، فيهبط موسى عليه السلام والصالحون من قومه فيصلون إلى روح الله عيسى عليه السلام، فيقول عيسى ماهذا الضجيج ؟

[وروى أنه صلى الله عليه وسلم] قال « إن العبد ليسأل الحاجة ولا يصلى علىّ عقيب سؤاله فترفع الحاجة على سحابة فإذا صلى علىّ قضيت حاجته واستجيبت دعوته وفتحت له أبواب السماء » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علىّ صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لايكتبا عليه عمل ثلاثة أيام » وروى « أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله عز وجل بيض على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله عز وجل هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتهالك ذخيرة » :

لأحمد فضل لايحدّ ولا يحصى ... وليس له فى الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلى مذنبـــا ومقصرا ... فجاه رسول الله قد جبر النقصا
فيافوز من صلى عليه من الورى ... فـــذاك بتثقيل لميزانه خصـا
هو القرشى الهاشمى الذى سرى ... من المسجد الأسنى إلى المسجد الاقصى
نبىّ دنا من قاب قوسين مذ دنا ... فسبحان من وصى إليـه بما وصى
عليه صلاة لا انتهـــاء لوصفها ... من الله ربى لاتعـد ولا تحصى

فتقول الملائكة هـذا محمد صلى الله عليه وسلم قد دعاه الله إلى زيارته ، فيطلع عيسى عليه السـلام من قصره ويقول ياحبيبى ياحمد اصبر حتى أجىء إليك ، فان الله سـبحانه وتعـالى قد دعانى ، ثم يسيرون إلى مشـاهدة الحق عزّ وجل تحت لواء

[وروى] جابر بن عبد الله رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وأمسى وقال : اللهم يارب محمد وآل محمد صلّ على محمد وآل محمد واجز محمدا صلى الله عليه وسلم ماهو أهله أتعب كاتبيه ألف صباح ولم يبق لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق إلا أدّاه إياه وغفر له ولوالديه وحشر مع محمد وآل محمد » وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أنه قال : لماخلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فرأى عليه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقال : أى رب هل تخلق خلقا هو أعز عليك منى ؟ فقال نعم نبيا من ذريتك ، فلما خلق الله تعالى له حوّاء وركب فيه الشهوة قال يارب زوجنى بها ؟ قال الله تعالى أدّ مهرها . قال رب وما مهرها ؟ قال أن تصلى على صاحب هذا الاسم مائة مرة ، قال إن فعلت تزوجنيها . قال نعم فصلى آدم على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها :

أنت الذى صلى عليك الله يا ... خيرالورى فى ذكره وكذاقرى
وأبوك آدم إذ رأى حوا وقد ... زينت بأنواع الحلى والجوهر
صلى عليك فكان ذلك مهرها ... والحور بين مهلل ومكبر
أنت الذى حقا عليه سلمت ... وحش الفلا فى كل بر مقفر
صلى عليك الله ياخير الورى ... ماناح قمرى بغصن أخضر

[وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما] قال « جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ ناقته على باب المسجد ، ثم دخل فقعد بإزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى أربه وأراد أن يقوم قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله النـاقة التى مع الأعرابىّ مسروقة فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إليه ، ثم قال له ماتقول ؟ فأطرق رأسه وجعل يضرب الأرض بسبابته فأنطق الله تعالى الناقة من وراء البـاب . فقالت يارسول الله والذى بعثك بالحق بشيرا ونذيرا ماسرقنى هذا الرجل ، وإنما سرقنى غيره وإن هذا ابتاعنى بماله وإنه لبرىء غير آثم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى : بالذى أنطقها ببراءتك ماقلت حين أطرقت برأسك وضربت الأرض بسبابتك ؟ فقال يارسول الله قلت : اللهم لست بربّ استحدثناك ولامعك شريك فى ملكك أعانك على خلقنا ، أنت كما نقول وفوق مانقول أسـألك يارب أن تصلى على محمد

وعلى آل محمد وتبرئنى ببراءة مما أنا فيه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذى بعثنى بالحق لقد رأيت الملائكة ازدحموا على أفواه السكك يكتبون مقالتك ، فمن أصابه مثل ما أصابك فقال مثل مقالتك برأه الله تعالى مما نزل به » :

هذا النبي محمد خير الورى ... ونبيهم وبه تشرف آدم
وله البها وله الحياء بوجهه ... كل السنا من نوره يتقسم
هو فى المدينة ثاويا بضريحه ... حقا ويسمع من عليه يسلم
وإذا توسل مستضام باسمه ... زال الذى من أجله يتوهم
يافوز من صلى عليه فانه ... فى جنة المأوى غدا يتنعم
صلى عليه الله جل جلاله ... ماراح حاد باسمه يترنم

[وروى] أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحابرهم ، فيقول الله تبارك وتعالى لجبريل ياجبريل اقض حوائجهم فانهم كانوا يصلون كثيرا على النبي صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة . وقال بعض الصوفية : كان لى جار مسرف على نفسه ، فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام . فقلت له بم نلت هذه المنزلة ؟ قال حضرت مجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليه ورفع صوته بها وجبت له الجنة فرفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت صوتى معه وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم . وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتانى جبريل عليه السلام يوما . فقال لى يامحمد قد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك ولا بعدك وهى أن الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر له ان كان قائما قبل أن يقعد وإن كان قاعدا قبل أن يقوم فعندها خرّ النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا لله تعالى شكرا على ذلك » :

ألا يارسول الله ياخير مرسل ... عليك صلاة الله لاتتناهى
فيا فوز من صلى عليك من الورى ... صلاة يعم الكون منك سناها
عليك صلاة الله يا أشرف الورى ... محلا ويا أعلى البرية جاها
عليك صلاة الله ماسار راكب ... إلى طيبة بالذكر طاب رباها
عليك صلاة الله ماهبت الصبا ... وفاح بعرف المسك طيب شذاها

[وروى] أن امرأة رأت ولدها بعد الموت يعذب فحزنت لذلك وبكت ، ثم رأته بعد ذلك وهو فى النور والرحمة فسألته عن ذلك ؟ . فقال مرّ رجل بالمقبرة فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبي من ذلك المغفرة فغفر لى . وقال بعض العارفين : صليت ليلة ، فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى نسيتنا من الصلاة علينا . فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله عز وجل . فقال : أما علمت أن الله سبحانه وتعالى لايقبل الثناء عليه إلا بالصلاة علىّ ولا يجاب الدعاء إلا بالصلاة علىّ ولاتقضى الحاجات إلا بالصلاة على ، ألم تسمع قوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) :

صلوا على من أتت حقا بشائره ... الهاشمى الذى طابت عناصره
هو الرسول الذى عاشت رسالته ... فى الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو النبي الذى تأتى الملوك له ... على الرؤوس فتأتيهم مفاخره

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الرجال على الخيول والنساء على الهوادج ، فإذا وصلوا تمضى الملائكة النساء إلى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، والرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزلون إلى ميدان أرضه من المسك يسمى حضرة القدس وفيه كراسى منصوبة من ياقوت ، وكراسى من

هو الطبيب لداء الناس كلهم يشفى السقيم وللكسور جابره
صلى عليه إله العرش ماطلعت شمس وماناح فوق الغصن طائره

[قال سفيان الثورى رضى الله عنه] بينما أنا فى الطواف إذ رأيت رجلا لايرفع قدما ولايضع قدما ، إلا وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ياهذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك فى هذا شيء ؟ . فقال من أنت عافاك الله ؟ فقلت أنا سفيان الثورى . فقال لولا أنك غريب فى أهل زمانك لما أخبرتك عن حالى ولا أطلعتك على سرى ثم قال خرجت أنا ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام ، حتى إذا كان فى بعض المنازل مرض والدى فقمت لأعالجه . فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسودّ وجهه فقلت (إنا لله وإنا اليه راجعون) مات والدى واسود وجهه فجذبت الإزار على وجهه فغلبتنى عيناى فنمت ، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ، ولا أنظف ثوبا ولا أطيب ريحا ، يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدى فكشف الازار عن وجهه ومرّ بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض . ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت يرحمك الله ، فقد منّ الله بك على والدى فى دار الغربة . قال أو ماتعرفنى ، أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن . أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ، ولكن كان يكثر الصلاة علىّ فلما نزل به ماترى استغاث بى ، وأنا غياث من أكثر الصلاة علىّ ، فانتبهت فإذا وجهه أبيض

ياءمن يجيب دعا المضطر فى الظلم ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
شفع نبيك فى ذلى ومسكنتى واستر فانك ذو فضل وذو كرم
واغفر ذنوبى وسامحنى بها كرما تفضلا منك ياذا الفضل والنعم
إن لم تغثنى بعفو منك يا أملى واخجلتى واحيائى منك واندمى
وقد وعدت بأن تدعو تجيب لنا وقد دعونا فجد بالعفو والكرم

[إخوانى] أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم ، فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدى إلى الصراط المستقيم ، وتقى قائلها عذاب الجحيم ، ويحظى فى الجنة بالنعيم المقيم ، وقد قيل فى بعض الروايات : إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات : إحداهن صلاة الملك الغفار ، الثانية شفاعة النبي المختار ، الثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار ، الرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، الخامسة محو الخطايا والأوزار ، السادسة قضاء الحوائج والأوطار ، السابعة تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة النجاة من النار ، التاسعة دخول دار القرار ، العاشرة سلام العزيز الجبار :

يارب صل على الهادى البشير ومن له الشفاعة فى العاصى أخى الندم
يارب صل على المختار من مضر أزكى الخلائق من عرب ومن عجم
يارب صل على خير الأنام ومن ساد القبائل فى الأنساب والشيم
يارب صل على مولى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
صلى عليه الذى أعطاه منزلة عليا إذكان حقا أفضل الأمم
صلى عليه الذى أسرى به فرقى لقاب قوسين لم يدرك ولم يرم
صلى عليه الذى أعلاه مرتبة ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
صلى عليه صلاة لا انقطاع لها مولاه ثم على صحب وذى رحم

اللهم صل على سيدنا محمد الذى شرفته على سائر الأنام ، ورفعته إلى أشرف محل ومقام ، وجعلته هاديا إلى دين الاسلام ، ودليلا إلى دار السلام ، اللهم فكما أمرتنا بالصلاة عليه فبلغ اللهم

ذهب ، وكراسى من فضة وفوق تلك الكراسى مراتب خضر وكراسى من نور ، فتأخذ الملائكة بأيديهم فيجلس كل واحد منهم على مرتبة ويجلسون قوما منهم على تلك الكراسى ، وقوما منهم على كثبان من المسك على قدر منازلهم عند الله عزّ وجل ودرجاتهم ، ثم يسلم

صلاتنا منا عليه إليه يارب العالمين ، اللهم احشرنا فى زمرته ، واجعلنا ممن فاز بمتابعته ، وائتمر بشريعته واهتدى بسنته ، واقتدى بصحابته . اللهم أوردنا حوضه ، وأرنا وجهه ولاتحرمنا شفاعته ، واجمع بيننا وبينه ، فى مستقرّ الرحمة والرضوان ، ودار السلام برحمتك ياذا الجلال والإكرام .

المجلس الخامس والخمسون

فى فضل قول : لا إله إلا الله ، جعلنا الله وإياكم من أهلها وتقبل منا ومنكم قولها

الحمد لله الذى لايعلم ماهو إلا هو ، ولا يغفر الذنوب ويستر العيوب إلا هو ، ولايكشف الكروب ويجبر القلوب إلا هو ، جل عن النظائر والأشباه ، وتقدّس عن الالتباس والاشتباه ، وهو الله لا إله إلا هو ، فهو المحمود الذى لايحمد على المكاره إلا هو ، المشكور الذى لايشكر على السراء والضراء إلا هو ، الكريم المقصود الذى لايعرف بالكرم والجود إلا هو ، الرحيم الودود الذى لايقصد بالركوع والسجود إلاهو ، القديم الذات البديع الصفات الذى لايدعى لكشف الكربات إلا هو (وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو) إليه أمركم وعليه رزقكم وهو حسبكم (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو) لانت لعظمته الجلامد ، وقامت على وحدانيته الشواهد (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو) كيف ينكر وجوده أهل الطغيان والغى وهو الحى الذى لا إله إلا هو ، كيف تجحد وحدانيته ، أم كيف تنكر فردانيته ، وقد (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قدر بحكمته الأشياء ، وخلق بقدرته الظلام والضياء ، (هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلاهو) ساتر العيب وراحم الشيب (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) ، كيف لايجود بالمتاب لمن أناب وهو (غافر الذنب وقابل التوب) شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو) ، فاضرب أيها الموحد بسيف التنزيه رقاب أهل التشبيه ، واحذر بأن تفوه بمثل مافاهوا ، (فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو) الأولياء فى حذر من مكره لايغفلون عن خدمته ولايفترون عن ذكره ، والكافرون عسر عليهم ذلك وشق (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو) فلا يغرنك ياهذا شيطانك الغرور ولاتركن إلى الجاحد الكفور ، ولاتتكاثر بدنياك وتتفاخر (ولاتدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو) :

الله ربى لا أريد سواه ... هل فى الوجود حقيقة إلا هو
يامن له وجب الكمال بذاته ... فالكل غاية فوزهم لقياه
أنت الذى لما تعالى جدّه ... قصرت خطا الألباب دون سناه
أنت الذى امتلأ الوجود بحمده ... لما اغتدى ملآن من نعماه
سبحان من خرق الحجاب لعبده ... وهداه منهج قصده فرآه
سبحان من ملأ الوجود أدلة ... ليلوح ما أخفى بما أبداه
سبحان من ظهر الجميع بنوره ... فبه يرى الأشياء من صافاه
سبحان من أحيا قلوب عباده ... بلوائح من فيض نور هداه
فالعارفون مشاهدون لصنعه ... مستغرقون بذكرهم إياه
مولاى أنسك لم يدع لى وحشة ... إلا محا ظلماتها بسناه *
مولاى أنت الواحد الفرد الذى ... ملأ الوجود صفاته وهداه
عجز الأنام عن امتداحك إنه ... تتصاغر الأفكار دون مداه
من كان يعرف أنك الحق الذى ... بهر العقول فحسبه وكفاه

عليهم الحق سبحانه وتعالى رجلا رجلا وامرأة امرأة والنساء الصالحات يجلسن جميعهن عند السيدة فاطمة الزهراء فى إيوان من درة بيضاء تحت شجرة طوبى وتنصب لهم كراسى على قدر درجاتهم . نسأل الله أن يمتعنا بذلك من فضله وكرمه ، ويسلم عليهم الحق امرأة امرأة ورجلا

وإذا أردت بأن تفوز وترتقى درج العلا وتنال منه رضاه
أدم الصلاة على محمد الذى لولاه مافتح المكبر فاه
وله الوسيلة واللواء وكوثر يروى الورى وكذا يكون الجاه
صلى عليه الله ماسرت الصبا وتعطرت بمديحه الأفواه

قال الله تبارك وتعالى : (شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام) . قال سعيد بن جبير : كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما . فلما نزلت (شهد الله أنه لاإله إلا هو الآية) خرّت ساجدة ، وعن ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب ، وصنعه المتقن الغريب ، وأموره المحكمة ـ لنفسه عند خلقه أنه لا إله إلا هو . وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة ، فقام يتهجد من الليل فمرّ بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ، ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى لى عند الله وديعة ، (إن الدين عند الله الاسلام) ، قالها مرارا . فقلت فى نفسى : لقدسمع فيها شيئا فصليت معه وودعته . ثم قلت له سمعتك تردد هذه الآية ، فما بلغك فيها ؟. قال والله لا أحدثك إلى سنة ، فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة . فلما مضت السنة ، قلت له يا أبا محمد : قد مضت السنة . فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يجاء بصاحبها يوم القيامة ، فيقول الله تعالى إن لعبدى هذا عندى عهدا ، وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبدى الجنة : وقيل ان من قرأ (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة الآية) : عند منامه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفرله إلى يوم القيامة :

ما فى الوجود سواك ربّ يعبد كلا ولا مولى سواك فيقصد
يامن له عنت الوجوه بأسرها ذلا وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الفرد الذى كل القلوب له تقر وتشهد
يامن تفرّد بالبهاء وبالسنا فى عزّه وله البقاء السرمد
يامن له وجب الكمال بذاته فلذاك تشقى من تشاء وتسعد

[وقال ابن عباس رضى الله عنهما] فى قوله تعالى (غافر الذنب) يعنى لمن يقول لا إله إلا الله (وقابل التوب) لمن يقول لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا إله إلا الله . وقال تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال ابن عباس : العهد شهادة أن لا إله إلا إلا الله . وقال تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال علىّ رضى الله عنه : كلمة التقوى قول لاإله إلا الله . وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب) أى قول لا إله إلا الله . وقال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى من جاء بقول لا إله إلا الله . وقال بعض أهل العلم : قول لا إله إلا الله حرز منيع وحصن حصين ، فمن قال لا إله إلا الله تحصن من كل سوء لقوله عليه السلام « مجدوا ربكم بقول لا إله إلا الله فإن الله تبارك وتعالى يقول هى حصنى ، ومن دخل حصنى أمن عذابى » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لو يعلم المذنبون مافى قول : لا إله إلا الله لأكثروا من ذكرها فان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا إله إلا الله أربعة وعشرون حرفا كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة . وقيل إن العبد إذا قال لا إله إلا الله فى ساعة من نهار أوليل طاش مافى صحيفته من الذنوب والخطايا حتى

رجلا ، يقول الله سبحانه وتعالى : مرحبا بعبادى وأوليائى وأهل طاعتى وخدمتى ومحبتى ياملائكة أضيفوهم ، فتقدم لهم الملائكة موائدمن الدرعليها ألوان الأطعمة ، فإذا أكلوا يقول الله سبحانه وتعالى : مرحبا بعبادى ياملائكتى اسقوهم فتقدّم إليهم الملائكة أقداحا من

تسكن إلى أمثالها من الحسنات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى بعثهم ولا فى نشورهم ، وكأنى بهم وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم ، وهم يقولون : لاإله إلا الله حتى يدخلوا الجنة ، فيقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفورشكور » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أىّ الأعمال أفضل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى للملائكته قربوا منى أهل لا إله إلا الله فانى أحبهم » .

[إخوانى] إن أهل التوحيد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر سبقت محبته لهم قبل خلقهم وطاعتهم له قبل إيجادهم فصاروا أولياء بالموهبة القديمة ، لاجرم جاء مدحهم فى الآيات الكريمة المبينة المكنونة (يحبهم ويحبونه)

نالوا مرادهمو بحب حبيبهم ... وتمتعوا بدنوّه ووصاله
وعليهم ظهر الجمال لأنهم ... بقلوبهم نظروا لحسن جماله
وبه قداشتغلوا وياطوبى لمن ... قد أصبح المحبوب من أشغاله

ذهب كل قدح مكلل بسبعين ألف لؤلؤة ، وأقداحا من بلور مكللة بالياقوت الأحمر فى كل قدح لون من الشراب الطهور قال الله تعالى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) فيتناول كل واحد منهم قدحا فيشرب من ذلك الشراب الطهور حتى يكتفى فيقول القدح ياولىّ

[وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم] « لقنوا موتاكم لاإله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدما » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وعن الصنابحى رحمه الله قال : دخلت على عبادة بن الصامت رحمه الله وهو فى النزع فبكيت ، فقال مهلا لم تبكى فوالله لئن استشهدت لأشهدنّ لك ولئن استشفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك ، ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدّثتكموه إلاحديثا واحدا وسوف أحدّثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله حرم الله عليه النار » وعن أبى الاسود الدؤلى أن أباذر رضى الله عنه حدثه أنه قال « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيته ثانيا فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثا وقد استيقظ فجلست إليه ، فقال: مامن عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ، قال : وإن زنى وان سرق ، قلت وان زنى وان سرق ، قال وان زنى وان سرق ثلاثا ، ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذرّ ، فخرج أبو ذر وهو يقول على رغم أنف أبى ذر » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دخل السوق وقال لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حىّ دائم لايموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شىء قدير ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذى رحمه الله فلما سمع قتيبة بن مسلم بهذا الحديث كان يركب كل يوم فى موكبه وهو يومئذ أمير ويأتى السوق فيقول هذا الحديث ثم يرجع :

تهتك ولاتخش فى الحب عارا ... وإياك إياك تبدى استتارا
ونزه حبيبك عن مشبه ... وعطر بذكراه ربعا ودارا
وبح باسمه ثم صرح وقل ... حبيبى ياقوم يهدى الحيارى
وجهرا فوحده بين الملا ... ليعطيك منه أجورا غزارا

[إخوانى] انظروا إلى فعل هؤلاء الموحدين كيف لايمنعهم الحياء عن إشهار ذكر رب العالمين ولايستنكفون عن تنزيه الحق بين سائر المخلوقين ، وقد قال تعالى (فاذكرونى أذكركم) .

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ؛ وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله . وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع » فانظروا رحمكم الله إلى كلمة الإخلاص ما أعظم شأنها وما أرفع عند الله مكانها فأكثروا من ذكرها لتنالوا جزيل أجرها ، فبها يحصل الثواب الكامل والأجر الوافر وبقولها يتميز المؤمن من الكافر وما من عبد يسمع المؤذن فيقول : مثل مايقول فإذا قال : لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله ومسح وجهه بيديه تبركا بها ومر بهما على لحيته إلا كتب الله تعالى له بكل شعرة أصابتها يده حسنة وحط عنه بها سيئة » وقال بعض الصحابة رضى الله عنه : من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته تعظيما لها غفر الله له أربعة آلاف ذنب ، قيل فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب قال يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقيل يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيه خطاياه وذنوبه فتوضع فى الميزان ثم يخرج قرطاس مثل الأنملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع فى الكفة الأخرى فترجح على خطاياه وذنوبه ويسامحه الله تعالى ويأمر به إلى الجنة كل ذلك بفضل قول لاإله إلا الله ؛ وفضل لاإله إلا الله كثير لايحصى ، وعظيم لايستقصى ؛ وينشد لمؤلفه :

الكل فى بحر حبه تاهوا ... وقد تفانوا فى سر معناه
وصححوا العقد مخلصين له ... بقولهم لاإله إلا هو
يامعشر الذاكرين كلكم ... قولوا معى لاإله إلاهو
وراقبوا من يعمكم كرما ... بفضله لاإله إلا هو
فالكون قد فاح نشره عبقا ... بذكره لاإله إلاهو
والعرش تسبيحه له أبدا ... سبحان من لاإله إلاهو
وكل مافى السماء من ملك ... تسبيحه لاإله إلا هو
وكل مافى الجبال من عظم ... تسبيحه لاإله إلا هو
وكل مافى الرياض من شجر ... تسبيحه لاإله إلا هو
وكل مافى البحار من سمك ... تسبيحه لاإله إلا هو
وكل مافى الوجود من بشر ... تسبيحه لاإله إلا هو
وكل مافى الزمان من عجب ... أعجبه لاإله إلاهو
وكل شىء تراه من حسن ... أحسنه لاإله إلا هو
وكل شىء يلوح من ملح ... زينته لاإله إلا هو
وكل أهل العلوم قد علموا ... بأنه لاإله إلا هو

الله إن كنت شربت منى لبنا فاشرب منى خمرا وإن كنت شربت منى خمرا فاشرب منى عسلا مصفى فيشرب من ذلك حتى يكتفى ثم تقول الملائكة : قد أمرنا ربنا أن نسقيكم بهذه القداح من أنواع الشراب سبعين لونا ، كل لون ألذ من الآخر فإذا اكتفوا يقول الله سبحانه وتعالى :

وكل أهل العقول قد فهموا بأنه لاإله إلا هو
والانس والجن كلهم شهدوا بأنه لاإله إلا هو
والرعد والبرق إذ يسبحه فقوله لاإله إلا هو
وكل من ضل عن طريق هدى دليله لاإله إلا هو
وكل من يشتكى أذى سقم شفاؤه لاإله إلا هو
ومن أتاه بالذل مفتقرا غناؤه لاإله إلا هو
ومن أتى بائسا ومنكسرا فجبره لاإله إلا هو
ياغارقا فى بحار غفلته انهض وقل لا إله إلاهو
تعصيه جهرا وحلمه كرما يستره لاإله إلا هو
ياقوم لاتغفلوا بجهلكم عن ذكره لاإله إلاهو
كيف تنام العيون عن ملك سبحانه لاإله إلا هو
تنسوه فى الليل والنهار ولا ينساكمو لاإله إلاهو
هو الإله العظيم قدرته سبحانه لاإله إلا هو
يافوز من مات وهو معتقد يشهد أن لاإله إلاهو
سبحانه ما أعمّ رحمته لمذنب تاب من خطاياه
وها أنا مذنب عصيت وقد كان الذى كان حسبى الله
قد ضاع عمرى وليس لى عمل فى يوم حشر يرضى به الله
وقد أتانى المشيب ينذرنى بقرب موتى وماسألقاه
من كان مثلى فى المذنبين أسا يبكى على ذنبه وينعاه
من كان مثلى قد شاب وهو على قبيح ما لا يحبه الله *
من كان مثلى يأتى الذنوب ولا يخاف مما جنى ويخشاه
يأتى إلى الله وهو معتذر عساه يمحو له خطاياه
يامن عصى الله وهو ينظره فى الذنب إذ لا يخاف عقباه
إن كنت مثلى مقصرا وجلا من قبح ذنب فى الحشر تلقاه
فلذ بجاه الشفيع أفضل من يشفع فى الحشر عند مولاه
محمد المصطفى الرسول ومن شرفه الله ثم نباه *
صلى عليه الإله خالقه ماسار سار وطاب مسراه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مرحبا بعبادى وأهل طاعتى وخدمتى ومحبتى ياملائكتى فكهوهم فتقدم إليهم الملائكة أطباقا من الذهب فيها ألوان الفاكهة فإذا أكلوا يقول الله عزّ وجل مرحبا بعبادى وأهل طاعتى ومحبتى ياملائكتى طيبوهم فتحمل إليهم الملائكة المسك الأذفر الأبيض من تحت العرش

المجلس السادس والخمسون

فى سعة رحمة الله تعالى ، غمرنا الله وإياكم والمسلمين برحمته ، وعاملنا بلطفه ورأفته

الحمد لله الرحيم الذى يرحم من عباده الرحما ، الكريم الذى يسبل على العاصى ذيل حلمه جودا وكرما ، الحليم الذى يرى المذنب ويستره إذا أبدى على ذلته حسرة وتندما ، العليم الذى يعلم مافى الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السما ، العظيم الذى لايتعاظمه ذنب إلاغفره ولا يرى عيبا إلاستره فضلا منه ونعما ، سبقت رحمته غضبه ، وقد قال تعالى

لينقذ المؤمنين من العصيان والغيّ (ورحمتي وسعت كل شيء) فغفر زللا ومآثما، من لجأ الى حمى جنابه احتمى، ومن تاب إليه نجاه ومن توكل عليه كفاه همما وغما وألما؛ فيامعشر التائبين أبشروا بالصيانة والعصمة واشكروه على هذه النعمة فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأجرى لكم بالسعادة قلما، فالعارفون قد نشر لهم بنيل المقصود فى الوجود علما، والمحبون قد أباحهم فى الجنة النظر إليه وسقاهم بكؤوس أنسه فأضحوا لحضرة قدسه ندما، والخائفون قد لزموا له ذلاً وخضوعا وأبدوا على ما أسلفوا بكاء وخشوعا فأخرج لهم توقيع (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فألبسهم من الأمان بالغفران تاجا معلما فيامن أيامه فى الغفلة ضائعة، وصحائفه لزلاته جامعة، أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة، فقد قال تعالى لنبيه صاحب الشفاعة الشائعة (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فكم غفر ذنبا، وكم جبر قلبا، وكم قبل متندما؟:

قل للذى ألف الذنوب وأجرما ... وغدا على زلاته متندما
لاتيأسنّ من الجميل فعندنا ... فضل بنيل التائبين تكرّما
يامعشر العاصين جودى واسع ... توبوا ودونكم المنى والمغنما
لاتحتشوا من قبح ذنب سالف ... إنى أحب بأن أجود وأرحما
ها قد أبحتكمو جنابى فادخلوا ... بالأمن فهو لمن أتى بابى حمى
ياأيها العبد المسىء إلى متى ... تفنى زمانك فى عسى ولربما
بادر إلى مولاك يامن عمره ... قد ضاع فى عصيانه وتصرما
واسأله عفوا ثم لذ متوسلا ... بمحمد جالى الضلالة والعمى
خير الأنام الهاشمى المجتبى ... والمرتضى وهو الكريم المنتمى
أزكى البرية عنصرا وأجلّ من ... قد خص بالتقريب من رب السما
صلى عليه الله ماسرت الصبا ... وشدا الهزار على الربا وترنما
وعلى الصحابة والقرابة بعده ... ما سبح الداعى الإله وعظما

فيذرونه عليهم ثم يقول الله تعالى: مرحبا بعبادى وأهل طاعتى يامائكتى اكسوهم فتناولهم الملائكة خلعا خضرا وحمرا وصفرا بيضا مصقولة بنور الرحمن ولولا أن الله سبحانه

قوله عز وجل (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) خاطب الله سبحانه وتعالى عباده المسرفين على أنفسهم بالمخالفة وبما اكتسبوا من الذنوب والعصيان، وبما اقترفوا من الفسق والطغيان، فظنوا أنهم لايغفر لهم وقنطوا من رحمة الله عزّ وجل، فقال الله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) يعنى لاتيأسوا من عفو الله وكرمه ومغفرته (إن الله يغفر الذنوب جميعا) لمن أناب وتاب من ذنبه ورجع عن ظلمه واستغفر من قبيح فعله (إنه هو الغفور الرحيم) الغفور لمن تاب وندم على مافعل من الذنوب، الرحيم لمن رجع عن الأفعال المذمومة إلى الأفعال المحمودة وروى عقيل بن أحمد باسناده عن ابن سيرين، قال: قال على رضى الله عنه: مافى القرآن آية أوسع من قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله)، وروى عبد الله ابن حامد باسناده عن أسماء بنت يزيد قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) ولايبالى» وفى مصحف عبد الله (إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء) وروى الأعمش عن أبى سعيد الأزدى

عن أبى الكنود قال : دخل عبد الله بن مسعود المسجد فاذا واعظ يعظ الناس وهو يذكر النار والأغلال فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : يامذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية) ، وروى ابن فتحويه باسناده عن زيد بن أسلم أن رجلا كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ، فلما مات رؤى فى المنام وهو بين يدى الله تعالى ، وقد قال يارب مالى عندك ؟ قال النار ، قال يارب فأين عبادتى واجتهادى ؟ فقال له إنك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا ، وأنا اليوم أقنطك من رحمتى :

لاتقنطنّ فان الله منان وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك إفضال وإحسان

ياهذا لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه ، فقال تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ثم قال سبحانه وتعالى لما رأى عفوه وسيعا (إن الله يغفر الذنوب جميعا) . وروى عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهانى باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشىّ يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يقول : يامحمد كيف تدعونى الى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفسا أو أشرك أوزنى يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا وإنى قد فعلت ذلك كله فهل تجد لى رخصة ؟ فأنزل الله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآية فبعث بها إلى وحشىّ وأصحابه ، فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا أقدر عليه فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فبعث بها إلى وحشىّ ، فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلاأدرى يغفر لى أم لا فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فبعث بها إلى وحشى وأصحابه ، فقال وحشى : نعم هذه فجاء فأسلم هو وأصحابه ، فقال المسلمون يارسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة» :

إن كان ذنبك قد خيفت عواقبه فما سجدت لطاغوت ولاوثن
أو كنت ذا سيئات جلّ موقعها فان ربك ذوفضل وذومنن
إن لم يكن عفوه للمذنبين غدا فعفوه ليت شعرى بعد ذاك لمن

[إخوانى] لو أراد الله تعالى عقوبة المؤمن فى جهنم وتخليده لما ألهمه معرفته وتوحيده وقد قال تعالى (لايصلاها إلا الأشقى . الذى كذب وتولى) :

يامن أسا فيما مضى ثم اعترف كن محسنا فيما بقى تعط الشرف
وابشر بقول الله فى تنزيله إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

[وقال قتادة] ذكر لنا أن أناسا أصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أشفقوا وخافوا أن لايتاب عليهم فدعاهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآية (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) الآية . وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم» ، رواه ابن ماجه رحمه الله . وروى مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله تبارك وتعالى : ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم» وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى

وتعالى يحفظ أبصارهم لاختطفت من نور تلك الخلع ، فيلبس كل واحد منهم خلعة ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى : مرحبا بعبادى وأهل طاعتى ومحبتى ياملائكتى حلوهم

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ، رواه مسلم رحمه الله ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لولم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » رواه مسلم رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» :

واخجلة العبد من إحسان سيده ... واحسرة القلب من ألطاف معناه
وكم له من أياد غير واحدة ... علىّ لطفا لعلمى أنه الله
وكم عكفت على العصيان مستترا ... مما سواه وما فى الكون إلا هو
يولى الجميل ويبدى الفضل مبتدئا ... لا كان فى الناس عبد ليس يرعاه
يانفس كم يخفىّ اللطف عامانى ... وقد رآنى على ماليس يرضاه
يانفس كم زلة زلت بها قدمى ... وما أقال عثارى ثم إلا هو

فتقدم اليهم الملائكة الحواء من جميع الأصناف ، وسبب حبس الحور على أصحابهن اطلاعهن عليهم فى سائر الأحوال فتقول لصاحبتها ما الذى وجدت سيدك عليه من العمل ؟

[وروى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «أمتى أمة مرحومة عجل عقابها فى الدنيا بالزلازل والفتن ، فاذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب ، فقيل هذا فداؤك من النار» وقال صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله تبارك وتعالى لنا يوم القيامة ضاحكا يقول أبشروا يامعشر المسلمين فانه ليس أحد منكم إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا» وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فى ورقة آس ، ثم وضعها على العرش ، ثم نادى . يا أمة محمد إن رحمتى سبقت غضبى ، أعطيتكم من قبل أن تسألونى وغفرت لكم من قبل أن تستغفرونى ، من لقينى منكم وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدى ورسولى أدخلته الجنة » .

[وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم] أنه قال « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد : أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى » .

[وعن الحسن رضى الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله تعالى مائة رحمة أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم ، وإن الله تبارك وتعالى قابض تلك الرحمة إلى يوم القيامة فيضيفها الى التسعة والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه وأهل طاعته » .

[وروى عن عمر رضى الله عنه] « أنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فوجده يبكى . فقال مايبكيك يارسول الله ؟ قال جاءنى جبريل عليه السلام ، وقال لى إن الله تبارك وتعالى يستحى أن يعذب أحدا قد شاب فى الإسلام ، فكيف لايستحى من شاب فى الإسلام أن يعصى الله تعالى » وحدثنا هرون بن محمد عن أحمد بن سهل رضى الله عنه قال : رأيت يحيى بن أكثم فى المنام فقلت يايحيى مافعل الله بك قال دعانى ؟ فقال لى ياشيخ السوء فعلت وفعلت ، فقلت : ماهكذا حدثت عنك ، قال فبم حدثت عنى ؟ قلت . حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله

عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عنك يارب أنك قلت «إني لأستحي أن أعذب شيبة شابت فى الإسلام ، وأنا شيخ كبير . فقال الله تبارك وتعالى : صدق عبدالرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبي وصدق جبريل وصدقت أنا ثم أمر بى ذات اليمين إلى الجنة » :

أستغفر الله مما كان من زللى ... ومن ذنوبى وتفريطى وإصرارى
يارب هب لى ذنوبى يا كريم فقد ... أمسكت حبل الرجا ياخير غفار
إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياخالقى أولى بذا كرما ... قد شبت فى الذنب فأعتقنى من النار
وقد روى عنك خير الخلق من مضر ... المصطفى المجتبى من خير أطهار
بأنك الله رب العرش قلت لنا ... وقولك الحق فى نقل وأخبار
أنا الذى من أتانى ليس يشرك بى ... أغفر له ماجنى من قبح أوزارى
وإننى شبت فى الإسلام يا أملى ... فاغفر ذنوبى واسبل حسن أستار

وخرّج مسلم من حديث سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تبارك وتعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والأرض ، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض حتى إن الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، فاذا كان يوم القيامة ردّ الله تعالى هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة فيرحم بها عباده يوم القيامة » .

[إخوانى] لارحيم أرحم من الله ، ولا كريم أكرم من الله فاشكروه على هذه النعمة :

جلّ رب أمضى على الخلق حكمه ... وله فى قضائه كل حكمه
قسم السعد والشقاء فطوبى ... للذى كانت السعادة قسمه
كم له رحمة على الخلق عمت ... كم له فى المعاد أشمل رحمه
عفوه واسع لمن قد أتاه ... بمتاب وعنه كفر إثمه
كل من جاء تائبا قبل التو ... بة منه وكان أهلا لنقمه
عظموا شأنه فقد فاز عبد ... عن صفات الأنام قدس إسمه
وارحموا ترحموا فطوبى لعبد ... أسكن الله قلبه منه رحمه

وقال صلى الله عليه وسلم فى آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط «إن الله تبارك وتعالى يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ، فيقول الله تعالى : (رحمتى وسعت كل شىء) فكان أبو سعيد رضى الله عنه يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم (إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) فيقول الله تبارك وتعالى : شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء فلم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط إلا التوحيد قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم ، فيعرفهم أهل الجنة ، فيقولون : هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . فيقال لهم ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم . فيقولون

فتقول قد وجدته يصلى ويبكى ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ، فتقول الأخرى وأنا قد وجدت سيدى نائما ، فتقول الأخرى إن سيدى كثير المجاهدة وسيدك

ربنا قد أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين . فيقول الله تبارك وتعالى : ولكم عندى أفضل من هذا. فيقولون : وأى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله :

رضاك خير من الدنيا ومافيها ... يامنية القلب قاصيها ودانيها
وما ذكرتك إلاهمت من طرب ... كأنّ ذكرك ألحان أغانيها
وحق حبك ماقصدى الديار ولا الـ ... ـأموال من عرض الدنيا فأقنيها
فنظرة منك ياسؤلى ويا أملى ... أشهى إلىّ من الدنيا ومافيها
وليس للنفس آمال تؤملها ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

وفى الخبر « إن الله تبارك وتعالى يشفع آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى ألف ألف وعشرة آلاف ألف » .

[وروى] جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ، قال جابر : فمن لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة ؟ يعنى لايحتاج إلى الشفاعة .

يامن شفاعته تنجى العصاة غدا ... من العذاب الأليم الراتع الشرر
أنت النبى الشفيع المستضاء به ... يوم القيامة يوم الروع والحذر
فاشفع لنا عند رب العرش خالقنا ... ياسيد الخلق من أنثى ومن ذكر

[وفى الخبر] «أن أعرابيا قال يارسول الله من يلى حساب الخلق ؟ فقال : الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم فتبسم الأعرابى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم ضحكت ياأعرابى ؟ فقال إن الكريم إذاقدر عفا وإذاحاسب سامح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابى ألالا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين» ثم قال الأعرابى :

إن الكريم إذا تعين حقه ... عند امرئ أعفاه منه تكرما
ويسامح الجانى ويغفر ذنبه ... ويكون حقا قد أساء وأجرما

وفى الخبر المشهور « إن الله تبارك وتعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبى» ويروى «أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تبارك وتعالى كتابا من تحت العرش فيه مكتوب : إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة » :

ذنوبى كثير ما أطيق احتمالها ... وعفوك عن ذنبى أجل وأكبر
وقد وسعتنى رحمة منك ههنا ... وإنى لها يوم القيامة أفقر

[وروى] أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ (وكنتم على شفاحفرة من النار فأنقذكم منها) . فقال الأعرابى : والله ماأنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : خذوها من غير فقيه . وقيل إن الله تعالى إذا أراد أن يستر عبده يوم القيامة ولايفضحه على رءوس الأشهاد فيعطيه كتابه بيمينه وهو مشحون بالسيئات وذلك العبد خائف مما فى الكتاب لعلمه أن ذنوبه كثيرة فيقرأ فى الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقول فى نفسه سبحان الله ليس لى حسنة واحدة . وتقول الخلائق سبحان الله ليس فى كتاب هذا العبد سيئة واحدة ، فاذا فرغ من قراءته سرا يقول الله تبارك وتعالى : عبدى هذه حسناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى وسترت عنهم سيئاتك فى الدنيا والآخرة ياملائكتى امضوا به إلى الجنة بعفوى ورحمتى .

يامن له ستر علىّ جميل ... هل لى إليك إذا اعتذرت قبول

كثير الغفلة عسى تصيرين ميراثا لسيدى فتقول لها حاشا سيدى من القطيعة مافرق الله عزّ وجل بيننا وبينه أبدا ولا جعله من المحرومين ، فان قصر العبد عن طاعة الله

أبديتني ورحمتني وسترتني كرما فأنت لمن رجاك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك واسعا وعلىّ سترك دائما مسدول
فلك المحامد والمحاسن والثنا يامن هو المقصود والمسئول

[وعن أنس بن مالك رضى الله عنه] «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم إلىّ لئلا يطلع على مساويهم غيرى ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه هم أمتك وأنا أرحم بهم منك فلا أجعل حسابهم إلى غيرى لئلا ينظر فى مساويهم أحد غيرى» :

يامن له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح أخفيت ذنب العبد عن كل الورى
كرما فليس عليه ثم جناح فلك التفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح

[وعن معاوية بن قرة] قال قال ابن مسعود رضى الله عنه : أربع آيات فى سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا ومافيها ، قوله عزّ وجل (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنكم نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقوله تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما).

[وقال أبو غالب] كنت أختلف إلى أبى أمامة بالشام فدخلت على مريض من جيرانه ، وهو يعاتبه ويقول له ياظالما نفسه ألم آمرك ألم أنهك . فقال الفتى ياعماه لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى وجعل أمرى إليها ماكانت صانعة بى ؟ قال تدخلك الجنة . قال فان الله تعالى أرحم بى من والدتى ثم قبض الفتى فدخل معه عمه القبر يلحده ، فلما سوّاه صاح وفزع . فقلت له مالك ؟ قال فسح له فى قبره وملىء نورا . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى فإذا امرأة من السبى تسعى ، وقد وجدت صبيا فى السبى فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا لا والله ، فقال : الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها» رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما :

لم لانرجى العفو من ربنا أم كيف لانطمع فى حلمه
وفى الصحيحين أتى أنه بعبده أرحم من أمه

[إخوانى] إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لايقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه مايعود نفعه عليه . وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)

قدم لنفسك خيرا مادمت مالك مالك واعدد جوابا سريعا إذا سمعت سؤالك
فكل ما قد فعلته تراه ثم ينالك

[وقال أبو بكر بن سليم الصواف رحمه الله] دخلنا على مالك بن أنس رضى الله عنه فى العشية التى قبض فيها . فقلنا له يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟ قال لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من لطف الله وعفوه مالم يكن لكم فى حساب ، فما برحنا من عنده حتى غمضناه .

[وقيل] ان الله تعالى ألطف وأرحم مايكون بعبده اذا نزل فى لحده ووضع خشن التراب على لين خده ، وجفاه من كان يرغب فى قربه ووده فاذا وضع الميت على المغتسل أولا وجرد من ثيابه وأيس من أحبابه فينادى واسوأتاه وافضيحتاه ولايسمع نداءه غير مولاه فيجيبه الحق سبحانه وتعالى ويقول : عبدى أنا سترتك فى الدنيا وأنا أسترك فى الآخرة .

واقلب إلى المعصية يمحى اسمه من القصور ويتوارث أهل الجنة منازله وخدمه وإن داوم على طاعة الله عزوجل وصل إلى النعيم المقيم ، فلازم الباب وجدّد المتاب وتضرع

يامن له الستر الجميل على الورى ويجود بالافضال منه وبالقرى
أبديتنى ورحمتنى وسترتنى وهديتنى لطفا فكنت مقصرا
فارحم بعفوك زلتى ياسيدى ومصون وجه فى التراب معفرا

فإذا أخرج الميت من الدار وحمل على النعش فانه يصيح واغربتاه فيقول الله سبحانه وتعالى ياعبدى إن كنت اليوم غريبا فانى منك لازلت قريبا ، ياعبدى لاتخف فانى مقيل عثرتك وراحم غربتك ومؤنس وحدتك :

ياراحم الغرباء يامن جوده قدعمنى يامؤنسى فى وحدتى
أمسيت من أهلى غريبامفردا ولأنت يامولاى راحم غربتى

فإذا أنزلوه فى لحده ووضعوا على خشن التراب لين خده ، ثم تركوه وانصرفوا ، ومضوا عنه وانحرفوا فيصيح : واوحدتاه ، فيناديه الرب الكريم الرءوف الرحيم : عبدى علىّ تستوحش وأنا أنيسك هل تشتكى الوحدة وأنا جليسك ، ياعبدى ألست بربك ؟ فيقول بلى يارب فيقول ياعبدى كيف تركت ما أمرتك به واتبعت مانهيتك عنه ، أما علمت أن مرجعك إلىّ ، وأعمالك معروضة بين يدىّ ، أنسيت عهدى أم أنكرت وعيدى ووعدى ، فالآن تخلى عنك الصاحب والصديق ، وتجردت عن المال الوثيق ، فلا المال نفعك فى مآلك ، ولا الصديق خلصك من قبيح أفعالك ، فماحجتك ومامعذرتك ؟ فيقول : يارب احتوى قلبى على حب الدنياوحب المال فحملانى على الذنوب والأثقال ، وها أنا قد صرت فى جوارك ، وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبنى بنارك وإن لم ترحمنى فمن يرحمنى ؟ فيقول الله تعالى : ياعبدى مضواعنك وتركوك ، ولو أقاموا عندك مانفعوك ، وإلى بابى وجهوك وعلى كرمى خلفوك ، ياعبدى طب نفساوقرّ عينا فأنت الليلة ضيفى والكريم لايخيب ضيفه ، ياملائكتى أحسنوا فى ضيافته ، وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته :

إذا ما الموت فى جسمى السقيم سرى وأنى على عظمى الرميم وبتّ مجاور الرب الرحيم
فقولوا لى وقد وافى نعيمى لك البشرى قدمت على كريم
تولى العمر واقترب الرحيل وزادى للتقى زاد قليل وفى لحدى إذا حان النزول
فهنونى أحبائى وقولوا لك البشرى قدمت على كريم

[وعن أبى هريرة رضى الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » رواه ابن ماجه رضى الله عنه . وقيل إن موسى عليه السلام قال فى بعض مناجاته : يارب ، فقال الله تعالى لبيك ياموسى ، فقال موسى عليه السلام : يارب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية ؟. فقال ياموسى انى آليت على نفسى أن لايدعونى عبد من عبادى بالربوبية إلا أجبته بالتلبية . فقال موسى يارب هذا لكل عبد طائع ؟ قال ولكل عبد مذنب ، قال يارب أما الطائع فبطاعته فما بال المذنب ؟ فقال الله تعالى ياموسى انى إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسىء لإساءته فأين جودى وكرمى ؟:

تعصى وتجهر بالعصيان إعلانا وأستر الذنب إنعاما واحسانا
ولا أجازى مسيئا بالفعال ولا أجزى الذى تاه عصيانا وعدوانا
ومن أتى تائبا بالذل منكسرا نعطيه من فضلنا عفوا وغفرانا

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ان وليا من أوليائى قد مات فى أرض كذا فاذهب إليه وغسله وكفنه وصلّ عليه ووارِه تحت التراب فهو جارك فى الجنة ، فأتى موسى عليه

إلى الله العزيز الوهاب نحظ فى الجنان بملاقاة الأحباب ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .
وقد تم هذا الكتاب المرتب على عشرة أبواب

السلام فوجده ميتا فى خربة وليس عنده أحد ولا يملك شيئا فى الدنيا والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل فسق وعصيان فغسله موسى وكفنه وصلى عليه ودفنه ، وقال يارب إنى امتثلت ما أمرتنى به فى حق هذا الميت والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل قبيح ، فقال الله تعالى : ياموسى صدق عبادى ، وأنا أعلم منه بما لايعلمون ، ولكن لما دنت وفاته ناجانى بخمس كلمات وقد غفرت له بها . فقال موسى يارب وما هن الكلمات ؟ قال ياموسى : الكلمة الأولى قال : يارب أنت تعلم أنى أحب الصالحين وإن لم أكن صالحا . والثانية قال : يارب أنت تعلم أنى أبغض الفاسقين وإن كنت فاسقا . والثالثة قال يارب لو أعلم أن دخولى الجنة ينقص من ملكك شيئا لما سألتك جنتك . الرابعة قال يارب لو أعلم أن دخولى النار يزيد فى ملكك شيئا ما سألتك الجيرة منها . والخامسة قال يارب إن لم ترحمنى أنت فمن يرحمنى ؟ فرحمته ياموسى ، أفكان يليق بكرمى أن أرده خائبا وقد تكلم بهذه الكلمات فعفوت عنه وغفرت له وأنا الغفور الرحيم :

فكم لبيت عبدى إذ دعانى ... وراعيت الوداد ومارعانى
أنا الرحمن الستور على المعاصى ... على عبدى الجسور إذا عصانى
أيجمل بى إذا العاصى أتانى ... وعاتب نفسه فيما جفانى
وجدّد توبة منه وأبدى ... تضرعه بدمع منه قانى
أقنطه وأمنعه جنانى ... وقد وافى كئيب القلب عانى
فكم أعددت للتوّاب عندى ... من الخيرات فى غرف الجنان
وان نادانى العاصى بسرّ ... وإخلاص حوى كل المعانى
ومن يطع الرسول ينال عزا ... ويحظى بالمسرة والأمانى *
شفيع المذنبين رسول حق ... ومن قد خص بالسبع المثانى
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة ماتثنى غصن بان

[للامام العلامة أبى الليث السمرقندى] رحمه الله تعالى. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم فقهنا فى الدين ، وعلمنا التأويل ، ولاتذلنا ياملك ياحق يامبين ، واجعلنا من عبادك المفلحين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

بحمد الله تعالى تم طبع [الروض الفائق فى المواعظ والرقائق] للعلامة الشيخ « شعيب الحريفيش » ويهامشه كتابان : الأول يتضمن [أحاديث ومواعظ وآثارا تتعلق بالموت وما بعده] للعلامة « زين الدين بن عبد العزيز المليبارى » . والثانى كتاب [قرة العيون ومفرح القلب المحزون] للامام « أبى الليث السمرقندى » .

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : أحمد سعد على

31/9/57

القاهرة فى يوم الخميس { ١١ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ / ٧ يوليه سنة ١٩٤٩ م

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

فهرس

فهـــرس

الروض الفائق فى المواعظ والرقائق للحريفيش

صحيفة		
٢	خطبة الكتاب	
	المجلس الأول	: فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وفضل بسم الله الرحمن الرحيم
٦	المجلس الثانى	: فى قوله تعالى (الرحمن علم القرآن)
١٥	المجلس الثالث	: فى ذكر الموت وزيارة القبور والترحم على أهلها
٢٥	المجلس الرابع	: فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين
٣١	المجلس الخامس	: فى فضل شهر رمضان وصيامه
٣٧	المجلس السادس	: فى وداع شهر رمضان
٤٢	المجلس السابع	: فى فضائل ليلة القدر
٤٦	المجلس الثامن	: فى ذكر حجاج بيت الله الحرام وما أعدّ الله لهم من الافضال والإنعام
٥٥	المجلس التاسع	: فى فضائل الكعبة التى شرفها الله تعالى
٦٠	المجلس العاشر	: فى ذكر ما جاء فى البكاء والبكائين من خشية الله تعالى
٦٦	المجلس الحادى عشر	: فى فضائل الفقراء رضى الله عنهم
٧٠	المجلس الثانى عشر	: من كلام الشيخ عز الدين المقدسى
٧٣	المجلس الثالث عشر	: فى ذكر جهنم ، أعاذنا الله منها
٧٩	باب صفة الفقير	
	المجلس الرابع عشر	: فى ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء والأولياء
٨٥	المجلس الخامس عشر	: فى مناقب الأولياء رضى الله عنهم
٨٩	المجلس السادس عشر	: فى قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) الآية
٩٤	المجلس السابع عشر	: فى إثبات كرامات الأولياء رضى الله عنهم
٩٧	المجلس الثامن عشر	: فى قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه) الآية
١٠٠	المجلس التاسع عشر	: فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم
١٠٥	المجلس العشرون	: فى قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) الآية
١٠٨	المجلس الحادى والعشرون	: فى قوله تعالى (ألهاكم التكاثر) إلى آخر السورة
١١١	المجلس الثانى والعشرون	: فى صدقة التطوّع
١١٥	المجلس الثالث والعشرون	: فى صدقة الفطر وما أعد الله لمخرجها من الأجر
١١٩	المجلس الرابع والعشرون	: فى ذكر معراج النبى صلى الله عليه وسلم
١٢٥	المجلس الخامس والعشرون	: فى حكايات الصالحين وما فيها من الرقائق
١٣١	المجلس السادس والعشرون	: فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم

صحيفة

١٣٦ المجلس السابع والعشرون : فيما يجلو القلوب من القسوة الخ
١٤٢ المجلس الثامن والعشرون : فى قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات) الآية
١٤٧ المجلس التاسع والعشرون : فى بعض مناقب الصالحين رضى الله عنهم
١٤٩ المجلس الثلاثون : فى مناقب الأولياء رضى الله عنهم
١٥٣ المجلس الحادى والثلاثون : فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم
١٥٧ المجلس الثانى والثلاثون : فى مناقب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه
١٦٣ المجلس الثالث والثلاثون : فى ذكر كرامات الأولياء رضى الله عنهم
١٦٩ المجلس الرابع والثلاثون : فى مناقب سيد نا معروف الكرخى رحمة الله عليه
١٧٦ المجلس الخامس والثلاثون : فى ذكر الأولياء والأبرار والصالحين والأخيار
١٨٢ المجلس السادس والثلاثون : فى ذكر النيل المبارك
١٨٦ المجلس السابع والثلاثون : فى مناقب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
١٩٢ المجلس الثامن والثلاثون : فى مناقب الإمام الشافعى رضى الله عنه
١٩٨ المجلس التاسع والثلاثون : فى مناقب الإمام مالك رضى الله عنه
٢٠٥ المجلس الأربعون : فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه
٢٠٧ المجلس الحادى والأربعون : فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم
٢١١ فصل : فى جملة نصائح
٢١٧ المجلس الثانى والأربعون : فى فضائل يوم عاشوراء
٢٢٣ المجلس الثالث والأربعون : فى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٢٨ المجلس الرابع والأربعون : فى التنزيه وذكر الصالحين
٢٣٢ المجلس الخامس والأربعون : فى محبة الله عز وجل
٢٤٠ المجلس السادس والأربعون : فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم
٢٤٨ المجلس السابع والأربعون : فى مناقب الصالحين ، وفيه قصة أبى يزيد البسطامى
٢٥٥ المجلس الثامن والأربعون : فى زواج على بن أبى طالب بالسيدة فاطمة رضى الله عنهما
٢٦٠ المجلس التاسع والأربعون : فى ذكر الموت والتفكر فيه
٢٦٧ المجلس الخمسون : فى ذكر الصالحات الخ
٢٧٤ المجلس الحادى والخمسون : فى ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأوسع مما تقدم
٢٨٣ المجلس الثانى والخمسون : فى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم
٢٨٨ المجلس الثالث والخمسون : فى مناقب الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم
٢٩٤ المجلس الرابع والخمسون : فى ذكر الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم
٣٠٠ المجلس الخامس والخمسون : فى فضل قول لا إله إلا الله
٣٠٤ المجلس السادس والخمسون : فى سعة رحمة الله تعالى

فهـــرس

كتاب ، يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ ، لزين الدين المليبارى الذى بالهامش

صحيفة

٢ خطبة الكتاب

فصل : قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم) الآية

٩ فصل : قال الله تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت) الآية

١٨ فصل : فى طول الأمل

٢٤ فصل : فى تقصير الأمل الخ

٣٠ فصل : فى سكرات الموت

٣٧ فصل : فى عذاب القبر للكفار ، ولبعض عصاة المؤمنين

٤٤ فصل : فى أحوال بعض الموتى

٥٢ فصل : فى أشراط الساعة

٥٥ فصل : فى ذكر علامات إذا ظهرت لاينفع نفسا إيمانها

٦١ فصل : قال الله تعالى (ونفخ فى الصور) الخ

٦٦ فصل : فى الشفاعة المختصة بمحمد عليه الصلاة والسلام

٧١ فصل : فى الحساب

٧٧ فصل : فى الميزان

٨٥ فصل : فى المرور على الصراط ، والحوض

٩٤ فصل : فى الشفاعة

١٠٣ فصل : قال الله تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) الآية

١١٥ فصل : فى الخلود فى النار

١٢٣ فصل : فى الجنة وما لأهلها من النعيم

١٣٢ فصل : فى صفة الحور العين

١٤١ فصل : فى لقاء الله عز وجلّ

فهـــرس

كتاب « قرة العيون ومفرح القلب المحزون » للسمرقندى الذى بالهامش

صحيفة

١٤٨ الباب الأول : فى عقوبة تارك الصلاة
١٥٨ الباب الثانى : فى عقوبة شارب الخمر
١٦٩ الباب الثالث : فى عقوبة الزنا
١٧٥ الباب الرابع : فى عقوبة اللواط
١٨٠ الباب الخامس : فى عقوبة آكل الربا
١٨٦ الباب السادس : فى عقوبة النائحة
٢٠٤ الباب السابع : فى عقوبة مانع الزكاة
٢١٠ الباب الثامن : فى عقوبة قاتل النفس وقاطع الرحم
٢٢٠ فصل : فيما يلزم الرجل من حسن القيام على زوجته وأولاده الخ
٢٢٧ الباب التاسع : فى عقوبة عاق والديه
٢٣٥ الباب العاشر : فى النهى عن المزامير والمغانى

893.7991
H93

0991731

MAR 10 1961

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58868399
893.7991 H93 Rawd al-faiq fi al-m